مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

تحقيقات وتعليقات وشروح

المجلد الثامن عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع
مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

تحقيقات وتعليقات وشروح

المجلد الثامن عشر

رتبه وأعده للطباعة

د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
تحقيقات وتعليقات وشروح

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

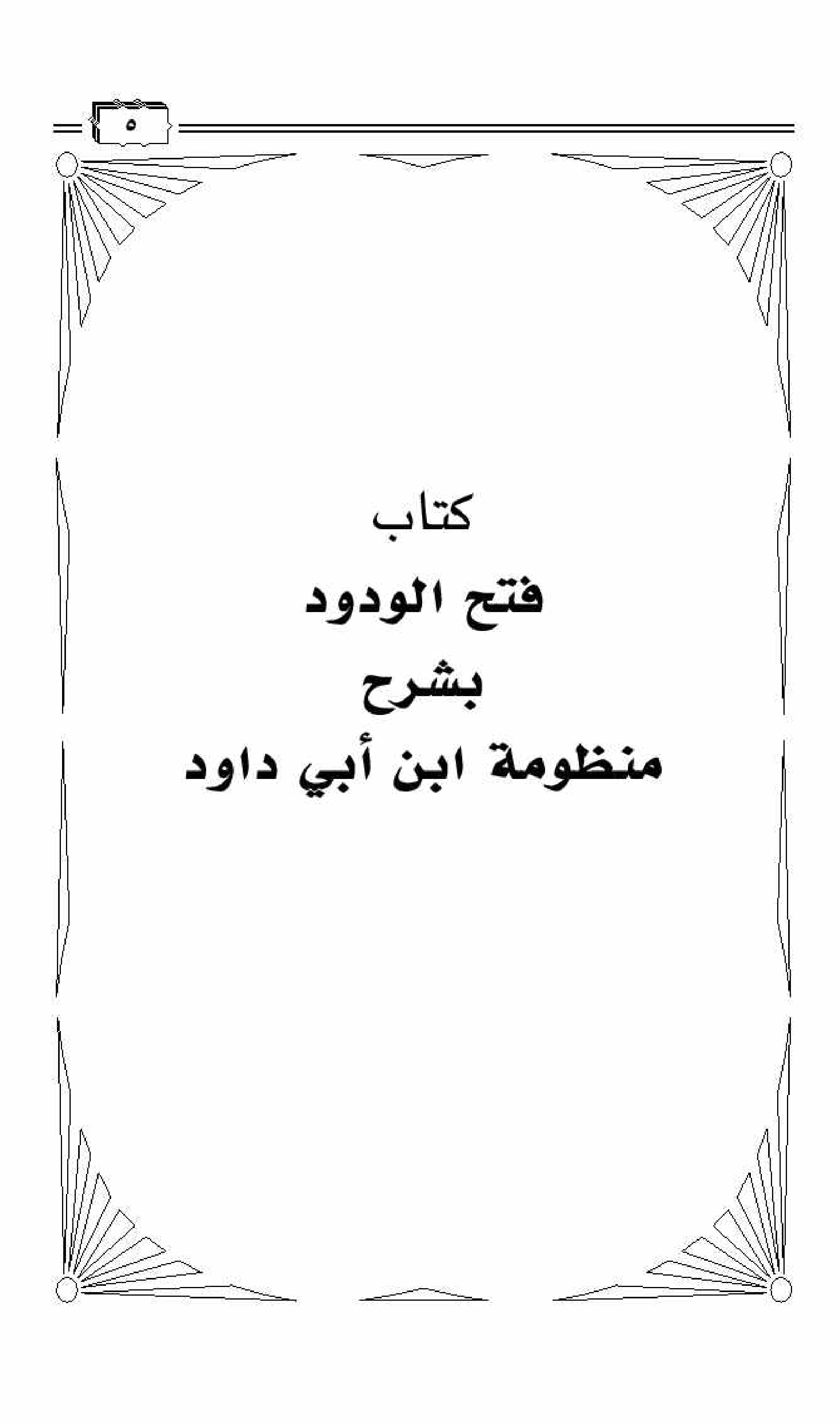
تحقيقات وتعليقات وشروح

المجلد الثامن عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

أضيف إلى هذا المجموع تحقيقات الكتب القصيرة وأما التحقيقات الكبيرة والتي تقع في مجلد أو أكثر فلم تضف إلى هذا المجموع.



كتاب

فتح الودود بشرح منظومة ابن أبي داود

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فحصل به المقصود وتحقق الموعود فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

إن من أعظم المنن التي منَّ الله بها على أمة الإسلام أن حفظ لها قرآنها الذي تستمد منه عقيدتها، وعبادتها، وأخلاقها، وكل ما تحتاج إليه في دينها ودنياها.

ومن عظيم فضله وكرمه أيضاً أن حفظ لهذه الأمة سنة نبيها ﷺ فسخر لها من يحفظها من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فحفظوا لنا سنته، ثم قام من بعدهم التابعون لهم بإحسان فحفظوها في صدورهم، وعلموها من بعدهم حتى أتت إلينا نقية خالية من الزيادة والنقصان.

لكن لما كانت السُّنة غير القرآن في الحفظ من الزيادة والنقصان قام من قام من أهل الزيغ والانحراف فزادوا فيها ما ليس منها ترويجاً لبدعهم وانحرافهم، لكن هيهات هيهات أن يتحقق لهم مقصودهم فقد سخر الله ـ تعالى ـ أهل المعرفة بالحديث ليظهروا ما عليه أهل الزيغ والتدليس فبينوا للناس خططهم وعرفوا للناس مقاصدهم الخبيثة ـ فلله الحمد والمنة ـ فسلك الأعداء طريقاً آخر للإفساد على الناس، فلم يهدأ لهؤلاء الأعداء بال حتى

قاموا بتشكيك الناس في عقيدتهم، فألفوا الكتب، وانطلقوا في الآفاق يدعون الناس إلى معتقداتهم المنحرفة، وأخذوا على ذلك سنين طوال، فمكن الله ـ تعالى ـ لهم لحكمة لا يعلمها إلا هو.

لكن لا تزال طائفة على الحق منصورة لا يضرهم انحراف المنحرفين، ولا ضلال المضلين، فها هي الطائفة المنصورة في كل زمان موجودة، وفي كل مكان رايتها عالية محمودة؛ لأنها تستمد معتقدها من نور الوحيين: الكتاب والسنة.

وها هي مؤلفاتهم قد ملأت الآفاق تبين ما يجب على المسلم اعتقاده، وتحذره من عقائد أهل الزيغ والانحراف كالقدرية، والمعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، وسائر الطوائف من أهل الضلال والانحراف.

وممن كان له دور فعال في بيان عقيدة السلف والدعوة إليها، والتحذير من عقائد أهل البدع، وبيان ما يعتقدونه صاحب الحائية المسماة بحائية «ابن أبي داود».

فقد احتوت هذه المنظومة على معظم ما عليه أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد، وبينت ما عليه أهل الزيغ والفساد.

ومن هنا اعتنى علماء أهل السنة بها، فأفاضوا في شرحها، وزادوا عليها ما لم تحو من المسائل التي عليها أهل السنة في جانب الاعتقاد، ومن هؤلاء على سبيل المثال الإمام السفاريني رحمه الله فقد شرحها شرحاً أفاض فيه وأجاد نفع الله بشرحه لها نفعاً عظيماً فجزاه الله خيراً.

ولما كانت هذه المنظومة لها مكانتها عند أهل السنة وأشار عليّ بعض طلاب العلم بشرحها، وبيان ما تضمنته، فاستجبت لطلبهم، وقمت بشرحها شرحاً موجزاً يتناسب مع من حضر من الطلاب بعيداً عن البسط والإسهاب فلم أُفَصِّل في بعض الموضوعات مراعاة للزمن ونوعية المتلقي.

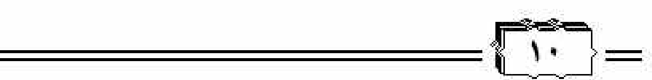
وعلى كل حال فمن رغب في التوسع فليرجع إلى تفصيل شرحها للسفاريني حيث أجاد وأفاد.

ولقد كان شرحها خلال ستة دروس في جامع الشيخ ابن عثيمين في محافظة الزلفي خلال شهري ربيع الأول والثاني من عام ١٤٢٥هـ، وقد قام الطلاب بتسجيلها، وتفريغها، وألحوا عليّ في طباعتها، وبعد إعادة النظر فيها رأيت من المصلحة تلبية طلبهم لعل في ذلك فائدة لهم ولغيرهم.

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«أبو محمد»

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ١/٧/١٤٢٥هـ



التعريف بالمنظومة

هذه المنظومة في علم العقائد في التوحيد، وهي خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة تكلم فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مجمل معتقد أهل السنة والجماعة وبخاصة المسائل التي حصل فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم من أهل البدع.

ومن هذه المسائل:

١ ـ مسألة القرآن ـ كلام الله غير مخلوق ـ.

٢ ـ مسألة إثبات رؤية الباري ﷻ في الآخرة.

٣ ـ إثبات النزول الإلهي على ما يليق بجلاله وعظمته.

٤ ـ إثبات صفة اليد لله ﷻ ـ.

٥ ـ بيان فضائل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

وغير ذلك مما سنوضحه إن شاء الله ـ تعالى ـ.

وهذه المنظومة تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً هذا هو المتعارف عليه في أكثر المصادر، وما زاد عن هذا العدد فهو إما لابن البنا الحنبلي حيث زاد عليها ثلاثة أبيات تضمنت هذه الأبيات فضائل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وكذا فضائل المهاجرين، والأنصار، والتابعين بإحسان.

وإما لابن شاهين حيث زاد عليها أربعة أبيات فبلغت بذلك أربعين بيتاً.

لكنني سأكتفي في شرحي بما جاء في المنظومة فقط أي ثلاثة وثلاثين بيتاً، هذا الذي سيتم شرحه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

هذه المنظومة تقبلها العلماء بالقبول، وشرحها بعض الأعلام منهم السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث شرحها في مجلدين.

نسبتها للمؤلف:

ذكر نسبتها للمؤلف الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ حينما تكلم عن ترجمة المؤلف وأكد نسبتها إليه، بل إن تلميذه ابن بطة أي تلميذ صاحب الحائية نسبها إليه، وعموماً فأهل السنة والجماعة يشيرون إليها أحياناً حينما يستشهدون بها في ذكر معتقدهم.



التعريف بصاحب المنظومة

هو أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، والده صاحب السنن المشهور «بأبي داود السجستاني» رحل مع والده شرقاً وغرباً في طلب الحديث النبوي وتحقق بسعيهما مرادهما.

كان رَحِمَهُ اللهُ عالماً حافظاً ورعاً يسير على عقيدة أهل السنة والجماعة، وخير شاهد على ذلك هذه المنظومة التي سيتم شرحها.

فقد بيّن فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، وبخاصة الأمور التي خالف فيها المنحرفون ـ أهل الزيغ والضلال من الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم ـ ما عليه سلف الأمة.

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ست عشرة وثلاثمائة، وله من العمر ست وثمانون سنة وستة أشهر تقريباً، وصلى عليه خلق كثير، ودفن في بغداد في مقبرة تسمى ـ باب البستان ـ فرحمه الله وأجزل له المثوبة.



نص المنظومة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ تمسك بحبل اللَّه واتبع الهدى ... ولا تك بدعياً لعلك تفلح

٢ ـ ودِن بكتاب اللَّه والسنن التي ... أتت عن رسول اللَّه تنجو وتربح

٣ ـ وقل غيرُ مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا

٤ ـ ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً ... كما قال أتباع لجهم وأسجحوا

٥ ـ ولا تقلِ القرآن خلق قراءته ... فإن كلام اللَّه باللفظ يوضَح

٦ ـ وقل يتجلى اللَّه للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح

٧ ـ وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شِبه تعالى المسبح

٨ ـ وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مُصرِّح

٩ ـ رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

١٠ ـ وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه ... وكلتا يديه بالفواضل تنفَح

١١ ـ وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدح

١٢ ـ إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح

١٣ ـ يقول ألا مستغفر يلق غافراً ... ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

١٤ ـ روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقُبِّحوا

١٥ ـ وقل: إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قِدْماً ثم عثمان الارجح

١٦ ـ ورابعهم خير البرية بعدهم ... عليٌّ حليف الخير بالخير مُنجِح

١٧ ـ وإنهمُ للرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح

١٨ ـ سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامرُ فِهْرٍ والزبير الممدح

١٩ ـ وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تكُ طعاناً تعيب وتجرح

٢٠ ـ فقد نطق الوحي المُبِينُ بفضلهم ... وفي الفتح آي للصحابة تمدح

٢١ ـ وبالْقَدَرِ المقدور أيقن فإنه ... دِعامة عِقْد الدينِ، والدينُ أَفْيَح

٢٢ ـ ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً ... ولا الحوض والميزان إنك تُنْصح

٢٣ ـ وقل يُخْرِج اللَّه العظيمُ بفضله ... من النار أجساداً من الفحم تُطرح

٢٤ ـ على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْل إذ جاء يَطْفَح

٢٥ ـ وإن رسول اللَّه للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حق مُوَّضح

٢٦ ـ ولا تُكْفِرَنْ أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهمُ يعصي وذو العرش يصفح

٢٧ ـ ولا تعتقدْ رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يُردي ويَفضح

٢٨ ـ ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ... ألا إنما المرجيُّ بالدين يمزح

٢٩ ـ وقل: إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مُصرَّح

٣٠ ـ وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ... بطاعته يَنْمي وفي الوزن يرجح

٣١ ـ ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول اللَّه أزكى وأشرح

٣٢ ـ ولا تك من قوم تلهوا بدينهم ... فتطعن في أهل الحديث وتقدح

٣٣ ـ إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيت وتصبح

شرح المنظومة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ تمسك بحبل اللّه واتبع الهدى	ولا تك بدعياً لعلك تفلح
٢ ـ ودِن بكتاب اللّه والسنن التي	أتت عن رسول اللّه تنجو وتربح
٣ ـ وقل غيرُ مخلوق كلام مليكنا	بذلك دان الأتقياء وأفصحوا
٤ ـ ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً	كما قال أتباع لجهم وأسجحوا
٥ ـ ولا تقلِ القرآن خلق قرأته	فإن كلام اللّه باللفظ يوضَح

الشرح:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**تمسك بحبل الله واتبع الهدى**»:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مشى على ما مشى عليه غيره من البدء بالاعتصام بالكتاب والسنة، والاعتماد عليهما، لماذا؟ لأنهما الأصلان اللذان يبنى عليهما هذا المعتقد، ولهذا مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة هي الكتاب والسنة فالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «**تمسك**» أيها السني الذي يسير على طريقة رسول الله ﷺ، ومنهجه، وما عليه أصحابه الكرام.

«**تمسك بحبل الله واتبع الهدى**» حبل الله هو: القرآن الكريم الذي هو الصراط المستقيم، وحبل الله المتين الذي نسأل الله ـ جل وعلا ـ في كل صلاة فرض ونفل أن يوفقنا لسلوكه والتمسك به ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

لماذا سُمي حبل الله؟ لأن المتمسك بشرع الله كالمتمسك بالحبل لا يمكن أن يتيه أو يضل، فإذا وضعت حبلاً في طريق معين، وسلكه سالك،

هذا السالك لا يضيع، ولا يضل، كذلك المتمسك بهذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يضل أو يزل.

قوله: «**واتبع الهدى**» أي: اتبع ما جاء به النبي ﷺ، والهدى أيضاً هو الطريق المستقيم والمراد به هنا سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأن المؤلف قرنها بحبل الله فحبل الله كما ذكرنا هو الكتاب، والهدى هنا سنة رسول الله ﷺ والهداية إذا أطلقت تكون على نوعين:

الأول: هداية التوفيق والإلهام:

وهذه لله وحده قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهذه لا يملكها أحد إلا الله ﷻ.

فالنبي ﷺ ما استطاع أن يهدي أقرب الناس إليه عمه أبا طالب، ما استطاع النبي ﷺ أن يهديه مع أنه حاول واجتهد لكن ما استطاع، ولذا نزلت هذه الآية في شأن أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

الثاني: هداية الدلالة والإرشاد:

وهذه الهداية للرسول ﷺ فهذه يملكها النبي ﷺ، ولذلك أخذ منها أكملها وكذلك أصحابه الكرام ومن سار على نهجهم من العلماء والدعاة هم أيضاً لهم حظ من هذه الهداية يعني دلالة الناس على الخير ودلالتهم على الطريق المستقيم.

قوله: «**ولا تك بدعياً لعلك تفلح**»:

الشرح:

أي: أيها المتمسك بحبل الله وسنة رسوله ﷺ لا تكن بدعياً لأن البدعة طريق، وحبل الله، وسنة رسوله طريق آخر.

لهذا قال العلماء في تعريف البدعة: هي أن يُحْدِثَ الإنسان في شرع الله ما لم يرد عن رسول الله ﷺ.

وأقصر تعريف للبدعة: هي خلاف السنة.

والبدعة أنواع: فقد تكون في المعتقد، وقد تكون في العمل.

أما ما يكون في المعتقد فسيذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من اعتقاد الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم.

وأما في العمل فمثل الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ، والاحتفال بليلة النصف من شعبان، والاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب، وهكذا.

وقوله: «**لعلك تفلح**»:

لعل: تستعمل للترجي لكن هنا هل معناها للترجي؟ لا؛ لأن المتمسك بحبل الله وسنة رسوله ﷺ لا بد أن يفلح، إذاً فمعناها هنا للتحقيق: أي فإنك إذا تمسكت بحبل الله، وسنة رسوله ﷺ فإنك ولا بد أن تفلح.

والفلاح: هو جماع الخير، ولهذا ذكر الله ـ تعالى ـ المفلحين في أشرف المواقع وأكرمها حينما ذكر أنهم هم الفائزون قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح: هو غاية الفوز، وغاية النجاة، وغاية حصول الكرامة من الله ـ جل وعلا ـ ولهذا لا يتحقق الفلاح إلا للمتقين، وقد أخذ منه السلف أوفر نصيب.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

ودِن بكتاب اللّه والسنن التي　　　أتت عن رسول اللّه تنجو وتربح

بعد أن ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مصادر التلقي بدأ الآن يتكلم عما يجب اعتقاده في كتاب الله ـ تعالى ـ.

فقال: «**ودن**» أي: تعبد، واهتد «**بكتاب الله**» الذي هو القرآن العظيم، والذكر الحكيم فحلِّل حلاله، وحرِّم حرامه، واتبع محكمه، وآمن بمتشابهه فمتى فعلت ذلك كنت مؤمناً مسلماً.

«**والسنن التي**» أي: كما دنت بكتاب الله على الوجه المطلوب شرعاً فكذلك دن «**بالسنن التي جاءت عن رسول الله**».

السنن: جمع سنة، وهي الطريقة، والمقصود بها هنا: سنة رسول الله ﷺ أي: ما جاء عنه من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف.

وقوله: «**أتت عن رسول الله ﷺ**»:

أي: لا بد أن تكون سنة صحيحة؛ لأنه قد ينقل عن رسول الله سنناً ليست بصحيحة.

وقوله: «**تنجو وتربح**»: لا شك أن من عمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لا شك أنه سينجو من فتن الدنيا، وعذاب الآخرة.

والنجاة: هي رأس المال، لكن أيضاً من يعمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ لا بد أن يحصل له مع النجاة ربح، فالربح فوق رأس المال، ولهذا إذا ساهم الإنسان بشركة، أو ساهم بمساهمة يرجو الربح لا يكتفي برأس ماله؛ فرأس ماله حاصل بل يتطلع إلى الربح الكثير.

وقوله رحمه الله:

وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء وأفصحوا

«**وقل**»: أيها السني المتبع لما جاء عن نبيه محمد ﷺ «**غير مخلوق كلام مليكنا**» أي: قل أيها السني: إن كلام الله غير مخلوق.

وخلق القرآن قالت به الجهمية، والمعتزلة، وهي بدعة، وفِرْيَة ظالمة أخذ بها الجهم عن الجعد بن درهم عن وائل بن عطاء عن ابن أخت لبيد بن الأعصم عن لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ؛ فأصل هذه البدعة من اليهود، فهم يقولون بخلق القرآن أي أنه مخلوق كغيره من المخلوقات.

ولهذا حمل ابن أبي دؤاد العلماء على هذه البدعة، وأقنع المأمون بها ثم ألزم المأمون الناس بها، وتعرفون أن الإمام أحمد رحمه الله ثبت في هذه المحنة العظيمة، ولهذا قيل انتصر الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة ولهذا قيل ـ ردة ولا أبا بكر لها رضي الله عنه، ومحنة ولا أحمد بن حنبل لها رحمه الله فقد ابتلي بها، وامتحن، وسجن، وضرب، وجلد، ولكنه صبر وتحمل.

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: «إن أعظم ما ثبتني بعد ربي ذلك الرجل الذي جاء إليَّ وأنا أُضْرَب بالسياط فقال: يا أحمد إنما هي كلمة إن أنت قلتها زلت

هذه الأمم خارج هذا البيت، اثبت يا أحمد فإن الضرب على البدن وسرعان ما يزول ويفنى البدن، فقال الإمام أحمد: فكان كلامه مثبتاً لي».

ولكن الله فرج عن المسلمين بعد أن جاء الواثق وألغى هذه المقولة، وسجن أصحابها، وفرج عن أئمة أهل السنة ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

وتعرفون الجعد بن درهم أحد رؤوس الاعتزال ضحى به خالد بن عبد الله القسري فلما خطب الناس يوم الأضحى قال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً».

فنزل وذبحه ذبح الشاة، نسأل الله أن يرفعه بالجنة درجات فقد خدم السنة وأهلها، ونصر الملة، وكبت أهل البدعة.

وقوله: «**كلام مليكنا**» أي: هذا كلام الله ـ جل وعلا ـ ملك الأملاك ﷻ وملك الأملاك له الملك المطلق، ولهذا ينادي يوم القيامة فيقول: أنا الجبار أنا الملك فلا يجيبه أحد.

وقوله: «**بذلك دان الأتقياء وأفصحوا**»:

الأتقياء: جمع تقي، والتقوى: هي جماع الخير.

قال عمر ﷺ لأبي بن كعب ﷺ: «ما هي التقوى؟

قال: هل سلكت يا أمير المؤمنين وادياً فيه شوك؟ قال: نعم.

قال: ماذا فعلت؟ قال: شمرت، قال: تلك التقوى».

وقال عليٌّ ﷺ في تعريف التقوى: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

قوله: «**وأفصحوا**» أي: بينوا وأظهروا معتقدهم، ولم يتوقفوا كما سيأتينا.

فالأتقياء يفصحون عما يعتقدونه في كتاب الله ﷻ ـ من أنه كلام الله حقاً غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وقوله رحمه الله:

ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً كما قال أتباع لجهم وأسجحوا

قوله: «**ولا تك**» أي: أيها المتمسك بالكتاب والسنة لا تكن «**في القرآن بالوقف قائلاً**» أي: لا تكن مثل الواقفة الذين لما انتصر أهل السنة للقول بأن القرآن كلام الله، وانتصر أهل البدع لبدعتهم في القول بأن القرآن مخلوق توقف جماعة وقالوا: لا نقول بأنه كلام الله، ولا نقول بأنه مخلوق، ولا غير مخلوق، وهم يزعمون بذلك أنهم توقفوا تورعاً.

ولهذا قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ في شأنهم أنهم أَشَرُّ الأصناف وأخبثها.

لماذا كانوا أشر الأصناف وأخبثها؟ لأن الجهمية أمرُهم ظاهر، أما هؤلاء قد يفتتن بهم، ولكن قولهم باطل.

وقد رد عليهم أهل السنة والجماعة حتى تم القضاء على بدعتهم، وحكم فيهم أهل السنة أنه من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي، ومن لم يحسن الكلام منهم بل عُلم أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطاً فهذا تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله ـ تعالى ـ وإلا فهو شرٌّ من الجهمية، وقد ذكرنا كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في شأنهم.

وقوله: «**كما قال أتباع لجهم وأسجحوا**»:

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ جعل الشكاكة: أي الواقفة جعلهم أتباعاً لجهم بن صفوان القائل بخلق القرآن، وهم في الحقيقة فرقة من الجهمية لأنهم ما قالوا ذلك إلا لتأثرهم بقول الجهمية، ودخول هذه البدعة في نفوس هؤلاء الواقفة، ولذا حكم عليهم الإمام أحمد بأنهم جهمية.

وقوله: «**وأسجحوا**» أي: مالوا؛ أي: أن هؤلاء الواقفة مالوا إلى قول جهم واعتقدوا هذا المعتقد، وإن لم يظهروا ذلك، ويفصحوا به.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ:

ولا تقل القرآن خلق قراءته فإن كلام الله باللفظ يوضح

قوله: «**ولا تقل**» أي: أيها السني «**القرآن خلق قرأته**» يعني لا تقل قراءتي بالقرآن مخلوقة، ولا إن صوتي هذا بالقرآن مخلوق، كل هذا لا ينبغي.

فالقرآن كلام الله تكلم به بصوت وحرف وتلقاه عنه جبريل ـ عليه الصلاة السلام ـ وأوحاه إلى محمد ﷺ.

وهذا البيت فيه إشارة إلى الرد على اللفظية الذين يقولون إن قراءتنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا له مخلوقة، أو لفظنا بالقرآن مخلوق.

ولهذا سُمُّوا لفظية، وهم في الحقيقة جهمية، وإنما قالوا ذلك من أجل التلبيس على الناس.

ولذلك قال أئمة السنة ـ رحمهم الله ـ كأحمد بن حنبل، وهارون الفروي وغيرهم قالوا: من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون بذلك غير بدعة الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين:

أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن، وهو كلام الله ليس فعلا للعبد، ولا مقدوراً له.

الثاني: التلفظ، وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني «التلفظ» شمل الأول، وهو قول الجهمية، وإن عكس الأمر بأن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني، وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية.

وما ذكرناه ظاهر عند من له عقل؛ فأنت إذا سمعت رجلاً يقرأ سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فبطبيعة الحال تقول: هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنىً مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلام الله.

ولذلك جاء عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ قولهم: الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري.

فالمراد بالصوت هنا فعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت البتة، ولا يصلح أن تقول هذا صوت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ونحو ذلك.

وما ذكرناه فيه كفاية في الرد على هذه الفرقة «أعني اللفظية».

قوله: «**فإن كلام الله باللفظ يوضح**»:

كلام الله ـ جل وعلا ـ هو القرآن يوضح لفظاً وحرفاً وصوتاً.

وقوله: «**يوضح**» أي: يوضح المعنى، ويبينه، ويظهره، ويُجلى به المقصود.

وفي قوله: «**فإن كلام الله باللفظ يوضح**»: فيه إشارة إلى بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من أن القرآن ـ كلام الله ـ ألفاظه ومعانيه.

ليس ـ كلام الله ـ اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ.

بل اللفظ والمعنى هما ـ كلام الله ـ فاللفظ بالقرآن يوضح المعنى، ويبين المراد منه.

ولقد اختلف الناس في كلام الله ـ تعالى ـ على أقوال كثيرة أوصلها شارح الطحاوية إلى تسعة أقوال:

القول الأول: قول الاتحادية القائلين بأن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه، ونثره، وحقه، وباطله، وسحره، وكفره، والسب، والشتم.

ولذا قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وأصل مذهبهم هو أن الله ﷻ هو عين هذا الوجود؛ فصفاته هي عين صفات الله، وكلامه هو كلام الله.

القول الثاني: قول الفلاسفة المتأخرين من أتباع أرسطو كابن سينا والفارابي والطوسي القائلين بأن كلام الله هو فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه.

القول الثالث: قول الجهمية النفاة لصفات الرب ﷻ القائلين بأن كلامه مخلوق ولم يقم بذاته ﷻ وقد ذكرنا قولهم.

القول الرابع: قول الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القائلين

بأن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف، والأصوات حكاية له دالة عليه، وهي مخلوقة.

القول الخامس: وهو قول الأشاعرة ومن تابعهم القائلين بأن القرآن معنىً واحد قائم بذات الرب ﷻ.

لأنه ليس بحرف، ولا صوت، ولا ينقسم، ولا له أبعاض، ولا له أجزاء، وغير ذلك مما قالوه في إنكار كون القرآن ـ كلام الله ـ حقيقة بل قالوا: إنه عبارة عن كلامه.

القول السادس: قول الكرامية: وهم القائلون بأن كلام الله ﷻ حروف وأصوات تكلم بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهو حادث بعد أن لم يكن.

القول السابع: أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب ﷻ لم يزل ولا يزال لا يتعلق كلامه بمشيئته، وقدرته، وهو عندهم حروف، وأصوات، وسور وآيات سمعه جبريل منه.

وكل ما ذكرناه من هذه المذاهب المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة هي كافية لبطلان ما قالوه، والبراهين العقلية، والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها.

قال شارح الطحاوية: «**وتاسعها**: أنه ـ تعالى ـ لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة»[1].



(١) شرح الطحاوية ص١٦٩.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

٦ ـ **وقل يتجلى اللَّه للخلق جهرة كما البدر لا يخفى وربك أوضح**

٧ ـ **وليس بمولود وليس بوالد وليس له شِبه تعالى المسبح**

٨ ـ **وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مُصرِّح**

٩ ـ **رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح**

الشرح:

هذه الأبيات الأربعة كلها في مسألة رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة، وهذه المسألة من صحيح اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة والجماعة يثبتون رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ بغير إحاطة، ولا كيفية كما نطق بذلك كتاب ربنا ﷻ.

ولذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**وقل**»: أيها السني المخاطب بهذه المنظومة «**يتجلى الله للخلق جهرة**» يتجلى أي يظهر الله ـ تعالى ـ للمؤمنين يوم القيامة.

وقوله: «**للخلق**» أي: في الجنة تكون رؤية المؤمنين الصادقين له سبحانه، أما في الموقف هل هي لعموم الخلق أم رؤيته خاصة بالمؤمنين فقط، على ثلاثة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أنه لا يراه إلا المؤمنين.

القول الثاني: أنه يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار لا يرونه بعد ذلك.

القول الثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والصحيح: «أنه ﷻ يتجلى للمؤمنين والمنافقين في عرصات القيامة، ثم

يحتجب عن المنافقين ولا يرونه»[١].

وقوله: «**جهرة**» أي: واضحاً ظاهراً بيناً كما دلت على ذلك النصوص الشرعية وسوف نذكر طرفاً منها إن شاء الله ـ تعالى ـ.

وقوله: «**كما البدر لا يخفى وربك أوضح**»:

«**الكاف**» هنا للتشبيه و «**ما**» زائدة، والمعنى أنه ﷻ يتجلى لخلقه كالبدر، وهذا ليس تشبيه الخالق بالمخلوق بل تشبيه الرؤية بالرؤية والمعنى فكما أن رؤية القمر حقيقة فكذلك يرى الناس ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم حقيقة كما قال النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر...**»[٢].

وقوله: «**وربك أوضح**»:

أي: كما أن البدر لا يخفى على الناس ليلة الرابع عشر لوضوحه وتمامه، فربنا ﷻ في الآخرة أوضح وأبين.

فالناس يرونه لا يضامون ولا يتضارون في رؤيته.

اعلم أن الرؤية كما قلنا يثبتها أهل السنة والجماعة، وقد مشى على ذلك الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم من سلف الأمة.

استدل أهل السنة بأدلة كثيرة منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. هذه الآية من أظهر الأدلة على ثبوت رؤية الرب ﷻ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تنظر إلى وجه ربها ﷻ.

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]:

قال أهل التفسير في المزيد هنا: المراد به النظر إلى وجه الله ﷻ.

---

(١) حادي الأرواح ص٢٨٠.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]:

فقد جاء عن الصادق المصدوق ﷺ في تفسير هذه الآية فيما رواه مسلم عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، ويُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، ويُدْخِلَنْا الجنَّة، ويُجِّرْنَا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**»[1].

٤ ـ ومن الأدلة أيضاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فقد احتج بها السلف ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ على ثبوت الرؤية.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا»[2].

أما الأحاديث التي جاءت في الرؤية فهي متواترة فمن ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا، قال: **فإنكم ترونه كذلك**»[3].

٢ ـ ما رواه البخاري ومسلم أيضاً عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، ولا تضارون في رؤيته**»[4].

٣ ـ حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من**

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨١).

(٢) رواه البيهقي ١/٤١٩ في مناقب الشافعي.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٧)، ومسلم برقم (١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم ـ تبارك وتعالى ـ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

وأحاديث الرؤية رواها جمٌ غفيرٌ من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فلا ينكرها إلا من أشرب النفاق في قلبه، وحب المخالفة لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

وقد استدل المخالفون للرؤية بأدلة منها:

الدليل الأول: قوله تعالى لموسى ـ عليه الصلاة السلام ـ حينما طلب رؤيته قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فقالوا: ﴿لَّن﴾ هنا للنفي المؤبد أي لا يمكن رؤيته في الدنيا، ولا في الآخرة.

وهذا قول غير صحيح في اللغة العربية، لذا قال ابن مالك في ألفيته:

ومن رأى النفي بـ لن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

ففي الآية الأولى: نفي لتمنيهم الموت.

وفي الثانية: طلب لتمنيهم الموت.

وذلك بالقضاء عليهم لما يرونه من العذاب، فلو كانت ﴿لَن﴾ للتأبيد على زعمهم لما حصل منهم طلب الموت.

ومن ذلك أيضاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠].

فلو كانت للتأبيد لما جاز تحديد الفعل بعدها، فثبت بذلك أن ﴿لَن﴾ لا تقتضي النفي المؤبد.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٨)، ومسلم برقم (١٨٠).

ثم إن الآية نفسها فيها دليل على ثبوت الرؤية، وكما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ما يأتي المخالف بدليل إلا وكان الدليل حجة عليه لا له».

ففي الآية ثبوت للرؤية من وجوه:

الأول: أنه لا يظن بكليم الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يسأل ربه شيئاً غير ممكن، ومحال عليه ذلك لأنه أعلم الناس بربه في حينه فكيف يظن به أن يسأل ما لا يجوز سؤاله.

الثاني: أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل لست بمرئي، أو لا أُرى، والفرق بين الجوابين واضح.

وهذا يدل على أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى مرئي، ولكن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا تتحمل قواه رؤيته لضعف قوى البشر في هذه الدار.

الثالث: قوله ـ تعالى ـ لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] فيه دلالة من وجهين:

الوجه الأول: أن الجبل مع قوته وصلابته لم يثبت حين تجلى له الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذه الدار فمن باب أولى البشر.

الوجه الثاني: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى تجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته.

الدليل الثاني: عند من قال بعدم الرؤية قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقد استدل بها القاضي عبد الجبار شيخ الاعتزال، احتج بهذه الآية من وجوه عديدة على نفي رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الآخرة، وكل وجوه الاستدلال عنده باطلة مبتورة يستطيع طالب العلم المبتدىء الرد عليه فيها.

والحقيقة أن الآية أيضاً دليل لإثبات الرؤية، ويجاب على هذا الاستدلال من وجوه منها:

الوجه الأول: أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مطلق، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] مقيد

النظر بيوم القيامة، والمطلق يحمل على المقيد فيكون المنفي هو الرؤية في الدنيا، هذا على اعتبار أن الإدراك بمعنى الرؤية، وإلا فهناك فرق بينهما.

فالإدراك قدر زائد على الرؤية، لذلك فمعناه الإحاطة بالشيء، ولا يلزم منها الإحاطة فأنت ترى السماء، وترى البحر، ولا يلزم من رؤيتهما إدراكهما بل يستحيل ذلك.

الوجه الثاني: الاستدلال بها على الرؤية هو أن الله ـ تعالى ـ إنما ذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، والمعلوم أن المدح إنما يكون في الصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، فقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ لو كان المراد منه أنه لا يُرى بحال لم يكن في ذلك مدح، ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك.

إذاً فإن معنى ذلك أنه يُرى، ولا يدرك ولا يحاط به.

الدليل الثالث: ومن أدلتهم العقلية هو قولهم أنه يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجسم، وإثبات الجهة وهذا منفي عن الله تعالى.

نقول: أما قولهم أنه يلزم من إثبات رؤية الله تعالى أن يكون جسماً؛ فيجاب عليه بأمرين:

الأول: أن القول بالجسم نفياً أو إثباتاً ليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه، وإنما هو مما أحدثه المتكلمون.

الثاني: أنه إذا كان يلزم من ثبوت الرؤية أن يكون جسماً فليكن ذلك، لكننا نعلم علم اليقين أنه ﷻ لا يماثل أجسام المخلوقين كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

حكم من أنكر الرؤية:

ذهب بعض العلماء إلى أن من أنكر رؤية الله ـ تعالى ـ أنه كافر مرتد لأن الأدلة في ثبوت الرؤية قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة.

وقد نقل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حادي الأرواح» كلام الإمام أحمد، وغيره في أن من أنكر رؤية الله ـ تعالى ـ كافر.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وليس بمولود وليس بوالد   وليس له شبه تعالى المسبح

هذا البيت ذكره المؤلف ليبين أنه لا يلزم من إثبات الرؤية تشبيه الرب ﷻ بالمولود أو الوالد، كما زعم ذلك المشبهة نفاة الرؤية حيث يقولون: لو أثبتنا الرؤية لله حقيقة لأثبتنا له الجسمية، ولشبهناه بالمخلوق الحادث؛ لأن الرؤية لا تقع إلا على ذي جسم، ومن هنا جاء المؤلف بهذا البيت ليبين أن الله لا يقاس بخلقه، وهذا مأخوذ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

فالرب ﷻ لا شبيه له، ولا مثيل له لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فمن شبه الرب ﷻ بخلقه فقد كفر.

وقوله: «**تعالى المسبح**»:

«**تعالى**»: من العلو، وعلوه ﷻ ثابت له ذاتاً، وقدراً، وقهراً، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب، والسنة، وإجماع السلف ـ رضوان الله عليهم ـ. والمعنى هنا أنه ـ تعالى ـ منزه عن الولد، والوالد، فإنه سبحانه لا شبيه له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقول القائل: «سبحان الله»: يعني أنه نزهه عن النقائص والعيوب.

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا   بمصداق ما قلنا حديث مصرِّح

«**قد**»: هنا للتحقيق، والتأكيد فحقيقة قول الجهمية في الرؤية هو إنكارها.

«**الجهمي**»: نسبة إلى جهم بن صفوان الذي جاء بتعطيل صفات الرب ﷻ وقد أخذ مقالته هذه من الجعد بن درهم، لكن الجهم هو الذي أظهر مقالة التعطيل فنسبت إليه.

فالجهمية من الطوائف الضالة المبتدعة التي أنكرت رؤية الله ـ تعالى ـ في الآخرة، والضمير في قوله: «**هذا**»: عائد على الرؤية.

قوله: «**وعندنا**» أي: نحن أهل السنة والجماعة: «**بمصداق ما قلنا**»: وذلك بإثبات الرؤية: «**حديث مصرِّح**»، وفي بعض النسخ «**مصحح**» أي: جاء التصريح فيه بإثبات الرؤية.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

«**رواه جرير عن مقال محمد**»: هذا الحديث هو حديث جرير بن عبد الله البجلي المتفق على صحته حيث قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، ولا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»[1].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: «هذا الحديث من أصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول المجمع عليها عند العلماء وسائر أهل القبلة»[2].

وقوله: «**فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح**»: يوجه المؤلف نصيحته إلى السُني أي المتمسك بمنهج السلف الصالح أن يكون معتقده وقوله على ما قاله سيد المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في الرؤية لا مثل ما يقوله أهل التعطيل من الجهمية النفاة للرؤية، وهذا هو النجاح الحقيقي والفوز بإذن الله.



(١) سبق تخريجه ص٢٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ٤٢١.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ ـ وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفَح

الشرح:

في هذا البيت يبين المؤلف موقفاً آخر من مواقف المعطلة الجهمية حيث إنهم ينكرون إثبات اليد لله ـ تعالى ـ.

والصفات كما قلنا في الدرس السابق:

١ ـ صفات ذاتية.

٢ ـ صفات فعلية.

فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الذات.

والصفات الفعلية: هي التي تنفك، ويفعلها الله متى شاء ﷻ.

واليدان من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ﷻ، وكلتا يديه ﷻ يمين كما جاء في الحديث.

وهل يقال الشمال؟ قال به بعض أهل العلم.

والصواب أن يقال «الأخرى» لما جاء في صحيح البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفقه منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض»**[1].

لكن قد يقول قائل: جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤١١)، ومسلم برقم (٩٩٣).

عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمٰن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(١).

فكيف يجمع بين الروايتين؟

يجاب على ذلك بأنه لما كانت الشمال عند غالب الناس فيها عجز، واليد اليمنى أقوى منها، وقد يتبادر ذلك إلى ذهن بعض الناس أن اليد اليسرى عند الرب أضعف من اليمنى نفى النبي ﷺ هذا التوهم، وبين أن كلتا يديه يمين في القوة والإعطاء والمنع.

والأدلة على إثبات صفة اليد لله ـ تعالى ـ كثيرة جداً منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

أما الأحاديث: فمنها ما ذكرناه آنفاً، وهو حديث أبي هريرة، وكذا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ والأحاديث التي جاءت في إثبات اليدين لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله كثيرة جداً.

لكن أهل التحريف والتعطيل لم يعجبهم ذلك فحرفوا هذه الصفة الثابتة لله ﷻ ـ على ما يليق بجلاله وعظمته.

فقالوا بأن المراد باليد النعمة، أوالقدرة، أو الخزائن، وغير ذلك مما سموه تأويلاً، وفي الحقيقة هو تحريف، وتعطيل.

والصواب إثبات هذه الصفة لله ـ تعالى ـ على حقيقتها بدون تمثيل ولا تشبيه.

وقوله: «**وكلتا يديه بالفواضل تنفح**»، وفي بعض النسخ: «**تنضح**» والمعنى أنه ﷻ يعطي العطاء الواسع، وهذا من تمام إنعامه، وكرمه، ومعنى الفواضل: الخير والجود.

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدح

١٢ - إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح

١٣ - يقول ألا مستغفر يلق غافراً ... ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

١٤ - روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقُبِّحوا

الشرح:

الكلام هنا في مسألة نزول الله - جل وعلا -.

وأشار إليه بقوله: «**وقل ينزل الجبار**» أي: قل أيها السني المتبع لرسول الله ﷺ: «**ينزل الجبار**» نزولاً يليق بجلاله وعظمته نزولاً بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه ليس كنزول المخلوقين، وإنما هو نزول يليق بجلاله، لا تقل كيف، وإنما قل ينزل ربنا كما جاءت النصوص بذلك.

ولهذا من قال ينزل، وشبه ذلك بنزول المخلوقين كالذي ينزل من المنبر أو ينزل من الدرج، ويقول: ينزل كذلك؛ فنقول هذا تشبيه بالمخلوقين.

وهذا لا يجوز لأنه ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ مع أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

وقاعدة أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه.

وقوله: «**الجبار**»: اسم من أسماء الله - تعالى - الحسنى التي جاءت نصوص الكتاب والسنة بها.

ففي القرآن قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

أما السنة فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم قوله ﷺ: «**لا تزال جهنم يلقى فيها، وهي تقول هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض فتقول قط قط**»[١].

وقوله أيضاً ﷺ: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[٢].

أما الجبار فقد جاء في تفسيره عدة معان منها: الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره، وهذا ما قاله قتادة وغيره[٣].

وقيل: الجبار معناه العلي فوق خلقه.

وقيل: الجبار الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

والجبار اسم من أسمائه ﷻ وهو في حقه سبحانه صفة مدح بخلاف بني آدم فهو في حقهم صفة ذم.

وقوله: «**في كل ليلة**» أي: أنه سبحانه ينزل في كل الليالي، وقد جاء أنه ينزل في ليلة النصف من شعبان أيضاً[٤].

وقوله: «**بلا كيف**» أي: نزولاً يليق بجلاله فلا نكيف نزوله، ونقول بأنه يشبه نزول المخلوقين.

ولهذا من سأل كيف ينزل ربنا ﷻ نرد عليه ونقول كيف ذات ربنا ﷻ فإذا قال لا أعلم، نقول نحن كذلك لا نعلم هذه الصفة.

ونزول الله ـ تعالى ـ من الصفات الفعلية كما ذكرنا ذلك سابقاً، وقلنا إن صفات الله ـ تعالى ـ على ثلاثة أقسام:

١ ـ صفات ذاتية: لا تنفك عن الذات كصفة السمع، والبصر، واليد، والقدم والأصابع، والساق، والوجه، والعلو، وغير ذلك من الصفات الثابتة لله ـ تعالى ـ ذاتاً.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٤٨).

(٢) رواه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي ٢/ ١٧٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٣٨/ ٥٥.

(٤) رواه الترمذي برقم (٧٣٩)، وصححه الألباني في (الصحيحة) رقم (١١٤٤).

٢ ـ صفات فعلية: يفعلها الله متى شاء كصفة النزول، والاستواء.

٣ ـ صفات ذاتية فعلية: كصفة الكلام فهو باعتبار نوع الكلام هو صفة ذات، وباعتبار تعلقها بإرادة الله ﷻ ومشيئته فهو صفة فعل، فربنا ـ جل وعلا ـ لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، كما تكلمنا عن ذلك سابقاً.

وقوله: «**جل الواحد المتمدح**»:

«**جل**» أي: تنزه ﷻ عن وصف الذين يتنقصونه.

«**الواحد**»: وهو الإلٰه الفرد الصمد المنفرد بالعبودية.

والفرق بين «**الواحد**»، و«**الأحد**»: أن الأحد هو المتفرد بالذات، والواحد هو المتفرد بالمعنى لا يشاركه فيها أحد، ولهذا لا يثنى الواحد، ولا يجمع، فالواحد هو الله ﷻ.

وهل يقال وحيد؟ الجواب: لا؛ لأن هذه الصفة نقص؛ لأن معنى الوحيد المنفرد عن أصحابه المنقطع عنهم، فلا ينبغي إطلاقه على الله ﷻ.

«**المتمدح**»: صفة للواحد: يعني الذي تمدحه الخلائق لجزيل إنعامه، وعظيم هباته، وإكرامه لهم ﷻ.

وقوله رحمه الله:

إلى طبق الدنيا يمن بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتح

«**إلى طبق الدنيا**» أي: ينزل ربنا ﷻ في كل ليلة إلى سماء الدنيا فإن الطبق غطاء كل شيء، والسماء هي غطاء الأرض، ونزوله ـ جل وعلا ـ نزول يليق بجلاله وعظمته.

«**يمن**» أي: ينعم فيعطي، ويحسن، ويهب.

«**بفضله**»: متعلق بـ «**يمن**» أي: بفضله يمن على عباده.

«**وتفرج**» أي: تنشق وتنكشف وتنفتح.

«**أبواب السماء وتفتح**» أي: تفتح أبواب السماء لنزول ربنا ﷻ فتنزل رحمته، ويصعد إليه العمل الصالح، والدعاء وغير ذلك.

والمعنى أنه ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا فيمنّ بفضله فيعطي، ويغفر، ويجيب سؤال السائلين، وهو القائل ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول ألا مستغفر يلق غافراً ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح

أي «**يقول**» أي: الرب ﷻ إذا نزل إلى سماء الدنيا يقول «**ألا**» أداة تحضيض كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

قال أبو بكر رضي الله عنه: «بلى نحب يا رب»، وكذلك في هذا البيت.

ولذا قال المؤلف «**مستغفر**» أي: هل أحد يطلب المغفرة «**يلق غافراً**» يلق من يغفر له ذنوبه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

«**ومستمنح**» يعني: طالب المنح، والعطايا، والهبات.

«**خيراً**»: فضلاً وعملاً صالحاً، ودعاء، وهبات، ومغفرة، ورحمة.

«**ورزقاً**»: يطلب الرزق، والرزق هو ما ينعم الله به على العبد وهو يشمل مكتسبات العبد من المال الحلال، والحرام.

وحتى المال الحرام يسمى رزقاً لكنه يحاسب عليه العبد، وأما المعتزلة فيرون أن الحرام ليس برزق، وإنما هو عمل خبيث يحاسب عليه العبد.

وقوله: «**ويمنح**» أي: أعطيه، فأنا الذي أعطي، وأجيب دعوة الداعي، وسؤال السائل.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا

هذا هو دليل المؤلف في إثبات النزول الإلهي للرب ﷻ، وقد روى حديث النزول أكثر من ثمانية وعشرين صحابياً ـ رضوان الله عليهم ـ كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن هذه الأحاديث:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث**

الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[١].

٢ ـ وفي رواية لمسلم: «**ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**»[٢].

٣ ـ ما رواه أحمد ومسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**أن الله ـ تعالى ـ يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير نزل إلى سماء الدنيا فينادي هل من مستغفر، هل من تائب، هل من سائل، هل من داع حتى ينفجر الفجر**»[٣].

٤ ـ وروى أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه في سننهما، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب**»[٤].

وقوله: «**لا يرد حديثهم**»: وذلك لشهود أهل العلم لهم بصحة النقل والأمانة فيه، وتحريهم النقل عن سيد المرسلين، ومن هنا فإنه ينبغي أن لا يرد حديثهم.

وقوله: «**ألا خاب قوم كذبوهم**» أي: كذبوا هؤلاء القوم الذين رووا أحاديث النزول.

«**وقبحوا**»: وذلك لأن فعلهم هذا مخالف لما كان عليه سلف الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ جميعاً.

---

(١) رواه البخاري ١٣/ ٤٧٣، ومسلم برقم (٨٥٨).
(٢) رواه مسلم برقم (٧٥٩).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٨٣، ومسلم ١/ ٥٢٣.
(٤) رواه أحمد ١/ ٢٣٨، والترمذي (٧٣٩)، وابن ماجه (١٣٨٩)، وقال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه إلى أن قال: وسمعت محمداً يعني البخاري يضعفه لكن صححه الألباني لمجموع طرقه في (الصحيحة) (١١٤٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ ـ وقل: إن خير الناس بعد محمد	وزيراه قِدْماً ثم عثمان الارجح
١٦ ـ ورابعهم خير البرية بعدهم	عليٌّ حليف الخير بالخير مُنجِح
١٧ ـ وإنهمُ للرهط لا ريب فيهم	على نجب الفردوس بالنور تسرح
١٨ ـ سعيد وسعد وابن عوف وطلحة	وعامرُ فِهْرٍ والزبير الممدح
١٩ ـ وقل خير قول في الصحابة كلهم	ولا تكُ طعاناً تعيب وتجرح
٢٠ ـ فقد نطق الوحي المُبِينُ بفضلهم	وفي الفتح آي للصحابة تمدح

الشرح:

هذا ما يتعلق بمذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فمذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم هو:

١ ـ أنهم خير القرون بعد النبي ﷺ.

٢ ـ أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، ويثبتون تفاضلهم فيما بينهم فيقدَّمون في الفضل على تقدمهم في الخلافة، فأفضلهم عند أهل السنة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، كما سيذكرهم المؤلف.

وعندهم ـ أيضاً ـ أي: أهل السنة تقديم المهاجرين على الأنصار، وذلك لتقديم القرآن لهم.

٣ ـ سلامة قلوب أهل السنة لأصحاب النبي ﷺ من الحقد، والحسد والاحتقار، والعداوة، والكراهية لأصحاب النبي ﷺ جميعاً.

٤ ـ سلامة ألسنة أهل السنة لأصحاب النبي ﷺ من الطعن، والسب،

والشتم والوقيعة فيهم لقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي**»[(١)].

٥ ـ أن أهل السنة يعتقدون فضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وسابقتهم للإسلام كما ذكرنا.

ولذا يترحمون عليهم، ويترضون عنهم، ويستغفرون لهم.

٦ ـ أن أهل السنة يعتقدون أن الصحابة غير معصومين من الخطأ، بل خطؤهم مغفور لهم لدلالة السنة على ذلك في قوله ﷺ: «**إن الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٢)].

٧ ـ أن أهل السنة يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع في فضائلهم ومراتبهم، ويعتقدون أن كل ما جاء في الأحاديث في ذمهم أو التنقص منهم، أو شتمهم، أو سبهم هو محض افتراء مكذوب وضعه الوضاعون للنيل من شريعة الإسلام.

٨ ـ أن أهل السنة والجماعة يسكتون عما شجر بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من حروب قتل فيها الخلق الكثير.

فهذه جملة من اعتقاد أهل السنة والجماعة في صحابة النبي ﷺ.

والمخالفون لأهل السنة والجماعة في الصحابة فرقتان هما:

الروافض والنواصب:

أما الروافض: فقد نُسبوا لذلك لرفضهم وتركهم واستهانتهم بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فزعموا أنهما ظلما علياً، واغتصبوا الخلافة منه، وبذلك تراهم يسبونهما سباً شديداً ويكفرونهما ـ نعوذ بالله من شرهم، ومن شر ما يدعون إليه ـ.

أما عن عائشة وحفصة أمهات المؤمنين فعقيدتهم فيهما من أخبث ما

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين ذكر فضائل أهل بدر (٦٩٦٨).

يكون بل عقيدتهم في جميع الصحابة أنهم ارتدوا بعد موت النبي ﷺ إلا نفر قليل منهم.

والروافض أقسام كثيرة ـ لا كثرهم الله ـ منهم:

١ ـ السبئية:

وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ـ قبحه الله ـ حيث كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الألوهية كاعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام وهؤلاء حرقهم علي رضي الله عنه بالنار.

٢ ـ النصيرية:

هم أتباع محمد بن نصير البصري، وهو من غلاة الروافض الذين زعموا وجود جزء إلٰهي في علي، وألهوه.

ولذا قال شاعرهم:

أشـــهـــد أن لا إلٰـــه إلا ... حـــيـــدرة الأذرع الـــبـــطـــيـــن

ولا ســـبـــيـــل إلـــيـــه إلا ... مـــحـــمـــد الـــصـــادق الأمـــيـــن

ولا حـــجـــاب عـــلـــيـــه إلا ... ســـلـــمـــان ذو الـــقـــوة الـــمـــتـــيـــن

٣ ـ ومن الروافض أيضاً من يدعي في علي الرسالة، وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

٤ ـ ومنهم من يدعي فيه العصمة، ويرى أن خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة، والزبير، وعائشة، ويرمونها بما رماها به ابن سلول ـ قبحه الله ـ.

٥ ـ ومنهم من يدعي أن علياً رفع إلى السماء كما رفع عيسى، وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة.

٦ ـ الزيدية: وهم الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن علي وأتباعه. فهؤلاء لا يشتمون الشيخين، ولا عائشة، ولا سائر العشرة، ولكنهم يفضلون علياً رضي الله عنه ويقدمونه في الخلافة، ثم يأتي بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم يسكتون عن عثمان رضي الله عنه، ويسبون معاوية ـ غفر الله له ـ.

أما عن الشيعة الروافض في باب العقيدة فقد جمعوا من الشر منتهاه، فهم في العقيدة معتزلة جهمية قدرية، وغيرها من الفرق الضالة نراهم أتباعاً لهذه الفرق.

ولذا قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «شر من وطئ الحصى». وقال عنهم ـ أيضاً ـ: «أنهم أفراخ المجوس».

ومن هنا كان ولا بد من التحذير من شرهم، ومن شر ما يدعون إليه فهم كُثر ـ لا كثرهم الله ـ وأصبحوا يمثلون خطراً على أهل السنة في كل مكان فيجب التنبه، والتنبيه على خطرهم ـ وقانا الله وإخواننا المسلمين شرهم ـ.

أما **الطائفة الأخرى** المخالفة لأهل السنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ فهم **النواصب** الذين نصبوا العداوة لآل بيت النبي ﷺ وذلك حينما رأو الروافض غلو في آل بيت النبي ﷺ.

قال النواصب: إذاً نبغض آل البيت، ونَسُبُّهُم مقابلة لهؤلاء الذين بالغوا في محبتهم، والثناء عليهم، والغُلو بهم.

لكن كما ذكرنا أهل السنة والجماعة هم الوسط بين الفرق كلها، فهم وسط بين الروافض، والنواصب، وقد ذكرنا جملة معتقدهم في ذلك.

وقول المؤلف: «**وقل إن خير الناس بعد محمد**» أي: أيها السني قل بلسانك وبقلبك لنفسك ولغيرك إن خير الناس بعد نبيها محمد «**وزيراه**» والوزير هو المعين.

يقال اسْتَوْزَر فُلانٌ فلاناً: أي جعله وزيراً له يستشيره، ويأخذ برأيه، ويمده بما يحتاج إليه، وأحياناً يحمل عنه بعض أعبائه.

فالنبي ﷺ اتخذ أبا بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وزيران له.

وقوله: «**قِدماً**» يعني: منذ القدم؛ لأنهم من بداية الدعوة، وهما ينافحان ويكافحان عن الرسول ﷺ.

أما أبو بكر فهو: «عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي».

أول الرجال إسلاماً، وأسبقهم لنصرة دين الله ـ تعالى ـ.

ومن هنا رفع النبي ﷺ قدره، وشرفه، فذكر في فضله نصوصاً كثيرة من ذلك:

١ ـ أمره ﷺ بالصلاة بالناس حين مرض فقال: «**مُروا أبا بكر فليصل بالناس**»[١] قالها ثلاثاً، وفي رواية: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢]. وذلك حين راجعته زوجته عائشة ﵄ في شأن أبيها.

٢ ـ ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعد الخدري ﵁ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله ـ تعالى ـ خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله ﷻ**، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخيِّر الله عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فيختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أمنّ الناس عليّ، في صحبته وماله أبا بكر ﵁، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإسلام ومودته ولا يبقين في المسجد باب إلا سُد، إلا باب أبي بكر ﵁**»[٣].

٣ ـ ومن ذلك ـ أيضاً ـ حينما سُئل النبي ﷺ عن أحب النساء إليه؟ فقال: **عائشة**. فقيل له: من الرجال؟ فقال: **أبوها**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٦٣٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، وسفر، وغيرهما من يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام (٤٢٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين ذكر مناقب عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق ﵄ (٦٠١٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد (٤٥٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**» قاله أبو سعيد (٣٤٦١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﵁ (٢٣٨٤).

والأحاديث التي جاءت في فضله كثيرة، وقد نوه الكتاب العزيز على فضله كما قال ـ تعالى ـ في وصفه بالصحبة لنبيه ﷺ: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢٠].

قال جماعة من المفسرين: إن هاتين الآيتين نزلتا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ومن هنا عرف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فضله.

ولذا قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في أبي بكر رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجواً أخا ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها ... بعد النبي وأولاها بما حملا
والتالي الثاني المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدَّق الرسلا
فعاش حميداً لأمر الله متبعاً ... بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

أما الوزير الثاني فهو: «أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن كعب العدوي» ثاني الخلفاء الراشدين، وإمام الحنفاء بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ونصوص السنة كثيرة في فضله فمن ذلك:

١ ـ قوله ﷺ عنه: **«والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»**[1].

٢ ـ وقوله ﷺ: **«لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر»**[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٦).

٣ ـ الآيات التي وافق عمر رضي الله عنه الوحي فيها كآية الحجاب، وآية النهي عن الصلاة على المنافقين، وكذا قصته في أُسَارى بدر معروفة لدى الجميع.

وقول المؤلف: «**ثم عثمان الارجح**»:

أي: يأتي بعد ذلك في الفضل عثمان رضي الله عنه ذو النورين ففضيلة أبي بكر وعمر ـ رضوان الله عليهما ـ بالاتفاق.

فأبو بكر رضي الله عنه عند ذِكْرِنا أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ كما قيل: «**لو وُضِعَ إيمان أبي بكر في كِفَّة، وإيمان الأمة في كفة لرجحت كفة أبي بكر**»(١).

فأهل السنة يقولون بأنه أفضل البشر بعد الأنبياء، ثم يتلوه في الفضل عمر رضي الله عنه، ولا يفضل أحد علياً على أبي بكر، ولا يفعل ذلك إلا رافضي حاقد متعصب في قلبه غل، وحقد، وحسد.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يفضل علياً على أبي بكر وعمر إلا رافضي حاقد متعصب».

أما عثمان بن عفان رضي الله عنه قال الناظم عنه في الترتيب: «**ثم عثمان الأرجح**» أي: يأتي بعد أبي بكر، وعمر في الأفضلية، وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة.

وعثمان هو: «عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف» من السابقين الأولين في الإسلام.

وزوجته هي: «رقية بنت رسول الله، ولما توفيت رضي الله عنها أعني زوجته رقية ـ زوّجه النبي ﷺ ابنته أم كلثوم رضي الله عنها وبذلك سُمِّيَ «ذو النورين».

هاجر رضي الله عنه الهجرتين بزوجته رقية، وتخلف عن بدر لمرضها وضرب له ﷺ بسهمه، وأجره، وفضائله، ومناقبه معروفة فمن ذلك:

١ ـ استحياء الملائكة منه: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو

(١) ذكر معناه إسحاق بن راهويه في مسنده من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣/ ٦٧٢.

على تلك الحالة، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تَهْتَشَّ له ولم تباله، ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**[١].

٢ ـ ومن ذلك قوله ﷺ لعثمان بعد تجهيزه جيش العُسرة: **«ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»**[٢].

٣ ـ ومن ذلك ـ أيضاً ـ شراؤه بئر رومة من خالص ماله، وجعلها بين المسلمين، وذلك حينما قدم النبي ﷺ المدينة ولم يكن فيها غير بئر يستعذب منها إلا بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: **«من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين، وله خير منها في الجنة»**[٣] فاشتراها عثمان من خالص ماله.

٤ ـ ومن مناقبه أيضاً رضي الله عنه جمعه للقرآن الكريم، وذلك لما خشي اختلاف الناس في القرآن، وخصامهم فجمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على القراءة الأخيرة.

٥ ـ ومن ذلك أيضاً بشارة النبي ﷺ له بالشهادة، وذلك حينما تحرك جبل أحد فقال ﷺ: **«اسكن أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان يعني عمر وعثمان»**[٤].

فهذه جملة من فضائله، ومناقبه رضي الله عنه، وقد ابتلى رضي الله عنه، وضيق عليه، وأوذي، وحوصر في داره مدة طويلة، ولكن النبي ﷺ أعطاه قميصاً، وقال: **«لا تنزعه وإن نزعوه منك»** ثم قتل رضي الله عنه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٤٠١).
(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٧٠١).
(٣) سنن الدارقطني، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد والسقايات ٤/ ٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٤٨٣).

وقد جاء في كتب السيرة أنه قتل وهو يقرأ القرآن حتى نزلت بعض قطرات الدم على قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وقد قيل ـ أيضاً ـ إنه قتل وهو صائم.

وهكذا الفتن إذا جاءت ونزلت بالناس فإنها تعمي وتصم ـ عياذاً بالله من شرها ـ.

ولهذا خاض الناس وماجوا في هذه الفتنة، ولكن خيار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما دخلوا في هذه الفتنة.

ولذا قال بعض التابعين فتنة طهر الله أيدينا منها، فنطهر ألسنتنا فرضي الله عن عثمان بن عفان.

وقول المؤلف: «**الارجح**» أي: الأرجح عند أهل السنة في تقديمه على عليّ رضي الله عنه فهناك خلاف في مسألة تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما في الفضل.

فذهب البعض إلى تقديم عليّ على عثمان، وقال آخرون بتقديم عثمان على عليّ، وجماعة توقفوا، لكن استقر الأمر عند أهل السنة والجماعة على أن تقديمهم في الفضل كتقديمهم في الخلافة، ومن هنا كان عثمان رضي الله عنه مقدماً على عليّ في الفضل، والخلافة.

ورابعهم خير البرية بعدهم   عليٌّ حليف الخير بالخير مُنجِح

وقوله: «**ورابعهم خير البرية بعدهم**» أي: بعد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم «أبو بكر ـ عمر ـ عثمان».

رابعهم في الفضل عليّ رضي الله عنه أمير المؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه ابن عم رسول الله، كفله النبي ﷺ وهو صغير، فلما بعث آمن به، وهو ابن ثمان سنين، فكان أول من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر أول من آمن من الرجال، وخديجة أول من آمن من النساء، وورقة بن نوفل أول من آمن به من الشيوخ، وزيد بن حارثة أول من آمن به من الموالي، وبلال أول من آمن به من الأرقاء ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ.

ومناقب هذا البطل المغوار وفضائله كثيرة، فقد كان رضي الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] فأمر علياً أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارة، وهو الذي فداه بنفسه فنام على فراشه يوم أن فكرت قريش في قتله، وهو الذي أدى الأمانات عن النبي ﷺ بعد هجرته، وهو الذي برز يوم بدر مع حمزة، وعبيدة لخصمائهم، وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك، وهو الذي فتح الله على يديه خيبر، وهو الذي كان مع حماة النبي ﷺ يوم أحد، وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغاً عن الرسول ﷺ في موسم الحج، وشريكه في هديه في حجة الوداع وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيز النبي ﷺ حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً.

لكن ليس معنى ذلك أن نرفعه فوق منزلة أبي بكر، وعمر، وعثمان كما فعل ذلك الروافض، وذلك بكذبهم عليه وعلى رسول الله ﷺ، وقولهم عليه ما لم يقل كما ذكرنا مذهبهم فيه ـ قبحهم الله ـ.

وقوله: «**عليٌّ حليف الخير بالخير منجح**»:

هذه صفة لعليّ رضي الله عنه فإنه رضي الله عنه كان حليفاً للخير دائماً فينطلق الخير من لسانه، ويده.

كيف لا يكون كذلك، وقد أعطاه النبي ﷺ أعلى وسام، وهو ثبوت محبة الخالق له، ومحبته لخالقه ـ سبحانه ـ قال ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يده؛ فلما أصبحوا جاء الصحابة إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن ينال هذا الوسام والشرف العظيم. فقال ﷺ أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأُتِيَ به فبصق النبي ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ رضي الله عنه كأن لم يكن به وجع، ثم أعطاه الراية ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم جاء فتح خيبر على يديه ـ رضوان الله عليه ـ فهو حقاً حليف للخير.

وقوله رحمه الله:

وإنهمُ للرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح

في بعض النسخ: «**والرهط**»: ولعله الأقرب لأن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الذي بعد هذا جاء ببيان هذا الرهط، فيكون الضمير في «**وإنهم**» عائد على «أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والرهط معطوف عليه، ويَعْني به الستة المذكورين بعدهم.

وقوله: «**لا ريب فيهم**» أي: لا شك فيهم عند أهل السنة من كونهم أصحاب فضل، وأصحاب منازل في الجنة.

وقوله: «**على نجب الفردوس**»: النجب النوق الكريمة، والفردوس أعلى الجنة، ووسط الجنة، كما جاء ذلك في الحديث.

وقوله: «**بالنور تسرح**»: بالجنة، وفي بعض النسخ: «**بالخلد**» فهؤلاء الأربعة، والرهط وهم باقي العشرة المبشرين بالجنة يسرحون على النوق الكريمة كيف شاءوا.

ونحن لا نشهد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له الله ورسوله ﷺ.

فقد شهد لهؤلاء العشرة بالجنة، كما قال ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة**»[1].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح

فقوله: «**سعيد**» يعني: «سعيد بن زيد بن نفيل» وهو ابن عم رسول الله ﷺ.

وقوله: «**وسعد**» يعني: سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ، وقد فداه الرسول ﷺ بأبويه فقال: «**من يحرسني...**»؟ فقام سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بحراسته وهذا

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب عبد الرحمٰن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٣٧٤٧).

قبل أن ينزل الله عليه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولهذا كان سعد يفخر بأمور منها ما ذكرناه، ولقد كان رضي الله عنه مجاب الدعوة، وله قصة مشهورة في ذلك.

وقوله: «**وابن عوف**» أي: عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه.

وقوله: «**وطلحة**» بن عبيد الله حواري رسول الله ﷺ الشجاع البطل مناقبه معروفة يوم أُحد رضي الله عنه.

وقوله: «**وعامر**»: هو «أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري» أمين هذه الأمة رضي الله عنه.

وقوله: «**والزبير الممدح**» يعني: «الزبير بن العوام» صاحب المدائح والمحامد العظيمة.

فهؤلاء الستة من خيار الصحابة رضي الله عنهم ولذلك لما توفي أبو بكر رضي الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه فقيل له كيف تعهد بها إلى عمر؟ قال: إذا سألني ربي عن ذلك قلت له عهدت بها إلى خير الناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولما طُعن عمر وطعنه عبد الرحمٰن بن ملجم ـ قاتله الله ـ قال عمر رضي الله عنه: إن أنا حييت فأنا خصمه، فإن مت فخذوه بي.

أما عن الخلافة من بعده فقال: الأمر شورى بين من مات النبي ﷺ وهو عنهم راض، وهم هؤلاء الستة، ويكون معهم عبد الله يعني «ابن عمر» وهو ليس الأمر فيه، بل فقط يستشيرونه.

وقوله رحمه الله:

وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعاناً تعيب وتجرح

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة كما ذكرنا سابقاً، والمعنى قل أيها السني خير قول في الصحابة كلهم؛ لأنهم عدول لقول النبي ﷺ فيهم: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم**...»[1].

---

(١) صحيح البخاري، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٥٠٩)، ومسلم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

وقد رضي الله عنهم وأثنى عليهم في كتابه تعالى.

وقد قال ﷺ لأهل بدر: «**إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1].

وقوله: «**ولا تك طعاناً تعيب وتجرح**» أي: لا تكن ممن يطعنون فيهم من أهل الرفض وغيرهم ويعيبونهم ويقدحون في صحبتهم فهذا مذهب الرافضة.

فقد نطق الوحي المُبِينُ بفضلهم ... وفي الفتح آي للصحابة تمدح

وقوله: «**فقد نطق الوحي المبين بفضلهم**» أي: نطق القرآن الكريم بفضل هؤلاء الصحابة فنفى ذلك عنهم والقدح فيهم هو في الحقيقة تكذيب لنصوص الكتاب والسنة.

وقوله: «**المبين**» أي: الواضح البين فدلالة القرآن واضحة بينة في فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: «**وفي الفتح آي للصحابة تمدح**» أي: في سورة الفتح آيات تدل على فضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ﴾ [الفتح: ١١].

٣ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

٤ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦].

٥ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) صحيح البخاري، باب الجاسوس برقم (٢٨٤٥)، ومسلم، باب من فضائل أهل بدر برقم (٢٤٩٤).

وليعلم كما ذكرنا سابقاً أن مذهب أهل السنة والجماعة الذي بيَّنا طرفاً منه سابقاً هذا المذهب هو وسط بين الرافضة والخوارج «النواصب» فالرافضة غلو في آل البيت، وطعنوا في أصحاب النبي ﷺ والخوارج كفَّروا علي بن أبي طالب، وكفَّروا معاوية بن أبي سفيان، وكفَّروا كل من لم يكن على طريقتهم واستحلوا دماء المسلمين. لكن أهل السنة كانوا وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، فقالوا: نحن ننزل أهل البيت منزلتهم ونرى أن لهم حقين علينا:

الأول: حق الإسلام والإيمان.

الثاني: حق القرابة من رسول الله ﷺ، وهذان الحقان ليس معناهما أننا نغالي فيهم ونجعلهم غير معصومين.

أما باقي الصحابة رضي الله عنهم فلهم الحق علينا بالتوقير والإجلال والترضي عنهم ولا يعادون أحداً منهم أبداً لا آل البيت ولا غيرهم، فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.



وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١ ـ وبـالْـقَـدَرِ الـمـقـدور أيـقـن فـإنـه دِعامة عِقْد الدينِ، والدينُ أَفْيَح

الشرح:

هنا يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ويقرر عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقدر فيقول أيها السني المتمسك بالكتاب والسنة المتبع لسلف الأمة:

«**أيقن**» أي: آمن بالقدر المقدور؛ أي: الذي كتبه الله ـ تعالى ـ على خلقه قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة.

كما جاء ذلك في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»[(١)].

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصول الدين، ولذا نبه عليه المؤلف هنا فقال في شأنه: «**دعامة عقد الدين**» أي: أصل وأساس الدين.

أما نصوص الكتاب، والسنة، والإجماع في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، فهي كثيرة معلومة لدى القاصي والداني، فمن ذلك:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

٢ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

٣ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

٤ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

(١) رواه مسلم، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٣).

أما أدلة السنة فهي كثيرة منها:

١ ـ حديث جبريل عليه السلام الطويل وفيه قوله ﷺ حينما سُئل عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره**»(١).

٢ ـ وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها، ولتنكح فإن لها ما قُدِّر لها**»(٢).

٣ ـ وروى مسلم أيضاً عن طاووس رحمه الله أنه قال: «أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر».

قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»(٣).

٤ ـ وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

٥ ـ وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٤).

٦ ـ وفي سنن الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قول النبي ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٦٢٢٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (٢٦٥٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(١)، والأحاديث في باب القدر كثيرة جداً.

ومن خلال النصوص الواردة في القضاء والقدر ذكر العلماء أن للإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم:

وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، فعلمه ﷻ ما كان ويكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومن ذلك علمه ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم وأحوالهم، وأعمالهم، وشقيهم، وسعيدهم.

كما دل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

والآيات في إثبات علم الله السابق للأشياء قبل وقوعها كثيرة جداً.

أما الأحاديث فمن ذلك:

١ ـ قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب الله أعلم بما كانوا عاملين ـ وساق حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**(٢).

---

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره برقم (٢١٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣١٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٩).

٢ ـ وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها**» قال: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

٣ ـ وعن عمران بن حصين ﵁ قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**»، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «**كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له**»(٢).

والأحاديث في هذه المرتبة يطول ذكرها.

المرتبة الثانية: الكتابة:

والمراد بها كتابة الله مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، ودليل هذه المرتبة من الكتاب:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ...﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ...﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

٣ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢ ـ ٥٣].

٤ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ﴾ [طه: ٥١ ـ ٥٢].

إلى غير ذلك من الآيات التي ربط الله ـ تعالى ـ العلم فيها بالكتاب.

أما الأحاديث على هذه المرتبة فمن ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض وقال: «**ما منكم من أحد إلا**

---

(١) سنن البيهقي الكبرى، كتاب اللقطة، باب الولد يتبع أبويه في الكفر فإذا أسلم أحدهما تبعه الولد في الإسلام (١١٩٢٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله (٦٢٢٣).

قد كتب مقعده من النار أو الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: **لا اعملوا فكل ميسر**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾» [الليل: ٥].

٢ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك قال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم نعمل اليوم أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟. قال: «**لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير**، قال: ففيم العمل؟ قال: **اعملوا فكل ميسر**»[(١)].

وروى البخاري ومسلم أيضاً في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناها النظر، والأذنان زناها الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدان زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك ويكذبه**»[(٢)].

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه أربعة مقادير:

الأول: التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض، كما دلت عليه نصوص القرآن السابقة، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وكذلك حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[(٣)].

الثاني: كتابة الميثاق:

وذلك يوم أن قال الله ـ تعالى ـ لبني آدم يوم خلقهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

---

(١) صحيح ابن حبان، ذكر ما يجب على المرء من قلة الاغترار بكثرة إتيانه المأمورات، وسعيه في أنواع الطاعات (٣٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج (٥٨٨٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٢٦٥٧).

(٣) سنن أبي داود، باب في القدر برقم (٤٧٠٠).

الثالث: التقدير العمري:

وذلك عند خلقه ﷻ النطفة في الرحم، فيكتب للجنين وهو في بطن أمه ذكر أو أنثى، شقي أو سعيد، ويكتب أجله، وعمله، ورزقه، وجميع ما يلقاه في دنياه دل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: ١١].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة**»[(١)].

الرابع: التقدير الحولي:

وهو الذي يكون في ليلة القدر، فإن ليلة القدر يكتب فيها ما يكون في تلك السنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ٤ ـ ٥].

المرتبة الثالثة: من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بالمشيئة:

والمراد بها الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس من حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئة الله ﷻ.

وهذه المشيئة تجتمع مع القدرة الشاملة فيما كان، وفيما سيكون، وتفترقان فيما لم يكن وليس بكائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٠٣٦).

محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون لعدم مشيئته لا لعدم قدرته عليه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

أما أدلة هذه المرتبة أعني مرتبة المشيئة فكثيرة منها:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

٢ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء..**»[1].

المرتبة الرابعة: الخلق:

وهذه هي المرتبة الأخيرة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، وهي الإيمان بأن الله عز وجل خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، فلا خالق غيره، ولا رب سواه.

ومن الإيمان بهذه المرتبة الإيمان بأن للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله ـ تعالى ـ خالقهم، وخالق قدرتهم، ومشيئتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وهو ـ سبحانه ـ الذي منحهم إياها، وأقدرهم عليها، وبحسبها كُلفوا، وعليها يثابون ويعاقبون.

وقد خالف أهلَ السنة والجماعة في الركن السادس من أركان الإيمان أي: «القضاء والقدر» كلٌ من الجبرية، والقدرية.

الفرقة الأولى: الجبرية:

وهؤلاء غلو في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وأنكروا أن يكون للعبد فعل، فهو كالريشة في مهب الريح تتصرف فيها الريح كيف تشاء.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٥٥).

وقالوا أيضاً: إن كل ما خلقه الله فقد رضيه وأحبه وعلى هذا فالله ـ تعالى ـ خلق إبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وسائر الكفرة الطغاة خلقهم، ورضي بكفرهم، وأحبهم بناء على قولهم الفاسد.

وقالوا أيضاً: إن العباد ليسوا بحاجة إلى العمل ولا إلى الأخذ بالأسباب لأن ما قدَّر عليهم سوف يأتيهم وهذا كله فساد وضلال فالله تعالى أمر بالأخذ بالأسباب ودعى إليها.

وقالوا أيضاً: إن الإنسان ليس له القدرة التي تؤثر في الفعل، بل هو كالريشة في مهب الريح، وبذلك تراهم تاركين للعمل احتجاجاً بالقدر، وإذا عملوا أعمالاً مخالفة للشرع احتجوا بالقدر على وقوعها.

وكل هذه الأقوال مصادمة للشريعة الإسلامية، والفطرة، والعقل السليم، ومن هنا قام علماء السنة بالرد على هذه الفرقة المنحرفة الضالة.

الفرقة الثانية: القدرية:

وهذه الفرقة أيضاً قد ضلت في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر فقالوا:

١ ـ إن الله ـ تعالى ـ لا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

٢ ـ إنه ـ تعالى ـ إذا أمر عباده لا يعلم المطيع منهم والعاصي إلا بعد صدور ذلك منه.

٣ ـ قالوا أيضاً إن الإنسان هو الذي يوجد عمل نفسه من غير إرادة الله تعالى أو علمه به.

وهذه الأقوال وغيرها مما يقولونه كفر بالله صريح نعوذ بالله من ذلك.

ولما ظهرت هذه الفرقة أعني القدرية في عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أنكروا عليهم هذه الضلالات ونهوا الناس عن الاستماع لبدعهم.

شبهة القدرية في ذلك:

لعل من أبرز شبههم في قولهم هذا هو أنهم قصدوا بذلك تنزيه الله ـ تعالى ـ فزعموا أن الله ـ تعالى ـ شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء

الكفر وحجتهم في ذلك أن ذلك يؤدي إلى الظلم، إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه؟.

وهذه من أعظم الشبه التي وقعوا فيها ومن هنا أرادوا أن ينزهوا الله فوقعوا في شر أعظم منه، وهو أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله، وهذا من أقبح الاعتقاد.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«دعامة عقد الدين والدين أفيح»**:

«**أفيح**» يعني: أوسع، والدين يشمل أموراً كثيرة ومنها هذا، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.



وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٢ ـ ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً	ولا الحوض والميزان إنك تُنْصح
٢٣ ـ وقل يُخْرِج اللَّه العظيمُ بفضله	من النار أجساداً من الفحم تُطرح
٢٤ ـ على النهر في الفردوس تحيا بمائه	كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْل إذ جاء يَطْفَح
٢٥ ـ وإن رسول اللَّه للخلق شافع	وقل في عذاب القبر حق مُوضَّح

الشرح:

هذه الأبيات المذكورة هي جملة مما يجب الإيمان به في اليوم الآخر، وذلك من حين خروج الروح إلى حصول العرض على الله ـ تعالى ـ.

فما زال المؤلف يخاطب صاحب السُّنَّة ليبين له المعتقد الحق في الإيمان باليوم الآخر.

فذكر هنا أشياء منها قوله: «**ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً**» أي: أيها السني لا تكن مُنْكراً، ولا يوقعك جهلك بإنكار منكرٍ ونكيرٍ.

ولهذا قال: «**جهلاً**» وهي هنا مفعولٌ لأجله يعني لا تنكر من أجل الجهل منكراً ونكيراً.

ومنكرٌ ونكيرٌ ملكان جاء ذكرهما في السُّنة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي، وغيره، وفيه: «.. **أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر ـ أي: قرونها ـ وأصواتهما مثل الرعد القاصف**»[1].

(١) رواه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر برقم (١٠٧١)، وقال الترمذي: إسناده حسن، وحسنه أيضاً الألباني في (الصحيحة) برقم (١٣٩١).

وهذان الملكان هما اللذان يسألان الميت في قبره حين يفتن بالسؤال، فيقولان له: من ربك؟، ما دينك؟، من نبيك؟، فإذا كان مؤمناً حقاً أجاب: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّ محمد ﷺ، وإن كان منافقاً أو كافراً ـ عياذاً بالله من ذلك ـ قال: ها ها لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تليت فيُضْرب بمرزبة من حديد، أما المؤمن فيفتح له بابٌ من الجنة، والمنافق أو الكافر يفتح له باب من النار؛ فيبقى المؤمن في سعادة إلى أن تقوم الساعة، والكافر يبقى في عذاب وجحيم إلى أن تقوم الساعة.

والإيمان بعذاب القبر ونعيمه جاءت به نصوص السنة فهو واجب ولذا ذكره المؤلف هنا، واستعاض بذكر الملكين هنا عن عذاب القبر لاشتمال ذكرهما على ذلك.

فعذاب القبر وإحياء الموتى في قبورهم وسؤالهم من قبل منكر ونكير كل ذلك ثابت وواجب القول به.

وخالف أهلَ السنة هنا المعتزلةُ فأنكروا عذاب القبر وإحياء الميت في قبره وأنكروا منكراً ونكيراً وغير ذلك مما يحصل للميت في قبره، وهذا ليس بغريب على هؤلاء المنحرفين فهم من قبل جحدوا أسماء الله وصفاته، وجحدوا ما صرح به ـ تعالى ـ في محكم آياته وردوا ما صرح به النبي ﷺ من أقواله، وأفعاله، وتقريره، وحَكَّمُوا العقل على الشرع، فمتى وافق العقلُ الشرعَ أخذوا به، ومتى خالف الشرعُ العقلَ قدموا العقلَ على الشرع، ولذا قالوا بعقولهم الفاسدة:

إننا نرى الرجل يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة، وأبلغ من ذلك من أكلته السباع والطيور، وتفرق في بطونها وحواصلها، وأبلغ من ذلك من أحرق بالنار وصار رماداً وفتت أجزاؤه وذريت في الرياح العاصفة، كل هذا عقلاً لا يحصل فيه عذاب ولا نعيم، ولا سؤال، ولا غير ذلك.

وهذه خلاصة شبههم السخيفة، ومحصل آراءهم الفاسدة التي قاسوا بها عالم الدنيا بعالم الآخرة، وهذا من أعظم ضلالهم، والآيات التي جاءت في

إثبات عذاب القبر، وكذا الأحاديث متواترة لا ينكرها إلا جاحد منكر لنصوص الكتاب والسنة.

فمن هذه النصوص قوله ـ تعالى ـ:

١ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[الأنعام: ٩٣].

قال أئمة التفسير في قوله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب والنكال، وأنواع العذاب حتى تخرج نفوسهم من أجسادهم.

٢ ـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

هذه الآية نص في عذاب القبر بصحيح السنة، واتفاق أئمة التفسير من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٣ ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].

جاء في تفسيرها العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والعذاب الأكبر يعني في النار.

٤ ـ وقال ـ تعالى ـ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ففيها دلالة واضحة على ثبوت عذاب القبر لآل فرعون، والآيات في هذا الأمر كثيرة.

أما الأحاديث فهي متواترة نذكر منها حديثين فمن ذلك:

١ ـ قال البخاري رحمه الله: ـ باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ـ: وساق بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**عذاب القبر حق**»، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى إلا تعوذ من عذاب القبر»[1].

---

(١) صحيح البخاري، أبواب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف (١٠٤٩).

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**، ثم قال: **بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**..»[(١)].

والأحاديث في عذاب القبر متواترة كما ذكرنا ذلك آنفاً.

وقوله رحمه الله: «**ولا الحوض والميزان إنك تُنصح**»:

أي: أيها السني لا تكن أيضاً ممن ينكر الحوض، يعني حوض النبي ﷺ، وكذا الميزان لأن نصوص الكتاب والسنة جاءت بهذا.

أولاً: الحوض:

أما الحوض فهو مما اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان به، كما قال ابن عبد البر رحمه الله: «الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم....»[(٢)].

أما أدلة أهل السنة على ثبوت الحوض منها:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١].

وفي تفسير «الكوثر» جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا الرسول ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «**أنزلت عليَّ آنفاً سورة** فقرأ: بسم اللهالرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ ثم قال: **أتدرون ما الكوثر**؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه نهر وعدنيه ربي** عز وجل **عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيُخْتَلج العبد منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي فيقول: إنك لا تدري**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (١٣١٢)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢).

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٢٩١.

ما أحدثوا بعدك»[(١)].

هذه السورة أثبتت الحوض، وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات القيامة.

ومن الأدلة أيضاً على ثبوت الحوض قوله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ بعده أبداً، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم**»[(٢)].

فالأحاديث التي جاءت في ثبوت الحوض مشتهرة ومستفيضة، بل تواتر ذكره في كتب السنة من الصحاح، والمسانيد، والسنن.

ثانياً: الميزان:

الإيمان بالميزان من جملة ما يجب الإيمان به فيما يكون يوم القيامة.

والميزان هو ما يوزن به أعمال العباد.

وهل الذي يوزن العباد أنفسهم أم توزن أعمالهم أم توزن الصحائف؟

أقوال ثلاثة: أصحها كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن الذي يوزن الأعمال، والصحائف والعباد جميعاً كلها توزن بهذا الميزان».

فأهل السنة يُثْبِتُون أن الله ـ تعالى ـ ينصب الميزان يوم القيامة فتوزن حسنات وسيئات العباد إظهاراً للعدل، ومن أدلتهم في ذلك:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة برقم (٤٠٠).

(٢) فتح الباري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها برقم (٢٢٩٠).

٣ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

أما السنة: فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمٰن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1].

وقوله رحمه الله:

وقل يخرج اللّه العظيم بفضله ... من النار أجساداً من الفحم تطرح

ما زال المؤلف رحمه الله يواصل وصاياه القيمة المفيدة لصاحب السنة فيقول له: أيها السني قل واعتقد أن الله ـ تعالى ـ يخرج من النار عصاة الموحدين الذين يدخلون النار، يخرجهم الله ـ تعالى ـ من النار بعد أن يعذبوا على قدر ذنوبهم، فالذين يدخلون النار إما كفرة مخلدون فيها والعياذ بالله، وإما عصاة من عصاة الموحدين، فهؤلاء يعذبون على قدر ذنوبهم سواء كانت كبيرة أو صغيرة.

والأدلة على خروج عصاة الموحدين من النار مستفيضة، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة وقالوا: بأن من أتى بكبيرة من الكبائر فإنه يدخل النار ولا يخرج منها أبداً، وإن مات على التوحيد.

وهذا قول باطل مصادم لنصوص الكتاب والسنة، ولهذا قام أهل السنة على هاتين الفرقتين وضللوهما، وجاءوا بالأدلة الدالة على خروج عصاة الموحدين من النار.

ومن هذه الأدلة ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قول النبي ﷺ: «... **حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أنه يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله ـ تعالى ـ أن يرحمه ممن يشهد أن لا إلٰه إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر سجودهم تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود،**

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤).

حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل...»[(١)].

فهذا الحديث وغيره فيه بيان خروج عصاة الموحدين من النار.

وقول المؤلف: «**أجساداً من الفحم تطرح**» أي: تفحمت هذه الأجساد «**تطرح**» أي: تُلقى في نهر الحياة.

على النهر في الفردوس تحيا بمائه كَحِبِّ حَمِيل السيل إذ جاء يطفح

وقوله: «**على النهر في الفردوس تحيا بمائه**» أي: نهر الحياة حينما تطرح فيه أجساد العصاة من أهل التوحيد عندها يحييها الله ـ تعالى ـ كما جاء ذلك عن النبي ﷺ في شأن العصاة «**فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة**»[(٢)].

وقوله: «**كَحِب حميل السيل**» أي: كحب، وهو البذر، وحميل السيل الذي يحمله السيل «**إذ جاء يطفح**» أي: يظهر، ألا ترون السيل إذا مر يحمل معه من البذر والأشياء الكثيرة، ثم يطرحها في مكان، ثم تنبت هذه الحبة التي حملها السيل وتبقى هشة.

هذا الذي ينبت بعد تفحمه ينبت نباتاً جديداً كحبة حميل السيل التي تطفح من جراء السيل.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ:

وإن رسول اللَّه للخلق شافع وقل في عذاب القبر حق موضح

في هذا البيت ذكر المؤلف شيئين مما يجب الإيمان به، أحدهما: عذاب القبر وقد تقدم الكلام عليه، والثاني ثبوت شفاعة النبي ﷺ.

وأهل السنة والجماعة يثبتون شفاعة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب فضل السجود (٧٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

(٢) صحيح البخاري، باب صفة الجنة والنار (٦١٩٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٤).

والملائكة، والمؤمنين وفق ما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة.

أما المعتزلة والخوارج فهم على النقيض من ذلك فهم لا يثبتون الشفاعة لأنهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار حاله كحال من أشرك بالله، فمن زنى، وشرب الخمر، وغيره من الكبائر حاله كحال من أشرك بالله لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله لأحد بالشفاعة له، وذلك لأن إنفاذ الوعيد واجب عندهم فكذبت بذلك شفاعة النبي ﷺ ونفتها مع ثبوت أدلتها من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فهذه بعض الآيات في ثبوتها.

أما الأحاديث فهي متواترة ولله الحمد، فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ يوم القيامة: «.... **يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي...**»[1].

وقوله ﷺ أيضاً فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**»[2] والأحاديث في إثباتها كثيرة جداً.

وشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة قسمان:

القسم الأول: ما اختص به ﷺ عن غيره من الأنبياء وغيرهم وهي كالآتي:

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٨٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٣٠٥)، ومسلم برقم (١٩٩).

١ ـ **الشفاعة العظمى**: وهي شفاعته لأهل الموقف أن يتخلصوا من هول الموقف، وليقضي بينهم فيقول ﷺ حينما يأتي إليه الخلائق فيسألونه الشفاعة عند ربهم فيقول: «**أنا لها**» بعد اعتذار جميع الأنبياء عنها.

٢ ـ **شفاعته ﷺ لأهل الجنة**: ليدخلوها بعد الفراغ من الحساب.

٣ ـ **شفاعته ﷺ لتخفيف** العذاب عن عمه أبي طالب: لما كان يقوم به من حمايته والدفاع عنه فجعل في ضحضاح من نار، ولولا ذلك لكان في الدرك الأسفل منها.

٤ ـ **شفاعته لقوم استحقوا دخول النار** ألا يدخلوها.

٥ ـ **شفاعته في قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم** فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

٦ ـ **شفاعته في رفع درجات بعض المؤمنين** من أهل الجنة.

٧ ـ **شفاعته في دخول بعض المؤمنين إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب** كدعائه لعكاشة بن محصن.

القسم الثاني: الشفاعة المشتركة:

وهي التي يشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، وهي نوع واحد فقط، وهي الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخل النار كما قال ﷺ: «**إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة**»[1].

فهذه هي أنواع الشفاعة التي تحصل يوم القيامة، والتي ضل المعتزلة والخوارج فيها فنفوها ـ نسأل الله تعالى السلامة والعافية ـ.



---

(١) رواه مسلم برقم (١٩١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٦ ـ ولا تُكْفِرَنْ أهل الصلاة وإن عصوا فكلهمُ يعصي وذو العرش يصفح

الشرح:

يعني المؤلف بكلامه هذا بيان ما يجب اعتقاده في أصحاب المعاصي فيقول: أيها السني لا تكفر أهل القبلة ممن صلى لا تكفره وإن وقع في المعصية.

وهذا رد على الطوائف الضالة في تكفير أصحاب الكبائر، فالناس في أصحاب الكبائر طرفان ووسط.

الخوارج قالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار.

والمعتزلة قالوا: بأنه في منزلة بين المنزلتين فلا نقول كافر، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، لكنهم وافقوا الخوارج في تخليده في النار.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: بأن مرتكب الكبيرة الحق فيه أنه لا يكفر وإنما يقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يقال مؤمن ناقص الإيمان ولا يخلدونه في النار.

ومن هنا نبه المؤلف على هذه المسألة التي ضل فيها المعتزلة والخوارج.

وقوله: «**ولا تُكْفِرَنْ أهل الصلاة**»: فيه إشارة إلى تكفير تارك الصلاة كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣].

وقال ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»[(١)].

وقال ـ أيضاً ـ ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[(٢)].

وغير ذلك من الأدلة التي أتت بالتنصيص على كفر تارك الصلاة، وهذا هو الراجح فيمن تركها بالكلية، ويرى شيخنا عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أن من ترك وقتاً واحداً فقط حتى خروجه من غير عذر فإنه يكفر، فهذا من أشد وأقوى أقواله ـ عليه رحمة الله ـ.

وقوله: «**وإن عصوا**» أي: وإن وقعوا في المعصية صغيرة كانت أو كبيرة.

وقوله: «**فكلهم يعصي**» أي: كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فلا يسلم أحد من الذنب.

«**وذو العرش**» أي: خالق العرش هو صاحب العفو والصفح عن عباده فمن تاب تاب الله عليه، ومحا عنه ذنوبه فضلاً منه ورحمة، فسبحان من لا يتعاظمه شيء.



---

(١) رواه مسلم برقم (٨٢).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٦٢٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٧ ـ ولا تعتقدْ رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يُردِي ويَفْضَح

الشرح:

أي: أيها السني لا تعتقد رأي الخوارج لأنهم يرون أن صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار كما ذكرنا ذلك سابقاً، ولهذا تراهم كفَّروا الصحابة، وسُمُّوا خوارج لأنهم خرجوا على عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكفَّروه، وقالوا لما رضي التحكيم: لا نرضى به. فقاتلوه وتسببوا في قتله على يد الخارجي عبد الرحمٰن بن ملجم ـ عليه من الله ما يستحق ـ.

والمهم أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يحذر السني من الوقوع في منزلق الخوارج.

ثم بيَّن الحكمة من النهي عن الوقوع في قولهم بقوله: «**مقال لمن يهواه يردي ويفضح**» يعني: أن اتباع قولهم ومعتقدهم يردي ويفضح، ويوقع في الحرج.

ولهذا جاءت نصوص السنة تحذر من الوقوع في قولهم قال ﷺ في الرجل الذي قال: اتق الله واعدل فقال له ﷺ: «**ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله..**» ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: لعله أن يكون يصلي. فقال خالد: فكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟ فقال ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**، ثم نظر ﷺ إلى الرجل وقال: **إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**». قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث: أظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[1].

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٤٤)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

والخوارج لهم معتقدات ذكرنا منها طرفاً ونجملها فيما يلي:

١ ـ تكفير صاحب الكبيرة: وذلك بناء على سوء فهمهم لكتاب الله ـ تعالى ـ حيث أنزلوا الآيات التي نزلت في الكفار أنزلوها على المؤمنين العصاة وتمسكوا بظواهر النصوص من غير اعتبار للآيات الأخرى.

٢ ـ وجوب الخروج على الأئمة: إذا وقعوا في معصية باعتبار أنهم كفار بناء على تكفيرهم مرتكب الكبيرة.

٣ ـ إنكار الشفاعة: وذلك بناء على أن صاحب المعصية كافر وبالتالي لا تنفعه الشفاعة.

٤ ـ تكفيرهم للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة ﵂ وكذا من رضي بالتحكيم.

٥ ـ أما في جانب العقيدة فهم جهمية ينكرون صفات الله ـ تعالى ـ، فهم يقولون بخلق القرآن، وينكرون الرؤية في الآخرة.

سؤال يطرح نفسه: هل هناك من يتبنى فكرهم؟

نقول: نعم، هناك من يتبنى فكر الخوارج ويعتنق مبادئهم، ومن أشهر من تبنى فكرهم في العصر الحاضر جماعة تدعى «جماعة التكفير والهجرة» التي ظهرت في بعض بلدان المسلمين، فقد تبنت هذا الفكر وأطلقت حكم التكفير على الحكام لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله من غير تفصيل، وكذلك حكمها على المحكوم بذلك لكونه رضي بهذه الأحكام، وكفروا من لم ينضم إلى جماعتهم، ومن انضم إليهم ثم تركهم وتبين له ضلالهم فهو عندهم مرتد حلال الدم، ولا يزال هذا الفكر ينخر في جوف الأمة يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم.

وهكذا الشيطان يجر أعوانه وقرناءه من حال سيئ إلى حال أسوأ.

ولهذا جاء تحذير الناظم من هذه الفرقة الضالة ومما تتبناه من عقائد.



وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٨ ـ ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ألا إنما المرجيُّ بالدين يمزح

الشرح:

هنا يحذر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ السني من فرقة أخرى منحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وهي المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة.

وسُمُّوا مرجئة لأنهم أرجؤوا العمل؛ أي: أخروه وأبعدوه عن الإيمان، وقالوا: إن الإيمان هو التصديق فقط، والأعمال ليست داخلة فيه، وإذا كنت مؤمناً فأنت إيمانك كإيمان أبي بكر، بل يستوي إيمانك بإيمان الأنبياء.

ولذلك عندهم الزاني، والسارق، وشارب الخمر، والقاتل مؤمنون ـ كاملوا الإيمان ـ إيمانهم كإيمان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل كإيمان جبرائيل، ولأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وغير ذلك من الأقوال الباطلة التي تتبناها هذه الفرقة المنحرفة.

والمرجئة فرق متعددة، فمنهم من يقول:

الإيمان هو: المعرفة فقط.

ومنهم من يقول: الإيمان هو: مجرد التصديق.

ومنهم من يقول: إنه مجرد النطق.

ومنهم من يقول: إنه مجرد النطق والاعتقاد.

وكلهم مع اختلاف أقوالهم في الإيمان إلا أنهم متفقون على إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

ولما كان هذا هو معتقدهم حذر المؤلف من الأخذ بعقيدتهم فقال:

«ألا إنما المرجي بالدين يمزح» وذلك لأن أهل الإرجاء يلعبون بالدين لعباً من جهة أن أصحاب المعاصي والذنوب إيمانهم كإيمان الأنبياء والمرسلين، وهذا في الحقيقة لعب بالشريعة.

من قال هذا؟ لا يقوله صاحب عقل على الإطلاق.

ولذلك ترى أهل الإرجاء شجعوا الناس على ترك الطاعات، وفعل المنكرات فكم من تارك للصلاة، وتارك للزكاة، وغيره من الطاعات بحجة أن الإيمان مجرد النطق فقط، وهذا كله ضلال مبين.

ومن هنا كان أهل السنة وسطاً بين الخوارج الذين جعلوا الأعمال شرطاً في الإيمان مَنْ تَركها كفر، وأن المعاصي تُذْهب الإيمان بالكلية، وبين المرجئة الذين قالوا بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.



وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩ ـ وقل: إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مُصرَّح

٣٠ ـ وينقص طوراً بالمعاصي وتارة بطاعته يَنْمِي وفي الوزن يرجح

الشرح:

هنا بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان، وينصح السني باعتقادها، والتمسك بها، والدعوة إليها.

فيقول: «**وقل إنما الإيمان قول ونية**» أي: أيها السني قل: إنما الإيمان «**قول ونية وفعل على قول النبي مصرح**».

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وهي أربعة أشياء:

الأول: قول القلب، وهو تصديقه وإيقانه.

الثاني: قول اللسان، وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب، وهو النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح، عمل اللسان كتلاوة القرآن، والتسبيح والتحميد، وغير ذلك، وعمل الجوارح مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضات الله، وغير ذلك من أعمال الجوارح.

هذا هو معتقد أهل السنة في الإيمان.

وقوله: «**ونية**» أي: فلا بد من النية لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية**»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧).

وقوله: «**على قول النبي مصرح**» أي: هذا مصرح به على قول النبي ﷺ «**على قول**» جار ومجرور خبر مقدم، و «**مصرح**» مبتدأ مؤخر، وكأنه قال هذا هو معنى الإيمان مصرح به على قول النبي ﷺ.

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة　　　بطاعته يَنْمِي وفي الوزن يرجح

وقوله: «**وينقص طوراً بالمعاصي وتارة....... بطاعته ينمي**» أي: أن الإيمان ينقص ويزيد، وهذه من المسائل التي تعلقت بالإيمان.

ولذا نجد أهل السنة يأتون بها في تعريفهم للإيمان فيقولون الإيمان قول وعمل: قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

استدل أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص بأدلة من الكتاب:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٢ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

٣ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

٤ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

أما السنة:

فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

قال الترمذي رحمه الله: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكمل المؤمنين إيماناً**

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان برقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياة وكونه من الإيمان برقم (٣٥)، واللفظ لمسلم.

أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله»[١].

وهناك أدلة أخرى كثيرة تدل دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه.

فقوله: **«وينقص»** أي: الإيمان.

«طوراً» أي: ينقص بعدم العمل الصالح، وبفعل السيئات.

«بالمعاصي» أي: كلما عصى الإنسان ربه نقص إيمانه، ولهذا قال ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**[٢].

فالذي يفعل المعصية ينقص إيمانه، ويضعف، ويقل على ما ذكرناه من أدلة سابقة.

وقوله: **«وتارة..... بطاعته ينمي»** يعني: يزيد ويقوى، ويعظم، ويثبت هذا الإيمان بالطاعات.

وقوله: **«وفي الوزن يرجح»** يعني: يثقل الميزان، ولا شك أن العبد بالعمل الصالح يثبت إيمانه ويقوى يقينه، ويكون أقرب إلى ربه ـ سبحانه ـ بخلاف من كان متلبساً بالمعصية، ألا ترى أن المعصية لها أثرها على العبد في وجهه، ولهذا كانت الطاعة، والتقرب إلى الله يزيد العبد محبةً وقرباً من الله ـ تعالى ـ.



(١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (٢٦١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود كالزنا وشرب الخمر، وقال ابن عباس ﷺ: ينزع منه نور الإيمان في الزنا (٦٣٩٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧).

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

٣١ ـ ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح

٣٢ ـ ولا تك من قوم تلهوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح

٣٣ ـ إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خير تبيت وتصبح

الشرح:

يختم الناظم رَحِمَهُ اللهُ وصاياه لصاحب السنة المتمسك بمنهج أهل الحق أهل السنة والجماعة، بوصيتين جامعتين لمعاني الخير وأزكاها وأجملها، فمتى تمسك بهاتين الوصيتين نجا من شبهات المنحرفين.

فالوصية الأولى: يقول له فيها:

«**ودع عنك آراء الرجال وقولهم**» أي: أيها السني المتبع لسنة رسول الله ﷺ اترك عنك آراء الرجال، واحذر من الأخذ بالآراء التي تنبعث من الهوى لا من الحق.

وقوله: «**وقولهم**»: فأي قول ينبني على الهوى ويكون مبعثه أيضاً التعصب لجهة أخرى لرجل أو لمذهب فاطرحه عنك، واتركه، واهجره، ولا تأخذ به.

فلا تهتم بآرائهم وأقوالهم ولا تجعلها لك مذهباً لأن أقوال الرجال عرضة للخطأ، وإذا أردت النجاة لنفسك والأخذ بنفسك إلى ما فيه صلاحك وخلاصك فكن متمسكاً بقول رسولك محمد ﷺ.

لماذا قال رَحِمَهُ اللهُ: «**فقول رسول الله أزكى وأشرح**»: وذلك لأن قول رسول الله أطهر، وأطيب، وأوسع، وأفضل، وأثبت لك من قول غيره.

وفي هذا البيت يرد الناظم على أصحاب الآراء، والملل، والنحل المنحرفة والمحرفة لنصوص الكتاب والسنة.

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول له اترك أصحاب الباطل، والرجال الذين بنوا أقوالهم على الرأي دون الاستناد إلى الأدلة الشرعية، اتركهم لأنهم على غير هدى.

ومن هنا جاءت الأدلة على وجوب اتِّباع قول الله، وقول رسوله ﷺ دون الأخذ بآراء الرجال، أو أقوالهم التي بنيت على تقديم العقل على النقل.

قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١).

الوصية الأخيرة وهي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تك من قوم تلهوا بدينهم   فتطعن في أهل الحديث وتقدح

لما حذر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ السني من أقوال وآراء الرجال حذره من أمر خطير وهو قوله: «**ولا تك من قوم تلهوا بدينهم**» أي: إياك أن تكون من هؤلاء النفر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، فهم أصحاب الهوى، والبدع الذين يبتدعون في دينهم، ويدخلون فيه ما ليس منه، فهم يلعبون بالدين، ويتبعون الهوى ولذلك تراهم يطعنون بصاحب الدليل الشرعي، ويقدحون فيه، ومن هنا جاء المؤلف بالتحذير من ذلك فقال:

«**فتطعن في أهل الحديث وتقدح**»: فأهل الحديث حري بك أيها السني أن توقرهم، وتحترمهم لأنهم حملة الرسالة والذابون عنها بعد موت نبيك ﷺ المتبعون لهديه، الواردون على حوضه، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا منهم.

وبعد ذكر هذه الوصايا كلها يبين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نتيجة هذا الاعتقاد المبارك فيقول:

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه   فأنت على خير تبيت وتصبح

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**» (١٩٢٠).

قوله: «**إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح**» أي: يا صاحبي إذا اعتقدت في حياتك كلها هذه العقيدة التي وضحتها لك، وبينتها لك من خلال هذه المنظومة، إذا ما اعتقدتها وتمسكت بها، ومت عليها «**فأنت على خير**» إن شاء الله «**تبيت وتصبح**».

وهذه المنظومة القصيرة على قصر أبياتها وقلتها التي هي ثلاثة وثلاثون بيتاً فقد حوت معظم تفاصيل معتقد أهل السنة والجماعة.

كما مر معنا في مسألة القرآن، وكلام الله، والرؤية، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكذلك القدر، وما يتعلق باليوم الآخر، والقبر، والبعث، والحوض، والميزان، وكذلك إخراج عصاة الموحدين من النار، وكذا الشفاعة، ومذهب أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر، وكذلك توسط أهل السنة والجماعة بين الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، وكذلك موقف أهل السنة في باب الإيمان، وكذلك ـ أيضاً ـ اتباع رسول الله ﷺ وترك أصحاب الهوى، وغير ذلك مما ذكر المؤلف.

ونصيحتي لكل طالب علم أن يهتم بهذه المنظومة حفظاً وشرحاً، وغير ذلك مما يحتاج إليه طالب العلم.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يرحم مؤلفها، ويسكنه فسيح جناته، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الزلفي ـ ص. ب:١٨٨
مساء الأربعاء:
١٤٢٥/٦/١٧هـ

شرح كتاب
مختصر في أصول اعتقاد
أهل السُّنة والجماعة

مؤلف المختصر

الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ

اعتنى بها وشرحها شرحاً موجزاً وأخرجها ووثق نقولها

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يَدعون من ضل إلى الهُدَى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس وأقبح آثار الناس عليهم[(١)].

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وحجته على عباده فهو رحمته المهداة إلى العالمين ونعمته التي أتمها على أتباعه المؤمنين، أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب وطموس من السبل ففتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسُنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة للعلّامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بيَّن فيها بإيجاز وأسلوب سهل واضح عقيدة الفرقة الناجية المنصورة، وقد تميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته هذه بأسلوبه البديع الذي يصل إلى عقل القارئ بأقصر طريق وهذا لا يستطيعه إلا من وصل إلى رتبة عالية في العلم وقدرة عجيبة على توظيف المعلومات في قالب بياني

(١) من مقولة الإمام أحمد في رده على الزنادقة والجهمية انظرها بتمامها في إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٩.

واضح وقد وفق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيراً في سهولة العبارة وإيجازها ووفائها بالمقصود وهذا ما سيلاحظه القارئ في هذه الرسالة الموجزة.

وهذه الرسالة مع قلة حجمها إلا أنها قد حوت مجمل أصول ومعتقد أهل السُّنة والجماعة.

ولما كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يرغب في بسطها وتوضيحها بأدلتها حيث قال في المقدمة: «إن يسر الله وفسح في الأجل بسطت هذه المطالب ووضحتها بأدلتها» ولكن وافته المنية وحالت بينه وبين مطلوبه، جعلنا لذلك شرحاً موجزاً إتماماً للفائدة وتحقيقاً لرغبة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

ورغبة أحفاده الذين طلبوا مني ذلك وهم الحريصون على نشر علم والدهم رَحِمَهُ اللهُ وجعل الخير والبركة في ذريته وذرياتهم.

وقد بذلت ما استطعت من تعليقات وحرصت أن تكون من كلام الشيخ نفسه في بعض كتبه ورسائله، ومن ميزات هذه الرسالة أنها بخط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وتنشر لأول مرة وأنها شاملة لأصول العقائد الإسلامية.

عملي في هذه الرسالة:

أولاً: قمت بوضع كلام الشيخ على هيئة المتن.

ثانياً: قمت بشرح المتن والتعليق عليه بما تيسر.

ثالثاً: ما ذكره الشيخ مجملاً ووجدت له شيئاً من التفصيل في كتبه ذكرته مع ذكر المرجع المذكور فيه.

رابعاً: إذا وجدت كلاماً لشيخ الإسلام وغيره من أهل العلم مما يعضد كلام الشيخ ويقويه ذكرته وذكرت مرجعه.

خامساً: تدعيم الرسالة بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة ما أمكن.

سادساً: هذه الرسالة لم يجعل لها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ اسماً وهذا من عادته رَحِمَهُ اللهُ في بعض كُتبه فإنه أحياناً لا يُسمي المكتوب فاخترت لها اسماً وسميتها: «**مختصر أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**».

والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه خير مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب
أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
ضحوة الاثنين ٨/٦/١٤٢٢هـ
الزلفي ص. ب ١٨٨

التعريف بمؤلف الرسالة(١)

اسمه ونسبه:

هو العالِم الجليل والفقيه الأصولي والمحدِّث والداعية المحقّق المدقّق عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن أحمد آل سعدي، من نواصر بني تميم من بني عمرو والمنتمية إلى تميم.

مولده:

وُلد رحمه الله في منطقة عنيزة في الثاني عشر من شهر المحرم عام سبعة وثلاثمائة وألف للهجرة (١٢/ ١/ ١٣٠٧هـ).

نشأته:

نشأ رحمه الله صالحاً مثاراً للإعجاب وأنظار الناس محافظاً على الصلوات الخمس مع جماعة المسلمين حريصاً كل الحرص على طلب العلم فلازم أهل العلم في زمانه ملازمة الظل وأكب على الاغتراف من معين علمهم وفضلهم وأخلاقهم فاجتهد بالنهار وسهر بالليل في تحصيل العلم حتى نال مقصوده رحمه الله رحمة واسعة.

مشايخه:

١ - إبراهيم بن حمد بن جاسر.
٢ - إبراهيم بن صالح بن إبراهيم القحطاني.

---

(١) من أراد معرفة الكثير من جوانب سيرته العلمية والعملية فليراجع رسالتين للباحث هما صفحات من حياة علّامة القصيم وأثر علّامة القصيم على الحركة العلمية المعاصرة.

٣ ـ صالح بن عثمان القاضي.

٤ ـ صعب بن عبد الله بن صعب التويجري.

٥ ـ محمد الأمين محمود الشنقيطي.

وغير هؤلاء ممن درس عليهم الشيخ.

تلاميذه:

١ ـ إبراهيم بن عبد العزيز الغدير.

٢ ـ إبراهيم بن محمد العمود.

٣ ـ حمد بن إبراهيم عبد الرحمٰن القاضي.

٤ ـ محمد بن صالح العثيمين.

٥ ـ عبد العزيز بن محمد السلمان.

٦ ـ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.

٧ ـ عبد الله البسام.

وغيرهم الكثير ممن تتلمذوا على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

بعض أعماله التي قام بها:

١ ـ كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مرجعاً يرجع إليه الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية فقد كان من الناحية الدينية هو كل شيء في عنيزة فقد كان العالم والمعلم والإمام والخطيب والمفتي والواعظ والقاضي وصاحب مدرسة دينية وعاقد الأنكحة ومحرر الأوقاف والوصايا وبالجملة فقد كان الشيخ كل شيء وللعلم أن كل هذه الأعمال التي يقوم بها الشيخ يقوم بها حسبة ولا يتقاضى عليها أجراً.

٢ ـ قام بتأسيس المكتبة الوطنية بعنيزة وذلك عام ١٣٥٩هـ أو عام ١٣٦٠هـ.

٣ ـ رُشِّح لقضاء عنيزة عام ١٣٦٠هـ ولكنه رفض ذلك رفضاً شديداً.

٤ ـ عُيِّن إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة عام ١٣٦١هـ.

٥ ـ قام بالإشراف على المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٣هـ.

مرضه ووفاته:

أصيب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في آخر حياته بمرض (ضغط الدم) وهو مرض خطير وعولج منه ثم عاوده مرة أخرى وأثناء إملائه على تلاميذه الدرس المعتاد بعد صلاة العشاء أحس رَحِمَهُ اللهُ بثقل وضعف حركة وبعدها أغمي عليه حال وصوله إلى بيته ثم استمر به المرض حتى توفاه الله تعالى فجر الخميس الموافق ٢٣/ ٦/ ١٣٧٦هـ.

فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

مؤلفات الشيخ:

للشيخ رَحِمَهُ اللهُ مؤلفات كثيرة نذكر منها:

١ ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان.

٢ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٣ ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية.

٤ ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار.

٥ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول.

٦ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد.

٧ ـ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء[١].



(١) وهناك الكثير من كتبه رَحِمَهُ اللهُ التي يصل عددها أكثر من (٥٠) مؤلفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فهذا مختصر جداً في أصول العقائد الدينية والأصول الكبيرة المهمة اقتصرنا فيها على مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها أقرب ما يكون لها أنها من نوع الفهرست للمسائل لتعرف أصولها ومقامها ومحلها من الدين ثم من له رغبة في العلم يطلب بسطها وبراهينها من أماكنها، وإن يسر الله وفسح في الأجل بسطت هذه المطالب ووضحتها بأدلتها.

شرح مقدمة المؤلف

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بسم الله الرحمٰن الرحيم).**

ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله وعملاً بهدي النبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الحمد لله رب العالمين)** قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله. وحمده سبحانه يكون بحمده على كماله ﷻ وذلك لأنه كامل الصفات من كل وجه ويكون بحمده على كامل الإنعام والإحسان، «ورب العالمين» الرب هو المالك المتصرف أو السيد وكل هذا صحيح في حق الله تعالى «العالمين» جمع عالم وهو كل موجود سوى الله ﷻ.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وصلى الله على محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين).**

معنى «صلى الله على محمد» أحسن ما قيل في معنى الصلاة على النبي ما قاله أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «صلاة الله على رسوله»: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى وقوله: «وآله» الآل إذا قرنت بالأتباع صار المراد بها المؤمنين من آل بيت النبي ﷺ وإذا لم يقرن بها الأتباع أو مع الصحب صار معناها أتباعه على دينه منذ بعثته إلى يوم القيامة.

قوله: «وصحبه» أصحاب النبي ﷺ كل من اجتمع به مؤمناً به ومات على ذلك.

قوله: «وأتباعه» المراد بها هنا أتباعه على دينه إلى يوم القيامة.

قوله: «إلى يوم الدين» أي: يوم الجزاء والحساب.

قوله: **(أما بعد)** «أما» نائبة عن اسم الشرط وفعله والتقدير مهما يكن من شيء بعد.

قوله: **(فهذا مختصر جداً في أصول العقائد الدينية)**.

أصول جمع أصل وهو ما ينبي عليه غيره.

والعقائد جمع عقيدة ومعناها في الاصطلاح حكم الذهن الجازم فيقال: اعتقدت كذا يعني جزمت به في قلبي وقيدها المؤلف هنا «بالعقائد الدينية» المراد بها حكم الذهن الجازم بإفراد الله بوحدانيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وإفراده بالحكم والتشريع وكذا الإيمان بملائكته وكتبه ورسله وغيرها من أصول الإيمان الستة.

وقوله: **(والأصول الكبيرة المهمة)**؛ أي: الأصول التي خالف فيها أهل السُّنة والجماعة المنحرفين من الفرق الضالة كمسألة الإيمان والاستثناء فيه ومعتقد أهل السُّنة والجماعة في الصحابة والإمامة وغيرها فكلها أصول مهمة ذكرها المؤلف.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اقتصرنا فيها على مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ)**.

بيَّن هنا رَحِمَهُ اللَّهُ منهجه في تأليف هذه الرسالة فبين أنها عبارة عن فهرست لهذه الأصول ومن أراد أن يتوسع في شروح هذه الأصول فليراجع بسطها وبراهينها من أمكانها التي شرحت فيها ومن أهم الكتب التي ألفت فيها هذه الأصول مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فأفضل من اعتنى بمذهب السلف ووضح عقيدتهم وأصّلها وقعّدها هما شيخ الإسلام وتلميذه رحمهما الله ومن بعدهم أئمة الدعوة عليهم رحمة الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به عباده الصالحين.



الأصل الأول

التوحيد

الشرح: أصل الشيء أساسه الذي ينبى عليه ولما كان التوحيد أهم المهمات وأوجب الواجبات وعلى أساسه تتوقف صحة الأعمال وقبولها لا سيما إذا كانت مقرونة بالإخلاص ومتابعة النبي ﷺ جعله الشيخ رحمه الله تعالى الأصل الأول.

*** (حد التوحيد الجامع لأنواعه هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال وإفراده بأنواع العبادة).**

الشرح: قوله ﷺ: «حد التوحيد الجامع لأنواعه» أي: لأنواعه الثلاثة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات قال ﷺ: «حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحده في ذلك واعتقاد أنه لا شريك له ولا مثيل له في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ثم إفراده بأنواع العبادة[1].

فهذا هو التوحيد بمعناه العام؛ أي: إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ثم دخل في تفصيل كل نوع على حدة فقال:

*** (فدخل في هذا توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفراد الرب سبحانه بالخلق والرزق وأنواع التدبير).**

الشرح: قوله: «فدخل في هذا» أي: دخل في حد التوحيد توحيد الربوبية الذي هو «اعتقاد انفراد الرب سبحانه... إلخ» وقال أيضاً: توحيد الربوبية بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ﷺ ج٣ (العقيدة الإسلامية ص٦١).

ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين[١] انتهى.

*** (وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل).**

الشرح: هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد انفراد الرب سبحانه بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسُّنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. ونفيُ ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله[٢].

وقال أيضاً في بيان أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته هما ثلاثة:

١ ـ إيمان بالأسماء الحسنى كلها.

٢ ـ الإيمان بما دلت عليه من الصفات.

الإيمان بأحكام صفاته ومتعلقاتها. فنؤمن بأنه عليم له العلم الكامل المحيط بكل شيء وأنه قدير ذو قدرة عظيمة يقدر بها على كل شيء وهكذا بقية الأسماء الحسنى والصفات ومتعلقاتها[٣].

وقال أيضاً رَحِمَهُ الله: فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموع مؤلفات الشيخ ٣/ ١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ الله ٣/ ٦٢ قسم العقيدة الإسلامية.

الأسماء والصفات وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل، اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسُّنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه وطمأنينة في أحواله[(١)].

*** (وتوحيد الألوهية والعبادة وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها وإفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته).**

الشرح: هذا هو النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية ومعناه إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائناً من كان[(٢)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان حد توحيد الألوهية قال: «فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم ويعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة فيقوم بشرائع الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرها إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه متابعاً في ذلك[(٣)] الرسول ﷺ.

*** (فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه على كل شيء قدير وأنه الغني الحميد وما سواه فقير إليه من كل وجه).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر»

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/١٠٨ قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أعلام السنة المنثورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للشيخ حافظ الحكمي ص٥١.

(٣) الحق الواضح المبين لابن سعدي.

وجه دخول القضاء والقدر في توحيد الربوبية أنها من أفعاله سبحانه وتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله ولذا أدخل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ القضاء والقدر من جملة توحيد الربوبية.

وقوله: «وأن ما شاء الله كان...» إلخ هذا هو معنى الإيمان بالقضاء والقدر الذي دل عليه قوله ﷺ لابن عباس: **«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**(١).

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأنه الغني وما سواه فقير إليه من كل وجه» لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

*** (ودخل في توحيد الأسماء والصفات إثبات جميع معاني الأسماء الحسنى لله تعالى الواردة في الكتاب والسُّنة والإيمان بها ثلاث درجات إيمان بالأسماء وإيمان بالصفات وإيمان بإحكام صفاته كالعلم بأنه عليم ذو علم ويعلم كل شيء قدير ذو قدرة ويقدر على كل شيء إلى آخر ما له من الأسماء).**

الشرح: مر بنا جملة مما ذكره الشيخ في بيان توحيد الأسماء والصفات وكيفية الإيمان بها.

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ في ذكر أصول الإيمان الكلية: فعلى كل مؤمن أن يؤمن بالله ويدخل في الإيمان بالله الإيمان بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال ونفي أضدادها وأركان ذلك ثلاث:

١ ـ الإيمان بالأسماء كالعزيز الحكيم العليم الرحيم إلى آخرها.

٢ ـ والإيمان بالصفات: كالإيمان بكمال عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

الإيمان بإحكام الصفات ومتعلقاتها: كالإيمان أنه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء ورحمته وسعت كل شيء إلى آخرها(٢).

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٠٧. وانظر: جامع العلوم والحكم ص١٧٤.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد، لابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص٦٥.

*** (ودخل في ذلك إثبات علوه على خلقه واستوائه على عرشه ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته).**

الشرح: أي: ودخل في توحيد الأسماء والصفات هذه الأمور الثلاثة؛ الأول: علوه على خلقه، الثاني: استوائه على عرشه، الثالث: نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته. وقد أفرد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الثلاث بالذكر لأن أكثر الفرق خالفت أهل السنة في ذلك بما فيهم الأشاعرة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ «... إثبات علوه على خلقه» علو الله تعالى من صفاته الذاتية كما سيوضحه رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك وعلو الله تعالى ينقسم إلى قسمين.

علو ذات: معناه أنه جَلَّ جَلَالُهُ بذاته فوق جميع مخلوقاته.

وعلو صفة ومعناه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «... واستوائه على عرشه» استواء الله على عرشه من الصفات الفعلية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة والاستواء معناه علوه واستقراره على عرشه علواً واستقراراً يليق بعظمته وجلاله جَلَّ جَلَالُهُ بخلاف ما جاءت به تأويلات أهل البدع من تفسير الاستواء بالاستيلاء تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا..» إلخ نزوله جَلَّ جَلَالُهُ من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته ونزوله سبحانه نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته ولا يصح تحريف معناه إلى غير ذلك من التحريفات الباطلة مثل قولهم معنى النزول نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فهذا من أبطل الباطل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعرف ربنا بأنه عليٌّ أعلى بكل معنى واعتبار علو الذات وعلو القدر والصفات وعلو القهر وأنه بائن من خلقه مستو على عرشه كما وصف لنا نفسه بذلك إلى آخر ما قاله[1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٦٣ ومؤلفات الشيخ ابن سعدي قسم العقيدة.

*** (ودخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع والبصر والعلم والعلو ونحوها والصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته كالكلام والخلق والرزق والرحمة والاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا كما يشاء وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل وأنها كلها قائمة بذاته وهو موصوف بها).**

الشرح: تنقسم صفات الله تعالى إلى قسمين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الأولى: الصفات الذاتية وفسرها بقوله: «التي لا ينفك عنها» أي: التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كصفة السمع والبصر والعلم والعلو والقدرة والعزة والحكمة وكذلك صفة الوجه واليدين والعينين.

الثانية: الصفات الفعلية وبيَّنها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «المتعلقة بمشيئته وقدرته» أي: التي إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كصفة الرحمة والرزق والخلق والاستواء والنزول وغيرها من صفات الأفعال.

أما الكلام فقد أدخله المؤلف بأنه من صفات الأفعال وهذا حق ولكنه أيضاً يعد من صفات الذات فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام فإنه صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئه[1]. ثم ذكر المؤلف المحاذير التي يجب التخلي عنها عند إثبات صفات الباري جَلَّ جَلَالُهُ «وأن جميعها تثبت من غير تمثيل ولا تعطيل».

*** (وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً وبالرحمة والإحسان معروفاً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه تعالى لم يزل ولا يزال يقول ويفعل وأنه فعال لما يريد» ذكر هذا الكلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ رداً على الجهمية والمنحرفين من أهل الكلام الذين توهموا أن الفعل هو المفعول وأنه إذا كان غيره لزم حلول الحوادث بالله

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية ٣/ ٢٣٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

وهذا الوهم باطل وخطأ وضلال واضح فإن الله لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل يفعله؛ أي: يفعل الأشياء ويحدث الحوادث شيئاً بعد شيء ولا يلزم من هذا حلول الحوادث في ذاته وأن الحوادث منفصلة عنه والفعل الذي هو الوصف قديم النوع ولكنه لا يزال يفعل ما يريد[١].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفاً» أي: أنه سبحانه لم يزل ولا يزال بصفة الكلام معروفاً وموصوفاً وكلامه سبحانه من صفاته الذاتية الفعلية غير مخلوق كسائر صفات أفعاله.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وذكر كلامه في مواضع كثيرة من كتابه[٢].

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه المتكلم به حقاً وأن كلامه لا ينفد ولا يبيد).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله...» إلخ الضمير في ذلك يعود على توحيد الأسماء والصفات وقد بيَّن الشيخ عقيدة سلف الأمة في القرآن فقال: بأنه «كلام الله» منزل غير مخلوق بخلاف كلام المعتزلة والكلابية والأشاعرة والكرامية وغيرهم ممن قالوا: بأنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلامه ونحو ذلك من الأقوال الباطلة. فأهل السنة يعتقدون أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزل على رسوله وحياً وصدقه على ذلك المؤمنون حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده بسقر. وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «منه بدأ» أي: ظهر وخرج منه سبحانه؛ أي: هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه «وإليه يعود» أي: يرجع بأن يسري به في آخر الزمان ويرفع فلا يبقى في الصدور ولا في المصاحف منه آية.

---

(١) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ٣/ ٣١٧ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) الحق الواضح المبين ٣/ ٢٣٢ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

*** (ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب وأنه مع ذلك علي أعلا وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته).**

الشرح: أي: ودخل في الإيمان بأسماء الله وصفاته الإيمان بأنه قريب مجيب... إلخ. وحيث إن مسألة علو الله على خلقه حصل فيها اختلاف كثير ومخاصمات بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ومن حذا حذوهم من الأشاعرة وغيرهم بيَّن المؤلف رحمه الله معتقد أهل السنة والجماعة فيها وقد ذكرنا طرفاً مما قاله الشيخ رحمه الله في علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ولكن هنا ذكر الشيخ أمراً آخر وهو أنه مع علوه سبحانه على عرشه فإنه قريب منهم ولا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الواسطية: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون».

وقال أيضاً: «وقد دخل في الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. وقوله ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه[1].

*** (ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها على وجه يليق بعظمة الباري ويعلم أنه كما أنه لا يمائله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته).**

الشرح: قوله رحمه الله: «ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتى يؤمن

---

(١) انظر: الواسطية لشيخ الإسلام.

بكل ما جاء به الكتاب والسنة...» إلخ يريد أن يبين ما يقتضيه الإيمان بالأسماء والصفات فإنه يجب الإيمان بجميع ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية لا نؤمن ببعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعلت بعض الطوائف الذين آمنوا ببعض الصفات وأولوا البعض الآخر وصرفوا النصوص عن ظاهرها أو آمنوا بالأسماء ثم عطلوا ما يقتضيه الاسم فقالوا: رحيم بلا رحمة أو عزيز بلا عزة وهكذا في جميع أسماء الله تعالى فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين ذلك أتم البيان وعلله بأنه «كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته» وذلك لأن القول في الذات كالقول في الصفات ولذلك قالوا: لو قال لك المعطل: أنا لا أثبت صفاته لأن إثباتها يقتضي التشبيه أو التمثيل فقل له إذاً: صف لي ذاته فلا بد أن يقول لك: لا أعلم كيفية ذاته فقل له: إذاً فكما أنك لا تعلم كيفية ذاته كذلك لا تعرف كيفية صفاته جَلَّ جَلَالُهُ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

*** (ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالاً مبيناً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ظن أن في بعض العقليات...» إلخ يريد أن يرد على الذين أولوا صفات الباري جَلَّ جَلَالُهُ فقالوا: بأنها لا تدل على إثبات تلك الصفة لله سبحانه وإنما تدل على معنى آخر فقالوا مثلاً في صفة اليد: إنه ليس له ثمَّ يد وإنما هي كناية عن القدرة وكذا في صفة الرضى فأولوها فقالوا: لا تثبت لله هذه الصفة وإنما المراد إرادة الإنعام وكذا في باقي الصفات أولوها على غير المراد وذلك باستخدام عقولهم القاصرة قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله وإلى العمل بالخبر، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله ورسوله، إلى بدعهم وضلالهم وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق.

وقال أيضاً ـ يعني ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود»[١].

*** (ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة لله» وذلك لأن الأدلة القرآنية دلت على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] قال أهل التفسير في معنى (ما): في الآية وجهان:

أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر فيكون معنى الآية: والله خلقكم وعملكم.

الثاني: أن تكون (ما) بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام[٢] وغيرها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره ولكنهم هم الفاعلون لها لم يجبرهم الله عليها مع أنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم، فهي فعلهم حقيقة وهم الموصوفون بها المثابون المعاقبون عليها وهي خلق الله حقيقة فإن الله خلقهم وخلق مشيئتهم وقدرتهم وجميع ما يقع بذلك فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة»[٣].

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/ ١٥، زاد المسير، لابن الجوزي ٧/ ٧٠.

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات، لابن سعدي ص٦٥ من مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

*** (وأن لهم أفعالاً وإرادة تقع بها أفعالهم وهي متعلق الأمر والنهي وأنه لا يتنافى الأمران إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال والصفات وإثبات قدرة العبد على أفعاله وأقواله).**

الشرح: كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقطع والذي قبله كله يرد على طائفتين ممن خالفوا أهل السنة وهم الجبرية الذين قالوا بأن العبد مجبور على فعله فالعباد عندهم ليسوا فاعلين حقيقة وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز أما الطائفة الثانية فهم القدرية مجوس هذه الأمة الذين قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد وإنما هم خالقوها استقلالاً دون مشيئة الله وتقديره لها فبيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد أهل السنة في ذلك. وخلاصة القول في مسألة خلق أفعال العباد: أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء ومضى فيهم قدره. فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]

*** (ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يتم توحيد العبد حتى يخلص العبد لله تعالى في إرادته وأقواله وأفعاله» هذا الكلام في بيان كيفية تحقيق التوحيد فذكر

---

(١) الواسطية ص١٧٥ شرح الفوزان.

الشيخ طرفاً من كيفية تحقيقه وقال أيضاً: «فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية الاعتقادية والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع التي تكدر التوحيد وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره»(١).

وقوله رَحِمَهُ الله في الشرك الأكبر: «وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى» هذا هو تعريف الشرك الأكبر فمتى صرف العبد نوعاً من أنواع العبادة كنذر وذبح ونحوها لغير الله فهو مشرك كافر لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨].

قال الشيخ رَحِمَهُ الله: «فالشرك الأكبر أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله أو يرجوه أو يخافه فهذا مخرج من الدين وصاحبه مخلد في النار»(٢).

*** (وكمال ذلك أن يدع الشرك الأصغر وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ الله: «وكمال ذلك» أي: وكمال التوحيد يكون بأن «يدع الشرك الأصغر» ثم عرفه بقوله: «وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر» ثم مثل له بقوله: «كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك» فحد الشرك الأصغر عند ابن سعدي رَحِمَهُ الله أنه كل وسيلة وذريعة يتطرق فيها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة(٣).

أما جمهور أهل العلم فيُعرِّفون الشرك الأصغر بأنه: «ما أتى في

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/ ١٢ مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي.
(٢) أهم المهمات ٣/ ٦٥.
(٣) القول السديد ص ٢٤.

النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر»[(١)].

وتعريف الجمهور هو ما أفتت به اللجنة الدائمة فقالت:

الشرك الأصغر هو: «كل ما نهى عنه الشرع بما هو ذريعة إلى الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً»[(٢)].

والفرق بين تعريف ابن سعدي وجمهور أهل العلم هو:

أن جمهور أهل العلم يشترطون كون الفعل جاءت به نصوص الشريعة بتسميته شركاً كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وغيرها من الأقوال أما ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ فيضيق هذا الأمر تضييقاً محكماً فيجعل الوسائل كلها سواء جاء تسميتها شركاً أو لم تجيء هي في حكم الشرك الأصغر وعلى ذلك فمثلاً قراءة القرآن عند صاحب القبر على قول الجمهور أنها بدعة لأنه لم يأت تسميتها شركاً أما عند ابن سعدي فيرى أنه من جملة الشرك الأصغر لأنها وسيلة لحصول الشرك الأكبر. ولعل تفسير ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ للشرك الأصغر هو الأضبط والأولى في ذلك والله أعلم.

*** (والناس في التوحيد على درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة الله والقيام بعبوديته فأكملهم في هذا الباب من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسُّنة وفهمها فهماً صحيحاً فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه وانجذاب جميع دواعي قلبه إلى الله تعالى متوجهاً إليه وحده لا شريك له).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس في التوحيد على درجات متفاوتة»، كما بين ذلك ربنا بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فأعظمهم وأكملهم آخرهم ذكراً وذلك لكمال علمه بخالقه جَلَّ وَعَلَا فسابق إلى فعل الخيرات مع ما هو فيه من كمال توحيد خالقه جَلَّ وَعَلَا ولا يتم ذلك إلا بالعلم به سبحانه والعلم بأسمائه

(١) المجموع الثمين ٢/٢٧، باب من تبرك بشجر أو حجر.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٥١٧.

وصفاته وأفعاله لذا قال رَحِمَهُ اللهُ: «فأكملهم في هذا الباب» أي: فأكملهم في باب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد «من عرف من تفاصيل أسماء الله وصفاته» أي عرف الاسم وما يقتضيه هذا الاسم وعلم الصفة وما تقتضيه هذه الصفة فمثلاً علم أن من أسمائه «السميع البصير» فيؤمن بتفاصيل هذين الاسمين فالسميع أي: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها: سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات، بل القريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء أما البصر فيؤمن بتفاصيل هذا الاسم أيضاً من أنه سبحانه أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الظاهرة والباطنة وهكذا في جميع أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأفعاله وآلائه ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة».

أما أفعال الله سبحانه فكلها متعلقة بصفاته الثلاث: القدرة الكاملة والمشيئة النافذة والحكمة الشاملة فلا تخرج أفعاله سبحانه عن ذلك.

أما أفعاله سبحانه الاختيارية فهي نوعان:

الأول: متعلقة بذاته المقدسة كالاستواء على العرش والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا والمجيء والإتيان ونحوها.

الثاني: تتعلق بالمخلوقات كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعطاء والمنع وأنواع التدابير الكونية والشرعية.

أما آلائه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهي نعمه الظاهرة والباطنة التي ينعم بها على عباده.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «وفهمها فهماً صحيحاً» أي: فهم أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلائه «فهماً صحيحاً» أي: بما فهمه سلف الأمة رضوان الله عليهم لا بفهم أهل البدع الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (فامتلأ قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله...» إلخ.

فهذا لا شك هو أعرف الناس بربه فمتى عرف العبد أسماء الله وصفاته وأفعاله وآلاءه الظاهرة والباطنة حق المعرفة فلا بد أن تدله إلى محبة الرب وتعظيمه وإجلاله.

فبقدر معرفة العبد بأسماء الله وصفاته بقدر ما يحصل له من خشية وإنابة وخوف منه سبحانه.

*** (ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة فاطمأن إلى الله معرفة وإنابة وفعلاً وتركاً وتكميلاً لنفسه وتكميلاً لغيره بالدعوة إلى هذا الأصل العظيم فنسأل الله من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان».

الضمير هنا يعود على أكمل الناس في درجات التوحيد فبعد أن بين الوسائل التي يكمل بها توحيد العبد وذلك بمعرفة الرب سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وآلائه وغيرها مع فهمها فهماً صحيحاً قرن ذلك كله بوقوعها على الوجه المرضي له سبحانه بأن تكون في كمال الإيمان والإخلاص التام فلا يكفي العلم فرب علم أعقبه ندم كثير فالعلم بالله والعلم بأحكامه الشرعية لا بد أن يكون على إخلاص لا يساويه شيء من الأغراض الفاسدة كالرياء والسمعة ومحبة الذكر وغيرها قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاطمأن إلى الله معرفة»؛ أي: معرفة بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته مع ما يقتضيه ذلك كله «وإنابة» الإنابة هي التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى.

«وفعلاً» أي: وفعلاً لأوامره ﷻ أمر بها «وتركاً» أي: تركاً لمنهياته التي نهى عنها «وتكميلاً لنفسه» وذلك بفعل نوافل الطاعات «وتكميلا لغيره» لأن هذا من الدين الذي بينه ﷺ «الدين النصحية»[١].

(١) رواه مسلم (٥٥).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنصحية لأئمة المسلمين وعامتهم: أن يحب لهم الخير ويكره لهم الشر ويسعى في ذلك بحسب مقدوره، فيعلِّم جاهلهم، ويرشد منحرفهم، ويذكِّر غافلهم، ويعظ معرضهم ومعارضيهم، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ويسلك كل طريق فيه صلاح لإخوانه المسلمين ويسعى في تأليف ذات بينهم، وفي إرشادهم على اختلاف طبقاتهم لمصالح دينهم ودنياهم كل أحد على حسب حاله»[(١)].

وقال أيضاً: «وأما واجب أهل العلم المتعلق بالخلق فإن مهمتهم أعظم المهمات وعليهم من القيام بالحقوق أضعاف ما على غيرهم، فإن الله أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فيعلمون الجاهل وينصحون ويذكرون ويعظون ويصدعون بأمر الله، ويظهرون دين الله، فكما أمر الله الجهال أن يتعلموا فقد أمر أهل العلم أن يعلموا الناس على اختلاف طبقاتهم، وأن يحنوا عليهم ويعلموهم مما علمهم الله»[(٢)].



---

(١) فتح الرحيم الملك العلام ص١٠٣.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة لابن سعدي ١/ ٤٣٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي.

الأصل الثاني
الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً
ونبوة محمد ﷺ خصوصاً

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ «الأصل الثاني»؛ أي: الأصل الثاني من أصول العقائد الدينية «الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً» لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[(١)].

فمن كفر بواحد من الأنبياء فهو كافر بهم جميعاً وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونبوة محمد ﷺ خصوصاً» لأنه خاتم النبيين ورسالته عامة لجميع الناس قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

*** (وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه).**

الشرح: ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما يتضمنه الإيمان بالرسل فقال: «وهذا الأصل مبناه على أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بوحيه وإرساله» هذا هو الأمر الأول ودليله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. فهذا دليل الاختصاص بالنبوة والرسالة ودليل الإحياء والإرسال قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه» هذا هو الأمر الثاني فيما يجب نحو الإيمان بأنبياء الله ورسله فإنهم واسطة بين الله وبين خلقه فلم يكن لهم من صفات الربوبية والألوهية شيء. قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فلا يجوز للعبد أن يتوجه بشيء من أنواع العبادات لغير الله.

*** (وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به» أي: ومما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله ﷻ أيدهم بالبراهين وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم فوجب أن جميع ما يخبر الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر

بشيء من ذلك جزم جزماً قاطعاً أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو بحجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

*** (وأن الله خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم بها أحد وأن الله برأهم من كل خلق رذيل).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن الله خصهم بخصائص وفضائل...» إلخ؛ أي: ومن جملة ما يجب الإيمان به نحو أنبياء الله ورسله أن الله خصهم بخصائص وفضائل ليست مما تكون لغيرهم يعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء كما ذكرنا سابقاً في ذكر بعض المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يلحقهم بها أحد» كمن يدعي النبوة أو السحرة والمشعوذون فإن لهم خوارق للعادة ولكن لا يمكن بأي حال أن تصل إلى خوارق الأنبياء، فإن خوارق السحرة والمشعوذين ومدعي النبوة مبناها على الفسق والكذب والظلم والشرك والكفر والفواحش ولذا كانت خوارقهم يمكن إبطالها ومعارضتها بخلاف ما اختص الله به الأنبياء فإن خوارقهم لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن إبطالها لا من جنسهم ولا من غير جنسهم فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً[٢].

*** (وأنهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى وأنه لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب).**

الشرح: اشتمل كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على أمرين يجب الإيمان بهما في حق أنبياء الله ورسله:

الأول: أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى وهذا بإجماع العلماء.

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فرسله صادقون فيما يقولون»

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٧٢.

(٢) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١.

فكل ما يخبرون به عن الله وعن غيره من مخلوقاته فهم صادقون فيه لا يكذبون أبداً. ولهذا أجمع العلماء على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الكذب(١)

الثاني: أن الرسل لا يستقر في خبرهم إلا الحق والصواب وذلك لأنه من وحي الله ﷻ لهم فمن طعن في خبرهم فقد طعن في الوحي قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقد ذكرنا طرفاً من كلام شيخ الإسلام عند كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وأن الله أيدهم بالبراهين..» إلخ فليراجع.

*** (وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل الوجوه).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم» هذا أيضاً أصل من أصول الإيمان بأنبياء الله ورسله فكما أنه يجب الإيمان بهم يجب الإيمان بما آتاهم الله وكذلك محبتهم وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده فأخرجوا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإخلاص.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ على أكمل وجه» أي: المحبة والتعظيم والتوقير والثناء وغيرها من الأمور الجميلة ثابتة في حق النبي ﷺ وذلك لأنه خاتم الأنبياء ورسول رب العالمين للناس كافة ولذا استحق أن يكون خليل الرحمٰن قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨، ٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآيات: «يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ أي: على الخلق ﴿وَمُبَشِّرًا﴾؛ أي:

(١) شرح الواسطية ١/١٣٦.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾؛ أي: للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد وتعظموه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام». انتهى المراد من تفسيره رحمه الله[1].

* **(وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه).**

قوله رحمه الله: «وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً والإيمان بذلك» أما الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فلا خلاف في وجوب الإيمان به أما معرفة جميع ما جاء به الرسول فهو يختلف باختلاف الأشخاص منهم من يكون في حقه واجب كالعلماء ومنهم من لا يكون في حقه واجب كمن دونهم ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً مجملاً ولا ريب أن معرفة ما جاء به من التفصيل فرض كفاية فإذا دخل في تبيلغ ما بعث الله به الرسول ودخل في تدبر القرآن وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم وأما ما وجب على أعيانهم فهو يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك»[2].

وقوله رحمه الله: «والتزام طاعته...» إلخ هذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله فلا تتم هذه الشهادة إلا بذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٤.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥١.

*** (ومن ذلك أنه خاتم النبيين قد نسخت شريعته جميع الشرائع وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ذلك أنه خاتم النبيين» كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله ﷺ: «... **وأنا خاتم النبيين**»[١]. وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد نسخت شريعته جميع الشرائع» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: «قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذي هو القرآن العظيم أفضل الكتب وأجلها ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إنزالاً بالحق ومشتملاً على الحق في أخباره ونواهيه وأوامره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنه شهد لها ووافقها وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها وأخبرت به فصار وجوده مصادقاً لخبرها ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلٰهية والأخلاق النفسية»[٢].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن نبوته وشريعته باقية إلى قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته في أصول الدين وفروعه».

هذا حق لا شك فيه فإن مقتضى كونه خاتم النبيين يستلزم أنه لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن محمداً ﷺ عام الرسالة إلى كل مكلف فرسالته عامة في كل شيء من الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله فكما لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه لها»[٣].

---

(١) مختصر صحيح البخاري للزبيدي (١٤٠٩).
(٢) تفسير الكريم المنان لابن سعدي.
(٣) نقلاً من شرح الشيخ عبد العزيز السلمان للواسطية.

* **(ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب، والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها فلا يتم الإيمان به إلا بذلك).**

الشرح: ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أصل من أصول الإيمان الستة وهو الإيمان بالكتب فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب» ووجه دخول الإيمان بالكتب في الإيمان بالرسل أنه متى آمن العبد بالرسل فإن الإيمان بهم يقتضي الإيمان بما جاءوا به من الكتب التي أنزلها الله عليهم ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأنها كلها من عند الله ﷻ أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين وأنها كلام الله ﷻ لا كلام غيره وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذي أراد ومن الإيمان بها أيضاً الإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به...» إلخ أما الإيمان بالكتاب فلم يختلف فيه أحد أما السنة فقد خالف في الإيمان بها من انحرف عن الطريق المستقيم طريق الذين أنعم الله عليهم فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان أمر وجوب الإيمان بها ولذا قال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل بالقرآن والسنة على النبي ﷺ ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

* **(وكل من كان أعظم علماً بذلك وتصديقاً واعترافاً وعملاً كان أكمل إيماناً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل من كان أعظم علماً بذلك»؛ أي: بالكتاب والسنة «وتصديقاً»؛ أي: التصديق المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن «واعترافاً»؛ أي: الاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به

«وعملاً»؛ أي: عمل القلب واللسان والجوارح «كان أكمل إيماناً» وذلك لأنه استكمل كل شيء فلم يبق إلا وصفه بذلك؛ أي: أكمل الناس إيماناً.

*** (والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم» أي: ويدخل في الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم الإيمان بالملائكة لأنهم أخبروا بوجودهم ودعوا الناس للإيمان بهم فهم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام والإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة فمن كفر بهم أو كفر بواحد منهم فقد كفر بالله ورسله قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ويدخل أيضاً في أصل الإيمان بالرسل الإيمان بالقدر قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ وقال ﷺ في بيان أركان الإيمان: «... **وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»(١) والقدر هو تقدير الله ﷻ للأشياء فقد كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٢).

*** (ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسُّنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينبغي وجودها وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذم الأمور الضارة منها».**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق...» إلخ. هذا أيضاً من مقتضيات الإيمان بنبوة محمد ﷺ فلا تتم شهادة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

العبد للنبي ﷺ بالنبوة ولا الرسالة إلا بما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وهي:

١ ـ «أن يعلم أن ما جاء به حق» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ ـ أنه «لا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي على خلافه كما لا يقوم دليل نقلي على خلافه»؛ أي: أنه لا تعارض ولله الحمد بين نصوص الكتاب ونصوص السُّنة فالعقل السليم والحس السليم لا يخالفان نصوص الكتاب والسُّنة ولذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عُلِم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط»[1].

٣ ـ «أن الأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حاثة على تعلمها وعملها..» إلخ. وهذا صحيح فكل ما فيه نفع للأفراد والمجتمعات قد قررته الشريعة وحثت عليه فقد أمر الله بالعدل مع كل أحد وبالإحسان والرحمة لكل أحد ونهى عن الفحشاء والبغي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأمر بالوفاء بالعهود والمحافظة عليها وحذر من نقضها بهذه الأمور المذكورة وغيرها والعقل والحس جاءا بذلك والناس يثنون على من قام بها فقد كانت هذه الأمور وغيرها قبل الإسلام يعظمها أهل الجاهلية ويثنون على من قام بها وكذلك الأمور المنهي عنها من قبل العقل والحس تجدهم يذمون من قام بها أو ارتكبها فجاءت الشريعة تبين ذلك بالدليل الشرعي فاتفقا جميعاً.

ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل.



(١) درء تعارض العقل والنقل، مجموع مؤلفات ابن سعدي ٢/ ٤٧.

الأصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

*** (فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر كأحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين أو الشمال والصراط وأحوال الجنة والنار وأحوال أهلها وأنواع ما أعد الله فيها لأهلها إجمالاً وتفصيلاً فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدخل في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ بل وسائر الرسل الأصل الثالث.. الإيمان باليوم الآخر».

وجه دخول الإيمان باليوم الآخر في الإيمان بالرسل لأن الرسل أخبروا به ودعوا الناس للإيمان به وبأنهم مجزيون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذلك بين الرب سبحانه أن الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان فمن كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله سبحانه قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبأ: ٣].

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان صفة الإيمان بهذا الأصل العظيم.

فقال: «فكل ما جاء به من الكتاب والسُّنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر».

وذلك لأنه بانقطاع العبد من الدنيا ورحيله إلى دار الآخرة يكون قد

دخل في المرحلة الأولى من مراحل العرض على الله تعالى فمن مات فقد قامت قيامته وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه**»[١].

وقوله رحمه الله: «كأحوال البرزخ» البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

أي: حاجزاً وفي الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قال مجاهد رحمه الله: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان قال: ليس هو في دار الدنيا ولا في الآخرة[٢].

وقوله رحمه الله: «وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة» أما الحساب والثواب والعقاب فهذا أصل اشتركت فيه الأنبياء جميعاً وأتباعهم الصادقون فما من نبي إلا بشر أمته بالجنة أو بالنار وأن هناك حساباً وعقاباً وثواباً كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨، ٩].

أما الشفاعة فقد اختلف فيها الناس وانقسموا إلى ثلاث طوائف فمنهم من أنكرها كالخوارج والمعتزلة فنفوا شفاعة النبي ﷺ وقسم أثبتوها حتى للأصنام وهم المشركون كما ذكر ذلك عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقسم توسطوا وهم أهل السنة والجماعة فأثبتوها بشرطيها وهما:

١ ـ إذن الرب للشافع أن يشفع.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨١) وقال: حديث غريب، مشكاة المصابيح ١/٤٨، وجامع الأصول ١١/١٦٤ وحسن إسناده الألباني في المشكاة وصحيح الجامع الصغير ٢/٨٥.

(٢) التذكرة للقرطبي ص١٠٠.

٢ ـ رضاه عن المشفوع له.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والميزان والصحف المأخوذة باليمين..» إلخ هذا أيضاً داخل في الإيمان باليوم الآخر. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حينما سُئل عن حد الإيمان باليوم الآخر:

كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والصحف والميزان والشفاعة[1] وأحوال الجنة والنار وصفاتها وصفات أهلها وما أعده الله فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً كل ذلك من الإيمان باليوم الآخر.



(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي ٣/٦٨.

الأصل الرابع
مسألة الإيمان

*** (فأهل السُّنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان).**

الشرح: شرع المؤلف رحمه الله في بيان الأصل الرابع من أصول الاعتقاد وهو «مسألة الإيمان» وخصها رحمه الله بالذكر وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد لأن هناك فِرقاً قد ضلت في هذا الأصل العظيم وخالفت الطريق المستقيم ولذا نجد علماء الأمة يخصون هذه المسألة بالذكر في كتبهم فهذا شيخ الإسلام رحمه الله نجده كثيراً ما يتكلم عن هذه المسألة فانظر إلى المجلد السابع من مجموع الفتاوى له تجده خُصِّص لهذه المسألة فقط.

وقول المؤلف رحمه الله: «فأهل السُّنة يعتقدون بما جاء به الكتاب والسُّنة من أن الإيمان هو تصديق القلب...» إلخ هنا بين رحمه الله اعتقاد أهل السُّنة في الإيمان.

فقوله: «الإيمان هو تصديق القلب»؛ أي: اعترافه وقوله كما قال شيخ الإسلام في الواسطية: «الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح».

وقوله: «المتضمن لأعمال الجوارح» لأن الجوارح شاهدة على ما في القلب من إيمان فمتى امتلأ القلب بالإيمان خضعت الجوارح وسكنت لخالقها فركعت وسجدت وقامت وقعدت فيكون عملها إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذه الأعمال هو الإيمان.

وقوله: «فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها» عمل القلوب تحركها وإرادتها مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل القلب وكذا التوكل والرجاء والخوف والصبر والخشية والإنابة وغيرها من أعمال القلوب.

وقوله: «وأعمال الجوارح وأقوال اللسان أنها كلها من الإيمان» هنا يريد أن يرد على الذين قالوا: بأن الإيمان قول فقط ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان كالمرجئة وغيرهم.

*** (وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان». مراده رَحِمَهُ اللهُ أن من قام بما أمر الشارع به فجاء بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة من الأعمال الظاهرة وكذلك جاء بالأعمال الباطنة كالإخلاص والخشية والإنابة والتوكل والصبر وغير ذلك من الأعمال الباطنة فإنه قد كمل إيمانه بذلك فالأعمال الظاهرة والباطنة تصدق الإيمان.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه».

وذلك لأن الإيمان كما هو عند أهل السنة يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما كان العبد لأوامر الله أتقى كان الإيمان في قلبه أقوى ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عند تعليقه على حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[(١)].

قال رَحِمَهُ اللهُ: فبيَّن ﷺ بهذه الوصية الجامعة أن العبد إذا اعترف بالإيمان ظاهراً وباطناً ثم استقام عليه قولاً وعملاً فعلاً وتركاً فقد كمل أمره واستقام على الصراط المستقيم ورجى أن يدخل مع من قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠].

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ٩٩ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلٰه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة. . .» إلخ.

مراده بالأمور هنا أمور الإيمان الظاهرة والباطنة التي قد بيناها سابقاً ودليله رَحِمَهُ اللَّهُ قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

فهذا الحديث شامل لأعمال القلب واللسان والجوارح التي هي من الإيمان فقول اللسان ظاهر في قول لا إلٰه إلا الله وعمل الجوارح في إماطة الأذى عن الطريق وعمل القلب هو الحياء الذي هو انكسار قلبي يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات مقربون وأصحاب يمين وظالمون لأنفسهم بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات. . .» إلخ دليله رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهذه الآية بينت مراتب الناس في الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان المؤمنون ثلاث مراتب: مرتبة السابقين، ومرتبة المقتصدين، ومرتبة الظالمين، وكل واحدة من هذه المراتب أيضاً أهلها متفاوتون تفاوتاً كثيراً، والعبد المؤمن ـ في نفسه ـ له أحوال وأوقات تكون أعماله كثيرة قوية وأحياناً بالعكس. وكل هذا من زيادة الإيمان ونقصه وقوته وضعفه»[2].

---

(١) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، ورواه البخاري (٩) بلفظ الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/١٠٥.

وقال أيضاً: «ولهذا كانوا ثلاث درجات: سابقون مقربون وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات»[١]

وفضول المباحات، ومقتصدون وهم الذين قاموا بالواجبات وتركوا المحرمات وظالمون لأنفسهم وهم الذين تركوا بعض الواجبات.

*** (وأنه يزيد وينقص فمن فعل محرماً أو ترك واجباً نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلى الله).**

قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وأنه يزيد وينقص...» إلخ هذا مجمل اعتقاد أهل السنة في زيادة ونقصان الإيمان وقد خالفهم في هذا طائفتان:

الأولى: المرجئة الذين يقولون أن الإيمان هو الإقرار بالقلب وما عدا ذلك فليس من الإيمان ولهذا كله الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص فإيمان العاصي كإيمان جبريل ولذا يقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة» فالزاني والسارق وشارب الخمر والعصاة عموماً عندهم كاملوا الإيمان.

الثانية: الخوارج والمعتزلة: قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان بل هي شرط في بقائه فمن فعل معصية من كبائر الذنوب فقد خرج من الإيمان غير أن الخوارج تقول عنه كافر والمعتزلة يقولون: فاسق وكلاهما يقولون بأنه مخلد في النار. وسيذكر المؤلف مزيداً من التفصيل في هذه المسألة.

*** (ويرتبون على هذا الأصل أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً ومنهم من تركها كلها فهذا كافر بالله تعالى ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق أو خير وشر ففيه من ولاية الله واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله بحسب ما ضيعه من الإيمان).**

قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم»؛ أي: الأصل الرابع والمراد به مسألة الإيمان «أن الناس ثلاثة أقسام منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقاً».

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٣ مجموع مؤلفات ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

والمراد بحقوق الإيمان هنا أصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

قال: فوصف الله المؤمنين بهذه الصفات المتضمنة للقيام بأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه فإنهم وصفهم بالإيمان به إيماناً ظهرت آثاره في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة مع ثبوت الإيمان في قلوبهم يزداد إيمانهم كلما تليت عليهم آيات الله ويزداد خوفهم ووجلهم كلما ذكر الله وهم في قلوبهم وسرهم متوكلون على الله ومعتمدون في أمورهم كلها عليه ومفوضون أمورهم إليه وهم مع ذلك يقيمون الصلاة فرضها ونفلها يقيمونها ظاهراً وباطناً ويؤتون الزكاة وينفقون النفقات الواجبة والمستحبة ومن كان على هذا فلم يبقِ من الخير مطلباً ولا من الشر مهرباً ولهذا قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الذين يستحقون هذا الوصف على الحقيقة ويحققون القيام به ظاهراً وباطناً[1]. انتهى.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنهم من تركها كلها فهو كافر بالله تعالى» أي: ومن أقسام الناس هذا القسم الثاني الذي ترك الإيمان جملة وتفصيلاً فلم يؤمن بأصول الدين كالإيمان بالله وملائكته المرسلة واليوم الآخر وغيرها وكذا فروعه كالصلاة والزكاة والحج والصوم وغير ذلك من أمور الإيمان الظاهرة والباطنة.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنهم من فيه إيمان وكفر وإيمان ونفاق وخير وشر...» إلخ هذا هو القسم الثالث من أقسام الناس وهو الذي جمع بين خصال الإيمان وخصال الكفر أو خصال الإيمان وخصال النفاق والمراد بالكفر والنفاق هنا الكفر العملي والنفاق العملي إذ لو جمع في قلبه الكفر الاعتقادي والنفاق الاعتقادي لم يكن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/ ٩٢ من مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل: وها هنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع فالخوارج والمعتزلة والقدرية ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة(١).

*** (ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر...» إلخ.

هذا فيه الرد على الخوارج الذين يكفِّرون أهل القبلة من أصحاب الكبائر التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر فالمسلم عند أهل السنة والجماعة لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في وصفه لأهل السنة: «وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي» كما قال ﷻ في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. ولا يسلبون الفاسق أعلى اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم(٢).

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص٦٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ١٥١ ـ ١٥٢.

*** (ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة، بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج» كما ذكرناه سابقاً «أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة» فإن المعتزلة يقولون هو فاسق وليس بكافر مع موافقتهم الخوارج في تخليده في النار فوافقوا أهل السنة مقالاً وخالفوهم مآلاً ولذا قال: «بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته» هذا هو قول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة فهم وسط بين الجهمية والمرجئة وبين المعتزلة والخوارج فأهل السُّنة يقولون: إن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان ولذا يسمى عند أهل السنة مؤمناً ناقص الإيمان وبعبارة أخرى يسمى مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته أو يقال: مؤمن عاص آثم وهو معرض نفسه للعقوبة وهو تحت مشيئة الله إذا مات من غير توبة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ولكنه لا يخلد في النار «كما تقول المعتزلة والخوارج» بل يخرج منها بعد تطهيره من الذنوب والمعاصي إما بشفاعة أو بفضل الله ورحمته.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه» الفرق بين المعنيين أن مطلق الإيمان المراد به أن معه أصل الإيمان لكن كماله مفقود ففاعل الكبيرة مثلاً يقال: معه مطلق الإيمان؛ أي: الإيمان موجود معه ولكنه ناقص أما «الإيمان المطلق» فهو الإيمان الكامل.

وقد مر بنا قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

*** (وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة).**

قوله رَحِمَهُ اللهُ: «وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنة».

المراد بالأصول هنا ذكرها في الأصل الرابع في مسألة الإيمان فمن قام بها على الوجه الأكمل فقد حصل عنده الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُّنَّة بخلاف من ضل كالجهمية والمرجئة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ممن ضل في مسألة الإيمان.

*** (ويترتب على هذا الأصل أن الإسلام يجبُّ ما قبله وأن التوبة تجبُّ ما قبلها وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله، ومن تاب تاب الله عليه).**

الشرح: قوله رحمه الله: «ويترتب على هذا الأصل العظيم أن الإسلام يجب ما قبله».

لقوله ﷺ في حديث عمرو بن العاص قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله**»(١).

وقوله رحمه الله: «وأن التوبة تجب ما قبلها» لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله رحمه الله: «وأن من ارتد ومات على ذلك حبط عمله» لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۝٣٤﴾ [محمد: ٣٤].

وقوله رحمه الله: «ومن تاب تاب الله عليه» لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٨٩﴾ [آل عمران: ٨٩].

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان فيصح أن يقول أنا مؤمنٌ إن شاء الله لأنه يرجو من الله تعالى تكميل إيمانه فيستثني لذلك ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني من غير شك منه بحصول أصل الإيمان).**

الشرح: قوله رحمه الله: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل العظيم الاستثناء في الإيمان..» إلخ.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٧٨).

هذه المسألة العظيمة ساقها المؤلف لبيان قول أهل السنة في مسألة الاستثناء في الإيمان أي قول: «أنا مؤمن إن شاء الله».

وهذه المسألة الناس فيها على ثلاثة أقوال:

منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا هو أصح الأقوال في هذه المسألة.

فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه. فمتى استثنى الإنسان عندهم في إيمانه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، فهو شاك فيه.

أما الذين يوجبونه فهم الكلابية أصحاب ابن كلاب ووافقهم عليه كثير من أتباع الأئمة لكن هذا ليس قول أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم.

أما الذين يجيزون ذلك فهم أسعد الناس وذلك لموافقة قولهم نصوص الكتاب والسنة فخير الأمور أوسطها فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه.

وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]. وغيرها من الآيات فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله لا شكاً في إيمانه وهذا القول هو أقوى الأقوال(١).

*** (ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان وجوداً وعدماً وتكميلاً ونقصاً ثم يتبع ذلك الولاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في الله والبغض لله والولاية لله والعداوة لله).**

الشرح: قوله ﷺ: «ويرتبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض. .» إلخ.

---

(١) انظر الكلام في هذه المسألة في كتاب: الإيمان لشيخ الإسلام ٤/٤٢٩، مجموع الفتاوى شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٩٤.

هذه مسألة عظيمة جداً فهي أساس من أسس هذه العقيدة غفل عنها الكثير من الناس حتى أصبح عندهم اليهود والنصارى والسيخ وعُباد البقر والبوذيين وغيرهم من الوثنيين أفضل من المسلمين بل كم نسمع عن فلان وفلان من الناس يتحبب إلى فلان الكافر ويتودد إليه ويدنيه منه محبة لما عليه من الكفر بل إذا قام هذا الكافر وأعلن إسلامه ترى هذا الشخص يهينه ويبخسه حقه وغير ذلك من المعاملة السيئة ونسي هذا أن الرضى بالكفر كفر نعوذ بالله من الذل والخذلان.

وما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هو بيان لملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

فأوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله والناس في هذه المسألة على ثلاث درجات:

الأولى: ما يحب من كل جانب وهم المؤمنون الموجودون القائمون لله بحقه المجتنبون ما حرم الله.

الثانية: من يحب من جانب ويكره ويبغض من جانب وهم العصاة من المؤمنين.

الثالثة: من يكره ويعادي من كل جانب وهم الكفار جميعهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان. ثم ذكر جملة من الآيات التي تدل على قوله ثم قال: ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض

بحسب فجوره[١]. انتهى بتصرف.

*** (ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويترتب على ذلك أيضاً محبة اجتماع المؤمنين ويحث على التآلف والتحابب وعدم التقاطع).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويترتب على الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه..» إلخ.

هذا أيضاً داخل في الإيمان فلا يتم إيمان العبد إلا بما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال أيضاً حينما سُئل عن حقوق المسلمين عليك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجواب «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالواجب أن تتخذهم إخواناً تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتسعى بحسب مقدورك في مصالحهم وإصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم واجتماعهم على الحق، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وتقوم بحق من له حق خاص كالوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والمعلمين»[٢].

وقال أيضاً: وفي الصحيحين أيضاً عن أنس مرفوعاً: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٣].

قال: وذلك يقتضي أن تقوم بحقوق إخوانك المسلمين الخاصة والعامة فإنه من الإيمان ومن لم يقم بذلك ويحب لهم ما يحب لنفسه فإنه لم يؤمن الإيمان الواجب بل نقص إيمانه بقدر ما نقص من الحقوق الواجبة عليه[٤].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/٢٢٧ ـ ٢٢٩.
(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٦٩ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) البخاري (١٣)، ومسلم (٥٦).
(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ٣/٩٧ من مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** (ويبرأ أهل السُّنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض ويرون أن هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا تصل إلى كفر أو بدعة موجبة للتفرق).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض...» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

هذه مسألة عظيمة بل هي كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من أهم قواعد الإيمان إذ بفهمها والعمل بمضمونها تحفظ بيضة هذا الدين وكيان الأمة وما حدث للأمة من ضعف ووهن إلا بتفريطهم في فهم هذه القاعدة.

ولو نظرنا للقرآن والسُّنة لوجدنا فيها الكثير مما يدعو إلى عدم الفرقة ويدعو إلى التآلف.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»(١).

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه للطحاوية عند قول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

قال: فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره.

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٢/٤، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي ٢٤١/٢ وهو حديث حسن.

والظالم الذي يعتدي على غيره وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضاً.

ثم ذكر كلاماً في مسائل الاختلاف والافتراق خلاصته:

أن الاختلاف والافتراق في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

أولاً: اختلاف التنوع وهو على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم.

ومثله اختلاف الأنواع كما في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومحل سجود السهو ونحو ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر لكنَّ العبارتين مختلفتان كما يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصوغ الأدلة والتعبير عن المسميات ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها ونحو ذلك.

وهذا النوع من الاختلاف: الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار قطع قوم وترك آخرون، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

ثانياً: اختلاف التضاد:

«وهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور

الذين يقولون: إن المصيب واحد والخطب في هذا أشد لأن القولين يتنافيان. لكن تجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما فيروا الحق مع الباطل حتى يبقى مبطلاً في البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل وهذا النوع ما حمد فيه إحدى الطائفتين وذمت الأخرى»[(١)].

* **(ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم وعملهم على الفضل والسوابق والمناقب وما فضلوا فيه سائر الأمة).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم..» إلخ.

ساق المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام لبيان ما يعتقده أهل السُّنة والجماعة في أصحاب النبي ﷺ وكأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يرد على الروافض والخوارج، فالروافض يقولون بتكفير أصحاب النبي ﷺ وأنهم ارتدوا بعد موت النبي ﷺ حتى أبو بكر وعمر لم يسلما من تكفيرهم قبحهم الله ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ونفراً قليلاً ممن قالوا إنهم من أولياء آل البيت حتى إن غلاتهم كفروا علي بن أبي طالب وذلك لأن علياً أقر الظلم والباطل حينما بايع أبا بكر وعمر وكان الواجب عليه إنكار بيعتهما.

أما الخوارج: فهم عكس الروافض فقد كفَّروا علياً ومعاوية بن أبي سفيان وكل من لم يكن على طريقتهم واستحلوا دماءهم.

أما أهل السُّنة والجماعة فهم وسط بين الطائفتين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أصول أهل السُّنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن**

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/ ٧٧٥ ـ ٧٨٦.

أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١]. ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٢]. وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٣]. بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربع مائة.. إلى آخر ما قاله رحمه الله[٤].

* **(ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم وأنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم من كل شر).**

الشرح: قوله رحمه الله: «ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم..» إلخ أي: من الدين محبة الصحابة ونشر فضائلهم لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ ومحبة رسول الله من محبة الله أما نشر فضائلهم فتتمثل في كونهم من أصدق الناس وأنصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأدباً بل هذه الصفات وغيرها من الصفات الحميدة لا توجد عند غيرهم.

قال الشيخ رحمه الله في سؤال وجواب في أهم المهمات حينما سُئل عن الواجب نحو الصحابة فقال:

من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته محبة أصحابه بحسب مراتبهم في الفضل والسبق والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم وتمسك عما شجر بينهم، وتعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم عن كل شر وأنهم جميعاً عدول مرضيون[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤١).
(٢) البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).
(٣) رواه مسلم (٢٤٩٦)، أبو داود (٤٦٥٣)، الترمذي (٣٨٥٩).
(٤) انظر: العقيدة الواسطية وشرحها للشيخ ابن عثيمين ٢/٢٤٧ ـ ٢٧٣.
(٥) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/٧٠، مجموع مؤلفات ابن سعدي رحمه الله.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة..» إلخ أي: أن أهل السُّنة والجماعة طريقتهم الإمساك عما شجر بين الصحابة لما في ذلك من توليد العداوة والبغضاء والحقد على أحد الطرفين وذلك من أعظم الذنوب والواجب حب الجميع والترضي عنهم والترحم عليهم والاعتراف بفضائلهم.

*** (ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين).**

الشرح: وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام...» إلخ.

قال في سؤال وجواب في أهم المهمات:

نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامة إلا بطاعة في المعروف في غير معصية، والجهاد ماض مع البر والفاجر، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر[1].

*** (ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله تعالى).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تتم إمامته إلا بطاعة بغير معصية الله..» إلخ هذا مما جاءت به نصوص الكتاب والسُّنة فأهل السنة والجماعة يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة وإن كان فاسقاً بشرط أن لا يخرجه فسقه إلى الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان فهذا لا طاعة له، بل يجب على الأمة إزالته عن تولي أمر المسلمين، ودليل أهل السنة على وجوب طاعة الإمام كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[2].

والإمامة هنا ليست قاصرة على الملوك والرؤساء بل هي شاملة قادتهم

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات ٣/ ٧٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

في تنظيم شؤون الدنيا وفي إقامة معالم الدين ونشره بين الناس فيدخل في ذلك الإمام الأعظم والقضاة والأمراء وجميع من لهم ولاية عامة أو خاصة.

*** (ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد وإلا باللسان وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..» إلخ ذلك لأن الله وصف هذه الأمة بذلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يتم»؛ أي: لا يكمل إيمان العبد إلا بذلك.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «باليد وإلا باللسان وإلا بالقلب» هذه مراتب تغيير المنكر الثلاثة دليلها قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «على حسب مراتبه الشرعية»؛ أي: التي ذكرناها آنفاً وهي مرتبة التغيير باليد ومرتبة التغيير باللسان ومرتبة التغيير بالقلب.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطرقه المرعية» أي: الطرق التي رعاها الشارع ووضعت كضوابط للأمر والنهي فمن هذه الضوابط:

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بما يأمر به.

٢ ـ أن يكون قادراً على ذلك فإن علم يقيناً أنه قد يلحقه أذى في ماله أو نفسه أو أهله فلا يجب عليه لأن جميع الواجبات مشروطة بالقدرة والاستطاعة.

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢).

٣ ـ أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت وبهذا يكون إنكار المنكر أربع درجات.

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده فهذا مشروع بل هو واجب شرعاً.

الثانية: أن يقل المنكر وإن لم يزل من جملته فهذا أيضاً واجب شرعاً.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله من منكر فهذا محل نظر واجتهاد.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه فهذا محرّم.

*** (وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية على الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين ومن تمام هذا الأصل).**

الشرح: قوله ﷺ: «وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية..» إلخ أي: التي ذكرها المؤلف والتي لم يذكرها وجعلها أهل العلم أصولاً شرعية وقوله: «على الوجه الشرعي» أي: الذي جاءت به نصوص الكتاب والسُّنة وإجماع المسلمين وغيره «من تمام الإيمان» أي: لا يتم إيمان العبد إلا بالقيام بكل الأصول الشرعية.

فمن قام بهذه الأصول الشرعية الصحيحة المحكمة فهو المؤمن حقاً فإن فاقد الإيمان بها لا خير فيه لأنه إذا عدم الإيمان فإما أن يكون الإنسان أحواله كلها شر وضرر على نفسه أو على مجتمعه الذي يعيش فيه أو يكون الإنسان فيه بعض الخير الذي قد انغمر بالشر وغلب شره خيره. قال الشيخ ﷺ: «والمصالح إذا انغمرت واضمحلت في المفاسد صارت شراً لأن الخير الذي معه يقابله شر نظيره فيتساقطان ويبقى الشر الذي لا مقابل له من الخير يعمل به»[1].



(١) توضيح شجرة الإيمان ٣/ ١٣٩.

الأصل الخامس
طريقهم في العلم والعمل

*** (وذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولاً وفروعاً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل».

بعد أن انتهى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان طريقة أهل السنة والجماعة العقدية والعملية بدأ في بيان طريقتهم في العلم والعمل فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلزمون أن لا طريق إلى الله» أي: لا طريق موصل إلى الله تعالى «وإلى كرامته» أي: ما يكرم به الرب العبد من كرامات حسية أو معنوية فالحسية ما يجريها الله تعالى على يديه كما جرى للأولياء من هذه الأمة والتكريم المعنوي هو ما يحصل لنفس الإنسان من الراحة والأنس بالله ومحبته ومحبة ما شرعه لعباده فهذا أعظم كرامة يكرم بها الله العبد بل وأعظم من ذلك تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة العلمية والعملية القولية والفعلية والمالية ولا يتم ذلك إلا بأمرين ذكرهما المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «إلا بالعلم النافع والعمل الصالح» أما العلم النافع فقد وضحه المؤلف بقوله: «هو ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ» إلى قوله: فهذا طريقهم في العلم.

«أما العمل الصالح» فقد بينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأسسها» فالعمل الصالح؛ أي: المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة فإذا خلا

هذا العمل من الصلاح خربت عقائد البشر وبخراب العقائد تخرب الدنيا ولذا قيده رَحِمَهُ اللَّهُ بـ «الصالح» أما الأعمال الفاسدة فهي في الحقيقة خراب للأفراد والمجتمعات وما أكثرها في هذا الزمان فما أكثر الذين يدعون إلى التحلل الديني والعقدي والأخلاقي ويظنون بذلك أنهم يحسنون صنعاً قال تعالى في وصفهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

وقوله: «مجتهدون في معرفة معانيها»؛ أي: معرفة معاني الكتاب والسنة وما تدل عليه هذه المعاني «والتفقه فيها» لأنها أصل من أصول التشريع الذي يستمد منه الفقه في الدين.

*** (ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام» أي: أهل السنة مسلكهم في الأدلة شامل لجميع الدلالات فإن كانت دلالة الكتاب والسنة على جميع المعنى فهي دلالة مطابقة وإن كانت على بعضه فدلالة تضمن وإن كانت على توابع الحكم من شروط وتتمات فدلالة التزام.

فخرجنا من قوله رَحِمَهُ اللَّهُ هذا شموله العمل بالسنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم الله» أي: أن أهل السنة يبذلون ما في وسعهم وما أعطاهم الله تعالى من علم وإدراك وقوة سواء بالنظر إلى أقوال أهل العلم أو بالذهاب إليهم وسؤالهم عما أشكل عليهم في الكتاب والسنة.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان دلالة التضمن والالتزام والمطابقة:

والدلالة من الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

دلالة مطابقة إذا طبقنا اللفظ على جميع المعنى.

ودلالة تضمن إذا استدللنا باللفظ على بعض معناه.

ودلالة التزام إذا استدللنا بلفظ الكتاب والسنة ومعناهما على توابع ذلك ومتمماته وشروطه وما لا يتم ذلك المحكوم فيه أو المخبر عنه إلا به[(١)].

*** (ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة ومناسبات حكيمة وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل فهذا طريقهم في العلم).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة»؛ أي: المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ «هي وما تفرع عليها من أقيسة صحيحة» ذلك لأن القياس أحد الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية «ومناسبات حكيمة» أي: ما تناسب مع هذه العلوم النافعة من أحكام «وكل علم أعان على ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي».

حد العلم ما قامت عليه الأدلة والبراهين والنافع من هذا العلم ما تعلق بالدين وكان من العلوم المعينة عليه فهذه الاختراعات الحادثة التي استخدمها الداعون إلى الله تعالى هي من العلوم النافعة بل هي من العلوم الشرعية فهي معينة على الدين وقوة المسلمين.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والعلم النافع هي العلوم الشرعية وما أعان عليها من العلوم العربية بأنواعها، ومن العلوم الشرعية تعلم الفنون المعينة على الدين وعلى قوة المسلمين وعلى الاستعداد للأعداء للمقاومة والمدافعة فإنها داخلة في الجهاد في سبيل الله»[(٢)].

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «كما أن ما ضاده وناقضه هو علم باطل» الضمير في ضاده يعود على العلم الشرعي فكل علم ناقض العلوم الشرعية وضادها كعلم الكلام والفلسفة والعلوم المخالفة للدين التي سماها أهلها رقياً وتقدماً وغيرها من العلوم التي تضر بالأفراد والمجتمعات كلها علوم باطلة وإن زخرفها أهلها

(١) مجموع مؤلفات ابن سعدي، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه ٤/ ١٠.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ابن سعدي ص١٠).

بالمسميات وروجوا لها بأنها من الثقافة العصرية ونحو ذلك كل هذه العلوم باطلة مضادة للعلوم الشرعية النافعة.

*** (وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلى الله تعالى بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما طريقهم في العمل فإنهم...» إلخ.

بعد أن ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ طريقة أهل السنة في العلم بدأ في بيان طريقتهم في العمل فإن منهجهم فيه هو التقرب إلى الله تعالى مع الإذعان والتصديق والاعتراف «بعقائد الإيمان» التي بينها رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة فإن هذه العقائد هي أصل العبادات وأساسها وما عداها فرع على هذه الأصول.

*** (ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه وحقوق عباده مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات تعبداً لله تعالى).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم يتقربون إلى الله بأداء فرائض الله المتعلقة بحقه» فالصلاة والزكاة والحج والصوم والجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الفرائض التي هي حق خالص لله تعالى أما الفرائض المتعلقة بحقوق عباده فهي كحقوق الوالدين وكذا صلة الأرحام وحقوق الجار وزيارة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنائز وغيرها مما هو حق محض للعباد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات» كنافلة الصلاة والصوم والحج والعمرة والصدقة وغيرها من النوافل المشروعة بل من صفتهم أيضاً أنهم يتركون المحرمات التي أفاضت بها نصوص الكتاب والسنة وكذلك المنهيات.

وقوله: «تعبداً لله تعالى» أي: ليس عبادة بدون قصد ونية بل عبادة لله تعالى فالعبد إذا فعل المأمور وترك المحظور تعبداً لله أجر عليه فكأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يحثنا على أن تكون أعمالنا كلها بنية لكي نؤجر على ذلك.

*** (ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم مسلوكاً فيه طريق النبي الكريم ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح الموصل إلى كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً).**

الشرح: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم».

بعد أن بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصول الجامعة لمنهج أهل السنة والجماعة وبين سلوكهم في العلم والعمل بين أن هذا لا يقبل إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

الثاني: اتباع النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هاتان القاعدتان: وهي الإخلاص والمتابعة شرط لكل عبادة ظاهرة وباطنة فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سُنة رسول الله فهو مردود فإذا اجتمع للعمل الإخلاص للمعبود وهو أن يراد بالعمل وجه الله وحده، والمتابعة للرسول وهو: أن يكون العمل قد أمر به فهو العمل المقبول»(١).

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويستعينون بالله في سلوك هذه الطرق..» إلخ أي: أن أهل السنة والجماعة عند سلوكهم الطرق النافعة يعلمون أنه لا بد من الاستعانة بالله للحصول على العلم النافع والعمل الصالح ولذا يقولون دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ أي: نستعين بك على مصالحنا الدينية والدنيوية فأنت المعين على ذلك ولذا قال ﷺ لمعاذ لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

فالعبد محتاج إلى ربه في كل شيء في عبوديته له وفي شؤون حياته التي يعيشها هو دائماً في حاجة إلى ربه أن يعينه عليها.

(١) منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة ٤/ ١٧٢ مجموع مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ما فيه الخير والفلاح لنا في الدنيا والآخرة إنه سبحانه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



شرح كتاب

نظم الدرر والجواهر في النواهي والأوامر

مؤلف المنظومة

الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن سيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شرحها

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار سلّمه الله تعالى آمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فشكراً لكم على زيارة محافظة بقعاء في منطقة حائل ولعل من أثمن وأغلى ما أهديه لكم:

(نظم الدرر والجواهر في النواهي والأوامر
عقيدة سُنّية ومنظومة فقهية أصلية)

وهذه المخطوطة للوالد العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم السيف رحمه الله.

ونظراً لما تتميزون به من مكانةٍ علميةٍ وبحث علمي وتأصيل شرعي وقدرة على التأليف والتحقيق فإني ألتمس منكم ـ حفظكم الله ـ إخراج هذه المخطوطة ليستفيد منها الناس ولكم أن تخرجوها بالصورة التي ترونها نافعة لعباد الله، وتكون من العلم النافع الذي ينفع الإنسان بعد مماته.

سدد الله خطاكم وأجزل لكم المثوبة ونفع بكم الإسلام والمسلمين وجزاكم الله عنا وعن إخوانكم طلاب العلم خير ما جزى شيخاً عن طلابه وتقبلوا تحيات ابنكم وتلميذكم.

أبو عبد الرحمن
فهد بن عبد الله السيف
محافظة بقعاء ـ منطقة حائل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الهادي إلى صراطه المستقيم.

وبعد:

فإن من أعظم ما ينبغي على المسلم معرفته معرفة دينه الذي ارتضاه الله لنفسه وارتضاه لخلقه هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ أرسله الله به لهدايتنا ولخروج البشرية من ظلمات الشك والشرك إلى نور اليقين والتوحيد، وإن من أعظم نعم الله تعالى على عباده هذا الدين الذي تكفل الله بحفظه من التبديل والتحريف وكذلك بحفظ ما جاء فيه من أحكام سواء أكانت أحكام عقدية أم أحكاماً خاصة بالحلال والحرام والأوامر والنواهي وغير ذلك مما جاء في القرآن العظيم وكلام سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد اجتهد علماء الأمة قاطبة في بيان هذا الدين أصولاً وفروعاً للناس لكي يكونوا على بصيرة من دينهم ومن هؤلاء العلماء: العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم بن سليمان بن سيف المسيكي السبيعي العنزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) فلقد مكث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقداً من الزمان في دعوة الناس إلى الخير وإلى التمسك بهذا الدين عقيدة وسلوكاً وأدباً وغير ذلك مما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأعظم شاهد على ذلك هذه المنظومة التي اشتملت على (مئتين وثلاثة وسبعين بيتاً) كلها دعوة إلى الخير وسلوك طريق الأنبياء والمرسلين والتحذير من سلوك طريق أهل الغواية والضلال، ولقد أجاد وأفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المنظومة التي جمعت

(١) ستأتي ترجمة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذه المقدمة.

أموراً جمة في العقيدة وذلك ببيان عقيدة سلف الأمة، ثم حرصه على المدعو باقتفاء آثار هذه العقيدة وفي جانب العبادات كفرائض الإسلام الخمس وفي جانب الأخلاق وغير ذلك مما ذكرنا مما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذه المنظومة سماها مؤلفها رحمه الله:

(نظم الدرر والجواهر في النواهي والأوامر عقيدة سُنيّة ومنظومة فقهية أصلية)

فإذا أمعنت النظر إلى هذه المنظومة فسترى بلا شك أنها اسم على مسمى؛ أي: كما وصفها ناظمها رحمه الله. ولقد وفقني الله تعالى بالحصول على هذه المنظومة من أخي الفاضل/فهد بن عبد الله السيف حفظه الله حيث أهداني إياها ولقد سررت سروراً بالغاً بها وذلك لما فيها من أبيات ترقق القلب وتدعو إلى الثبات على دين الله تعالى ولما فيها أيضاً من بيان معتقد الفِرْقة الناجية المنصورة فجزى الله ناظمها ومهديها إليَّ خير الجزاء.

أما عن طريقة إخراجنا لهذه المنظومة: فنظراً لأن المنظومة ألفاظها سهلة لا تحتاج إلى بيان بل يفهمها العامي من الناس والمتعلم وهذا بلا شك يدل على براعة الناظم رحمه الله حيث كان يتخير الألفاظَ السهلةَ التي لا تحتاج إلى بيان ومعرفة ولهذا لم نتعرض كثيراً إلى معاني مفرداتها لكن لما كانت هذه المنظومة معانيها مستمدة من القرآن والسنة فقد قمت ببيان الدليل الذي يشير إليه المؤلف رحمه الله في منظومته مع بيان مصدر الدليل وتخريجه وأقوال أهل العلم عليه من حيث الصحة والضعف وذلك إذا كان الحديث في غير الصحيحين أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول العمل وأن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا إنه سميع مجيب.

أبو محمد

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

ترجمة صاحب المنظومة

هو سماحةُ العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن سيف المسيكي السبيعي العنزي. أصله من آل سيف من بلدة ثادق عاصمة بلدان المحمل.

المولد والنشأة:

أما عن سنة ولادته فلم يقف أحد على عام ولادته على ما أعلم ولذا قال الشيخ البسام: «لم أقف على سنة ولادته»[1] وبذلك قال أيضاً علي الهندي[2].

أما نشأته:

فقد نشأ في بيت علم وفضل فأبوه إبراهيم بن سيف رَحِمَهُ اللَّهُ كان عالماً من علماء (ثادق من بلدان المحمل) فكان ماهراً في علم الفقه والحديث ومصطلحه ومن أوعية الحفظ ولذا عَيّنَه الإمام عبد الله بن سعود قاضياً في عمان ثم في بلدان سدير ولما حصل هدم الدرعية وما حولها على يد الباشا هرب إلى رأس الخيمة تباعداً من الفتن وأمناً من الأذى، فاستمر فيها مرشداً وواعظاً وداعية خير، ثُمَّ لما استتب الأمن في نجد عاد إليها فيمن عاد فتعين قاضياً في الرياض في عهد الإمام تركي بن عبد الله وعهد ابنه فيصل، وكان الإمام فيصل يستشيره؛ لأنه كان سديد الرأي أميناً على السر. فهذه نبذة عن

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٤٥١.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد: محمد القاضي ٢/ ١٩٦.

حياة والد صاحب المنظومة ولا شك أن لهذه الأبوة تأثيراً في حياة الابن[(١)].

ولم يكن الأمر مقصوراً على والد صاحب المنظومة بل أعمامه فقد كانوا أهل علم وفضل فعماه غنيم بن سيف وعبد الله بن سيف كانا قاضيين في عنيزة.

ومن هنا نقول بأن صلاح الأبناء في الغالب يكون بصلاح الآباء، فكلما كان الأب صالحاً كان الابن للصلاح أقرب، وخير دليل على ذلك صاحب هذه الترجمة.

طلبه للعلم وشيوخه:

لا يخفى على القاصي والداني فضل طلب العلم وفضل أهله المشتغلين به وفضل سلوك طريق الصلة إليه، فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة لتبين ذلك كله. وكان بلا شك للعلم أثره في حياة صاحب المنظومة (الشيخ محمد بن إبراهيم السيف رحمه الله). فقرأ في العلم على والده الشيخ إبراهيم السيف ثم على العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهما الله.

قال ابن بشر في عنوان المجد:

«كان الشيخ محمد بن سيف عالماً علامة محققاً فاضلاً، له اليد الطولى في الفقه وشارك في غيره، وله معرفة ودراية، ثم قرأ في جملة من العلوم، وأكثر قراءته على الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ثم قرأ على أبيه إبراهيم بن سيف، والشيخ عبد الرحمٰن أول مشايخه فأخذ عنه النحو والتجويد ومبادي العلوم الشرعية، كما قرأ على أبيه التفسير والحديث».

ثم سافر إلى مصر في حدود سنةِ أربعٍ وخمسين ومائتين وألف فيما ذكر، وحصَّل جملة من فنون العلم والأكثر في معاني البيان والحساب[(٢)]

(١) انظر ترجمة الشيخ إبراهيم بن سيف رحمه الله في: روضة الناظرين ١/ ٣٥. علماء نجد خلال ثمانية قرون (عبد الله البسام) ١/ ٣١١.

(٢) علماء نجد: عبد الله البسام ١/ ٤٥١

ومن أبرز شيوخه أيضاً عماه غنيم وعبد الله وهما كما ذكرنا آنفاً أهل علم وفضل وقد ترجم لهما سماحة الشيخ عبد الله البسام في كتابه علماء نجد. ومن شيوخه أيضاً أحمد بن حسن بن رشيد المشهور بالحنبلي[1]

ثناء العلماء عليه:

قال العلّامة عبد الله البسام في علماء نجد (وقد أثنى على المترجم له) (يعني الشيخ محمد بن سيف): ثلة من المؤرخين بسعة العلم ووفور العقل والاستقامة في الدين. وله الباع الطويل في الأدب والتاريخ وكان يجيد الشعر بمهارة[2] ودرس في حائل وتخرج عليه جمع من الطلبة وانتهى الإفتاء والتدريس إليه في حائل وما حولها ووفد إليه الطلبة من كل صوب واشتهر بعلومه الجمة وذاع صيته[3].

قال عنه محمد القاضي:

وله حواشي مفيدة ورسائل عديدة وكان لا يخاف في الله لومة لائم قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مهابة، ولكلمته نفوذ، وكان محبوباً لدى الخاص والعام، كريماً سمحاً، عزيز النفس زاهداً ورعاً ومرجعاً في الأنساب وفي الفرائض وحسابها، مجالسه مجالس علم ممتعة للجالسين.

وكان زميلاً للشيخ عثمان بن بشر صديقاً حميماً له بينهما مراسلات وروابط محبة وأثنى عليه ابن بشر في مواضع من عنوان المجد وكان محمود السيرة حسن الخلق ظل في قضاء حائل مثالاً للعدالة والنزاهة، مسدداً في أحكامه حتى وافاه أجله المحتوم مأسوفاً على فقده. انتهى[4].

---

(١) انظر ترجمته في: علماء نجد ١/ ٤٥٧.

(٢) وخير شاهد على ذلك هذه المنظومة.

(٣) علماء نجد (١/ ٤٥١).

(٤) روضة الناضرين: محمد القاضي ٣/ ١٩٧، ١٩٨.

وفاة الشيخ رحمه الله:

توفي الشيخ رحمه الله في حائل وقبره في المقبرة الشمالية واختلف في تاريخ وفاته، قيل في عام ١٢٦٥هـ. قال العلامة عبد الله البسام: لكن الصواب أنه توفي بعد عام ١٢٦٨هـ كما تقدم أن تعيينه للقضاء كان ١٢٦٨هـ. والله أعلم[(١)].

ذريته:

ذريته يقال لهم آل سيف وهم يقيمون الآن في محافظة بقعاء إحدى محافظات منطقة حائل في الجهة الشمالية الشرقية[(٢)].

أما أولاد الشيخ محمد بن سيف فله ولد واحد وهو الشيخ سعد رحمه الله حيث كان خطيباً ومرشداً في بقعاء، وقد أرث الشيخ سعد ثلاثة أولاد وهم:

عبد الله ومحمد وعبد العزيز، وقد عرفوا رحمهم الله بالصلاح والأمانة.

ولقد كان له أخ واحد وهو الشيخ عبد الرحمن وكان طالب علم رحمه الله.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر له وأن يجمعنا به في دار كرامته إنه سميع مجيب.



---

(١) علماء نجد ٥/ ٤٥٣.

(٢) المرجع السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ حمدت الذي أسدى جميع الفضائل ومن مَنَّ بالتوحيد خير الوسائل

٢ ـ عليَّ وإني كنت من قبل جاهلاً فوفقني أرقى لأعلى المنازل

الشرح:

قوله: **(حمدت الذي أسدى جميع الفضائل)** المراد بالذي: الرب ﷻ فهو المستحق للحمد ﷻ لأنه هو الذي **(أسدى جميع الفضائل)** الدينية والدنيوية. فأعظم فضائله الدينية هداية العبد وتوفيقه إلى إفراده جل وعلا بالتوحيد ولذا قال رحمه الله: **(من مَنَّ بالتوحيد خير الوسائل)** فهو ﷻ هو الذي يمنّ على العبد بالتوحيد والهداية له كما قال سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقول المؤلف رحمه الله: **(خير الوسائل)** أي: خير الوسائل التي يتم للعبد بها حصول المطلوب ودفع ورفع المكروب هو التوحيد.

وقوله: **(فوفقني أرقى لأعلى المنازل)**.

وذلك لأن التوحيد هو أعلى شعب الإيمان فمن حققه إيماناً وعملاً وإخلاصاً ومتابعة نال أعلى المنازل في دنياه وأخراه.

* * *

٣ ـ لمعرفة القرآن والسنة التي يقاس عليها مشكلات المسائل
٤ ـ ففيها وفي القرآن إدحاض حجة لمبتدع من كل زور وباطل

الشرح:

من أعظم توفيق الرب للعبد أن يوفقه إلى أعلى المنازل في دنياه وذلك بالعلم النافع والعمل الصالح وأعظم العلوم هو معرفة القرآن ولذا قال رحمه الله: **(لمعرفة القرآن والسنة..)**.

ثم وضح رحمه الله بعض مزايا السنة بقوله: (... **والسنة التي يقاس عليها مشكلات المسائل)** فالسنة نوع من التشريع الإلهي فهي إما أن تكون قد جاءت في بيان حكم ما أو يقاس عليها في بعض المسائل المشكلة التي لم يأت فيها نص.

ثم بين رحمه الله أهمية الكتاب والسنة بأن فيهما **(إدحاض حجة)** أي: إدحاض حجج أهل الأهواء من المتكلمين والعقلانيين الذين يقحمون العقل على الدين وغيرهم من المتصوفة والمتفلسفة.

* * *

٥ ـ مَعْ كل طاغوت بإفك مشبه على أهل جهل بالحديث مجادل

الشرح:

الطاغوت معناه مجاوزة الحد في كل أمر جاءت به الشريعة فمن حرف أسماء الله تعالى وصفاته عن معانيها، أو شبه الله تعالى بخلقه، أو عطل صفات الله تعالى فهو طاغوت لأنه تجاوز حده. فإن نصوص القرآن والسنة جاءت بإثبات أسماء الله وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وإذا نظرت إلى معطلي صفات الرب جل جلاله فهم في الحقيقة أهل جهل وجدل. جهل بالكتاب والسنة، وجدل في الباطل، وخوض فيه ولذا قال رحمه الله: **(... على أهل جهل بالحديث مجادل)**.

٦ ـ وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى أزكى جميع القبائل

الشرح:

معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلى[١]. أما قوله: **(ثم سلامه)** أي: السلامة من الآفات. فجمع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بين حصول الخيرات وذلك بثنائه عليه سبحانه في الملأ الأعلى وأن يزيل عنه الآفات وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(على المصطفى أزكى جميع القبائل)**.

دليل ذلك ما رواه مسلم عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[٢].

* * *

٧ ـ وبعد فهذي نبذة قد نظمتها على الأمر والنهي المفيد لسائل

٨ ـ جواهر في كل الأمور نظمتها وفي النهي عن كل الأمور الغوائل

٩ ـ مواعظ فيها للَّبيب منافع وأحكامها تشفي الصدور الفواصل

الشرح:

بعد أن انتهى المؤلف من حمد الله تعالى وثنائه على نبيه ﷺ بين موضوع مُؤلَّفه فوضح أنها منظومة في الأمر والنهي التي جرت بها نصوص الكتاب والسنة التي تفيد السائل وعبر عنها بأنها جواهر والجوهر هو المستخلص من الشي؛ أي: خلاصة الشيء وبيَّن أيضاً أنها؛ أي: منظومته فيها من المواعظ التي تنفع اللبيب وفيها من الأحكام ما يشفي الصدور.

(١) رواه البخاري عن أبي العالية: كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب أن الله وملائكته يصلون على النبي، فتح الباري ٨/ ٥٣٢.

(٢) رواه مسلم ٧/ ٥٨.

١٠ ـ أرى المجد صعباً غير سهل التناول   شديداً أبياً معجزاً للمحاول

١١ ـ بعيد مرام نادر من يحوزه   يشق على أهل الدنايا الأراذل

١٢ ـ وأهل العلى قد نافسوا في اكتسابه   فكانوا به أحياء تحت الجنادل

الشرح:

بين رَحِمَهُ اللهُ في هذه الأبيات أن الوصول إلى المجد الذي به يمجَّد العبد عند ربه وعند خلقه طريقه صعب غير سهل، وأعلى درجات المجد هي العلم النافع والعمل الصالح ولذا كان طريقها صعب التناول **(شديداً أبياً للمحاول)** أي: شديداً على من يسلكها ولذا كان هذا الطريق يعني طريق الوصول إلى المجد **(بعيد مرام)** ولما كان هناك من يستطيع الوصول إلى أعلى درجات المجد قال: **(نادر من يحوزه)**.

ثم بين رَحِمَهُ اللهُ من الذي يشق عليه هذا الطريق فقال: **(يشق على أهل الدنايا الأراذل)** أي: يشق على الهمم السفلى التي تنظر تحت قدميها وتؤثر دنياها على أخراها.

أما أصحاب الهمم العالية التي آثرت أخراها على دنياها فصرفت وقتها في تحصيل العلم النافع فقال في وصفهم: **(وأهل العلى قد نافسوا في اكتسابه)**.

لما تنافسوا في تحصيل ما ينفعهم في الآخرة **(فكانوا به أحياء تحت الجنادل)**.

* * *

١٣ ـ فلا مجد إلا باهتمام ورغبة   وقوة عزم في اكتساب الفضائل

١٤ ـ عليك بتقوى الله في السر إنها   تبويء في الجنات أعلى المنازل

١٥ ـ وتنجي الفتى يوم الجزا وتجيره   من النار دار الخزي ذات السلاسل

١٦ ـ وما نال تقوى الله في الأمر كله سوى تارك للنهي للأمر فاعل

الشرح:

بعد أن وضح رَحِمَهُ اللهُ طريق المجد وأنه لا يحصل لكل الناس بين في هذه الأبيات الوسائل التي يتحقق بها المجد وهي أربعة أمور: الاهتمام بطريق المجد والرغبة فيه مع صدق العزيمة وقوتها في اكتساب هذا الطريق ولا يتم ذلك كله إلا بتقوى الله تعالى قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وإذا نظرت بعين البصيرة إلى أهم المعوقات التي تحول بين الإنسان وحصول المجد لرأيت أن أهم هذه المعوقات عدم الاهتمام وعدم الرغبة ـ وفتور العزيمة ـ وعدم تقوى الله ولذا جعل المؤلف أنه بحصول الأربعة ينال الإنسان ما يتمناه في دنياه.

ثم وضح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أهمية التقوى فهي ترفع العبد في أعلى الدرجات وتنجيه من الموبقات ولا تكون التقوى إلا بترك المنهيات وفعل المأمورات.



فصل في قوله تعالى:
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

١٧ ـ لقد ضل من لم يتبع هَدْي رَبِّهِ	وسنة من قد جاءنا بالدلائل
١٨ ـ فليس إلى المولى سبيل سواهما	لكل وليّ للولاية فاصل
١٩ ـ وغيرهما بابُ الشياطين والهوى	يدَنَّس فيها كل غاوٍ وغافل
٢٠ ـ وما أولياء الله إلا ذوو التُّقى	بإيمانهم فازوا بخير المحاصل
٢١ ـ أولئك لا هُم يحزنون ولا هُمُ	يخافون في الأخرى عظيم المهاول
٢٢ ـ لهم في كلا الدارين بشرى وأنهم	هم السابقون السابقون بما تلي

الشرح:

شرع المؤلف في هذه الأبيات في منظومته وأول ما بدأ به وضح المنهج الذي تتلقى منه العلوم وهذه نظرة صائبة للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث أولاً لا بد من بيان المنهج ثم بعد ذلك يشرع في بيان ما يحتويه هذا المنهج.

وأعظم المناهج وأوضحها وأرفعها هو منهج الكتاب والسنة ومن سلك طريقاً غيرهما فقد ضل وأضل ولذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لقد ضل من لم يتبع هَدْي رَبِّهِ وسنة من قد جاءنا بالدلائل)

ولا تتم ولاية الله للعبد إلا بسلوك منهج الكتاب والسنة بل بهما يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (.... **لكل ولي للولاية فاصل**).

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاقبة من يسلك غير سبيل الكتاب والسنة بقوله: **(وغيرهما**

بابُ الشياطين والهوى) أي: بغير سبيل الكتاب والسنة يهلك الإنسان وذلك لسلوكه سبيل الشيطان.

ثم عرف الأولياء بقوله:

(وما أولياء الله إلا ذوو التُّقى) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

أي: جمعوا بين الإيمان والتقوى فهم ذوو العلم النابع من الإيمان؛ لأن إيمانهم عن علم وذوو تقى.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أولئك لا هُم يحزنون ولا هم يخافون في الأخرى عظيم المهاول)

هذه هي ثمرة الإيمان والتقوى التي بها تتحقق ولاية الله للعبد فمن ثمرات ذلك أنهم لا يحزنون ولا يخافون يوم الفزع الأكبر كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لهم في كلا الدارين بشرى وأنهم هم السابقون السابقون بما تلي)

أي: بشرهم الله تعالى في دار الدنيا والآخرة بالنعيم المقيم كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

أما قوله: **(هم السابقون السابقون بما تلي)**:

أي: هم السابقون في الدنيا بفعل الخيرات وهم السابقون في الآخرة بدخول الجنات كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

أي: المقربون عند الله في جنات النعيم في أعلى عليين إلى المنازل العالية التي لا منزلة فوقها.



فصل في بيان المتقين الأولياء

٢٣ ـ وأقسم ما نال الولاية في الورى سوى تابع للشرع من كل عامل

٢٤ ـ ومصداقه في المؤمنون وهل أتى وفي آخر التطفيف شاهدهما جلي

٢٥ ـ بها افتتح الله العظيم كتابه فقال هدى للمتقين العوامل

الشرح:

بعد أن ذكر رَحِمَهُ اللهُ سبيل أولياء الرحمن ووضح أن سبيلهم هو الكتاب والسُّنة بين صفات المتقين الأولياء فأقسم أنهم ما نالوا ولاية الله لهم إلا باتباعهم الشرع المطهر. ثم استدل على ما أقسم به بما جاء في وصفهم في الكتاب العزيز بما في سورة المؤمنون والإنسان والمطففين ففيها وصف من الله تعالى للأولياء فقال تعالى في وصفهم في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١٠].

وقال أيضاً في وصفهم في نفس السورة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

أما في سورة الإنسان فقد ورد وصفهم في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ

عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١٠].

أما وصفهم في سورة المطففين فقد بين الله تعالى حالهم بين المجرمين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٦].

فهذا هو مراده رحمه الله تعالى في وصفه لأولياء الله المتقين في هذه السور.

وقوله رحمه الله: (**بها افتتح الله العظيم كتابه... إلخ**) أي: بيان صفات الأولياء افتتح الله كتابه وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٣ ـ ٥].

* * *

٢٦ ـ فأولهم أهل الصلاة لوقتها وجاءوا بمسنوناتها والنوافل

٢٧ ـ وأدوا زكاة المال طيّبة بها نفوسهم بل يُنفقون بعاجل

٢٨ ـ من الرزق بل هم يؤمنون بما أتى إلينا من التنزيل أو قول مُرْسل

٢٩ ـ وقد عرفوا الأخرى وقد أيقنوا بها وحازوا جميع البر يا فوز فاعل

٣٠ ـ وقد آمنوا بالغيب والبعث أولاً وما سمعوا من علم أهل الرسائل

٣١ ـ أولئك كانوا في اليقين على هدى من اللّه هم أهل الفلاح بآجل

الشرح:

لا يزال الناظم رحمه الله يبين صفات أولياء الله تعالى المتقين فمن صفاتهم أيضاً أنهم يؤدون الصلاة لوقتها باستحضار قلب، وخشوع، واستدراك لكل ما جاء فيها ومع ذلك يأتون بمسنونات الصلاة القولية والفعلية ولم يقتصروا على الفرائض بل جاءوا بالنوافل.

ومن صفاتهم أيضاً أنهم يؤدون زكاة أموالهم بطيب نفس ولم يقتصروا على ذلك بل ينفقون من أموالهم.

ومن صفاتهم أيضاً أنهم آمنوا بكتاب ربهم الذي أنزل على نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وكذا بما أنزل من قبله كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤].

ومن صفات أولياءه أيضاً أنهم علموا علم اليقين أن هناك لقاء بينهم وبين خالقهم ﷻ وذلك يوم العرض عليه فاجتهدوا في تحصيل جميع أنواع البر فيا سعادتهم ويا فوزهم بفعلهم.

ومن صفاتهم أيضاً أنهم قبل ما ذكرنا من هذه الصفات؛ أي: قبل كل شيء آمنوا بما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ من المغيبات كالإيمان بالملائكة والجنة والنار وغيرها ويدخل فيها أيضاً الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة وأحوال الآخرة وحقائق أوصاف الله وكيفيتها ويؤمنون بصفات الله ووجودها كل ذلك على الوجه اللائق به ﷻ.

فهؤلاء هم أهل الهدى واليقين بل هم أهل الفلاح في الآخرة جعلنا الله وإياكم منهم.



فصل في معرفة الكتاب والسُّنَّة

٣٢ ـ وبالسنَّة المحض الصحيحة فاعتقد	على نهج أصحاب الحديث الكوامل
٣٣ ـ فتشهد أن لا يستحق عبادة	سوى فاطر السبع العلى والأسافل
٣٤ ـ ولو كان في هاتين غير إلهنا	لأدى إلى إفسادها والتزائل
٣٥ ـ ولو كان غير الواحد الفرد خالق	لأدى إلى قبح المرا والتجادل
٣٦ ـ وأن يذهبن كلٌّ بما كان خالقاً	ولا تطلب العليا بدون التقاتل
٣٧ ـ فسبحان رَبِّي عن شريك ووالد	وابن وعن ضدٍّ وندٍّ وباطل

الشرح:

في هذه الأبيات ينصح الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ المدعو بأمور مهمة في جانب الاعتقاد فمن هذه المهمات:

أولاً: أن السنة وهي النوع الثاني من أنواع التشريع يجب عليك أن تعتقد وجوب العمل بها فهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وليس كل ما يقال أن هذا سنة بل السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وبالتالي تكون على نهج أصحاب الحديث الذين هم أكمل الناس.

ثانياً: ومن المهمات أيضاً أن تشهد أنه لا يستحق العبادة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي خلق السماوات السبع والأرضين السبع.

ثالثاً: أنك يجب عليك أن تعتقد أنه لو كان في السماوات السبع والأرضين السبع غير الله تعالى لأدى إلى فساد عظيم كما قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢].

فالله سبحانه هو الواحد الأحد الخالق فلو كان معه شريك في ملكه لأدى إلى التنازع والجدال والمرا فسبحان من لا شريك له ولا ند له ولا صاحب له قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون: ٩١].



فصل في إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت

٣٨ ـ وحاذر من التشبيه إن كنت مسلماً   وجانب ذوي التعطيل من كل عازل

٣٩ ـ وأثبت صفات الله حقاً كما أتت   وإياك أن تصغي لتأويل جاهل

٤٠ ـ ولا تك مغتراً بقول مزخرف   يصدك عن نهج الهدى من مجادل

٤١ ـ هو الحي والباقي سميعاً ومبصراً   عليماً مريد الكون سبحان فاعل

٤٢ ـ قدير على ما شاءه متكلماً   بما شاء قال الحق سبحان قائل

الشرح:

انتقل المؤلف رحمه الله في هذه الأبيات وما بعدها إلى تحذير المدعو من الفرق المنحرفة الضالة التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة مثل أهل التشبيه والتعطيل والتحريف والتكييف وغيرهم فإنهم قد خالفوا النصوص الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة من إثبات أسماء الله وصفاته ولذا قال المؤلف رحمه الله:

(حاذر من التشبيه إن كنت مسلماً) أي: احذر أن تشبه الله تعالى بخلقه فلا تقل يد الله كيدي وسمعه كسمعي وبصره كبصري وهذا كما قال أهل التشبيه. ولا تكن معطلاً لصفات الله كما قال أهل التعطيل سميع بلا سمع بصير بلا بصر قدير بلا قدرة فأثبتوا لله السمع وعطلوا صفاته سبحانه فاحذر هاتين الفرقتين. وكن مثبتاً لصفات الله تعالى كما أتت على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

واحذر يا مسلم أن تصغي لأهل التأويل الذين أثبتوا الصفات ولكن أوَّلوها عن ظاهرها فقالوا: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استولى على العرش،

فهم ينفون استواء الله على عرشه، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ أي: قدرة الله، إلى غير ذلك من صفاته الذاتية والفعلية كالضحك والغضب والرضى وغيرها من الصفات فإنهم يؤولونها ولا يثبتونها لله على الوجه اللائق به.

فهؤلاء الذين يريدون إضلالك أيها المسلم يأتون بالقول المزخرف لكي تغتر بهم وصدق ربنا حيث قال: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣].

فإياك أن تغتر بهؤلاء الذين يريدون أن يصدوك عن طريق الهدى طريق أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله وصفاته فإنه سبحانه **(هو الحي)**؛ أي: الذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها، وكذلك الصفات الذاتية ومع كونه سبحانه هو الحي فكذلك هو **(الباقي)** وكل ما سواه فانٍ كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٧].

ومن صفاته أيضاً أنه **(سميعاً)** لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات (ومبصراً) الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر فيبصر سبحانه دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

وهو أيضاً: **(عليماً)** الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالعالم العلوي والسفلي فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

وهو أيضاً: **(مريداً)** وهذا من كمال قوته ونفوذ مشيئته وقدرته فكل أمر يريده يفعله بلا مانع ومعارض فإنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

ومن صفاته أيضاً أنه ذو قدرة ومشيئة، فمن تمام صفاته نفوذ قدرته ومشيئته، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته يحي ويميت ومع ذلك فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن صفاته أنه متكلم وكلامه تعالى صفة من صفاته الذاتية المتعلقة بمشيئته فهو يتكلم بما شاء كيف شاء في أي وقت شاء فلم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك فإياك يا مسلم أن تنفي هذه الصفة العظيمة لله صفة الكلام كما نفاها المنحرفون.

فصل في الإيمان بالقرآن
كلام الله حروفه ومعناه

٤٣ ـ وآمن بأن الحق جل جلاله تكلم بالقرآن أشرف نازل

٤٤ ـ وما قد حوته الدفتان كلامه يقيناً به جاءت صحاح الدلائل

٤٥ ـ وأوله فالحمد والناس ختمه كما قاله الأسلاف من كل فاضل

٤٦ ـ وقالته زوج المصطفى الطُّهر عائشٌ وذلك عنها صح عن نقل ناقل

٤٧ ـ وما فيه حق من يكن فيه ناقصاً وما زاد حرفاً عامداً غير عاقل

٤٨ ـ بتكفيره قال الأفاضل يا فتى فلا تك مغتراً بقول الأجاهل

٤٩ ـ على ذلك الإجماع من كل مسلم حكا عياض والنواوي فقابل

الشرح:

في هذه الأبيات يوضح الناظم رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن فهو كلامه ﷻ منزل غير مخلوق. منه بدأ وإليه يعود وأنه لا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عن كلام الله كما قاله بعض الطوائف المنحرفة كالأشاعرة والكلابية.

وقوله رحمه الله: **(يقيناً به جاءت صحاح الدلائل)**.

أي: جاءت النصوص المستفيضة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين على أن كلام الله تعالى ثابت يتكلم متى شاء كيف شاء.

فمن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ١٥].

وقد جاء عنه ﷺ أنه كان يقول في خطبة الحاجة: «**إن أحسن الكلام كلام الله**»(١).

أما حد القرآن فهو سورة الفاتحة إلى سورة الناس وبهذا قال السلف الأفاضل رضوان الله عليهم قال في المغنى: «فإنه (يعني القرآن) بين دفتي المصحف بإجماع المسلمين»(٢).

وقوله: (**وقالته زوج المصطفى الطهر عائشٌ**) أي: أنها قالت: بأن «ما بين دفتي المصحف كلام الله»(٣).

وفي الأبيات (السابع والأربعين والثامن والأربعين والتاسع والأربعين) بيانُ حكم من زاد حرفاً أو نقص حرفاً من القرآن فهو في الحقيقة غير عاقل بل حكم عليه بالكفر، وقد جاء الإجماع بذلك يعني كفر من زاد حرفاً أو نقص حرفاً متعمداً في كتاب الله تعالى.



---

(١) فتح الباري ١٣/ ٥.

(٢) المغني لابن قدامة ٩/ ٣٩٩.

(٣) العين والأثر في عقائد أهل الأثر رشيد النجدي الحنبلي ١/ ٦٧.

فصل في الاستواء بلا كيف ولا تشبيه

٥٠ ـ وآمن بأن الله فوق عباده ... بلا جهة تحويه لا رأي عازل

٥١ ـ بسورة ملك آيتان كلاهما ... تدل بأن اللَّه فوق السما علي

٥٢ ـ وفي سجدةٍ مَعْ فاطرٍ ثم فصلت ... وفي أول الأولى وسورةِ سائلِ

٥٣ ـ ولو لم يكن إلا عروج محمد ... لكان به إدحاض كل مجادل

الشرح:

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة علو الله على خلقه بأنواعه الثلاثة علو القدر وعلو القهر وعلو الذات ولذا قال المؤلف: **(وآمن بأن الله فوق عباده)** أي: ليس حالاً في خلقه كما زعمه الزاعمون من الملاحدة وغيرهم وليس موجوداً في كل مكان كما زعمت الأشاعرة وبعض الفرق الضالة بل هو **(فوق عباده)** بائن من خلقه.

وقوله: **(بلا جهة تحويه لا رأي عازل)** أي: لا تحويه جهة من الجهات الست كسائر المخلوقات أما باعتبار إثبات جهة العلو فهذا ثابت بأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف ولذا جاء المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إثبات علوه على خلقه بقوله هذا لا يظن به بأنه تحيطه المخلوقات.

وقوله: **(بسورة ملك آيتان كلاهما.....)**.

المراد هنا قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقوله:

(وفي سجدة مع فاطر ثم فصلت وفي أول الأولى[١] وسورة سائل)

أما في سورة السجدة ففي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥].

أما في سورة فاطر ففي قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

أما في سورة فصلت ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١].

أما في سورة الأعلى ففي قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١].

أما في سورة المعارج ففي قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

* * *

٥٤ ـ ومنها استواء الله جل جلاله على عرشه في سبع آيٍ دلائل

٥٥ ـ ومنها نزول الله في كل ليلة وفي نصف شعبانٍ فيا حب نازل

٥٦ ـ فيأتي سماء الناس يدعو عباده ألا من منيب تائب لي وسائل

٥٧ ـ فينزل ربي كيف شاء كما استوى ويأتي لفصل الحكم سبحان فاصل

٥٨ ـ فيكشف عن ساق فيسجد مؤمن تعوده في سالفات الأوائل

الشرح:

وكذلك من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب عليك الإيمان بها استواء الله على عرشه فإذا أثبت لله تعالى الفوقية فأثبت له أيضاً استوائه على عرشه استواء يليق به سبحانه من غير تحريف ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

---

(١) الموجود في كلام المؤلف (الأولى) ولعل الصواب (الأعلى).

ولما خالف من خالف من الفرق الضالة المنحرفة طريقة السلف رحمهم الله في استواء الله على عرشه نبه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ المدعو إلى هذا الأصل العظيم.

وقوله: **(في سبع آي دلائل)** هذه الآيات السبع واردة على النحو التالي:

أولاً: في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ثانياً: في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

ثالثاً: سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

رابعاً: سورة طه في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

خامساً: سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

سادساً: سورة«**الم**» السجدة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

سابعاً: في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله:

(وفيها نزول الله في كل ليلة وفي نصف شعبان فيا حب نازل)

أما حديث نزوله في كل ليلة فقد رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (٧٥٨).

أما حديث النصف من شعبان فقد رواه ابن أبي عاصم في السنة وابن حبان والإمام أحمد وغيرهم عن النبي ﷺ قال: «**يطلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**»[١].

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

(فينزل ربي كيف شاء كما استوى ويأتي لفصل الحكم سبحان فاصل)

أي: ينزل ربنا ﷻ بكيفية لا يعلمها أحد كاستوائه على عرشه فكما أنّا لا نعرف كيفية استوائه فكذلك لا نعلم كيفية نزوله ونمر هذه الآثار التي جاءت في الاستواء والنزول وغيرها من الصفات كما جاءت لا نحرف ولا نشبه ولا نمثل ولا نعطل.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ـ **(ويأتي لفصل الحكم سبحان فاصل)**.

أي: يأتي إتياناً يليق به ﷻ يوم القيامة للفصل بين عباده كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقد خالف أهلُ التحريفِ والتعطيلِ أهلَ السنة والجماعة في هذه الصفة؛ أي: صفة المجيء لله ﷻ فمنهم من ينفي هذه الصفة تماماً فيقول: لا يأتي ومنهم من يحرفها عن المعنى المراد فيقول: جاء أمر ربك أو أتى أمر ربك فينفي المجيء وهذا باطل ومخالف لصريح القرآن والسنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فيكشف عن ساق فيسجد مؤمن تعوده في سالفات الأوائل)

أي: يكشف الرب ﷻ عن ساقه يوم القيامة فيعرفه المؤمنون بذلك فحينئذٍ يسجدون لله ﷻ دليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٢)، وابن حبان (١٩٨٠)، وأحمد برقم (١٦٤٢) والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة برقم (١١٤٤).

ومؤمنه ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[(١)].

وفي الحديث إثبات صفة الساق للرب ﷻ وأنه لا يجوز نفيها ولا تأويلها بتأويلات باطلة.

* * *

٥٩ ـ وكلٌّ سيفنى والبقاء لوجهه	**ففي سورة الرحمن خير الدلائل**
٦٠ ـ وآدم خَلْقُ باليدين لربنا	**فنال على إبليس أعلى المنازل**
٦١ ـ يدان هما مبسوطتان بجوده	**بإنفاق أرزاق وإغناء عائل**
٦٢ ـ وكلتاهما يمنى بذلك صَرَّحت	**أحاديث لا تخفى على كل عاقل**
٦٣ ـ ويطوي السماوات العلى بيمينه	**وقبضته الأرْضِين يوم الزلازل**

الشرح:

هذه الأبيات جمعت بين أمور عدة:

ففي البيت التاسع والخمسين:

أن الخلائق جميعاً ستفنى ولا يبقى إلا رب العالمين ودليل ذلك في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

إثبات صفة الوجه لله ﷻ، والوجه معلوم أما كيفيته فهي مجهولة لا نعلمها كسائر صفات الباري ﷻ، وقد خالف أهلُ التحريف والتعطيل والمعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم أهلَ السنة والجماعة في إثبات الوجه وأوّلو الوجه في الآية إلى الثواب؛ أي: ويبقى ثواب الله وهذا تحريف للكلم عن مواضعه لأنه مخالف لظاهر القرآن ومخالف لإجماع السلف.

ـ أما في البيت الستين إلى الثالث والستين:

---

(١) رواه البخاري (٥٣٨/٨) في الفتح، ومسلم في كتاب الإيمان (١/ ١١٤).

١ ـ فضل آدم عليه السلام حين خلقه الرب تعالى بيديه وهذا تشريف لآدم عليه السلام.

٢ ـ أن آدم عليه السلام أعلى في المنازل من إبليس الذي ظن بنظره القاصر أنه أفضل من آدم وهذا زعم باطل لأن الله أنكر عليه بعدم سجوده لآدم بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

٣ ـ في هذا البيت أيضاً إثبات صفة اليدين لله تعالى على الوجه اللائق به ويقال فيها كما قلنا في إثبات الوجه، وتأويل اليد إلى القدرة ونحوه هذا من تحريف الكلم عن مواضعه ومناقض لما جاء في الكتاب والسنة.

٤ ـ إن هاتين اليدين مبسوطتان فهو يجود بهما على خلقه وذلك بالإنفاق عليهم من رزقه وإغناء من يشاء من عباده، وفي هذا رد على اليهود ـ قبحهم الله ـ حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٥ ـ أن يدي الله تعالى كلتاهما يمين كما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن تعالى وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم**»(١).

٦ ـ أنه سبحانه هو القوي المتين الذي لا يعجزه شيء، ومن تمام قوته وجبروته عز وجل أنه يطوي السماء يوم القيامة بيمينه وكذا الأرضون في قبضته كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم قال: «**يطوي الله تعالى يوم القيامة السماوات بيمينه والأرضون بيده...**» الحديث(٢).

* * *

٦٤ ـ وأن قلوب الخلق بين أصابعٍ يقلبها ربي فسبحان فاعل

٦٥ ـ وما جاء في العينين مَعْ قَدمٍ له وما جاء في معناهما من مشاكل

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٢٧).

(٢) البخاري برقم (٤٨١٢ و٧٤١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧ و٢٧٨٨).

٦٦ ـ وما جاء في حبٍ وبغضٍ ومن رضا وسخط وما قد صح من نقل ناقل

٦٧ ـ عن النفي والتعطيل جلَّت صفاته ومن كل تخييل ببالك جائل

٦٨ ـ فليست صفات اللَّه تدركْ كذاته تعالت وجلت عن شبيهٍ مماثل

٦٩ ـ فآمن بلا كيف بها مثل ما أتت فهذا سبيل الراسخين الافاضل

الشرح

ما زال المؤلف رحمه الله يرشد المسلم إلى اعتقاد أهل السنة والجماعة ويدل عليه ويبين له الطريق الموصل إليه، فبعد أن ذكر بعض صفات الباري تعالى كصفة الوجه واليدين وغير ذلك هنا في هذه الأبيات يذكر أيضاً بعض الصفات التي تثبت لله سبحانه ومن هذه الصفات:

١ ـ في البيت الرابع والستين:

إثبات صفة الأصابع لله تعالى وقد جاءت السنة المطهرة بذلك ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء**» ثم يقول رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك**»[1].

٢ ـ وفي البيت الخامسِ والستين إثبات العينين لله تعالى وكذلك القدم وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بإثبات ذلك ففي إثبات العينين قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٤].

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وقد خالف أهلُ التحريفِ والتعطيل معتقدَ أهلِ السنة والجماعة في ذلك ففسروا العين بالرؤية فقالوا في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: برؤية منا

---

(١) رواه مسلم ٨/ ٥١.

ولكن لا عين. وهذا تفسير باطل من جميع الوجوه فإن دلالة القرآن والسنة تثبت للباري جل وعلا هذه الصفة ولكن أَبَى أهلُ التعطيل والتحريف إلا الضلال نعوذ بالله من ذلك.

ومن صفات الله تعالى صفة القدم أو الرجل وهذا أيضاً ثابت لله تعالى أيضاً على الوجه اللائق به ففي صحيحي البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله** ـ وفي رواية (عليها قدمه) **فيزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط**»[1].

فهذا دليل واضح بين في إثبات صفة القدم لله ﷻ وخالف الأشاعرة وأهل التحريف أيضاً في إثبات هذه الصفة وأوَّلوها عن المعنى المراد. فقالوا في قوله ﷺ: «**يضع عليها رجله**»: يعني طائفة من عباده مستحقين للدخول وقالوا في قوله: «**عليها قدمه**» أي: من يقدمهم إلى النار وهذا بلا شك تأويل باطل وتحريف للكلم عن مواضعه.

فالأصل أنه يجب علينا أن نؤمن بهذه الصفات يعني صفة القدم أو الرجل لله تعالى بلا تكييف ولا تمثيل فإنه سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وقوله رحمه الله: **(وما جاء في معناهما من مشاكل)** أي: ما جاء في معنى العين والقدم كالبصر والرجل والساق.

٣ ـ في البيت السادس والستين:

بعد أن انتهى المؤلف رحمه الله من بيان بعض صفات الرب ﷻ الذاتية انتقل إلى بيان بعض صفاته الفعلية؛ أي: المتعلقة بمشيئته ﷻ فمن هذه الصفات. صفة الحب والبغض والرضا والسخط فقد جاءت بها نصوص القرآن الكريم:

فقال في صفة المحبة: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) رواه البخاري ٧٣٨٤، ومسلم ٢٩٤٨.

﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أما أدلة إثبات صفة البغض لله سبحانه ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. فمعنى آسفونا؛ أي: أغضبونا وقوله ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أبغض عبداً نادى جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه**»[(١)]

أما صفة الرضى ففي قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

وفي صفة السخط قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨].

فهذه بعض الأدلة في إثبات هذه الصفات الفعلية التي أثبتها الله تعالى لنفسه.

وقد نبه المؤلف على ذلك لأن هناك من لم يكتف بنفي الصفات الذاتية لله تعالى بل نفوا كذلك الصفات الفعلية وأولوها عن المراد فقالوا في صفة الرضا: إرادة الإنعام وفي السخط: إرادة الانتقام وهكذا في باقي صفات الأفعال.

ولذلك حذر المؤلف وأراد أن يبين مسلك أهل السنة في ذلك وهو إثباتها على الوجه اللائق به ﷻ.

٤ ـ وفي الأبيات (السابع والستين والثامن والستين والتاسع والستين):

أراد الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يحذر المدعو من معتقد أهل التحريف والتعطيل من النفاة والمعطلة وأهل التخييل وغيرهم.

فكأنه يقول احذر يا من سلكت مسلك أهل السنة أن تكون من هؤلاء لأن صفات الله كذاته فالقول في الصفات كالقول في الذات فآمن بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله بلا كيف، فهذا منهج الراسخين الأفاضل من سلف الأمة ومن سار على نهجهم.

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٦٣٨.

فصل في رؤية الله تعالى

٧٠ ـ وأن جميع المؤمنين يرونه كرؤية بدر التِّمِّ من غير حائل

٧١ ـ وجوه نضيرات وتنظر ربها بجنته في محكمات الدلائل

٧٢ ـ ويحجب عنها الكافرون ومن لها غدا منكراً يا ويله من معاضل

٧٣ ـ بها نُزِّلَ القرآن والسنة التي رواها ثقات الراسخين الأوائل

الشرح:

١ ـ بيَّن المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الأبيات معتقد أهل السنة والجماعة في رؤية الباري جل وعلا في الآخرة وأنها ثابتة للمؤمنين بنص الكتاب والسنة والنصوص فيها قطعية الثبوت والدلالة ولذا قال ابن القيم رحمه الله:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعة الحوض ومسح خفين وهذي بعض

فأحاديث الرؤية متواترة ولا ينكرها إلا ضال مضل جاحد لثبوتها.

٢ ـ ففي الكتاب العزيز قال تعالى في إثباتها:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ففي هذه الآية دليل على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم بدليل تفسير النبي ﷺ فقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف**

الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»[١].

وهذا تأييد لما ذكره المؤلف رحمه الله في البيت (الحادي والسبعين).

٣ ـ أما في البيت (الثاني والسبعين):

دليل ما ذكره قوله سبحانه وتعالى في عقابه للفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فقد احتج الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ولذا قال الشافعي رحمه الله: «لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا».[٢]

٤ ـ وفي البيت (السبعين) دليل ما قاله المؤلف رحمه الله ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[٣]. ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه حيث قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ: فنظر إلى القمر ليلة أربع عشر، فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته**»[٤].

والحاصل أن الأحاديث في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم كثيرة وقد بلغت عن نحو ثلاثين صحابياً ومع كثرة هذه الأدلة، إلا إن أهل الزيغ والانحراف من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أنكروا ثبوت رؤية المؤمنين لربهم بأدلة عارية من الاستدلال لبس عليهم الشيطان فيها فأغواهم نعوذ بالله من الكفر والضلال.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨١) كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٢) رواه البيهقي ٤١٩/١ في مناقب الشافعي رحمه الله.

(٣) رواه البخاري برقم ()٧٤٣٧، ومسلم برقم ١٨٢.

(٤) رواه البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم ١٨٣.

٥ ـ ولما كانت أدلة ثبوت الرؤية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة حكم بعض أهل العلم منهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على تكفير من أنكر رؤية الله تعالى وذلك لأن أدلتها قطعية الثبوت كما بينا ذلك[1].



(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص (٢٤٢) فقد نقل كلام الإمام أحمد وغيره في كفر من أنكر رؤية الله تعالى.

فصل في الإيمان بالقدر

٧٤ - وآمن بأقدار الإله جميعها	وسلم لها واحذر تكون المجادل
٧٥ - فما أخطأ الإنسان ليس يصيبه	وما صابه قطعاً فليس بزائل
٧٦ - وما شاءه الرحمن لا بد كائن	وما لم يشأ من أمره غير حاصل
٧٧ - وقدَّر أفعال العباد بأسرها	وأحصى لها كتباً فسبحان فاعل
٧٨ - وقَدَّرَهَا تجري على وفق علمه	من الكفر والإيمان من حكم عادل
٧٩ - وأفعالهم خلق له وهي كسبهم	لأن بها يلقى الجزا كل عامل
٨٠ - ولم يَكُ للعصيان والكفر راضياً	ولكنه يرضى جميل الفعائل
٨١ - ولا تك محتجاً بأقداره على	معاصيه مثل الجاهل المتكاسل
٨٢ - فحجته قامت بإنزال كُتْبِه	وبعثته رسلاً أتوا بالرسائل
٨٣ - ولم يأمر العاصي ولم يك مجبراً	لعبد على فعل الذنوب القواتل

الشرح:

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بيان الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقضاء والقدر ففي هذه الأبيات يقدم النصيحة لمن كان على مذهب أهلِ السنةِ والجماعةِ في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وكيفية الإيمان والتحذير من سلوك أهل الزيغ والضلال فيه.

ففي البيت (الرابع والسبعين):

يحث الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ المدعَو إلى الإيمانِ بأقدار الإله ﷻ كلها؛ أي:

خيرها وشرها مع التسليم لهذه الأقدار دون اعتراض على ما يصيبه منها كما فعلت الجبرية والقدرية وغيرهم من الفرق الضالة.

وفي البيت (الخامس والسبعين):

فيه حث المدعو على عدم الجزع فإن ما يصيب الإنسان بقضاء الله وقدره كما قال ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

«واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك»[1]؛ أي: ما قدر للإنسان أن يصيبه فإنه لن يخطئه أو ما أصابه بالفعل لا يمكن أن يخطئه وهذا كله فيه اطمئنان للإنسان حتى يقبل أقدار الله بالرضا والتسليم.

وفي البيت (السادس والسبعين):

فيه إثبات مشيئة الرب جل وعلا وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن فما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله جل وعلا دليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ففي هذه الآيات وغيرها من الآيات الأخرى دليل على أن أفعال العباد متعلقة بمشيئته وقدرته بل هي تحت مشيئة الله تابعة لها لا تخرج عنها قدر أنملة قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وفي البيت (السابع والسبعين):

يوضح المؤلف أن الله تعالى قدَّر أفعال العباد من خير وشر بأسرها كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

فالله جل وعلا خالق العبد وخالق عمله.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥١٨).

فالمهم أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء حتى أفعال العباد والآيات الدالة على هذا كثيرة لا تحصى وقد جاءت نصوص السنة أيضاً بإثبات ذلك كما جاء في حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك... إلى قوله: ثُم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد...**» الحديث[1].

وقوله رحمه الله (**وأحصى لها كتباً فسبحان فاعل**)؛ أي: أحصى لأفعال العباد كتباً هذه الكتب مليئة بكل ما جناه العبد في دنياه كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب قال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[2].

وفي البيت (الثامن والسبعين):

يبين المؤلف رحمه الله أن أفعال العباد؛ أي: ما يقوم به العبد من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وسنة وبدعة وصلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من أعمال بني آدم كلها بتقدير الله تعالى وهي تجري وفق علمه فهو علمها وقدرها بخلاف ما يدعيه الجبرية (**القدرية**) الذين نفوا علم الله بالأشياء قبل وقوعها فقد قالت القدرية: إن الله لا يعلم بهذه الأمور الصادرة من بني آدم إلا بعد وقوعها منهم وهذا كفر وضلال ولهذا نبه المؤلف رحمه الله إلى هذا الأمر.

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٢٠، ومسلم برقم ٢٦٤٣.

(٢) رواه أحمد ٥/٣١٧، وأبو داود برقم (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٣.

وفي البيت (التاسع والسبعين):

يوضح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكرناه آنفاً وهو أن أفعال العباد من خلقه ﷻ ولكنه يضيف في هذا البيت أمراً مهماً وهو أن هذه الأفعال الصادرة من بني آدم هي من كسبهم وعليها سيحاسبون ولا يجوز لأحد منهم أن يحتج بأن الله كتب هذه الأشياء عليهم فيحتجون بالقدر على المعاصي والكفر كما احتج إبليس بذلك.

فالطاعات هي من كسب الإنسان والمعاصي كذلك هي من كسبه والله تعالى سيحاسب العباد على كسبهم لا على كتابته وعلمه ولذلك قال لأهل الجنة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢]؛ أي: بكسبكم لا بعلمنا وكتابتنا.

وفي البيت (الثمانين):

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أمراً مهماً قد يقذفه الشيطان في قلوب بعض الناس وهو أن الله تعالى خالق الإيمان والكفر والخير والشر فهل يعني ذلك أنه خلق الكفر والفسوق والعصيان وغيرها من الأمور التي نهى عنها هل يعني ذلك خلقها ورضيها؟ فوضح الإجابة بأن الله تعالى خلق هذه الأشياء التي يبغضها مع عدم رضاه عنها كل ذلك ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقد قال في معرض عدم رضاه عن ذلك: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فلم يرض بالكفر ورضي بالشكر.

وفي البيت (الحادي والثمانين):

بيَّن فيه المؤلف للمدعو أمراً مهماً وهو أنه إذا وقع بمعصية ما لا يحتج بأقدار الله على معاصيه ويقول بأن الله قدرها عليّ ثم يستمر على معصيته وهذا أجهل الجهل بل هو ما قالت به الجبرية فقد قالوا بأن العبد لا يلام على ما قدر عليه. فالحاصل أن العبد إذا وقع في المعصية يعلم أنها بتقدير الله تعالى

عليه لكن لا يحتج بالقدر على لزومه للمعصية بل عليه أن يستغفر ربه ويتوب إليه ولا يسلم للمعاصي محتجاً بقدر الله عليه.

وفي البيت (الثاني والثمانين):

يوضح فيه أن الله تعالى قد أقام الحجة على خلقه بإنزال الكتب وإرسال الرسل إذ لو كان الإنسان مجبوراً على الكفر مجبوراً على المعصية وغيرها من الأمور الشريرة لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب فالله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي البيت (الثالث والثمانين):

يبين فيه المؤلف رحمه الله أن الله تعالى حينما عصاه العاصي لم يكن آمراً بهذه المعصية التي جنتها يده ولم يكن أجبره عليها كما ادّعته القدرية والجبرية بل للعبد مشيئته وجعل الله تعالى له اختيار فهو الذي يختار المعصية وهو الذي يختار الوقوع في الذنب قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨].



فصل في الإيمان يزيد وينقص وهو قول وفعل

٨٤ ـ وإيمـانـنـا قـول وفـعـل ونـيـة تضمنه الوحيان عند التفاضل

٨٥ ـ يزيد مع الطاعات والعلم والتقى وينقص بالعصيان فعل الأراذل

٨٦ ـ ويجمعه بضع وسبعون شعبة وأعلاه فالتوحيد خير الوسائل

٨٧ ـ ورفع الأذى في الطُرْق أدنى شعابه ومنه الحيا والصبر عند التحامل

٨٨ ـ وفي اللغة الإيمان تصديق جازم ومصداقة قد جاء في نص ما تُلي

٨٩ ـ وإسلامنا استسلام تابع أمرنا لأحكامنا ينقاد شاهدها جلي

٩٠ ـ كما قالت الأعراب في الحُجُرات من دواعي ذوي البدو الغواة الأجاهل

الشرح:

في هذه الأبيات ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان فبين أنه يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وهو يعنى الإيمان قول وفعل ونية وهو اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة.

ففي البيت (الرابع والثمانين):

ذكر المؤلف أن الإيمان قول وفعل ونية جاء ذلك مصرحاً به في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهذا هو مراده بالوحيين والمراد بالقول هنا قول اللسان والقلب والعمل به عمل القلب واللسان والجوارح فقول اللسان المراد به النطق بالشهادتين وقول القلب اعترافه وتصديقه أما عمله فالمراد به الأعمال القلبية مثل الإخلاص والرجاء والتوكل والخوف والصبر وغيرها من الأعمال القلبية، أما الجوارح فهي كالركوع والسجود والقيام وغير ذلك من العبادات التي تقوم بها الجوارح.

دليل ما ذكرناه حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه قال: أخبرني عن الإيمان قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»(١) فهذا هو قول القلب.

أما عمل القلب فدليله قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة** ـ وفي رواية ـ **وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان**»(٢)

فهذا هو قول اللسان وعمله وعمل الجوارح، أما الحياء فهو عمل قلبي فهو تعبير عن انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

وفي البيت (الخامس والثمانين):

ذكر المؤلف شيئاً من لوازم الإيمان ومن مقتضياته وذلك بأنه يزيد وينقص ثم بين أسباب زيادة الإيمان وهي الطاعات والعلم النافع والعمل الصالح النابع عن تقوى الله تعالى وبين أيضاً أسباب نقصان الإيمان المتمثلة في عصيان الرب ﷻ بفعل المنهيات وارتكاب المحرمات وما ذكره المؤلف من زيادة الإيمان ونقصانه أصل من أصول أهل السنة والجماعة جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة فمن نصوص الكتاب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) رواه مسلم برقم (٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٣٥).

أما من السنة فقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار...**» وذكر الحديث وفيه «**ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لُبٍّ منكن...**»[١]. فأثبت ﷺ في هذا الحديث نقصان الدين. والأحاديث في زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة ولذا كان معتقد أهل السنة والجماعة هو القول بزيادة الإيمان ونقصانه وكان على رأس من اعتقد هذا المعتقد من سلف الأمة صحابة النبي ﷺ فقد روى ابن أبي شيبة أن عمر رضي الله عنه كان يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيماناً فيذكرون الله ﷻ»[٢]وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللهم زدنا علماً ويقينا وفقهاً»[٣] وكان معاذ رضي الله عنه يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[٤] وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه والإنفاق من الإقتار وبذل السلام للعالم»[٥].

فهل بعد ذكر هذه النصوص يحق لأحد أن ينكر زيادة الإيمان ونقصانه كما فعلت ذلك بعض الفرق المنحرفة كالمرجئة ومن اعتقد مذهبها الخبيث في هذه الفترة ممن يرجئون الأعمال عن مسمى الإيمان ويقولون بأنه يكفر الإقرار بالشهادة، بل ويجعلون إيمان العصاة وغيرهم كإيمان جبريل عليه السلام وسائر الملائكة.

وفي البيتين (السادس والثمانين والسابع والثمانين):

يوضح الناظم رحمه الله أن الإيمان جمع في بضع وسبعين شعبة وأعلى هذه الشعب هو التوحيد وأدنى شعب الإيمان هو إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعبه بل كذلك الصبر عند التحامل.

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٩).
(٢) خرجه ابن أبي شيبة في الإيمان: ١٠٨.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٨٥٤٩).
(٤) رواه البخاري معلقاً ١/ ٤٥.
(٥) رواه البخاري، باب إفشاء السلام من الإيمان ١/ ٨٢.

دليل ذلك ما ذكرناه آنفاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١). وهذا لفظ مسلم وللبخاري بلفظ: «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»(٢).

وفي البيت (الثامن والثمانين):

ذكر المؤلف تعريف الإيمان في اللغة بأنه التصديق الجازم مصداق ذلك ما جاء في القرآن العظيم وذلك في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: ١٧]. فجعل الإيمان هنا هو التصديق.

ولا شك أن القول بأن الإيمان هو مجرد التصديق خطأ بل الإيمان يكون تصديقاً وموافقة وموالاة وانقياداً وغيرها من معاني الإيمان التي تستلزم العمل لا مجرد التصديق.

وفي البيتين (التاسع والثمانين والتسعين):

يفرق فيهما المؤلف بين الإسلام والإيمان فبعد أن بين الإيمان ولوازمه بين أن الإسلام هو الاستسلام التابع لأحكام وأوامر الله تعالى فإن من آمن بتصديق جازم يلزمه الانقياد لهذا الإيمان وهو الإسلام لأن الإسلام جزء من مسمى الإيمان.

ولما ادعت الأعراب الإيمان أنكر الله تعالى عليهم ذلك فقال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

ففرق الله تعالى بين الإيمان والإسلام فإن الإيمان هو الأعمال الباطنة والإسلام الأعمال الظاهرة فكون الإنسان يأتي بالأعمال الظاهرة كالصلاة والحج والزكاة وغيرها من أعمال الإسلام ليست دليلاً على ثبوت الإيمان له.

(١) رواه مسلم برقم (٣٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٩).

فصل في أركان الإسلام
وأن الصلاة ثانية الأركان

٩١ ـ وأركان دين الله بالنص خمسة أتت في صحاح النقل عن كل ناقل

٩٢ ـ رواه البخاري في الصحيح ومسلم وكل إمام عمدة للأماثل

٩٣ ـ فمن بعد توحيد الإله فريضة هي الصلوات الخمس أعلى الفضائل

٩٤ ـ وفي ليلة الإسراء قد كان فرضها على خير خلق الله ختم الرسائل

٩٥ ـ وحُدّت بأوقات لها ليس تختفي على كل ذي لب من الله واجل

الشرح:

بعد أن انتهى الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من بيان عقيدة أهل السُّنة والجماعة انتقل إلى بيان أركان الإسلام فبدأ بما بدأ به النبي ﷺ يعني بالصلاة فإن النبي ﷺ في جل أحاديثه عند بيان شيئاً من الإسلام تراه يبدأ بها.

ففي البيتين (الحادي والتسعين والثاني والتسعين):

ذكر المؤلف أن أركان الإسلام خمسة جاءت بذلك نصوص السنة ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**»[١].

وكذلك في حديث جبريل المشهور وفيه أخبرني عن الإسلام قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي**

---

(١) رواه البخاري ١/٤٦، ومسلم برقم (١٦).

الزكاة وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»[١].

وفي البيت (الثالث والتسعين):

بيَّن المؤلف رحمه الله تعالى عظم الصلوات الخمس فإنها جاءت بعد التوحيد يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبذلك أصبحت ثاني أركان الإسلام ولذا حق لها أن تعتبر أعلى الفضائل والآيات والأحاديث التي وردت في فضلها كثيرة جداً فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومن الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا**»[٢].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل ألي هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»[٤].

ومن ذلك أيضاً ما رواه مسلم من حديث عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت**

---

(١) سبق تخريجه ص٥٦.

(٢) رواه البخاري ٢/٩، ومسلم برقم (٦٦٧).

(٣) رواه البخاري ٢/٧، ومسلم (٢٧٦٣)

(٤) رواه مسلم ٢٣٣.

كبيرة وذلك الدهر كله»[١].

فحري بمن قرأ هذه النصوص أو علم بها أن يهتم بشأن ثاني أركان الإسلام يعني الصلاة.

وفي البيت (الرابع والتسعين):

ذكر المؤلف مكان ووقت فريضة الصلوات الخمس فقد فرضت ليلة الإسراء يوم أن أسري بالنبي ﷺ وعرج به إلى السماء الدنيا بعد عشر من البعثة ففرضت الصلاة عليه خمسون صلاة ثم خففها الله ﷻ إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك. ففي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث المعراج قال النبي ﷺ: **«ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال لي موسى: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت وراجعت ربي فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها. فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: قد استحييت من ربي»** الحديث[٢].

وفي البيت (الخامس والتسعين):

يوضح الناظم رحمه الله أن الصلوات الخمس حددت بأوقات هذه الأوقات لا تخفى على كل ذي لب؛ أي: عقل مسلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣].

* * *

(١) رواه مسلم ٢٢٨.

(٢) رواه البخاري كتاب الصلاة باب (كيف فرضت الصلاة في المعراج) برقم (١٩٢) مختصر صحيح البخاري للألباني.

٩٦ ـ فحافظ عليها في أداء شروطها وأركانها والواجبات الكوامل
٩٧ ـ ومن يسرق الأركان بئست فعاله وأعطى من وفّى كريم المنازل
٩٨ ـ أقام لدين الله من قد أقامها وهادمها مهدوم دين فقاتل
٩٩ ـ فواظب عليها في الجماعات إنها عماد لهذا الدين فاسمع لما تلي
١٠٠ ـ وآخر مفقود من الدين فعلها فما بعدها دين لساه وغافل

الشرح:

في البيت (السادس والتسعين):

ينبه المؤلف رحمه الله تعالى المدعو على أمر مهم وهو المحافظة على الصلوات وذلك لا يتم إلا بأداء شروطها وأركانها وواجباتها فمن شروطها دخول وقتها والطهارة من الحدث والنجس ومن أركانها القيام فيها والتحريمة يعني تكبيرة الإحرام والفاتحة والركوع والاعتدال عنه والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال من السجود والجلوس بين السجدتين والطمأنينة والتشهد الأخير وجلسته والصلاة على النبي ﷺ والترتيب والتسليم فهذه أركانها.

أما واجباتها فهي التكبير في غير تكبيرة الإحرام وقول: سمع الله لمن حمده وتسبيح الركوع والسجود وسؤال الله المغفرة مرة والتشهد الأول.

فهذه شروط الصلاة وأركانها وواجباتها التي ينبغي على المصلي مراعاتها.

وفي البيت (السابع والتسعين):

ذكر المؤلف أن هناك سرقة تحصل من المصلي في صلاته وهذه السرقة تتمثل في عدم أداءها على الوجه المطلوب شرعاً فلا يتم ركوعها ولا سجودها، دليل ما ذكره المؤلف ما رواه أحمد عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ **«أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته»** . قالوا: يا

رسول الله وكيف يسرق من صلاته قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»(١).

وفي البيت (الثامن والتسعين):

من أقام هذه الصلاة فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ولذا كان حقاً على الإمام أن يقتل من لم يؤدها وذلك لأنها أحد أركان الإسلام الخمس ومبانيه العظام كما قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»(٢). وذكر منها الصلاة أما كون من لم يقم بأدائها يقاتل فقد جاء عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك ففي البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»(٣).

وفي البيت (التاسع والتسعين):

دعوة من الناظم بأن يحافظ على الصلوات في جماعة وذلك لأنها عماد الدين وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بوجوب أداء الصلوات الخمس مع الجماعة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]. ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وكون الرب ﷻ أمر أن تؤدى في جماعة في حال الخوف دليل على وجوبها وأدلة القرآن الكثيرة.

أما من السنة فقوله ﷺ: «... **ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**»(٤).

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٣١٠ وصححه الألباني مشكاة المصابيح ١/ ٢٧٩ برقم (٨٨٥).

(٢) سبق تخريجه ص١٩٦.

(٣) رواه البخاري ١/ ٧٠، ومسلم برقم (٢٢).

(٤) رواه البخاري ٢/ ١٠٧، ١٠٨، ومسلم ٦٥١.

وفي البيت (المائة):

يذكر المؤلف أن الصلاة هي آخر مفقود من الدين وهذا لا شك إيذان بخراب العالم دليل ما قاله المؤلف قوله ﷺ: «**لتنقضنّ عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة**»[1].

وفي رواية من طريق آخر «**أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه**»[2].

* * *

١٠١ ـ جماعتها مشروطة للتوادد	**وإفشا سلام بيننا والتواصل**
١٠٢ ـ تضاعف فيها الأجر وهي جماعة	**فزادت عن العشرين من خير مجزل**
١٠٣ ـ وجاحدها بالإتفاق فكافر	**وعن أحمد التكفير للمتكاسل**
١٠٤ ـ ولا قتل من قبل الدعاية فيهما	**به قال أهل العلم من كل عامل**

الشرح:

في البيت (الواحد بعد المائة):

ذكر المؤلف بعض الحِكم التي من أجلها شرعت صلاة الجماعة ففيها تودد وإفشاء السلام وتواصل بين الأفراد والمجتمعات فمن خلال صلاة الجماعة تتعرف على المفقود من إخوانك فإن كان مريضاً زرته، وإن كان في ضيقة وهم فرجت عنه، وهكذا فهذه بعض الحكم التي من أجلها شرعت صلاة الجماعة.

في البيت (الثاني بعد المائة):

فيه بيان أجر صلاة الجماعة وذلك بأنها تفضل عن صلاة الفرد بخمس

(١) رواه أحمد ٥/٢٥١ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٢٩.

(٢) ذكره الألباني في صحيح الجامع وحسنه ٢/٣٥٣.

وعشرين درجة ورد في ذلك نصوص منها حديث أبي هريرة ﷺ؛ قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تضاعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً..**»(١).

وفي رواية عند مسلم عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»(٢).

في البيت (الثالث بعد المائة):

فيه بيان حكم تارك الصلاة وأنه لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يتركها جاحداً لفرضيتها فهو كافر بالاتفاق وإجماع أهل العلم لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

الثاني: من لم يجحدها ولكنه تركها تكاسلاً مع إيمانه بفرضيتها وهذا محل خلاف بين الفقهاء فالإمام أحمد يرى كفره، وجمهور أهل العلم يرون عدم كفره، والمسألة فيها كلام طويل، من أراد الزيادة فيها فليرجع إلى كتب أهل العلم التي أُلفت في ذلك وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الصلاة فليراجع.

في البيت (الرابع بعد المائة):

إذا قلنا بكفر وردة من ترك الصلاة جحوداً وتكاسلاً فإنه يقتل بتركها، لكن قبل أن يقتل فإنه يدعى إلى أداءها فلا يقتل ابتداءً وإنما لا بد من دعوته وتحذيره من سخط الله وعقابه وأنه إن لم يقم بفعلها سيقتل فإن أصر على ذلك قتل وإن استجاب وقام بفعلها لا يقتل قال بذلك أهل العلم من كل عامل.



(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة ١/١٥٨.

(٢) رواه مسلم ١/٤٥٣ برقم (٦٥٤).

فصل في الزكاة المفروضة

١٠٥ ـ وأدِّ زكاة المال فرضاً فإنها لثالثة الأركان حقاً لعامل

١٠٦ ـ فكم ذكرت مقرونة بصلاتنا وقال بها خلوا سبيلاً لفاعل

١٠٧ ـ وكم أتلفت للمال يوماً بمنعها كما كان حصناً دفعها من غوائل

١٠٨ ـ ولا تحسبن الباخلين بمنعها لهم ذاك خير بل لهم شر حاصل

١٠٩ ـ يُطوقهم في الحشر ما بخلو به شجاعاً من الحيات بالسم قاتل

١١٠ ـ وكم من يجئ يوم القيامة حاملاً بعيراً وذا شاة فيا ويل حامل

١١١ ـ ومن بعد أن تحمى ستكوى جبينه وجنب وظهر ذا جزا كل باخل

١١٢ ـ وجاحدها بعد الدعاية كافر له فاقتلن بالسيف والجمع قاتل

١١٣ ـ ومانعها إن كان صاحب شوكة وإن لم يكن يجحدْ فبالسيف عامل

١١٤ ـ إلى أن يؤدي طائعاً أمر ربه كفعل أبي بكر إمام الأفاضل

الشرح:

بعد أن انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأبيات إلى الركن الثالث من أركان الإسلام وهو الزكاة بين مكانتها في الإسلام وعقوبة من بخل بها فلم يؤديها.

ففي البيت (الخامس بعد المائة):

يشير إلى كون الزكاة فرضاً فرضه الله تعالى وهي ثالث أركان الإسلام فيجب أن تؤدى وفق ما أمر الله به.

وفي البيت (السادس بعد المائة):

ذكر أن الزكاة جاءت مقرونة بالصلاة التي هي أعظم العبادات وهذا دليل

على فضلها وفضل من أداها طيبة به نفسه، وإذا نظرت إلى القرآن وهو يتحدث عنها تجده قد جمع بينها وبين الصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً وهذا دليل على الاتصال بين هاتين العبادتين المهمتين.

أما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال بها خلوا سبيلاً لفاعل)** يشير إلى آية سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وفي البيت (السابع بعد المائة):

بين رَحِمَهُ اللَّهُ شؤم المعصية في منعها والضد بالضد وذلك لكونها حصناً لمال من أداها وهذا حق فقد قال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»[(١)]. وقوله ﷺ: «**من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره**»[(٢)].

وفي البيت (الثامن والتاسع بعد المائة):

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

أما قول الناظم (شجاعاً من الحيّات بالسم قاتل):

يشير إلى قوله ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** (يعني شدقيه) **ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك**». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾... الآية[(٣)].

وفي البيت (العاشر بعد المائة):

ينبه المؤلف إلى أمر خطير على مانع الزكاة وهو أنه بسبب بخله عن أداء

(١) رواه مسلم (كتاب البر) باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ١/ ٣١٢ برقم (٧٤٣).
(٣) رواه البخاري (كتاب الزكاة) باب إثم مانع الزكاة حديث رقم (٧٠١) مختصر البخاري للألباني.

صدقة الأنعام سيأتي وهو حاملها على كتفه يوم القيامة فيا له من عذاب أليم، ثم بعد ذلك لا ترحمه هذه الأنعام، قال ﷺ: **«ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وأقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها»** الحديث(١).

فأي عذاب وأي نكال أعظم من هذا العذاب هذا كله بسبب بخله عن أداء الأمر اليسير الذي طلب منه وهو أداء الزكاة التي فرضت عليه فعلى العاقل الذي سمع بهذا الحديث أن يبادر بأداء زكاة ماله قبل ألا ينفع دينار ولا درهم ولا شاة ولا بعير بل يتمنى ألا يكون له شيء من ذلك نسأل الله السلامة والعافية.

وفي البيت (الحادي عشر بعد المائة):

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وقوله ﷺ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...»** الحديث(٢).

وفي الأبيات (الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر بعد المائة):

بين في هذه الأبيات حكم تارك الزكاة فلا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يتركها جحوداً لفرضها وبلا عذر فإنه يدعى إليها مع بيان أمر الله بها فإن أصر على ذلك كفر ويقتل بجحوده إياها.

الحالة الثانية: أن يمنعها مع عدم جحودها فإن كان صاحب شوكة فإنه يقاتل حتى يؤديها كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن يؤديها طائعاً أمر الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم ١/ ٢٨٤.

(٢) رواه البخاري ٣/ ٥٢، ومسلم برقم (٩٨٧).

فصل في الحج والصوم

١١٥ ـ ورابعها فالصوم والحج خامس ... أداؤهما فرض على كل عاقل

١١٦ ـ بذكرهما تمت قواعد ديننا ... بفعلهما بادر دواماً وعاجل

١١٧ ـ وَصُنْ لهما عن كثرة الفحش والأذى ... ولاتك ترفث فيهما أو تجادل

١١٨ ـ ولا شك من يجحدهما فهو كافر ... به صح عن كل الهداة الأماثل

١١٩ ـ فمن شهد الشهر المُعظَّم فليكن ... من الصائمين القائمين العوامل

١٢٠ ـ ومن شهر شوال فأتبعه ستة ... تكون كصوم للدهور الأكامل

١٢١ ـ ويوم وقوف الناس صمه فإنه ... يكفر عامين بإثبات ناقل

١٢٢ ـ وصم يوم عاشورا احتساباً فإنه ... يكفر عاماً في صحاح الدلائل

١٢٣ ـ وإن تستطع حج التطوع فافعلن ... ولا تك عن أجر الحجيج بغافل

١٢٤ ـ فمن حج بيت الله حطت ذنوبه ... ويرجع كالمولود من بطن حامل

الشرح:

انتقل الناظم رحمه الله تعالى إلى بيان شيء من الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام.

ففي البيتين (الخامس عشر والسادس عشر بعد المائة):

يبين الناظم أن الصوم والحج من فرائض الإسلام وأن هذا الفرض ليس على كل أحد، وإنما هو فرض على كل عاقل وهذان الفرضان بالإتيان بهما تكون قد تمت قواعدُ هذا الدين فعلى المسلم أن يبادر بفعلهما وليتعجل في ذلك.

وفي البيت (السابع عشر بعد المائة):

بين شيئاً من آداب الصوم والحج وهو أن يصون الإنسان لسانه عن كثرة الفحش والأذى والجدال والرفث فيهما.

فقد قال تعالى في الصوم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]. ولا تحصل التقوى إلا باجتناب ما ذكر المؤلف وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم**»[١].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[٢].

أما عن الحج فقد قال تبارك وتعالى في شأنه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[٣]

وفي البيت (الثامن عشر بعد المائة):

فيه بيان لحكم جاحد الحج والصوم ولا شك كما قال الناظم في كفره لأنه جحد ما جاءت نصوص الشريعة بفرضيته فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى في الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفي البيت (التاسع عشر بعد المائة):

فيه بيان لحكم من يجب عليه الصوم فإنه يجب على مَنْ شهد الشهر

---

(١) رواه البخاري ٤/ ٨٨، ومسلم برقم (١١٥١).
(٢) رواه البخاري ٤/ ٩٩.
(٣) رواه البخاري ٣/ ٣٠٢.

وليكن من الصائمين العاملين بحقوق صومهم فيجتنب ما نهى الله عنه وليتزود فيه من الأعمال الصالحة ولا يكن يوم صومه كيوم فطره سواء.

وفي الأبيات (العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين بعد المائة):

بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ جملة من صيام التطوع فبدأ بأعظمها أجراً وأكثرها مثوبة وهو صيام ستة من شوال فقد جاء عن النبي ﷺ بأن من صام هذه الأيام فكأنما صام الدهر ففي صحيح مسلم من حديث أبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»[1].

ومن صيام التطوع صيام يوم عرفة فقد جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: «**يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده**»[2].

يلي هذين في الفضل صيام يوم عاشوراء فقد جاء بأنه يكفر ذنوب عام روى ذلك أيضاً مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم عاشوراء فقال: «**يكفر السنة الماضية**»[3].

وفي البيتين (الثالث والعشرين والرابع والعشرين بعد المائة):

فيه دعوة من المؤلف إلى التزود من أعمال الخير وخاصة الحج فإن أجره عظيم كما جاءت نصوص السنة بذلك فمن أعظم ثمراته أن من حج رجع من حجه كيوم ولدته أمه ففي صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[4].



---

(١) رواه مسلم برقم (١١٦٤).
(٢) رواه مسلم برقم (١١٦٢).
(٣) رواه مسلم برقم (١١٦٢).
(٤) سبق تخريجه ص٢٠٧.

فصل في حقوق الوالدين على الأولاد

١٢٥ ـ وقم بحقوق الوالدين فإنها	تلي لحقوق الله من غير فاصل
١٢٦ ـ رِضا الله ما يرضيهما من مسرة	وشكرهما شكر له بالتماثل
١٢٧ ـ فلا تكسلن يوماً وباشر حقوقهم	ولا تك يوماً يا أخي بالمماطل
١٢٨ ـ وقل لهما قولاً كريماً تَنَلْ به	جزاءً من المولى، ودع قول باطل
١٢٩ ـ وحافظ على بذل الدعا لكليهما	مجيباً فيا نعم المجيب لسائل
١٣٠ ـ وعدَّ عقوق الوالدين نبينا	من الموبقات السبع يا ويل غافل
١٣١ ـ وقد جاء في لقمان مَعْ سورة النسا	وفي سورة الإسرا عظيم الدلائل

الشرح:

في الأبيات (الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين بعد المائة):

انتقل رَحِمَهُ اللهُ إلى بيان حقوق الوالدين وذلك لأن الله تعالى جعلهم في الترتيب بعد حقه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فلم يجعل بين حقه عَزَّ وَجَلَّ وحق الوالدين فاصل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

فإذا كان هذا حقهم عليك فلا تستكره بذل الجهد والمال وغيره لهما بل إذا طلبا منك أمراً فبادر إليه ولا تكن مماطلاً.

وفي البيت (الثامن والعشرين بعد المائة):

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي البيت (التاسع والعشرين بعد المائة):

فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

وفي البيت (الثلاثين بعد المائة):

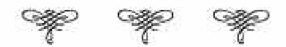
يشير إلى قوله ﷺ من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت**»(١).

وفي البيت (الحادي والثلاثين بعد المائة):

يشير فيه إلى قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وفي سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

وفي سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].



(١) رواه البخاري ١/ ٣٤٢، ٣٤٥، ومسلم برقم (٨٧).

فصل في حقوق الأولاد على الوالدين

١٣٢ ـ كذاك وللأولاد حق فلا تكن	عن الحق أعمى أو بضد تقابل
١٣٣ ـ فقد جاء في الشرع الشريف على أب	نجابة أم من كرام القبائل
١٣٤ ـ وتحسين اسم عند وضع ولادة	وتعليمه القرآن خير المحاصل
١٣٥ ـ وتعليمه ما فيه إصلاح دينه	ودنياه بالآداب فانهض وعامل
١٣٦ ـ وتزويجه عند البلوغ بكاعب	تقية دين ذات حسن مقابل
١٣٧ ـ تحصن منه الخائنات من الخنا	وتزجره عن شبه فعل الأجاهل

الشرح:

بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله ما للآباء على أبنائهم من حقوق ذكر أمراً مهماً هنا يغفل عنه الكثير من الناس وهو حقوق الأبناء على والديهم.

ففي البيت (الثالث والثلاثين بعد المائة):

بدأ بأول هذه الحقوق وهو اختيار أم الولد يعني أن الإنسان إذا أراد أن يتزوج فالواجب عليه أن ينظر إلى من ستكون أم أولاده يختار لنفسه النجيبة من كرام القبائل يشير إلى قوله ﷺ: «**إياكم وخضراء الدمن**» قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء**»[١].

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم**»[٢].

---

(١) الحديث ضعيف جداً ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٤) وضعفه الحافظ العراقي في إحياء علوم الدين ٢/ ٣٨.

(٢) رواه بن ماجه ١/ ٦٠٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ٥٦ برقم (١٠٦٧).

وفي الأبيات (الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين):

يدعو المؤلف رحمه الله الأبوين إلى أمرين مهمين:

الأول: هو تحسين اسم الولد أو البنت وذلك عند الولادة والاهتمام به عند نضوج عقله وذلك بتعليمه القرآن وذلك لأن القرآن هو خير العلوم وأنفعها ويعلمه أيضاً ما ينفعه في دينه ودنياه وذلك ليجتمع في الولد صلاح الدنيا والآخرة ولعل الناظم رحمه الله يشير في هذه الأبيات إلى القصة المشهورة التي جاءت عن عمر رضي الله عنه وخلاصتها أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه:

فأحضر عمر رضي الله عنه ابنه وأنبه على عقوق أبيه فقال الابن:

يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه ويعلمه القرآن.

فقال الابن: يا أمير المؤمنين: إنه لم يفعل شيئاً من ذلك: أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً (جعراناً) ولم يعلمني من القرآن حرفاً واحداً.

فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له: أجئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

وفي البيت (السادس والثلاثين والسابع والثلاثين بعد المائة):

يشير المؤلف رحمه الله إلى أمر آخر من الحقوق التي يجب مراعاتها للأبناء وهذا الحق يتمثل في تزويج الابن عند بلوغه فإن في ذلك حصناً له إن شاء الله من الوقوع في المعاصي والزلات وهذا أمر في الحقيقة مشاهد ومعروف لدى الجميع.



فصل في صلة الأرحام

١٣٨ ـ ووصل ذوي الأرحام أسمى خليقة　　لأهل النهى والأكرمين الأماثل

١٣٩ ـ ففي قطعها إثم كبير لقاطع　　وفي وصلها أمر جزيل لواصل

١٤٠ ـ ولو لم يكن فيها سوى المجد كافياً　　فكيف وفي القرآن أزكى الدلائل

١٤١ ـ فقد أمر الله العباد وحثهم　　فيا ويل من للأمر ليس بفاعل

١٤٢ ـ على أن يكونوا بينهم في تواصل　　وإيتاء حق الأقربين بعاجل

١٤٣ ـ وإن لم تصل بالمال صل بزيارة　　وإن لم تصل فابعث سلاماً وأرسل

١٤٤ ـ فلا ينزل الرحمن رحمته على　　ذوي مجلس فيهم قطوع فعازل

١٤٥ ـ وفي الرعد لعن القاطعين وفي التي　　محمد مذكور بها في التقاتل

١٤٦ ـ فقد جاء وعد الواصلين لرحمهم　　بجنات عدن طيبات المنازل

الشرح:

بعد أن بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حقوق الأبوين على أبنائهم والعكس انتقل إلى أمر متعلق بهذا الأمر وهو صلة الأرحام.

ففي البيت (الثامن والثلاثين بعد المائة):

أشار المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إلى أن صلة الرحم عنوان على فاعلها بل هي من أسمى الأخلاق وأرفعها بل ودليل على صدق المسلم في إسلامه.

وفي الأبيات (التاسع والثلاثين إلى الثاني والأربعين بعد المائة):

وضح الناظم رَحِمَهُ اللهُ الآثار المترتبة على صلة الرحم وقطعها ففي قطعها إثم كبير على القاطع دليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا

فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**» قال سفيان في روايته يعني: قاطع رحم[(١)] والأحاديث الواردة في التحذير من قطيعة الرحم كثيرة.

أما أجر وصلها فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان فضل ذلك فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢١، ٢٤].

فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يعني يصلون رحمهم. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء: ١].

يعني يسأل بعضكم به بعضاً فيقول: أسألك بالله والأرحام؛ أي: اتقوا الأرحام وذلك بعدم قطعها.

أما من السنة فقد جاء في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ١/٣٤٧، ومسلم برقم (٢٥٥٦).
(٢) رواه البخاري ١/٣٧٣، ومسلم برقم (٤٧).
(٣) رواه البخاري ١/٣٤٨، ومسلم (٩٩٨).

والأحاديث في فضل صلة الرحم كثيرة.

وفي البيت (الثالث والأربعين بعد المائة):

فيه بيان بعض الطرق التي من خلالها يمكنك أن تصل رحمك فمن هذه الطرق الزيارة يعني زيارة من تربطك بهم رحم أو إيصالهم بالمال وهذا أبلغ ما يكون في الصلة أو السؤال عنهم أو إبلاغ السلام لهم أو إرسال الرسالة المتضمنة بالسؤال عنهم وأحوالهم والسلام عليهم وهكذا كل ما كان فيه ود للرحم فإنه يعد صلة، فالأمر ليس مقصوراً على صفة معينة بل الأمر واسع في ذلك.

وفي البيت (الرابع والأربعين بعد المائة):

يشير المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن رحمة الله تعالى حجبت عن مجلس فيه قاطع رحم ومنعزل عنهم وهذا كله فيه وعيد شديد لمن قطع رحمه فإنه بشؤم معصيته لله حجبت الرحمة عن المجلس نسأل الله الهداية والرشد.

وفي البيت (الخامس والأربعين والسادس والأربعين بعد المائة):

سبقت الإشارة إلى الآيات في سورة الرعد وسورة محمد المتضمنة صلة الرحم والتحذير من قطعها فلتراجع.



فصل في الإحسان إلى الأيتام
والتحذير من أكل أموالهم

١٤٧ ـ وأحسن إلى الأيتام وامسح رؤوسهم وأطعمهم من طيبات المآكل
١٤٨ ـ يلين قلباً قاسياً منك لو يكن فؤادك أقسى من أصم الجنادل
١٤٩ ـ وقال رسول اللَّه: إني وكافل يتيماً كهاتين فطوبى لكافل
١٥٠ ـ ولا تك يوماً لليتيم بقاهر وتأكل منه المال يا ويل آكل
١٥١ ـ فآكله يصلى جهنم في غد ويطعم في الأمعاء طين الخبائل
١٥٢ ـ فنابت لحم بالحرام غذي به به النار أولى من خليل مخالل
١٥٣ ـ ونابت لحم بالحلال غذي به إلى جنة الفردوس أول داخل

الشرح:

انتقل المؤلف رحمه الله إلى خصلة من الخصال الحميدة التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها ويربي نفسه وأولاده عليها، وهي الإحسان إلى الأيتام، والحذر كل الحذر من أذيتهم وأكل أموالهم.

ففي البيتين (السابع والأربعين والثامن والأربعين بعد المائة):

وضح فيها الناظم فضل الإحسان إلى الأيتام وطرقه والآثار المترتبة على ذلك. فمن الأمور التي يتم بها الإحسان إلى اليتيم يكون بمسح رأسه وإطعامه من طيبات المآكل وغير ذلك من طرق الإحسان سواء كان بالقول أو بالفعل وذلك بحفظ ماله إن كان له مال وبطيب الكلام والنظر إلى ما فيه صلاح له ولذا جاء القرآن بالحث على عدم قهره في ماله أو عدم أكل ماله بالباطل قال

تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩﴾ [الضحى: ٩] أي: لا تغلبه على ماله وذلك لضعفه.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٢].

وقال: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

كل هذه الآيات تدل على عظم حق اليتامى والتحذير من كل ما فيه ضرر عليهم ففي الإحسان إليهم تلين قلوب القاسين.

وفي البيت (التاسع والأربعين بعد المائة):

يشير المؤلف إلى قوله ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى(١).

وفي البيتين (الخمسين والحادي والخمسين بعد المائة):

يحذر المؤلف من قهر اليتيم بأكل ماله كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ أي: يأكلون أموالهم بلا سبب فعاقبهم الله بأنهم سيأكلون يوم القيامة ناراً تأجج في بطونهم.

ولذا جعل النبي ﷺ أكل مال اليتيم من السبع الموبقات ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منهن آكل مال اليتيم**»(٢).

ولذا قال السدي رحمه الله: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه يعرفه كل من رآه يأكل مال اليتيم.

وفي البيتين (الثاني والخمسين والثالث والخمسين بعد المائة):

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٨٣.

(٢) البخاري ٥/ ٢٩٤، ومسلم برقم (٨٩).

يشير المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهما إلى أن آكل الحرام الذي نبت جسده من حرام وغذي عليه النار أولى به وفي هذا إشارة لما رواه أحمد والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت وكل لحم نبت من السحت كانت النار أولى به»**[1].

وعن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة جسد غذي من الحرام»**[2].



(١) انظره في: مشكاة المصابيح ٢/ ٨٤٥ برقم (٢٧٧٢) بتحقيق الألباني.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٤٨ برقم (٢٧٨٧).

فصل في قتل النفس التي حرم الله

١٥٤ ـ ومن قتل النفس الحرام تعمداً فلا بد ما تصلاه نار المشاعل

١٥٥ ـ ويجعل سلطاناً لآخذ ثاره من الأوليا نصر على قهر قاتل

١٥٦ ـ ويلقى عليه الله في الحشر غاضباً ويلعنه قد جاء في نص ما تلي

١٥٧ ـ ويجزى عذاباً دائماً متضاعفاً دواماً ويلقى بعده كل هائل

الشرح:

انتقل المؤلف رحمه الله إلى شيء آخر من المنهيات الشرعية التي نهى الله تعالى عباده عن اقترافها وهو قتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها.

فقد بين في هذه الأبيات عظم هذا الذنب وأن من فعل ذلك فإن نار جهنم تصلاه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

فهذه عقوبته الأخروية فيها تهديد ووعيد أكيد لمن فعل هذا الجرم العظيم وقد جاء النهي عن هذا الذنب العظيم في القرآن الكريم في أكثر من موضع ففي سورة الأنعام قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [الفرقان: ٦٨].

أما الأحاديث التي جاءت بالنهي عن هذا الفعل العظيم فهي كثيرة منها

قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(١).

ولهما أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(٢).

وهذا ما ذكرناه من عقوبته في الدار الآخرة من غضب الله عليه ولعنه وإعداده له عذاباً عظيماً. أما في دار الدنيا فقد وضح المؤلف عقوبة ذلك في البيت الخامس والخمسين بعد المائة وكأنه يشير رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].



(١) رواه مسلم برقم (١٦٧٨).

(٢) سبق تخريجه ص٢١٧.

فصل في اللواط وفي الزنا

١٥٨ ـ ولا تك لواطاً ولا تك زانياً فذلك للشيطان شر الحبائل

١٥٩ ـ وإثمهما إثم كبير لأنه من الموبقات المهلكات الجلائل

١٦٠ ـ وأعظم ذا زان بحرمة جاره فيا ويل من للجار بالشر باذل

١٦١ ـ وما ثم عند الله ذنب كذنبه يضع نطفة في غير رحم الحلائل

١٦٢ ـ سيخزيهما الرحمن بين عباده فيا ويل مفعول ويا ويل فاعلٍ

الشرح:

في هذه الأبيات ينصح المؤلف أخاه المدعو بأن لا يكون من أهل اللواط والزنا هذا الفعل القبيح الذي من خلاله يورث صاحبه الذلة والمهانة في الدنيا والآخرة.

ففي البيتين (الثامن والخمسين والتاسع والخمسين بعد المائة):

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأسراء: ٣٢].

وفي قول لوط لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

ففي هذه الآيات وغيرها دليل على حرمة هذا الفعل العظيم. فينبغي أيها المسلم أن تحذر ذلك وتخاف على نفسك من الوقوع فيه. وذلك لأنها من المهلكات الموبقات التي تهلك صاحبها في الدار الآخرة.

بل في الدنيا تهلك فاعلها وذلك بالأمراض الفتاكة كالإيدز والزهري

والسيلان وغيرها من الأمراض الفتاكة فيحصل له بذلك هلاك دنيوي وأخروي.

وفي الأبيات (الستين والحادي والستين بعد المائة):

يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**» قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**ثم أن تزني بحليلة جارك**»[1].

فهذا من أعظم الذنوب عند الله تعالى لوضعه نطفة في غير ما أحله الله له.

أما في البيت (الثاني والستين بعد المائة):

بين عقوبة مرتكبي جريمة اللواط وذلك بأن الله سيخزيهم بين عباده وذلك بقتل الفاعل والمفعول به في الدنيا، والويل لهم في الآخرة.



(١) رواه البخاري ٦/ ٢٢، ومسلم ١/ ٩٠.

فصل في ظلم المتكبرين

١٦٣ ـ ولا تك جباراً ولا متكبراً	فويل لجبار عن الحق مائل
١٦٤ ـ ولا تك يوماً للرعية ظالماً	ولا تك يوماً للحرام بآكل
١٦٥ ـ سيدفع للمظلوم ما قد فعلته	من الخير والإحسان ما كنت عامل
١٦٦ ـ وإن لم يكافي حُط من سيئاته	عليك فتمسي في قيود السلاسل
١٦٧ ـ وحاذر دعا المظلوم إن كنت حازماً	سينصر قطعاً لو يكن غير عاجل
١٦٨ ـ فإنَّ دعا المظلوم لا يحجبنَّه	سحاب ولا باب إلى الله واصل
١٦٩ ـ تنام عيون الظالمين ولم تنم	عيون لمظلوم بها الدمع سائل

الشرح:

هذه الأبيات ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليحذر المدعو من ظلم أحدٍ من البشر فإن عاقبة الظلم وخيمة على صاحبها.

ففي البيت (الثالث والستين بعد المائة):

فيه تحذير المدعو من أن يكون جباراً متسلطاً متكبراً وذلك لكونه دافعاً للحق محتقراً للناس فإن هذين الصنفين يعني الكبر والتسلط على الناس صفتان قرينتان مذمومتان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]. وقال أيضاً: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]. ومعنى تصعر خدك للناس؛ أي: تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم. والمرح التبختر.

أما من السنة فقد جاءت النصوص كثيرة في التحذير من هذه الصفات منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...**» الحديث(١).

وفي المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتل جواظ مستكبر**»(٢).

والعتل هو الغليظ الجافي، والجواظ قيل في معناه هو الضخم المختال في مشيته. وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احتجت الجنة والنار فقالت النار: فِيّ الجبارون والمتكبرون...**» الحديث(٣).

وفي البيت (الرابع والستين بعد المائة):

فيه تنبيه للمدعو من أن تكون فيه هاتان الخصلتان وهما الظلم لعباد الله وأكل الحرام فإن الظلم في الحقيقة يدعو صاحبه إلى أكل أموال الناس بالباطل ولذا جمع بينهما المؤلف والظلم منه ما يكون في الرعية ومنه ما يكون في غير ذلك فالرعاية نوعان:

رعاية كبرى وهي التي تكون في رعاية إمام المسلمين للناس يعني رعاية الحاكم للمحكوم وهذا الظلم فيها أشد وأعظم عند الله.

والرعاية الصغرى وهي تكون برعاية الأب على أولاده فلا يظلمهم والظلم فيهم يكون بأشياء عديدة كأن لا يعدل بينهم في العطية وكأن يرى منهم المنكر ولا ينكره عليهم أو يأتي إليهم بالمنكرات ويدعوهم إليها كمن يأتي لأولاده بالدش وغيره فهذا في الحقيقة ظلم لهؤلاء الرعية.

وفي البيتين (الخامس والستين والسادس والستين بعد المائة): بيان لعاقبة الظلم وهي نوعان:

الأول: أنه سيؤخذ من حسنات الظالم إن كانت له حسنات وتعطى لمن ظلمه.

---

(١) رواه مسلم برقم (٩١).
(٢) رواه البخاري ٨/٥٠٧، ومسلم برقم (٢٨٥٣).
(٣) رواه مسلم برقم (٢٨٤٧).

الثاني: أنه إذا لم يكن له حسنات أو كانت له حسنات وانتهت فإنه يؤخذ من سيئات من ظلمه ثم تطرح على الظالم نعوذ بالله من ذلك.

دليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس مِنْ أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[2].

وفي الأبيات (السابع والستين والثامن والستين والتاسع والستين بعد المائة):

فيها إشارة إلى: التحذير من دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب كما جاء ذلك في المتفق من حديث معاذ رضي الله عنه حينما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن فيما قال له فيه: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[3].



(١) رواه البخاري ٥/ ٧٣.
(٢) رواه مسلم برقم(٢٥٨١).
(٣) رواه البخاري ٣/ ٣٨٣، ومسلم برقم (١٩).

فصل في شرب الخمر والربا

١٧٠ ـ ولا تك يوماً للخمور بشارب فشاربها يلقى غداً طين خابل
١٧١ ـ فسحقاً لها أم الخبائث كلها فكم أنتجت منها قبيح الفعائل
١٧٢ ـ وكن سامعاً نصحي وحاذر من الربا وعن كل ما يدني له في التعامل
١٧٣ ـ زيادته نقص كذلك ربحه خسار فجانب فاعليه وعازل
١٧٤ ـ فإن الربا سبعون باباً أقلها كنكحك أنثى الوالدين فقابل
١٧٥ ـ وقد جاء في القرآن في آكل الربا فإن لم يتب فأذن بحرب وقاتل

الشرح:

ما زال المؤلف رحمه الله ينقل المدعو من تحذير إلى تحذير لكي ينجو من سخط الله وعذابه وهنا في هذه الأبيات تحذير للمدعو من ذنبين عظيمين أحدهما أم الخبائث وهو شرب الخمر والثاني التعامل بالربا.

ففي البيتين (السبعين والحادي والسبعين بعد المائة):

فيهما التحذير الشديد من شرب الخمر وذلك لأنها في الحقيقة هي أم الخبائث فمن شربها وقع في كل خبث.

وفي هذه الأبيات يشير الناظم رحمه الله إلى قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل مسكر حرام: إنّ على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**»، **قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرقُ أهل النار أو عصارة أهل النار»**[1].

---

(١) رواه مسلم في ٣/١٥٨٧.

أما كونها أم الخبائث ذلك لأنها مفتاح كل شر كما ذكرنا ذلك، دليل ذلك ما رواه الحاكم عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر»**[1].

وفي الأبيات (الثاني والسبعين والثالث والسبعين والرابع والسبعين بعد المائة):

تحذير من الناظم رحمه الله للمدعو من ارتكاب الذنب العظيم وهو الربا في البيع والشراء والإقراض ونحو ذلك مما يجري فيه الربا.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة للتحذير منه وإعلان الحرب من الله تعالى على أهله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآيات [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أما الأحاديث التي يشير إليها المؤلف رحمه الله فهي ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«الربا سبعون حُوباً أهونها وقوع الرجل على أمه وأربى الربا وقوع الرجل في عرض أخيه»**[2]. ومعنى الحوب الإثم.

وعن أنس ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: **«الدرهم يصيبه الرجل من الربا أشد عند الله ﷻ من ستة وثلاثين زنية»**[3].

وعن البراء بن عازب ﷺ مرفوعاً: **«الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل**

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس وقال: صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان جمع الجوامع ١/ ١٨٤ والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٨١٢).

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٦).

(٣) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٣٨٣).

إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[١].

أما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البيت الثالث والسبعين بعد المائة **(زيادته نقص... إلخ)** يشير إلى ما رواه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُل**»[٢]؛ أي: إلى قلة.



(١) الصحيحة برقم (١٨٧١).

(٢) مشكاة المصابيح ٢/٨٠٥٩ برقم (٢٨٢٧) تحقيق الألباني وصححه في صحيح الجامع برقم (٣٥٣٦).

فصل في التحذير من الرياء والحسد والغيبة والنميمة

١٧٦ ـ ولا تك في الأعمال يوماً مرائياً	فإن الريا شرك بنص الدلائل
١٧٧ ـ فويل لمن قد كان يعمل للريا	بطاعته لله ليس بعامل
١٧٨ ـ ولا تك حساداً لصاحب نعمة	فأول ذنب حَسْدُ أهل الفضائل
١٧٩ ـ ولا تك يوماً بالنميمة ماشياً	ولا تك يوماً للحديث بناقل
١٨٠ ـ ولا تك همازاً ولا تك لامزاً	فإن قلت بالبهتان فارجع وحالل
١٨١ ـ ومن يكتسب إثماً ويرمي مُبَرَّءا	فقد حمل الآثام أكبر حامل

الشرح:

ما زال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ينقلنا من تحذير لآخر وفي هذه الأبيات يحذر من أمور أربعة وهي: الريا والحسد والغيبة والنميمة وإذا نظرت إلى ضياع الأفراد والمجتمعات تجد أن هذه الأمور الأربعة هي الأصل في خراب وضياع المجتمعات.

ففي البيتين (السادس والسبعين والسابع والسبعين بعد المائة):

يحذرنا من الرياء الذي هو نوع من الشرك سماه الرسول ﷺ الشرك الخفي فقال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. فسئل عنه فقال: الرياء**»[(١)].

فالرياء أعظم ما يكون خطراً على الإنسان في دينه لأنه هو نقطة البداية

(١) رواه أحمد برقم (٢٢٥٢٣).

في الانسلاخ من الدين فمتى أصبح الإنسان مرائياً في أعماله من صلاة وحج وزكاة وصدقة وصوم وغيرها من الأعمال فإنه لا بد وأن يكون قد وقع في الشرك، وهذا الشرك بحسب صاحبه فقد يكون شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر.

ومما يدل أيضاً على أن الرياء من الشرك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١).

وفي البيت (الثامن والسبعين بعد المائة):

فيه تحذير من الحسد الذي هو أول ذنب عُصِي الله تعالى به حيث أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى وأستكبر حسداً منه لآدم عليه السلام.

والحسد هو تمني زوال النعمة من صاحبها: سواء أكانت نعمة دين أم دنيا قال الله تعالى في معرض بيان ذلك: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

وقد جاءت السنة بالنهي عن الحسد وقد جاء في حديث أنس ﷺ المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(٢).

وفي البيت (التاسع والسبعين بعد المائة):

فيه التحذير من النميمة التي هي في الحقيقة أصل في ضياع المجتمعات والأسر فكم كانت هي والغيبة سبباً في تقطيع الصلات بين الأسر والعائلات ولذا جاء التحذير الشديد منها قال تعالى: لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠، ١١].

فالهماز هو المغتاب والنمام هو الذي ينقل كلام الناس على جهة الإفساد كما عرفه الناظم رحمه الله ولما كانت النميمة ذنباً عظيماً فقد توعد صاحبها

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).
(٢) رواه البخاري ١٠/ ٤٠، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

بعدم دخول الجنة كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة نمام»**(١).

بل جاءت السنة ببيان عذابه في قبره فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**(٢).

ومعنى قوله ﷺ: **«وما يعذبان في كبير»** يعني كبير في زعمهما، وصدق الله حين قال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [النور: ١٥].

وفي البيت (الثمانين بعد المائة):

فيه نهي عن الغيبة التي جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالنهي عنها والتحذير منها قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد عرف النبي ﷺ الغيبة بقوله لأصحابه: **«أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**(٣).

فأعظم مصيبة أن يطلق الإنسان لسانه بلا ضابط يضبطه ولا وازع ديني يربطه قال ﷺ: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»**(٤).

فحري بالمسلم إذا سمع هذه النصوص أن يتقي الله في نفسه وليحذر عاقبة ذنبه.

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ٣٩٤ ـ ومسلم برقم (١٠٥).

(٢) رواه البخاري ١/ ٢٧٣ ـ ومسلم (٢٩٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٤) رواه البخاري ١١/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وفي البيت (الحادي والثمانين بعد المائة):

يشير إلى أمر مهم وهو أن بعض الناس قد يرتكب أمراً ما من المعاصي من شتم أو ضرب أو قتل ونحوه فإذا به يرمي بما فعله غيره ويدعي أن فلان من الناس فعل كذا أو هو الذي فعل كذا وهذا إثم عظيم توعد الله تعالى من ارتكب هذا الإثم بقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: ١١٢].



فصل في اليمن الغموس ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات وشهادة الزور

١٨٢ ـ ولا تك يوماً للغموس بحالف ستردى وترمى في حبال الغوائل

١٨٣ ـ وإياك من حَلْفٍ لتغليَ سلعة فما أفلح الحلاف عند التعامل

١٨٤ ـ وإياك من زور الشهادة إنها لمن مهلكات العبد عند المسائل

١٨٥ ـ وإياك ترمي المحصنات من النسا ولا سيما من مؤمنات غوافل

١٨٦ ـ فتلعن في الدنيا وتلعن آخرا وتجزى عذاباً في القيامة هائل

١٨٧ ـ لدى موقف فيه اللسان وأرجل ستشهد والأيدي بما أنت قائل

١٨٨ ـ ويختمْ على الأفواه مع حسن نطقها ولا تستطع تخفي لبعض الفعائل

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذه الأبيات جملة أخرى من المنهيات الشرعية التي أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالبعد عنها وذلك لما فيها من الخسارة الدينية والدنيوية والأخروية.

ففي البيت (الثاني والثمانين بعد المائة):

تحذير من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم وبالتالي ترمي به في نار جهنم نعوذ بالله منها، والمؤلف يستدل بما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**الكبائرُ: الإشراكُ بالله**

وعقوقُ الوالدين وقتلُ النفس، واليمينُ الغموس»[١].

وقد بين النبي ﷺ اليمين الغموس لمن سأل عنها فقال: «**الذي يقتطع مال امرئ مسلم**» يعني بيمين هو فيها كاذب.

وجاء في البخاري أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من حلف على مال امرىءٍ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان**». قال: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]. إلى آخر الآية[٢].

وفي البيت (الثالث والثمانين بعد المائة):

تحذير من الحلف في البيع والشراء لما ورد النهي عنه، ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة**»[٣].

ومعنى قوله هذا أن الحلف هو رواج السلعة ولكنه في المقابل مذهب للبركة والزيادة.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق**»[٤].

وفي البيت (الرابع والثمانين بعد المائة):

تحذير من شهادة الزور وقول الزور التي حذر منها ربنا ﷻ وكذلك نبيه ﷺ، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]. ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ [الحج: ٣٠].

أما النبي ﷺ فقد عدَّها من الكبائر ففي المتفق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٤٨٢، ٤٨٣.
(٢) رواه البخاري ١١/ ٤٨٥، ومسلم برقم (١٢٨).
(٣) رواه البخاري ٤/ ٢٦٦.
(٤) رواه مسلم ١٦٠٦.

قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(١)].

وفي الأبيات (الخامس والثمانين إلى الثامن والثمانين بعد المائة):

هذه الأبيات جاءت في التحذير من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات فقد لعن الله تعالى فاعل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٣، ٢٥].

وعدَّ النبي ﷺ قذف المحصنات الغافلات المؤمنات من الكبائر فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(٢)].

فينبغي على المسلم أن ينتبه لهذا ولا يعرض نفسه لموجبات سخط الله وأليم عقابه نعوذ بالله من ذلك.



(١) رواه البخاري ٥/١٩٣، ومسلم (٨٧).

(٢) سبق تخريجه ص٢١٠.

فصل في القرآن حجة لك أو عليك

١٨٩ ـ ومن يحفظ القرآن غيباً فإنه	ينال لما يرجو على كل آمل
١٩٠ ـ ولو حمل القرآن في جلد أهبة	لما مسه نار فكيف بحامل
١٩١ ـ فبادر إلى ما كان يأمر به ائتمر	وما كان ينهى عنه جانب وعازل
١٩٢ ـ به إن تكن تعمل يكن لك حجة	وترقى من الجنات أعلى المنازل
١٩٣ ـ وإن لم تكُن تعمل به فهو حجة	عليك فحاذر أن تكن غير عامل

الشرح:

اشتملت هذه الأبيات على أمر يرفع به المسلم عزة في الدنيا والآخرة ألا وهو حفظ كلام رب العالمين فقد حث فيها المؤلف المدعو بحفظ القرآن والاعتناء به وبما جاء فيه من أحكام ولا يتم ذلك إلا بالعمل بما جاء فيه فيحلل حلاله ويحرم حرامه وبهذا ينفعه القرآن ويكون حجة له لا عليه.

أما الإعراض عنه بعدم تطبيقه وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه فإنه لا ينفع صاحبه وإن كان حافظاً له بل سيكون عليه حجة يوم القيامة.

قال تعالى في ثنائه ومدحه لحافظي هذا الكتاب: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

ولا شك أن هذه الفضيلة لا تحصل إلا لمن عمل به فلا تكفي الدعاوى الكاذبة مع هجران تحكيمه في شؤون الحياة ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠].

ومن أعظم هجرانه تنحيته عن جوانب الحياة واستبدال حكم غيره وترك حكمه وهذا ـ والله ـ من أعظم الخذلان.

روى مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»[(١)].

فانظر إلى قوله: «الذين يعملون به في الدنيا» فهذا تقييد في الانتفاع به في الآخرة فليس كل أحد سينفعه القرآن وإن كان من أكثر التالين له أو الحافظين له فالعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

قال ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك..**»[(٢)].

وفي البيت (الثاني والتسعين بعد المائة):

يشير المؤلف رحمه الله إلى ما رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: «**إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين يشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتك في الهواجر فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»[(٣)].

نسأل الله العظيم الكريم من فضله.



---

(١) رواه مسلم (٨٠٥).

(٢) رواه مسلم كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٧٨١) وقال البوصيري عنه: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

فصل في العلم وإكرام العلماء

١٩٤ ـ وبادر إلى حفظ العلوم مجاهداً	وواظب عليها بالضحى والأصايل
١٩٥ ـ فإن طلب العلم بالنص واجب	عنيت الذي يحتاجه كل عاقل
١٩٦ ـ وإن طلاب العلم أفضل رتبة	لها في كتاب الله في الحكم نازل
١٩٧ ـ سيطلب ولو بالصين إن غاب أصله	فسافر له جاهد وَسَلْ كُلَّ فاضل
١٩٨ ـ سيرفع ربي قدر طالب علمه	وهل يستوي ذي العلم مَعْ كل جاهل

الشرح:

هذه الأبيات جاءت في بيان فضل العلم وأهله، والحث على اغتنام الأوقات فيه كيف وفيه يتعرف الإنسان على خالقه، كيف لا تبذل الأوقات والأنفس في تحصيله وهو الذي يرفع به العبد درجات بل وتحط في الذهاب إلى تحصيله الخطايا وترضى عنه ملائكة الرحمن. قال تعالى في معرض ثنائه على أهل العلم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فهذه من أعظم المنازلِ وأرفعها، حيث جعلهم الله تعالى ممن شهد له بالوحدانية، وأنه هو الذي يستحق أن تصرف العبادة له. وقال تعالى أيضاً في بيان رفعتهم في الدنيا والآخرة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد جاءت نصوصٌ لتقرير هذا الأمر وتُبَيّنُ هي الأخرى فضله فقد

قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**»[1].

وجاء في سنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**»[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه يستغفر للعالم مَنْ في السماوات والأرض حتى الحوت في جوف البحر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[3].

فيا سعادة من اغبرت قدماه في تحصيله.

وفي البيت (الرابع والتسعين بعد المائة):

يحث المؤلف رحمه الله المدعو على حفظ العلوم الشرعية وبخاصة التي تشتمل على القواعد الكلية في أصول الشريعة.

قال ابن سعدي رحمه الله في القواعد الفقهية المنظومة:

اعلم هديت أن أفضل المنن ... علم يزيل الشك عنك والدرن

ويكشف الحق لذي القلوب ... ويوصل العبد إلى المطلوب

فاحرص على فهمك للقواعد ... جامعة المسائل الشوارد

فترتقي في العلم خير مرتقى ... وتقتفي سبل الذي قد وفقا

وفي البيت (الخامس والتسعين بعد المائة):

بين المؤلف أن هناك نوعاً من طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة ولا شك أن هذا العلم الواجب يتمثل في معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ كما قرر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الثلاثة.

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٥٠، ٦/ ١٥٢، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦١٦).

وفي البيت (السادس والتسعين بعد المائة):

يشير إلى فضل طلب العلم وقد ذكرنا طرفاً من فضائله كما سبق.

وفي البيت (السابع والتسعين بعد المائة):

يحث الناظم رَحِمَهُ اللهُ المدعو على الرحلة في طلب العلم وهذا كان دأب سلف الأمة رضوان الله عنهم.

فهذا جابر بن عبد الله سافر مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس من أجل حديث واحد سمعه أنيس من النبي ﷺ ولم يسمعه جابر.

أما حديث: **(اطلبوا العلم ولو في الصين)** لم يثبت عن النبي ﷺ وفي الصحيح غنى عنه.

وفي البيت (الثامن والتسعين بعد المائة):

يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وإلى قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

* * *

١٩٩ ـ وإكرامُ أهل العلم لا شك واجب	**فهم أمناء الله من كل عامل**
٢٠٠ ـ وهم عندنا كالأنبيا في احترامهم	**كما قاله المختار أصدق قائل**
٢٠١ ـ لأنهمُ حراس شرع نبينا	**حماة له عن زيف أهل الأباطل**
٢٠٢ ـ ومن لم يعظمهمْ جحوداً لحقهم	**حكمنا به في الأسفلين الأراذل**
٢٠٣ ـ ومن يؤذهم قد حارب الله جهرة	**وهذا كلام الصالحين الأفاضل**

الشرح:

في هذه الأبيات تنبيه من المؤلف للمدعو على أنه إذا كان فضل العلم عظيماً وفضل سالكيه عظيماً فينبغي أن تكرم أهله بكل معاني الإكرام من الدعاء لهم واحترامهم وتقديرهم والثناء عليهم وأن هذا واجبهم.

وفي الأبيات (من التاسع والتسعين بعد المائة إلى المائتين وواحد):

يعلل سبب وجوب إكرام أهل العلم بعلل منها:

١ ـ أنهم أمناء الله على وحيه بعد أنبيائه ورسله.

٢ ـ أنهم كالأنبياء فيجب احترامهم يشير إلى قوله ﷺ: «**والعلماء ورثة الأنبياء**».

٣ ـ أنهم حراس العقيدة والذين يذبون عنها أقوال الجاهليين العابثين المنحرفين وهذا قد حصل يوم أن خرجت الفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرها من الفرق المنحرفة فقيض الله تعالى لهذه الأمة العلماء الربانيين السائرين على نهج السلف الصالح من صحابة النبي ﷺ وأتباعهم الكرام فردوا هؤلاء على وجوههم خاسرين والحمد لله رب العالمين.

وفي البيتين (الثاني والثالث بعد المائتين):

فيها بيان حكم من لم يعظم العلماء بل جحد حقهم وآذاهم وحاربهم فهو في الأسفلين الأرذلين وذلك لأنه في الحقيقة غير معظم لربه ورسوله ﷺ فهؤلاء العلماء الذين أثنى الله عليهم وبين فضلهم ومناقبهم هم في الحقيقة حماة لدينه سبحانه وشرعه ومبلغون عن الله وعن رسوله فمن آذاهم واحتقرهم فقد خاب وخسر.

ثم من جهة أخرى هم أولياء الله وأحباؤه ومن عاداهم فقد عادى الله قال ﷺ فيما رواه عنه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...**»(١).

وهذه جملة من الأحاديث والآثار التي جاءت ببيان توقير العلماء وأهل الفضل والدين ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم لكي يعلم كل مدعو هذا الأمر فإنا نجد في البعض خلاف ما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم فإنهم كانوا أحرص الناس على إنزال الناس منازلهم فيعرفون لأهل العلم فضلهم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٢١١٧).

فمن هذه الأحاديث:

□ تقديم النبي ﷺ أهل العلم على غيرهم في الإمامة للصلاة وهذا دليل على إكرامهم وفضلهم.

فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة...**». الحديث[1]. فبدأ بأهل العلم والفضل.

□ ومن ذلك أيضاً كون النبي ﷺ رغب بأن يجعلهم خلفه في الصلاة ليكونوا أقرب الناس منه.

ففي مسلم أيضاً عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري أن النبي ﷺ قال «... **لِيَلِني أولوا الأحلام والنُهى ثم الذين يلونهم**»[2].

قيل في معنى «أولوا الأحلام والنُهى» همَّ أهل الحلم والفضل.

□ أمر النبي ﷺ بإكرامهم فمن ذلك:

ما رواه أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلالِ الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي سلطان مقسط**»[3].

□ معرفة أصحاب النبي ﷺ فضلهم:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً أو شباباً...»[4].

وعن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**لقد كنت على عهد**

(١) رواه مسلم برقم (٦٧٣).

(٢) رواه مسلم برقم (١٢٣) في ١/ ٣٢٣.

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٨٤٣).

(٤) رواه البخاري ٨/ ٢٢٩.

رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسن مني»[١].

فهذه جملة وردت في بيان فضلهم وإكرامهم نسأل الله تعالى أن يصلح نياتنا وسائر أعمالنا.



(١) رواه مسلم برقم (٩٦٤).

فصل في إكرام الضيف

٢٠٤ ـ وإكرام ضيف الله إن عرجت به   صروف القضايا فوق متن الرواحل
٢٠٥ ـ يبث لما يلقى من الكرم الذي   يكون به نيل العلا والفضائل
٢٠٦ ـ فوجب به في الشرع يوماً وليلة   ويندب ثلاثاً جاء عن كل ناقل
٢٠٧ ـ وإن زدت زاد الله في الأجر يا فتى   فبادر بإطعام الضيوف بما يلي
٢٠٨ ـ وقد مدح الله الكريم خليله   بإكرامه الأضياف من كل نازل
٢٠٩ ـ وما جاء في القرآن من أنه أتى   إلى الضيف بالعجل الحنيذ بعاجل
٢١٠ ـ ولم يأكل إبراهيم مذ عاش وحده   وليس ينال القوت إلا بآكل
٢١١ ـ وكان إماماً في المكارم والندى   فمن أجل ذا قد خص باسم التخالل

الشرح:

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بيان نوع آخر من الفضائل فبعد ذكره فضل طلب العلم وفضل أهله، انتقل بنا إلى بيان فضل إكرام الضيف.

ففي البيتين (الرابع والخامس بعد المائتين):

حث منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى إكرام الضيف وبيان فضل ذلك لأن هذه الخصلة يعني إكرام الضيف خصلة حميدة دعت إليها الشريعة ورغبت فيها.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم**

الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(١).

ولذلك لما كان إكرامُ الضيف خصلةً من خصال الإيمان بالله واليوم الآخر سارع المؤمنون في بذل ما في الوسع لإكرام ضيفهم ولذا ذكر المؤلف في الأبيات: الرابع والخامس بعد المائتين ما يلقاه الضيف من الحفاوة والتقدير عند من نزل عليهم.

وفي البيتين (السادس والسابع بعد المائتين):

تحديد المدة التي يجب على المضيف إكرام ضيفه فيها وهي يوم وليلة ودليل ذلك ما جاء في المتفق عليه من حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**» قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**»(٢).

أما في الأبيات (السابع إلى الحادي عشر بعد المائتين):

كلها جاءت في معرض ذكر حال إبراهيم مع ضيفه وقد جاءت نصوص القرآن مليئة بالثناء عليه في هذه الخصلة الحميدة، وقد ذكرنا بعض الآيات الدالة على ذلك.



---

(١) رواه البخاري ١٠/ ٣٧٣، ومسلم برقم (٤٧).

(٢) رواه البخاري ١٠/ ٤٤١، ومسلم ٢/ ١٣٥٢ برقم (١٤) و(١٥).

فصل في حقوق الجار على الجار

٢١٢ ـ وقم بحقوق الجار واعلم بأنها	حقوق على الإيجاب عند الأفاضل
٢١٣ ـ ومن كان يؤمن بالإله وبعثه	يقم بحقوق الجار خير الخصائل
٢١٤ ـ لجيراننا حق علينا ثلاثة	فلا تك عن إيجابهم ذا تغافل
٢١٥ ـ فجار له حق وجار ثلاثة	وجار له حقان طوبى لفاعل
٢١٦ ـ وقال رسول الله: ما زال موصياً	أخي جَبْرئيلٌ في جوار المنازل
٢١٧ ـ ظننت بأن الجار يورث جاره	فكيف بهذا الفضل أو بالتفاضل

الشرح:

في هذه الأبيات يحث المؤلف رحمه الله المدعو بالإحسان إلى الجار والاعتراف له بحقوقه التي جاءت نصوص الكتاب والسنة بالحث عليها والتحذير من أذية الجار لجاره قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وذكرنا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره...**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه ص٢٤٥.

(٢) رواه الترمذي برقم (١٩٤٥) قال شعيب الأرنؤوط في رياض الصالحين: إسناده صحيح.

وفي البيتين (الثالث عشر والرابع عشر بعد المائتين):

بين المؤلف أن الجيران يختلفون في الحقوق فمنهم من له حق ومنهم من له حقان ومنهم من له ثلاثة حقوق. وكأنه يشير إلى ما جاء عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقاً، فأما الذي له حق فجار مشرك لا رحم له؛ له حق الجوار وأما الذي له حقان: فجار مسلم لا رحم له، له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم وأدنى حق الجار أن لا تؤذي جارك بقتار قدرك إلا أن تقدح له منها**»[1].

ومعنى قتار القدر رائحة القدر، وقوله «**إلا أن تقدح له منها**» يعني إلا أن تغرف له منها.

وفي البيتين (السادس عشر والسابع عشر بعد المائتين):

يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[2].



---

(١) الحديث رواه البزار برقم (١٨٩٦)، والبيهقي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٤، والترغيب والترهيب للأصفهاني برقم (٨٤٣). قال البيهقي: رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد المثنى وهو وضاع.

(٢) رواه البخاري ١٠/ ٣٦٩، ومسلم برقم (٢٦٢٤ و٢٦٢٥).

فصل في حسن الخُلق وكظم الغيظ

٢١٨ ـ وكن آخذاً للعفو بالعرف آمراً وكن معرضاً بالحلم عن كل جاهل

٢١٩ ـ وللغيظ فاكظم واعف عن كل مجرم وذا السوء بالإحسان جاوز وعامل

٢٢٠ ـ وليس شديدَ البطش صارعُ غيره ولكنّ مَنْ يَصْرَعْ هواه بعاجل

٢٢١ ـ وأوصى رسول الله من قال: أوصني فكرر: لا تغضب ثلاثاً لسائل

الشرح:

ذكر المؤلف هذه الأبيات ليبين عظيم من حسن خلقه وكظم غيظه فقد نطق الوحي المبين بفضله في ثنائه على من كان هذا طبعه وسمته.

قال تعالى في وصفه للمؤمنين: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى في معرض ثنائه على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

أما نصوص السنة التي جاءت في معرض بيان حسن الخلق فهي كثيرة نذكر طرفاً منها:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٥٣).

(٢) البخاري ١٠/٣٧٨، ومسلم (٢٣٢١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(٢).

وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٤) والأحاديث في ذلك الباب كثيرة.

وفي البيت (الثامن عشر بعد المائتين):

يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وإلى قوله ﷺ لأشج عبد قيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»(٥).

وفي البيت (العشرين بعد المائتين):

يشير إلى قوله ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(٦).

وفي البيت (الحادي والعشرين بعد المائتين):

يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني قال: «**لا تغضب**» فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»(٧).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٠٠٣ و٢٠٠٤) وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي برقم ٢٠٠٥ وقال: حسن صحيح.
(٣) رواه الترمذي برقم (١١٦٢) وقال: حسن صحيح.
(٤) رواه أبو داود برقم (٤٧٩٨).
(٥) رواه مسلم عن ابن عباس برقم (١٧ و١٨).
(٦) رواه البخاري ١٠/ ٤٣١، ومسلم برقم (٢٦٠٩).
(٧) رواه البخاري ١٠/ ٤٣١.

فصل في إنفاق المال في موضعه والحث على الجود

٢٢٢ ـ وكن باذلاً للمال لا تمنعنَّهُ عن الخلق لا تعبأ بقول العواذل

٢٢٣ ـ بإنفاقه لله في كل موضع له من أدا غرم وإغناء عائل

٢٢٤ ـ فمن جاد بذلاً حاز مجداً وسؤدداً وليس ينال المجد إلا لباذل

٢٢٥ ـ وكم من قليل الجند عز ببذله ونال به ملك الأعادي الأباخل

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأبيات فضل الإنفاق في وجوه الخير وحث المدعو على الجود والبذل في ذلك.

فكل ذلك لبيان عظيم الإنفاق وعظيم فضل المنفقين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] الآية.

وقال أيضاً: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٢٧٢﴾ [البقرة: ٢٧٢].

أما الأحاديث فهي كثيرة منها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: **انفق يا ابن آدم ينفق عليك**»[١].

---

(١) رواه البخاري ٨/ ٢٦٥، ومسلم برقم (٩٩٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على نفاق، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»**(٢).

في البيت (الثاني والعشرين بعد المائتين):

حث من المؤلف رحمه الله للمدعو ببذل المال على الخلق وعدم النظر إلى أموال الناس فلا يعبأ بقولهم.

وفي البيت (الثالث والعشرين بعد المائتين):

بين بعض الأمور التي ينفق فيها المال وذلك بأن يبذل على غريم أو فقير عائل وهـذا من أعظم ما ينفق فيه المال.

وفي البيت (الرابع والعشرين بعد المائتين):

ينبه المؤلف إلى أنه بالإنفاق ينال الإنسان المجد والسيادة، لا ينال ذلك إلا الباذل من ماله وهذا صحيح ومشاهد فالباذلون يحبهم الناس ويوقرونهم ويثنون عليهم فهل هناك شرف أعظم من ذلك ولذلك قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وفي البيت (الخامس والعشرين بعد المائتين):

فيه إشارة إلى أن الإنسان ببذله للمال وإنفاقه على المحتاجين فإنه يكسب قلوبهم وبالتالي يكونون جنوداً له مدافعين عنه لكونه قد أصبح عزيزاً عندهم.

أما البخيل فإنه يكسب عداوة الناس وبخاصة الفقراء ولا يسلم من تسلط أهل الشر والفساد على ماله وهذا بلا شك جزاءً وفاقاً.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠٣٦).

(٢) رواه البخاري ٣/٢٤١، ومسلم (١٠١٠).

فصل في الصدقات والرفق بالفقير

٢٢٦ ـ ومن يتصدق يخفها عن شماله	يُظَلَّلْ بظل العرش يوم المهاول
٢٢٧ ـ ومن يبدها لو أنها شق تمرة	فيا نَعمها من تُقْيَةٍ للمناول
٢٢٨ ـ ويقبلها الرحمن من متصدق	بيمناه قبل الآخذ المتناول
٢٢٩ ـ وعن دافع تطفى الخطيئة كلها	كما الماء يطفئ النار ذات المشاعل
٢٣٠ ـ وللمال حفظاً والمريضِ دواؤه	بإخراجها قد صح عن نقل ناقل
٢٣١ ـ وكن خافضاً منك الجناح لمؤمن	فقير ولا تهزأ بقول لسائل
٢٣٢ ـ وإياك والمن الخبيث فإنه	سيحبط ما أنفقته بالتكاسل

الشرح:

هذه الأبيات ساقها المؤلف لبيان عظم شأن التصدق والرفق على من تصدق عليهم من الفقراء وغيرهم.

في البيت (السادس والعشرين بعد المائتين):

فيه إشارة إلى قوله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»** وذكر منهم ﷺ: **«رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**[(١)].

وفي البيت (السابع والعشرين بعد المائتين):

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قوله ﷺ: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ٢/ ١١٩، ومسلم برقم (١٠٣١).

(٢) رواه البخاري ٣/ ٢٢٥، ومسلم برقم (١٠١٦).

وفي البيت (الثامن والعشرين بعد المائتين):

فيه إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**»[١].

وفي البيت (التاسع والعشرين بعد المائتين):

فيه إشارة إلى قوله ﷺ: «... **والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار**»[٢].

وفي البيت (الثلاثين بعد المائتين):

يعدد فضائل الصدقة فمن فضائلها أنها تقي مصارع السوء فهي حفظ للمال من الشرور وقد مر بنا ذكر ذلك سابقاً، وهي أيضاً دواء للمريض كما ورد: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[٣].

وفي البيت (الحادي والثلاثين بعد المائتين):

ينتقل المؤلف رحمه الله إلى حث المدعو إلى خفض الجناح للفقير المسلم وعدم نهره بقول أو فعل.

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال أيضاً: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقد روى مسلم في سبب نزول هذه الآية عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٢٠، ومسلم برقم (١٠١٤).
(٢) رواه الترمذي عن معاذ ﷺ صحيح سنن الترمذي للألباني برقم (٢٧٦٢).
(٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٢٩٥٦).

يجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

وفي البيت (الثاني والثلاثين بعد المائتين):

تحذير من المؤلف رحمه الله بعدم المن في العطية فإنه يحبطها وذلك لكونه صفة خبيثة لا يرضاها الله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال أيضاً: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»**[2].



(١) رواه مسلم (٢٤١٣).

(٢) رواه مسلم برقم (١٠٦).

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٣٣ ـ وأَمْرٌ بمعروف وتغيير منكر ... ففرض علينا حكمه بالتفاضل

٢٣٤ ـ فأعلاه فِعْلٌ ثم بالقول بعده ... وأدناه بالقلب الضعيف المنازل

٢٣٥ ـ وإن لم تزالوا تأمروا سفهاءكم ... وتنهونهم عن كل قبح الفعائل

٢٣٦ ـ وإلا فسلطان يسلطه ربكم ... عليكم ظلوماً جائراً غير عادل

٢٣٧ ـ وفي ظلمه هذا فليس براحم ... صغيراً ولا يرثى لشيبة عاقل

٢٣٨ ـ وأخياركم يدعون بالنصر ربهم ... فلا يستجيب الله منهم لسائل

الشرح:

انتقل بنا المؤلف رحمه الله إلى بيان عصب الأمة والتي لا يتم خيرتها إلا به وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال أيضاً في بيان وصف نبينا محمد ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والآيات في هذا الباب كثيرة.

في البيت (الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين بعد المائتين):

يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وفي الأبيات من (الخامس والثلاثين إلى الثامن والثلاثين بعد المائتين):

كلها تشير إلى ما رواه الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»(٢).

وروى الأصبهاني في الترغيب والترهيب: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم عدواً من غيركم ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٣).

وروى الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**... والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**»(٤).

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٩).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢١٧٥) قال شعيب الأرنؤوط: في إسناده عبد الله بن عبد الرحمٰن الأنصاري الراوي عن حذيفة لم يوثقه ابن حبان لكن له شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط وآخر عند الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (رياض الصالحين) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٣) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (٢٨٥).

(٤) رواه أبو داود برقم (٤٣٣٦)، والترمذي برقم (٣٠٥٠).

٢٣٩ ـ بذا قاله من ليس ينطقْ عن الهوى   يشاهده في عصرنا كل ناقل
٢٤٠ ـ وقد جاء في القرآن في لعن أمة   خلت أهل كفر في زمان الأوائل
٢٤١ ـ ولم يَكُ ينهى البعض بعضاً عن الهوى   ولم يك موجوداً بهم عدل عادل
٢٤٢ ـ وفي مدحكم قد كنتمُ خير أمة   بأمر ونهي تزجرون لجاهل
٢٤٣ ـ فلا الدين إلا الأمر والنهي فعاطل   فدين بلا أمر ونهي فعاطل

الشرح:

ما زال المؤلف يبين هذه الفريضة العظيمة يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأبيات تابعة لما قبلها.

ففي البيت (التاسع والثلاثين بعد المائتين):

أشرنا إلى ما جاءت به نصوص السنة المطهرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي الأبيات (الأربعين والحادي والأربعين والثاني والأربعين بعد المائتين):

ذكرنا الأدلة من القرآن الكريم على ذلك في أول الكلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي البيت (الثالث والأربعين بعد المائتين):

يذكر المؤلف رحمه الله أن الدين بني على الأمر والنهي فهو أصل الدين ودعامته، فدين بلا أمر ولا نهي فهو في الحقيقة لا يسمى ديناً؛ لأن النفس جبلت على محبة الشر والتكاسل عن المعروف فإن لم يكن هناك أمر ولا نهي عمَّ الأرضَ الفسادُ وهذا هو الملاحظ في هذه الفترة، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.



فصل في الإمام ونائبه

٢٤٤ ـ وإن كنت يا هذا إماماً ولم تُجَبْ إلى طاعة الرحمن فانهض وقاتل

٢٤٥ ـ وصادم بصبر في الحروب وضيقها ولو كان فيها جرع لب الحناظل

٢٤٦ ـ وقنية بيض ذي شطوب وحِدَّةٍ تُجَزِّلُ أعناق العدا والكواهل

٢٤٧ ـ وقنية لدن ذي حراب فوارياً من السمهريات الرماح الذوايل

٢٤٨ ـ وإعداد آلات الحروب بأسرها دروعاً وبيضاً واقتناء الرواحل

٢٤٩ ـ وإعداد خيل صافنات عوادياً من العربيات الجياد القوافل

٢٥٠ ـ من الهجن أبكار حراير عُوِّدَتْ بقطع مسافات وطيَّ المراحل

الشرح:

في هذه الأبيات ينقلنا المؤلف إلى ما فيه عزُّ الأمة ألا وهو الجهاد في سبيل الله فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في فضل جهاد أهل الكفر والنفاق والعناد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

والآيات التي جاءت في فضائله كثيرة معلومة.

أما الأحاديث:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قيل ثم أي؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[(١)].

□ وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»[(٢)].

□ وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أتى رجلٌ النبي ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟

قال: «**مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل**» الله قال: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**»[(٣)].

□ وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[(٤)].

والأحاديث أيضاً في فضل الجهاد في سبيل الله كثيرة.

ولما كان فضل الجهاد كما ذكرنا عظيم جداً نبه المؤلف على بيان فضائله وكيفيته.

ففي البيت (الرابع والأربعين والخامس والأربعين بعد المائتين):

يشير المؤلف إلى أن الإمام إذا دعى الناس إلى الجهاد ومقاتلة أعداء الدين فلم يُجبْ فإن الواجب عليه أن يستجيب هو لطاعة الرحمن فيقاتل وإن كان وحده وذلك لتقديم العذر أمام الله تعالى، وعليه بالصبر في الحروب وإن ضاقت عليه بل ولو كان فيها مرارة الحنظل.

وفي الأبيات (السادس والأربعين والسابع والأربعين بعد المائتين):

فيها دعوة إلى الشدة في قطع رقاب أعداء الدين وقوله: **(قنية بيض)** المراد بها السيوف ووصفها بأنها ذات شطوب وحدة، وهذا يدل على قوتها

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٧، ومسلم برقم (٨٥).

(٢) رواه البخاري ٦/ ١١، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٣) رواه البخاري ٦/ ٤، ومسلم (١٨٨٨).

(٤) رواه البخاري ٦/ ٩، ١٠.

وشدتها في قطع الرقاب ولذا قال: **(تجزِّل أعناق العدا والكواهل)** وهذه السيوف لدى أناس أصحاب شجاعة وقوة عند الحروب وذلك عند غضبهم من أعدائهم.

وفي الأبيات (الثامن والأربعين والتاسع والأربعين والخمسين بعد المائتين):

بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيفيَّة إعداد القوة التي يرهب بها أعداء الله تعالى فمن ذلك:

إعداد آلات الحروب بأسرها من دروع وسيوف وخيول، هذه الخيول ليست بأي خيول بل هي عربية لأن لها صفات مخصوصة اختصها الله بها فإن الله فضلها بأن لها قوة تستطيع أن تقطع بها مسافات طويلة وبسرعة فائقة ويمكن أيضاً حمل الأشياء عليها وبخاصة المحاربين في حروبهم فكأن الله اختصها بذلك لتكون عوناً للمسلمين على قتال أعدائهم.

* * *

٢٥١ ـ وغاراتها صبحاً على كل معتد وإيراؤها قدحاً بصم الجنادل

٢٥٢ ـ وتثويرها نقعاً من الأرض عالياً حجاباً لعين الشمس عن عين كاحل

٢٥٣ ـ توسطن جمعاً للعدا فتشعشعت بصوت رفيع للجموع الجحافل

٢٥٤ ـ عليها رجال كالأسود فوارس جريئون لا يخطون ضرب المقاتل

٢٥٥ ـ وعند ٱلتِقَا الصفين في الحرب جربوا بتفليق هامات العدا بالمناضل

٢٥٦ ـ وجَعْلهُمُ صَرْعَى جُذاذاً تخالهم كأعجاز نخل فُلِّقَتْ بالمناجل

٢٥٧ ـ فهذا جزاء المفسدين من العدا عدا الدين لا أعداء حِمْيَةِ جاهل

الشرح:

في هذه الأبيات يصف لنا المؤلف حال المجاهدين في سبيل الله حينما ينقضون على عدوهم.

ففي الأبيات (الحادي والخمسين إلى الثالث والخمسين بعد المائتين):

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: ١، ٥].

فقول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ أي: الخيل حينما تعدوا عدواً بليغاً قوياً ويصدر من هذا العدو الضبح وهو صوت نفس الخيل في صدرها عند اشتداد عدوها.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ أي: تنقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون.

و قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي: التي تغير على عدوها صباحاً وهذا أمر أغلبي فإن الغارة تكون صباحاً.

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ أي: بهذا العدو القوي الشديد صار هناك غبار.

وقوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم.

وفي الأبيات (الرابع والخمسين إلى السابع والخمسين بعد المائتين):

يصف فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الفريقين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيصف أولياء الرحمن يعني حزب الله المقاتلين بأنهم كالأسود ووصفهم بالأسود لقوة بَطْشِهَا على عدوها، ووصفهم بأنهم لا يخطئون عدوهم عند المبارزة والقتال، وهذا دليل على أنهم مجربون لهذه الحروب، وأنهم على علم ودراية بما يحصل فيها وهذا أمر مشاهد عند التقاء الصفوف فهم صابرون محتسبون.

أما أولياء الشيطان فقد وصفهم بأنهم كأعجاز النخل التي قد فلقت بالمنجل وأعجاز النخل هي جذوع النخل التي قطعت رؤوسها الخاوية الساقطة بعضها على بعض فهذا جزاء من عادى هذا الدين وعادى أهله.

* * *

٢٥٨ ـ وهذا هو المجد المؤثَّل أصله ذكرت ولم أذكر فروع المسائل

٢٥٩ ـ وصادم بعزم واتكال وهمة ورأي سديد عند قطع المفاصل

٢٦٠ ـ ولا تك هياباً جزوعاً مُخَوَّراً إذا اشْتَدَّ خَطْبٌ بالْوَنَى متثاقل

٢٦١ ـ بلى كن صبوراً في الأمور مصادماً بعزمك والقلب الشجاع المماحل
٢٦٢ ـ ولا تك يوماً للجبان مصاحباً فيرديك إذ مالت عليك المحافل
٢٦٣ ـ فيلقيك في الحالات عند ورودها وتزداد جبناً عند فعل الجمائل

الشرح:

في هذه الأبيات يوصي فيها المؤلف المدعو بعدة أمور:

الأول: بأن يكون ذا عزم واتكال وذا همة عالية وذا رأي سديد وهذه في الحقيقة أمور لا بد منها فصاحب الهمة العالية والرأي السديد والعزم الأكيد تراه قوياً في دينه ودنياه حريصاً على كل ما ينفعه في أخراه نشيطاً في طاعة مولاه أما من كان بخلاف ذلك فتراه عالة على غيره لا فائدة منه فهذا ممقوت عند الناس وعند خالقه، فهو لا للآخرة يعمل ولا هو لدنياه يعمل.

الثاني: بأن يكون صبوراً عند المصائب فلا جزع ولا خور ولا كل ما فيه منافاة للصبر عند حصول المكروه بل هنالك صبر ورضى وتسليم وعزم قلب وشجاعة.

الثالث: بأن يكون ذا رأي صائب عند اختيار من يخالله، فلا يختار الجبان ليكون صاحباً له لأن في صحبته ضرراً عظيماً عليه فهو يرديه إذا أَلَمَّتْ به المحافل والأقدار، فلا يغرك حين يلقاك في حالات طيب العيش ولذته وغير ذلك، مما أنت فيه من سعادة فلا يغرك بكلامه الطيب، والورود الجميلة لأنه جبان مخوار لا يهمه إلا مصلحة نفسه فعليك بأن تجتنبه.

* * *

٢٦٤ ـ وكن واثقاً بالله في كل حالة ولا تتكرَّهْ عند أمر النوازل
٢٦٥ ـ فكم من قضا يجري عليك بكرهه عواقبه خير مع الكره حاصل
٢٦٦ ـ وسلم له الأقدار وأرض بأمره وإياك أن تصغي لقول العواذل
٢٦٧ ـ ونفسك هنها لا تعنها على الهوى فتهويك في أدراك شر الحبائل
٢٦٨ ـ وخالف هواها لا يغرك مكرها وشهوتها فاقمع لها بالتثاقل

الشرح:

في هذه الأبيات دعوة من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ للمدعو بأن يكون واثقاً بربه ﷻ وأن يسلم الأقدار إليه لأنه ﷻ لا يحدث في ملكه إلا ما يريده ﷻ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فيجب عليك أن تصبر على قضائه وقدره وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك فلا تجزع من هذا كله بل عليك بالثبات والصبر والاحتساب.

ثم اعلم أيها المدعو أن ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، فعاقبة ما تلقاه في دنياك إلى خير ولكن مع الصبر وعدم الجزع.

وفي الأبيات (السابع والستين والثامن والستين بعد المائتين):

يرشد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ المدعو بأن يخالف هواه ونفسه فإنهما من ألدِّ أعداء الإنسان قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦].

وقال تعالى عن النفس: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فإذا أطاع الإنسان نفسه وهواه أردته في شر الحبائل؛ أي: الوقوع فيما هو شر.

ثم يجب أن تعرف أيها المدعو أن النفس والهوى قد يغرانك وذلك منهما مكر وخديعة لكي يوقعانك في المنكر فاحذر ذلك وأقمع هذين العدوين لكي تنجو من سخط الرحمن.

* * *

٢٦٩ ـ وجاهد لها حتى تكن مطمئنة — بتطهيرها عن شبه فعل الأراذل

٢٧٠ ـ وصل عليها ميتة قبل دفنها — بحسن العزا واصبر وكن خير فاعل

٢٧١ ـ بصبر يسعها تطمئن بطاعة — بترك هواها آجلاً بعد عاجل

٢٧٢ ـ وأزكى صلاة الله ثم سلامه — على المصطفى ما هل وَبْلُ المخائل

٢٧٣ ـ وتممتها والحمد لله ختمها — على كل حال للهداية سائل

الشرح:

ما زال المؤلف يركز على أمر النفس وكيفية الأخذ بها إلى نواحي الحق فمن ذلك مجاهدة النفس على طاعة الله ﷻ والأخذ بها إلى ما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة.

ففي البيت (التاسع والستين بعد المائتين):

يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧، ١٠].

ومعنى زكاها؛ أي: طهرها من كل شائبة.

وفي البيت (السبعين بعد المائتين):

كأن المؤلف يعزي المدعو إذا انتقلت عنه نفسه فلا يستطيع أن يتحكم فيها فإنه حينئذٍ ما عليه إلا أن يصلي عليها صلاة الميت قبل دفنه لأنه في الحقيقة صاحب هذه النفس مات قلبه وجوارحه، وإن كان يصير بين الأحياء؛ لأن النفس الصحيحة هي التي تعلق صاحبها بربه ﷻ فإن كانت غير ذلك أودت بصاحبها في المهلكات وبالتالي جعلته ميتاً للقلب نعوذ بالله منها.

وفي البيت (الحادي والسبعين بعد المائتين):

فيه الدعوة بالصبر على نفسه وملاطفتها كي تصبر على طاعة الله تعالى ويطمئنها بذلك؛ أي: بطاعة الله ويترك الهوى في العاجل أو الآجل. نسأل الله تعالى أن يطهر نفوسنا مما علق بها إنه سميع قريب.

وفي الأبيات (الثاني والسبعين والثالث والسبعين بعد المائتين):

يختم المؤلف رحمه الله منظومته بالصلاة والسلام على النبي ﷺ. وقوله: **(ما هل وبل المخائل)**؛ يعني السحاب أي ما نزل المطر من السحاب وقد ختم المؤلف هذه المنظومة بما يختم به المؤلفون والباحثون عادة بالصلاة والسلام على الحبيب ﷺ وهو ختام مناسب جداً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

شرح
رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مؤلف الرسالة

الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن سيف رحمه الله

شرحها وعلق عليها وخرج أحاديثها

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

مما لا شك فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد دعائم هذا الدين وأحد مبانيه العظام التي لا قوام لأمة الإسلام إلا به، بل لا خيرية لها إلا به، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠].

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلته عظيمة في دين الله اعتنى به أهل الفضل من علماء هذه الأمة فتجدهم في جميع المناسبات من خطب ودروس ووعظ وإرشاد بل في كتاباتهم ومراسلاتهم يركزون عليه لعلمهم أن التهاون في شأنه يؤدي بالأمة إلى الضياع واللعن والطرد قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وممن اعتنى بهذا الجانب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان السيف رحمه الله وأجزل له المثوبة. فقد ألف في ذلك العديد من الكتب والرسائل ونصح بلسانه وبقلمه كل من حاد عن طريق الله المستقيم. وخير دليل على ذلك هذه المخطوطة التي بين أيدينا فقد أجاد فيها وأفاد رحمه الله.

عملي في هذه المخطوطة:

لقد منَّ الله عليَّ بأن أهديت إليَّ هذه المخطوطة أهداها إلي أخي الفاضل فهد بن عبد الله السيف ـ حفظه الله ـ.

فقمت بإخراج أحاديثها والتعليق على بعض ما جاء فيها ما أمكن. ولما كانت هذه المخطوطة قد جمعت أموراً كثيرة من الأمر والنهي ألحقت بكل ما ذكره الشيخ دليلاً من القرآن والسنة مع عدم الإطالة في ذكر الأدلة مع بيان درجات الأدلة من حيث الصحة والضعف والتركيز في ذكر ما جاء في أدلة السنة على الأحاديث المتفق عليها أو ما رواها البخاري أو مسلم، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه سميع مجيب.

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
٢٤/ رجب/ ١٤٢٣هـ
الزلفي
ص.ب ١٨٨
الرمز البريدي ١١٩٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

فشكراً لكم على زيارة محافظة بقعاء في منطقة حائل ولعل من أثمن وأغلى ما أهديه لكم:

(رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهذه المخطوطة للوالد العلامة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم السيف رحمه الله.

ونظراً لما تتميزون به من مكانة علمية وبحث علمي وتأصيل شرعي وقدرة على التأليف والتحقيق فإني ألتمس منكم حفظكم الله إخراج هذه المخطوطة ليستفيد منها الناس ولكم أن تخرجوها بالصورة التي ترونها نافعة لعباد الله، وتكون من العلم النافع الذي ينفع الإنسان بعد مماته.

سدد الله خطاكم وأجزل لكم المثوبة ونفع بكم الإسلام والمسلمين وجزاكم الله عنا وعن إخوانكم طلاب العلم خير ما جزى شيخاً عن طلابه وتقبلوا تحيات ابنكم وتلميذكم.

أبو عبد الرحمن
فهد بن عبد الله السيف
محافظة بقعاء
منطقة حائل
جوال/ ٠٥٣١٧٦٥٤٢

ترجمة صاحب المخطوطة

هو سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن سيف المسيكي السبيعي العنزي أصله من آل سيف من بلدة ثادق عاصمة بلدان المحمل.

المولد والنشأة:

أما عن سنة ولادته فلم يقف أحد على عام ولادته على ما أعلم ولذا قال الشيخ البسام: «لم أقف على سنة ولادته»[1] وبذلك قال أيضاً علي الهندي[2].

أما نشأته:

فقد نشأ في بيت علم وفضل فأبوه إبراهيم بن سيف رحمه الله كان عالماً من علماء (ثادق من بلدان المحمل) فكان ماهراً في علم الفقه والحديث ومصطلحه ومن أوعية الحفظ ولذا عينه الإمام عبد الله بن سعود قاضياً في عمان ثم في بلدان سدير. ولما حصل هدم الدرعية وما حولها على يد الباشا هرب إلى رأس الخيمة تباعداً من الفتن وخوفاً من الأذى فاستمر فيها مرشداً وواعظاً وداعية خير فلما استتب الأمن في نجد عاد إليها فيمن عاد فتعين قاضياً في الرياض في عهد الإمام تركي بن عبد الله وعهد ابنه فيصل. وكان الإمام فيصل يستشيره لأنه كان سديد الرأي، أميناً على السر.

فهذه نبذة عن حياة والد صاحب المخطوطة ولا شك أن لهذه الأبوة

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥/ ٤٥١.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، محمد القاضي ٢/ ١٩٦.

تأثيراً في حياة الابن[١]

ولم يكن الأمر مقصوراً على والد صاحب المخطوطة بل أعمامه كانوا أهل علم وفضل فعماه غنيم بن سيف وعبد الله بن سيف كانا قاضيين في عنيزة.

طلبه للعلم وشيوخه:

قال ابن بشر في عنوان المجد:

«كان الشيخ محمد بن سيف عالماً علّامة محققاً فاضلاً، له اليد الطولى في الفقه وشارك في غيره وله معرفة ودراية، ثم قرأ في جملة من العلوم، وأكثر قراءته على الشيخ عبد الرحمن بن حسن ثم قرأ على أبيه إبراهيم بن سيف، والشيخ عبد الرحمن بن حسن أول مشايخه فأخذ عنه النحو والتجويد ومبادئ العلوم الشرعية، كما قرأ على أبيه التفسير والحديث».

ثم سافر إلى مصر في حدود سنة أربع وخمسين ومائتين وألف فيما ذكر، وحصَّل جملة من فنون العلم والأكثر في معاني البيان والحساب[٢].

ومن أبرز شيوخه أيضاً عماه غنيم وعبد الله وهما كما ذكرنا آنفاً أهل علم وفضل وقد ترجم لهم سماحة الشيخ عبد الله البسام في كتابه علماء نجد ومن شيوخه أيضاً أحمد بن حسن بن رشيد المشهور بالحنبلي[٣].

ثناء العلماء عليه:

قال العلامة الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ وقد أثنى على المترجم له (يعني الشيخ محمد بن سيف رَحِمَهُ اللهُ) ثلة من المؤرخين بسعة العلم ووفور العقل والاستقامة في الدين. وله الباع الطويل في الأدب والتاريخ وكان يجيد قرض

---

(١) انظر ترجمة الشيخ إبراهيم بن سيف رَحِمَهُ اللهُ في: روضة الناظرين ١/ ٣٥. علماء نجد خلال ثمانية قرون (عبد الله البسام) ١/ ٣١١.

(٢) علماء نجد، عبد الله البسام ١/ ٤٥١.

(٣) انظر ترجمته في: علماء نجد ١/ ٤٥٧.

الشعر بمهارة ودرس في حائل وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة وانتهى الإفتاء والتدريس إليه في حائل وما حولها، واشتهر بعلوم جمة وذاع صيته[(١)]

قال عنه محمد القاضي:

وله حواش مفيدة ورسائل عديدة وكان لا يخاف في الله لومة لائم قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله مهابة ولكلمته نفوذ وكان محبوباً لدى الخاص والعام كريماً سمحاً عزيز النفس زاهداً ورعاً ومرجعاً في الأنساب وفي الفرائض وحسابها، مجالسه مجالس علم ممتعة للجالس[(٢)].

وفاة الشيخ رحمه الله:

توفي الشيخ رحمه الله في حائل وقبره في المقبرة الشمالية واختلف في تاريخ وفاته، قيل في عام ١٢٦٥هـ. قال العلامة عبد الله البسام:

لكن الصواب أنه توفي بعد عام ١٢٦٨هـ كما تقدم أن تعيينه للقضاء كان ١٢٦٨هـ. والله أعلم[(٣)].

ذريته:

ذرية يقال لهم آل سيف وهم يقيمون الآن في محافظة بقعاء إحدى محافظات منطقة حائل في الجهة الشمالية الشرقية[(٤)].

ولقد كان له أخ واحد وهو الشيخ عبد الرحمن وكان طالب علم رحمه الله.

أما أولاد الشيخ محمد بن سيف فله ولد واحد وهو الشيخ سعد رحمه الله حيث كان خطيباً ومرشداً في بقعاء، وقد خلف الشيخ سعد ثلاثة أولاد وهم:

عبد الله ومحمد وعبد العزيز، وقد عرفوا رحمهم الله بالصلاح والأمانة.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر له وأن يجمعنا به في دار كرامته إنه سميع مجيب.

---

(١) علماء نجد (١/ ٤٥٢).

(٢) روضة الناضرين، محمد القاضي ٢/ ١٩٧، ١٩٨.

(٣) علماء نجد ٥/ ٤٥٣.

(٤) المرجع السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من محمد بن سيف إلى من يراه ويسمعه من الإخوان وفقهم الله لطاعة الرحمن واتباع سنة رسول الملك الديان وأعاذهم من الهوى والنفس والشيطان[١].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فالذي أحبه لي ولكم هو التعاون على البر والتقوى والتناصح في ذلك قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: الناس في غفلة عن هذه الآية وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] أي: في الدين والتناصح والتناصر والتواصي بالخير وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**[٢]. **قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٣]. وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه «بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»[٤].

---

(١) افتتح المؤلف رحمه الله هذه الرسالة بالدعاء للمدعو، وهذا بلا شك أسلوب لطيف يدل على حرصه رحمه الله على هداية المدعو، وهذا كان دأب مشايخنا كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده نجدهم يستهلون رسائلهم ومراسلتهم بالدعاء.

(٢) معنى قوله ﷺ: «**الدين نصيحة**» أي: أن الدين الإسلامي عماده وقوامه النصيحة، وهي كلمة جامعة معناها: حيازة الخير للمنصوح له.

(٣) رواه مسلم برقم (٥٥).

(٤) رواه البخاري (١/ ١٢٩، ١٢٨) في الفتح، ومسلم برقم (٥٦).

وقال ﷺ: «**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(١)].

ومن التناصح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨].

وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقال ﷺ: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجو جميعاً**» رواه البخاري[(٢)].

وقال ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها، فقال ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «**كف الأذى وغض البصر ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم تدعونه**

---

(١) رواه البخاري: فتح الباري (١/ ٥٣، ٥٤)، ومسلم برقم (٤٥).

(٢) رواه البخاري: فتح الباري (٥/ ٩٤) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري فتح الباري (٢/ ٨١)، ومسلم برقم (٢١٢١) كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فلا يستجاب لكم»[١].

فعليكم بتقوى الله فإنها الجامعة لكل خير وبها يدفع كل شر[٢]، ومعنى التقوى فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله[٣]. وأن يعمل العبد بطاعة الله على علم من الله ويخشى عقاب الله[٤].

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٥] [الطلاق: ٢،٣].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقال الرسول ﷺ: «**يا أيها الناس اتقوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم»**[٦].

---

(١) الحديث رواه أبو داود برقم (٤٣٣٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه والحديث فيه انقطاع، ولذا ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم (٩٣٢)، وفي ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٤٠٠٦).

(٢) هذا من أعظم ثمرات التقوى، فحصول الخير ودفع الشر مقرون بتقوى الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت: ١٨] فبالتقوى تحصل محبته لوليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] وبها تحصل ولايته: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] وبها تحصل الرحمة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] فإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة.

(٣) وبهذا قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات، وهي وصية الله في الأولين والآخرين»، شجرة المعارف: ص٤٣. وبهذا قال أيضاً شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه» مجموع الفتاوى (٣/١٤١٦).

(٤) قال طلق بن حبيب رحمه الله: «التقوى عمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله والتقوى ترك معصية الله مخافة الله على نور من الله» أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان (٩٩) بسند صحيح.
قال الذهبي رحمه الله تعليقاً: (أبدع وأجاد فلا تقوى إلا بعمل ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، ولا يمدح بتركها فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

(٥) معنى الآية أن من حقق تقوى الله جعل له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، ورزقه الله من جهة لا تخطر على باله، نسأل الله تعالى أن يرزقنا تقواه.

(٦) الحديث رواه الترمذي في سننه برقم (٦١٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١١٩٠) وبرقم (٥٠٢).

وأخلصوا أقوالكم وأفعالكم فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى[(١)].

فمن تمت نيته تم عونه من الله ﷻ[(٢)]، وإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لله صواباً على سنة نبيه محمد ﷺ[(٣)] قال صلعم[(٤)]عن الله أنه يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[(٥)] وحافظوا على الصلوات[(٦)]. في أوقاتها[(٧)] بشروطها[(٨)] وأركانها[(٩)] وواجباتها[(١٠)] وسننها[(١١)] ....

(١) يشير إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**إنما الأعمال بالنيات**» البخاري (١/٧)، ومسلم برقم (٣٥٣٠).

(٢) فكلما كان العبد إخلاصه أقوى كلما نال معية الله له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] والإحسان هو أعلى درجات الإيمان وهو بلا شك أعلى درجات الإخلاص.

(٣) هذان هما الشرطان اللذان لا يتحقق قبول العبادة إلا بهما، وهما: الأول: الإخلاص لله تعالى. الثاني: أن يكون العمل صواباً يعني على وفق ما جاءت به السنة، فإذا فقدت العبادة أحد هذين الشرطين لم تقبل، وبهذا قال سلف الأمة.

(٤) قوله: (صلعم) كتابة ﷺ بهذه الطريقة مما أنكره بعض السلف رضوان الله عليهم فلا ينبغي كتابتها بهذه الصفة، بل على الإنسان إذا صلى على النبي فليكتب ﷺ.

(٥) رواه مسلم برقم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٧) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

(٨) فمن شروطها: دخول الوقت، والطهارة من الحدث، والنجس، والنية واستقبال القبلة وكذا الإسلام والعقل والتمييز.

(٩) ومن أركانها: القيام فيها، وتكبيرة الاحرام، والفاتحة، والركوع، والسجود والاعتدال منها، والجلوس بين السجدتين، والطمأنينة، والتشهد الأخير، والصلاة على النبي ﷺ.

(١٠) ومن واجباتها: التكبير في غير تكبيرة الإحرام، وقول سمع الله لمن حمده، والتسبيح في الركوع والسجود والتشهد الأول وقول رب اغفر لي.

(١١) وسننها: نوعان قولية، وفعلية:

فالفعلية كرفع اليدين حال تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام =

فإنها عمود الإسلام[١] ونور السماوات والأرض[٢] من حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ولو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: فذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[٣]. وقال ﷺ: «**من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله**»[٤]. قال عمر ﷺ: «لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة»[٥]. وقال ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[٦] وأدوا زكاة أموالكم فإنها أحد أركان

= من التشهد الأول. ومن السنن أيضاً العملية وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة وكذا جلسة الاستراحة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم. أما السنن القولية: كدعاء الاستفتاح، وقول آمين، والقراءة بعد الفاتحة للإمام في الصلاة الجهرية، وللإمام والمأموم في الصلاة السرية، وحال الانفراد، فهذه سنن الصلاة.

(١) لقوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: وذكر منها الصلاة**» سيأتي تخريجه إن شاء الله ولقوله ﷺ «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة**» رواه الترمذي برقم (٢٧٦٢)، وصححه الألباني (٢/ ٣٢٨) برقم (٢١١٠).

(٢) لقوله ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ «**والصلاة نور**» رواه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، برقم (٤٢٣).

(٣) رواه البخاري، فتح الباري ٢/ ٩، ومسلم برقم (٦٦٧).

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٣٨) وعزاه البيهقي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٥) إلى الطبراني في الكبير قال: وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وقد عنعنه، وله شاهد من حديث مكحول عن أم أيمن عند أحمد (٦/ ٤٢١) قال البيهقي: رجاله رجال الصحيح، إلا أن مكحولاً لم يسمع من أم أيمن.
قال المنذري: في الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٣) رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس في إسناده في المتابعات.
والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٢٧) برقم (٥٦٦).

(٥) ورد مرفوعاً من كلام عمر ﷺ رواه مالك في الموطأ (١/ ٤٠) وإسناده صحيح وهو في سنن البيهقي (١/ ٣٥٦) من طريق مالك.

(٦) الحديث رواه أحمد (٢/ ٢٩٠ و٤٢٥)، (٤/ ٦٠ و١٠٣)، ورواه النسائي وصححه =

الإسلام قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

وقال ﷺ: «**أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله فيها وفقير فخور**»[(١)] وهي مما يحفظ المال ويزكيه وينميه وما تلف من مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة[(٢)]، وقد استقبلتم هذا الشهر العظيم، وهو شهر رمضان، شهر القرآن والمغفرة والإحسان والعتق من النيران[(٣)] وموسم القيام وطاعة الرحمن قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهو الركن الرابع من أركان الإسلام قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**

= الألباني في صحيح سنن النسائي (١/ ١٠١) برقم (٤٥١).

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٥) عن إسماعيل بن إبراهيم عن هشام الدستوائي به مرفوعاً، ورواه الترمذي برقم (١٦٤٢) وقال: حسن صحيح، ورواه الحاكم (١/ ٢٨٧)، والبيهقي (٤/ ٨٢).

(٢) لقوله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**» رواه مسلم برقم (٥٨٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**» السلسلة الصحيحة للألباني برقم (١٠٦).

(٣) يشير إلى ما رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**يا أيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم...**» الحديث وفيه «**وهو شهر أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار**» الحديث ضعفه الألباني برقم (٨٧١).

وصوم رمضان وحج البيت الحرام»[١]، وقال: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[٢]، وقال: **«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار»**[٣]، وقال: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»**[٤]، فأكثروا فيه من القرآن والقيام كما هو شأن نبيكم ﷺ فإنه أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن[٥]، واحفظوا صيامكم عما يفسده وينقص ثوابه، فقد قال ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[٦] وقال: **«إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم»**[٧].

وأكثروا فيه من الصدقات فإنها مضاعفة[٨]. وقال ﷺ: **«من فطر صائماً فله مثل أجره»**[٩]. والأحاديث في فضله كثيرة عن النبي ﷺ شهيرة ومن

---

(١) متفق عليه رواه البخاري، انظر: فتح الباري (١/ ٤٦)، ومسلم برقم (١٦) كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه انظر: فتح الباري (٤/ ٢٢١)، ومسلم برقم (٧٦٠) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٤/ ٩٧)، ومسلم برقم (١٠) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٤/ ١٠٦)، ومسلم برقم (١٠٨١) ومعنى قوله ﷺ: **«فإن غم عليكم»** أي: إذا حال بينكم وبين رؤية الهلال غيم فلم تروه فضيقوا عليه العدد وذلك بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فالرسول حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» فتح الباري (٤/ ٩٩)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٦) رواه البخاري، فتح الباري (٤/ ٩٩).

(٧) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٤/ ٨٨)، ومسلم برقم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) لما سبق ذكره من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٩) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»** حديث صحيح رواه الترمذي وقال: حديث =

استطاع منكم الحج فليبادر إليه عند القدرة عليه(١)؛ فإنه الركن الخامس من أركان الإسلام(٢)، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال ﷺ: «**من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(٣)، وقال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(٤).

والآيات والأحاديث في شأن أركان الإسلام وعقوبة تاركها والمتكاسل عنها كثيرة لا نطيل بذكرها فامتثلوا ما أمر الله به ورسوله وانتهوا عما نهيتم عنه وأقبلوا على ما خلقتم لأجله تفوزوا بجنة ربكم وثوابه وتسلموا من غضبه وعقابه(٥)، فقد أمركم الله ورسوله ببر الوالدين(٦)، وصلة الأرحام(٧)،

= حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٨١١)، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٠٧٢).

(١) لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والاستطاعة قسمان: قسم يشترك فيه الرجال والنساء، وقسم تختص به النساء أما القسم المشترك فهو القدرة على الزاد والراحلة وصحة البدن وأمن الطريق، وإمكان السير. أما القسم الخاص بالنساء فهو اشتراط المحرم وقوله: «**فليبادر إليه**» هذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم على أن الحج مأمور به على الفور وليس على التراخي.

(٢) لحديث عمر ﷺ: «**بني الإسلام على خمس...**» سبق تخريجه.

(٣) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٣/ ٣٠٢)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٤) متفق عليه، فتح الباري (٣/ ٤٧٦)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

(٥) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة فجميع ما أمر الله تعالى به هو عبادة وجميع ما نهى الله عنه إذا تركه العبد ممتثلاً لله تعالى بتركه هو في الحقيقة عبادة.

(٦) لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ «**قال بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» رواه البخاري (١٠/ ٣٣٦)، ومسلم برقم (٨٥).

(٧) قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] وقال أيضاً: =

والإحسان إلى الأيتام(١)، والجيران(٢)، والصبر على الأقدار(٣)، ومراقبة أمر الله(٤)، والتوكل عليه(٥)، والتفكر(٦) في خلقه وأمره والاستقامة على

= ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١] قيل: المراد بها صلة الرحم ولقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**» متفق عليه، البخاري (١٠/ ٣٧٣)، ومسلم برقم (٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] ولقوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما**» رواه البخاري(١٠/ ٣٦٥) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أما الإحسان إلى الجيران فلقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦] وفي حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» متفق عليه، انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٦٩)، ومسلم برقم (٢٦٢٤).

(٣) أما الصبر على الأقدار فلقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ولقوله ﷺ: «**... ومن يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً من الصبر**». متفق عليه، انظر: فتح الباري (٣/ ١٦٥)، ومسلم برقم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) ومراقبة أمر الله تعالى لأن الله تعالى أمر بمراقبته قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥] ويقول ﷺ في حديث جبريل المشهور لما سأله عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». رواه مسلم برقم (٨) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) والتوكل عليه: لأن التوكل شرط في الإيمان قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(٦) أما التفكر فقد أمر الله تعالى به ووصف المؤمنين به فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧، ٢٠].

طاعته[١]، والمبادرة إلى الخير[٢]، وجهاد النفس والهوى والشيطان[٣]، فإنه الجهاد الأكبر[٤]، والانقياد لحكم الله[٥] والمحافظة على سنة رسوله[٦]، وصدق الحديث[٧]، وأداء الأمانة[٨]، وستر عورات

---

(١) والاستقامة على طاعة الله لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [هود: ١١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف: ١٣].
ولقوله ﷺ لأبي عمرو سفيان بن عبد الله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم برقم(٣٨).

(٢) والمبادرة إلى الخيرات: لأمر الله بذلك فقد قال جل وعلا: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] ولقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(٣) قوله: وجهاد النفس والهوى والشيطان؛ لأنهم ألدّ أعداء بني آدم، ولذا تجب مجاهدتهم قال تعالى عن النفس: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] أما الهوى فقد قال الله تعالى فيه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] أما الشيطان فقد قال الله تعالى في شأنه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر:٦].

(٤) لأنه لا يتم جهاد أعداء الملة والدين إلا بجهاد هذه الثلاثة، ولذا كان جهاد هذه الثلاثة أكبر.

(٥) قوله: (الانقياد لحكم الله): لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

(٦) قوله: (والمحافظة على سنة رسوله) لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**». رواه البخاري فتح الباري (١٣/ ٢١٤).

(٧) قوله: (وصدق الحديث): لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] ولقوله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا**» رواه البخاري (١٠/ ٤٢)، ومسلم برقم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود.

(٨) قوله: (وأداء الأمانة): لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ولقوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، و إذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» متفق عليه من حديث أبي هريرة، انظر: فتح الباري (١/ ٨٣)، ومسلم برقم (٥٩).

المسلمين[١]، وقضاء حوائجهم[٢]، والشفاعة لهم[٣]، والإصلاح بينهم[٤]، وملاحظة ضعفتهم وهم النساء والفقراء والأيتام فإن الله سبحانه ورسوله ﷺ قد أمرا بالإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع لهم والرفق بهم وتوقير الكبير ورحمة الصغير[٥]، والحب في الله والموالاة لله والمعاداة فيه[٦]، وزيارة أهل

---

(١) قوله: (وستر عورات المسلمين): لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩] ولقوله ﷺ: «**لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**» رواه مسلم برقم (٢٥٩٠) وبرقم (٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قوله: (وقضاء حوائجهم): لقوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] ولقوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**» متفق عليه فتح الباري (٥/ ٧٠، ٧١) ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) قوله: (والشفاعة لهم): لقوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ولقوله ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب**». متفق عليه البخاري (٣/ ٢٣٨)، ومسلم برقم (٢٦٢٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) قوله: (والإصلاح بينهم): لقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ولقوله ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة....**» ومعنى تعدل بين اثنين تصلح بينهم بالعدل. رواه البخاري (٥/ ٢٢٦)، ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٥) قوله: (وملاحظة ضعفتهم وهم النساء والفقراء والأيتام..........)

أما النساء فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ولقوله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً....**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فتح الباري (٦/ ٢٦١،٢٦٢)، ومسلم برقم (١٤٦٨) أما الفقراء والأيتام فقد مرت الأدلة من الكتاب والسنة في حقهم.

(٦) قوله: (والحب في الله والموالاة لله والمعاداة فيه):

هذا يعتبر أصلاً من أصول الدين، يعنى أصل (الولاء والبراء) وقد غفل الكثيرون للأسف عن هذا الأصل العظيم. قال تعالى في وصف نبيه ومن آمن به: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] أما في المعاداة لأولياء =

الخير وصحبتهم[١]، والخوف من الله[٢] والرجاء[٣] والشكر له[٤] والبكاء من خشيته[٥] والشوق إليه والقناعة والعفاف والإيثار

= الشيطان فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**» متفق عليه، فتح الباري (١/ ٥٦، ٥٨)، مسلم برقم (٤٣).

(١) قوله: (وزيارة أهل الخير وصحبتهم): فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟**» قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: «**هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه؟**» قال: لا غير أني أحبه في الله تعالى، قال: «**فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**» رواه مسلم برقم (٢٥٦٧).

(٢) قوله: (والخوف من الله): لقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] أي خافوني خوفاً معه تحرز فيما تأتون وما تذرون، والخوف من الله يوجب محبته وهو أعظم مراتب العبودية لله تعالى، ولذا أعد الله لمن خاف مقامه والوقوف بين يديه جنتين فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

(٣) قوله: (والرجاء): أي ورجاء العبد ربه عز وجل في كشف الضر أو دفعه وجلب النفع، ورجاء الله تعالى يورث صاحبه حسن الظن بربه عز وجل، فقد جاء في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله تعالى «**أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني....**».
الحديث انظر فتح الباري (١٣/ ٣٢٥، ٣٢٨) ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٤) قوله: (والشكر له): لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] وشكر الله تعالى يتمثل في نعمه الظاهرة والباطنة، فمن أعظم نعم الله الباطنة الإيمان به وبكل ما جاء في العبادات التي مدارها على القلب، فكل هذا من نعم الله على العبد. والنعم الظاهرة يستحق عليها كذلك الشكر ونعم الله الظاهرة كثيرة يعرفها الصغير والكبير، وهي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

(٥) قوله: (والبكاء من خشيته): لأن هذا هو حال عباد الله المخبتين، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله......**» إلى أن قال «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**». متفق عليه فتح الباري (٢/ ١١٩)، ومسلم برقم (١٠٣١).

والمواساة[١]، وترك حظ النفس والشهوات[٢]، وعليكم بالتنافس في أمور الآخرة[٣]، والتواضع وحسن الخلق[٤]، والرفق والحلم والعفو[٥]، والإعراض

---

(١) الآيات والأحاديث التي جاءت في بيان هذه الخصال الحميدة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس الغنى كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس**» والعَرَض هو المال رواه البخاري، انظر فتح الباري (١١/ ٢٣١)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) قوله: (وترك حظ النفس والشهوات):

لأن هذا ليس من الخصال الحميدة التي يثنى على المرء من قبل ربه سبحانه، فإن الله قد ذمّ أهل الشهوة وبين عاقبة من أطلق شهوته قال جل وعلا: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩] وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

(٣) قوله: (عليكم بالتنافس في أمور الآخرة):

لأن الله تعالى حينما ذكر ما أعده للمؤمنين في جنته حث على التنافس في ذلك، ولا يتم ذُلك إلا بكثرة الأعمال الصالحة التي ترفع للعبد درجته في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٥].

(٤) قوله: (والتواضع وحسن الخلق): لقوله ﷺ: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**». رواه مسلم برقم (٢٨٦٥)، عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» رواه مسلم برقم (٢٥٨٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن النبي ﷺ: «**قال أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**». رواه الترمذي برقم (١١٦٢).

(٥) قوله: (والحلم والرفق والعفو):

لأن الله مدح أصحاب هذه الصفات فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ =

عن الجاهلين[١]، واحتمال الأذى[٢]، والانتصار لدين الله والغضب عند حرماته وحرمات شرعه[٣]، وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورسوله[٤]، والوفاء بالعهد[٥]، والحياء[٦]، ....

= [آل عمران: ١٣٤] وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» متفق عليه، انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٢٥)، ومسلم (٢١٦٥).

(١) قوله: (والإعراض عن الجاهلين):

(٢) قوله: (واحتمال الأذى):
لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» رواه مسلم برقم (٢٥٥٨).

(٣) قوله: (والانتصار لدين الله والغضب عند حرماته):
قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]. وقوله ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه حيث أتى ليشفع في المرأة التي سرقت: «**أتشفع في حد من حدود الله تعالى**» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» متفق عليه، انظر: فتح الباري (١٢/ ٧٧)، ومسلم (١٦٨٨).

(٤) قوله: (وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورسوله):
لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**». متفق عليه انظر فتح الباري (١٣/ ١٠٩)، ومسلم برقم (١٨٣٩).

(٥) قوله: (والوفاء بالعهد):
لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

(٦) قوله: (والحياء):
لأنه من الإيمان قال ﷺ: «..... **والحياء شعبة من شعب الإيمان**» متفق عليه انظر فتح الباري (١/ ٤٨)، ومسلم برقم (٣٥).

وطيب الكلام[١]، وإكرام الضيف والجليس[٢]، واستخارة الله تعالى[٣] في جميع الأمور، ومشاورة أهل الخير وإفشاء السلام[٤]، وتشميت العاطس[٥]، وعيادة المريض[٦]، ....

---

(١) قوله: (وطيب الكلام):
لأنه خصلة من خصال الخير، كانت إحدى خصال النبي ﷺ قال تعالى في وصفه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والكلمة الطيبة صدقة**». متفق عليه انظر: فتح الباري (٦/ ٩٢)، ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٢) قوله: (وإكرم الضيف والجليس):
لقوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه..**» متفق عليه، انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٧٣)، ومسلم برقم (٤٧).

(٣) قوله: (واستخارة الله في جميع الأمور ومشاورة أهل الخير):
لما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ **يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها** كالسورة من القرآن. . . .» الحديث رواه البخاري، فتح الباري (٣/ ٤٠).
قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٤) قوله: (وإفشاء السلام):
لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].
وجاء في المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ «**قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**». فتح الباري (١١/ ١٨)، ومسلم (٣٩).
وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم برقم (٥٤).

(٥) قوله: (وتشميت العاطس):
لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءبَ ضحك منه الشيطان**» رواه البخاري، انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٠١).

(٦) قوله: (وعيادة المريض):
لما جاء في المتفق عليه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال «أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار القسم ونصرة المظلوم وإجابة =

وتشييع الجنازة[١]، والإكثار من ذكر الله تعالى[٢]، وذكر الموت[٣]، وحفظ أوقات عمره عن إضاعتها فيما يضره أو بما لا ينفعه، وإشغال وقته فيما خلق لأجله[٤]، وتلاوة القرآن[٥]، والمحافظة على الجمعة والجماعات[٦]، والسنن

= الداعي وإفشاء السلام». فتح الباري (١١/ ١٥)، ومسلم (٢٠٦٩).

(١) قوله: (وتشييع الجنازة):
لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه السابق ذكره.

(٢) قوله: (والإكثار من ذكر الله):
لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

(٣) قوله: (وذكر الموت):
لأن الموت يزهد العبد في دنياه بل هو من أعظم ما تعالج به القلوب، ولذا جاء في الأثر «أكثروا من ذكر هادم اللذات، يعني الموت».
رواه الترمذي برقم (٢٣٠٨) وأخرجه ابن ماجة (٤٢٥٨) وإسناده حسن وصححه ابن حبان (٢٥٥٩) (٢٥٦٢).

(٤) لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر] فالعصر هذا هو الزمن، والمراد به عمر الإنسان، وقسم الرب جل وعلا بهذا الزمن دليل على شرفه وأهميته، فبالاهتمام به تحصل السعادة في الدنيا والآخرة، وبالتفريط فيه تحصل الندامة في الدنيا والآخرة من عند ربه، ولقوله ﷺ: **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم»**.
السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٦).

(٥) قوله: (وتلاوة القرآن):
لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].
وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**. مسلم برقم (١٠٤).

(٦) قوله: (والمحافظة على الجمعة والجماعات):
وذلك لأنها من جملة المأمورات التي أمر الله بها فالمحافظة عليها من أعظم الواجبات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم»**. متفق عليه، انظر: فتح الباري (٢/ ١٠٧، ١٠٨) ومسلم برقم (٢٥١).

الرواتب مع الفرائض[١] وبقية النوافل كالتراويح وصلاة الضحى وتحية المسجد وقيام الليل[٢]، والمحافظة على سنن الفطرة مثل السواك[٣] وقص الشارب

---

(١) قولـه: (والسنن الرواتب مع الفرائض):
لقول أم حبيبة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«ما من عبد مسلم يصلي كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بَنَى الله له بيتاً في الجنة أو إلا بُنِيَ له بيت في الجنة». رواه مسلم برقم (٧٢٨).
والسنن الرواتب هي:
أربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها.
وركعتان بعد المغرب. وركعتان بعد العشاء. وركعتان قبل الفجر.
ويضاف إلى ذلك أربع ركعات بعد الجمعة فإنهن من الرواتب.

(٢) قوله: (وبقية النوافل كالتراويح........ إلى قوله وقيام الليل)
أما صلاة التراويح فلما جاء في فضلها:
فقد جاء في المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**.
انظر: فتح الباري (٤/ ٢١٧، ٢١٨)،ومسلم برقم (٧٧٩).
وصلاة الضحى:
لما جاء أيضاً في المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ: **«بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام»**.
انظره: في فتح الباري (٣/ ٤٧)، ومسلم برقم (٧٢١).
أما تحية المسجد:
لما جاء أيضاً في المتفق عليه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»**. فتح الباري (١/ ٤٤٧) ومسلم برقم (٧١٤).

وقيام الليل: وذلك لأنه دأب الصالحين من عباد الله المتقين قال الله تعالى في وصفهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٧] وقال أيضاً: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].
وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»**. مسلم برقم (١١٦٣).

(٣) قوله: (مثل السواك):
لقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: **«لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»** فتح الباري (٢/ ٣١١، ٣١٢)، ومسلم (٣٥٢).

وإعفاء اللحية فقد قال ﷺ: «**قصوا الشوارب وأوفوا اللحى خالفوا المجوس**»[(١)]؛ فالناصح لنفسه لا يرضى لها بمشابهة المجوس وتغره نفسه وشيطانه ويؤثر طاعتهما على طاعة مولاه ورسوله.

ومما أمر الله به ورسوله: الإحسان إلى المماليك، والرفق بهم فقد قال ﷺ عند موته: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[(٢)]، والسماحة في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وحسن القضاء والاقتضاء، والوفاء بالكيل والوزن[(٣)]، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها ورسوله وخلفاؤه الراشدون[(٤)]، وكل واحدة من هذه الأنواع التي ذكرنا قد وعد الله ورسوله لمن فعلها وحافظ عليها بالحفظ والعزة في الدنيا والثواب في الجنة في الآخرة[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

---

(١) الحديث رواه مسلم برقم (٢٦٠).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٩٠) في مسند أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها.

(٣) وهذا من أعظم خصال المعاملات أي أن يكون مبناها على السماحة في كل شؤون الحياة مما هو لازم بين الإنسان وأخيه الإنسان، أما المعاملات التي مبناها على الغش والخديعة، فضلاً عن كونها محرمة فهي تورث الكراهية والتباغض بين أفراد المجتمعات قال الله تعالى في بيان ما ذكره المؤلف:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١، ٣].

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» فتح الباري (٤/ ٢٦٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ: «**أعطوه سناً مثل سنه**» قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه قال: «**أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء**». متفق عليه انظر: فتح الباري (٤/ ٣٩٤)، ومسلم برقم (٣٠٠٥).

(٤) قوله: (وخلفاؤه الراشدون).

وذلك لأننا مأمورون بكل ما جاءوا به من أمور لم تكن في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ قال ﷺ: «.... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...**» رواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

(٥) وقد بينا جملة من الآيات والأحاديث التي تدل على ما قال المؤلف رحمه الله.

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ومن أعظم ما نهى الله عنه ورسوله: الإشراك بالله[١]، وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» يعني توبق صاحبها في غضب الجبار وعذاب النار وهي: «**الإشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[٢] وقال ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور**» وكان ﷺ متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**خمس بخمس، ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**»[٤].

---

(١) الشرك بالله: هو أعظم ذنب عصي الله به، ولذا توعد الله تعالى فاعله بعدم دخول الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].
والشرك: معناه أن تجعل لله نداً تدعوه وتتقرب إليه وتسأله الشفاعة وتصرف أنواع العبادة له، فتذبح له، وتنذر له، وتسجد له، وهذا من أعظم الذنوب على الإطلاق نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

(٢) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٥/ ٢٩٤)، ومسلم برقم (٨٩).

(٣) متفق عليه، انظر: فتح الباري (٥/ ١٩٣)، ومسلم برقم (٨٧).

(٤) سبق تخريجه.

ومما نهى عنه الله ورسوله الكذب في الحديث(١)، وكثرة الكلام فيما يضر في الدنيا والآخرة، وإطلاق اللسان فيما لا يعني الإنسان(٢)، والغيبة(٣)، والنميمة(٤)، واللعن، والشتم للأحياء والأموات والتباغض، والتقاطع(٥)،

(١) لقوله ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمر ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**» متفق عليه انظر: فتح الباري (١/ ٨٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) لأن كلام ابن آدم إما له وإما عليه فما كان فيه ذكر الله وطاعته فهذا هو له في حسناته يوم القيامة وإن كان غير ذلك فيما لا فائدة فيه فإن كان محرماً فهو عليه وزر وإن كان مباحاً فلا فائدة منه.

(٣) قوله: (والغيبة):
لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].
وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا الله ورسوله أعلم قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**». رواه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٤) قوله: (النميمة):
النميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠، ١١].
وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**». متفق عليه، فتح الباري (١٠/ ٣٩٤)، ومسلم برقم (١٠٥).

(٥) وذلك لأن هذه الأشياء كلها محرمة لما ذكرنا من الأدلة السابقة، وقد حرمها الله لما فيها من مفاسد دنيوية وأخروية، فمن مفاسدها الدنيوية أنها تجعل المجتمع المسلم يسوده الظلم والبغض والكراهية بين أفراده، بل تسوده جريمة القتل بين أفرداه وقبائله، ولذا نبه المؤلف ﷺ على هذه الأمور لكي يتجنبها الناس قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].
وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**».
متفق عليه، انظره في فتح الباري (١٠/ ٤٠١)، ومسلم برقم (٢٥٥٩). =

والحسد، والكبر، والغش في المعاملات، والنقص في المكيال والميزان[١]، والخداع، والغدر، والخيانة[٢]، والمن بالعطية[٣]، ....

= وعن عائشة رضي الله عنها قالت:
قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**». رواه البخاري (٣/ ٢٠٦).

(١) قوله: (والحسد والكبر والغش في المعاملات والنقص في الميزان):
أما الحسد، فلأنه من أعظم الذنوب وأخطرها، ولذا بدأ به.
والحسد: هو تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] ومر بنا حديث أنس رضي الله عنه السابق.
أما الكبر: فلأنه صفة غير محمودة في حق إنسان خلقه الله من تراب، فعلى أي شيء يتكبر؟ والله تعالى من أسمائه المتكبر فإذا كان العبد متكبراً فقد ضاهى الله في اسم من أسمائه وصفة من صفاته، ولذا توعد الله المتكبرين بقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].
أما الغش في المعاملة:
فلأن فيه نوع أذية بالمؤمنين، وقد ذم الله ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا**». رواه مسلم برقم (١٠١، ١٠٢).
أما قوله: (والنقص في الميزان): فقد مر بنا طرف من الأدلة الدالة على بيان حرمة ذلك بعظيم النهي عنه.

(٢) قوله: (والخداع والغدر والخيانة):
لأنها صفات مذمومة جاءت نصوص الكتاب والسنة بالنهي عنها.
أما الخداع:
فقد ذكر للنبي ﷺ رجل يخدع في البيع فقال رسول الله ﷺ:
«**إذا بايعت فقل لا خِلَابَةَ**» البخاري البيوع (١٩٤٧). أي فقل لا خديعة.
وأما الغدر والخيانة:
فقد مر بنا جملة من الأدلة على تحريمه وذلك عند الكلام على الوفاء بالعهد.

(٣) قوله (والمن بالعطية): =

والافتخار والبغي[١] وهجر المسلم[٢] وتعذيب العبد والأمة والولد والأهل بغير سبب شرعي[٣]، ....

= لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].
وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وروى مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**». رواه مسلم برقم (١٠٦).

(١) قوله: (والافتخار والبغي):
لأنهما صفتان مذمومتان قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].
وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد».
رواه مسلم برقم (٤٨٦٥)

(٢) قوله: (وهجر المسلم):
لورود النهي عن ذلك، فقد جاء في المتفق عليه عن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٠١، ٤٠٢) ومسلم (٢٥٦٠). أما إن كانت هجرة المسلم لله تعالى فليس في هذا شيء، كأن تكون الهجرة من أجل بدعة في دين الله أو لظهور فسق هذا المسلم، فهذا يجوز.

(٣) قوله: (وتعذيب العبد والأمة والولد والأهل بغير سبب شرعي):
لما جاء في المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» انظره: في فتح الباري (٦/ ٢٥٤) ومسلم برقم (٢٢٤٢) فهذه المرأة عذبت من أجل هرة، ولا شك أن العبد أعظم حرمة عند الله من هذه الهرة وروى مسلم ﷺ عن سويد بن مقرن ﷺ قال: «لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة، لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها» رواه مسلم برقم (١٦٥٨). وإني من خلال هذه الرسالة أنصح إخواني ممن تحت أيديهم خدم أن يرعوا حق الله تعالى فيهم، وكذا حقوق هؤلاء الخدم من الرجال والنساء، فيأمروهم بطاعة الله وبخاصة المحافظة على الصلوات الخمس وأن =

ومماطلة أصحاب الحقوق[١]، والرجوع في الهبة[٢]، وأكل مال اليتيم وأكل الربا[٣]، والنظر إلى الأجنبيات[٤] ....

= يرعوا حق هؤلاء الخدم بمالهم عندهم من حقوق مادية وحقوق جسدية، حيث أنني أسمع وللأسف الشديد أن هناك صنفاً من الناس يعذب خدمه إما بالضرب أو بالتهديد أو نحو ذلك مما فيه أذية لهولاء الناس، بل إنني سمعت أن هؤلاء الخدم ليس لهم راحة في اليوم ولو ساعة واحدة، فهم في عمل دائم لا يفترون فيه ولم تأت إلا ساعة النوم فقط هي التي يستريحون فيها وهذا من أعظم الظلم للعباد، فهب أنك أنت مكان هذا الخادم أو هب أنك أيتها المسلمة مكان هذا الخادم أو الخادمة هل تستطيعين أن تتحملي هذا بالطبع لا، فإذا كان الأمر كذلك فَلِمَ الأذية لخلق الله؟ وإني لأسمع من بكاء بعض الخادمات لما تراه من سوء المعاملة وعدم الراحة طوال يومها فهي كالماكينة نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً لما يحب ويرضى.

وروى مسلم في صحيحه عن هشام بن الحكم ﷺ أنه مر بالشام على أناس من الأنباط (والأنباط هم الفلاحون من العجم) وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال: ما هذا؟ قيل يعذبون في الخراج، وفي رواية، (حبسوا في الجزية) فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**»، فدخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخلوا» رواه مسلم برقم (٢٦١٣). ومعنى قوله (خلوا) أي تركوا من العقاب.

(١) قوله: (ومماطلة أصحاب الحقوق):
لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

(٢) قوله: (والرجوع في الهبة):
لما جاء في المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: قال:
«**الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه**» وفي رواية «**مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله**».
فتح الباري (٥/ ١٦٠)، ومسلم برقم (١٦٢٢).

(٣) قوله: (وأكل مال اليتيم وأكل الربا):
وسبق أن ذكرنا الأدلة على تحريم ذلك.

(٤) قوله: (والنظر إلى الأجنبيات):
لأن النظر إليهن هو بريد الوقوع في فاحشة الزنا، نعوذ بالله من ذلك ولذا أمرنا بأن نغض أبصارنا عن النساء الأجنبيات غير المحارم.
قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: ٣٠] وروى مسلم عن =

والزنا، والخلوة بالأجنبية(١)، وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال(٢)، والنياحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب(٣)، وإتيان الكهان والمنجمين والعرافين وأصحاب الرمل(٤)، ....

= جرير ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**أحرف بصرك**». رواه مسلم برقم (٢١٥٩) ونظر الفجأة هو الذي لم يتعمده صاحبه، ولكن جاء بغتة من غير قصد.

(١) قوله: (والزنا والخلوة بالأجنبية):
أما الزنا فلأنه محرم، ونصوص الكتاب والسنة لا تخفى على ذي لب في تحريمه.
ولما كانت الخلوة بالمرأة الأجنبية هي إحدى الوسائل التي يحدث بسببها الزنا جاءت نصوص الكتاب والسنة بالنهي عن ذلك.
قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**». فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» متفق عليه انظره في فتح الباري ٩/ ٢٨٩، ٢٩٠، ومسلم برقم (٢١٧٢). وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يخلو أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**» متفق عليه، فتح الباري، ٩/ ٢٩٠، ومسلم برقم (١٣٤١).

(٢) قوله (وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال):
لما جاء في صحيح البخاري من النهي عنه فقد روى البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» رواه البخاري، فتح الباري (١٠/ ٢٨٠).

(٣) قوله: (والنياحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب):
لما جاء في المتفق عليه عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية**». البخاري فتح الباري (٣/ ١٣٣)، ومسلم (١٠٣). عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطِرَان ودرع من جرب**». مسلم برقم (٩٣٤).

(٤) قوله: (وإتيان الكهان والمنجمين والعرافين):
كل هذا لما فيه من الشرك بالله أو المعصية به، فمن أتاهم يعني الكهان والمنجمين والعرافين مصدقاً لهم فهو مشرك كافر، فعن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**». =

والتطير والتشاؤم[١]، والحلف بغير الله[٢].



= رواه مسلم برقم (٢٢٣٠). وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**» حديث صحيح صححه الألباني في الطحاوية برقم (٧٦٨) وفي آداب الزمان برقم (٣١).

(١) قوله: (والتطير والتشاؤم):
لورود النهي عن ذلك:
فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس**» متفق عليه. انظره في فتح الباري (١٠/ ١٨٠، ١٨١)، ومسلم برقم (٢٢٢٥) ومعنى قوله ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس**» شؤم الدار يكون بضيقها. وشؤم المرأة يكون في سوء خلقها وعقر رحمها.
وشؤم الفرس أي الدابة يكون في منع ظهرها.

(٢) قوله: (والحلف بغير الله):
وذلك لأن الحلف تعظيم والتعظيم لا يكون إلا للرب ﷻ، فمن حلف بالمخلوق فكأنه عظَّمه ولذا فقد جعله مساوياً لله تعالى في التعظيم وجاء عن النبي ﷺ النَّهي في ذلك بل وعدَّه ﷺ من الشرك فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً؟ فليحلف بالله أو ليصمت**» متفق عليه، فتح الباري (١١/ ٤٦١، ٤٦٢)، ومسلم برقم (١٦٤).
وعن ابن عمر ﷺ أنه سمع رجلاً يقول لا والكعبة، قال ابن عمر لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**».
رواه الترمذي (١٥٣٥) وصححه الألباني برقم (١٢٤١).

التعليق على كتاب

انتصـــار الحق

مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تقديم وتعليق

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله مدبر الليالي والأيام ومصرف الشهورِ والأعوام المَلكِ القُدُوسِ السلامِ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوث رحمة وشفيعاً للأنامِ وعلى آله وأصحَابهِ البررة الكرام. أما بعدُ..

فيسرني أن أقدم هذه المحاورة اللطيفة التي دبجها يراع عالمِ جليلٍ وسماها (إنتصارُ الحق)، والحقُ منتصر لا محالة، فوافق اسمها مسماها وطابقَ لفظها معنَاها فجاءت قوية في ألفاظِها عميقة في معناها، رَائدَة في منهَجِها رائعة في ثَمرتِها، وقَد كَانت هذه المحاورةُ في أصلِها مقالات نُشِرت في أعدادٍ من مجلة المنهَلِ في عام١٣٦٧هـ.

ونظراً لأهميتها ومَسيس الحاجَةِ لها حَيث تُخاطب عُقُولَ الكثيرينَ ممن بهرتَهم الحضارةُ الغربية فانطمست بصيرتُهم وأخذوا يُروجونَ لها ويفتخِرونَ بها إما عن جَهل حيناً، وإما عن عَداوةٍ وكيدٍ لدينهم أحياناً. نظراً لذَلَك كلِّه أحببتُ تقديم هذه المحاورة بثَوبٍ جَديدٍ مُعلّقاً على ما يَحتاج إلى تَعليق، وقد قدمتُ لها بترجَمَة موجَزَة مستلة من الترجمة الضَّافية لعلامَة القَصِيم والتي سَتَرى النور قريباً إن شَاءَ الله[1]، وإني بهَذه المُناسبَة أشكر كلَّ من كانَ له يدٌ في إخراجها مَشورة وفكرَة وطَلَباً فلهؤلاء جَزيل الشُّكرِ وخَالص الدعاءِ؛ والله أسأل أن يوفقَ الجَميعِ لمَا يحبُ ويرضىَ وأن يرحَمَ المؤلفَ ويَفتحَ له في

(١) طبعت هذه الترجمة بعنوان صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله وقد طبعتها دار ابن الجوزي عام ١٤١٣هـ.

مَنَازله ويرفَعَ درجتَهِ مع الذين أنعَمَ الله عليهم من النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصَالحينَ وحسنُ أولئكَ رفيقاً.

وصلى الله على نَبينا مَحمدٍ وعلى آلهِ وصَحبِه وسلَّمَ تَسليماً كَثيراً.

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

في ضحوة الجمعة ٤/ ٤/ ١٤١٢هـ

الزلفي

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد طبعت هذه الرسالة بتقديمي وتعليقي عام ١٤١٢هـ، أي قبل أربعة عشر عاماً، وقد نفع الله بها نفعاً عظيماً، وهاهي الطبعة الثانية الخيرية بعناية المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بالرياض والتي يرجى لها أن يتحقق بها النفع كما تحقق ـ ولله الحمد ـ بسابقتها.

ورغبة في الاختصار والتيسير على القارئ رغب الإخوة في المكتب حذف الترجمة، والإحالة على ترجمتي الموسعة للشيخ المطبوعة مستقلة بعنوان (صفحات من حياة علامة القصيم) الشيخ عبد الرحمن السعدي والتي نشرت عام ١٤١٣هـ.

وحيث أن عمل الإخوة من باب الإحتساب فقد أذنت لهم بطباعتها بعد الأخذ بالملحوظات التي دونتها على المطبوعة، سائلاً الله ـ جل وعلا ـ أن يوفق القائمين على المكتب لما فيه الخير والصلاح للبلاد والعباد، وأن يجزي كل عامل للإسلام خيراً وأن يثبتنا وإياهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يرزقنا وإياهم العلم والنافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

مكة المكرمة

مساء الخميس ٦/ ٧/ ١٤٢٦هـ

حول هذه المحاورة

أقبل ابنُ سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ على العلمِ إقبالاً منقطع النظير وصرف له وقته وجهده فحصَّل الشيءَ الكثيرَ وتمكن في في مختلفِ العلومِ والمعارفِ مما جعله يتأهلُ للتدريسِ والتعليمِ في زمن مبكرٍ من عمره فتوافد إليه الطلابُ من كل مكانٍ وأصبحت حلَقاتُه تعجُّ بالدارسين ينهلون من مختلفِ العلومِ.

طريقته في التدريس:

وقد سلك ابنُ سعدي طريقَةً حديثَةً في التعليمِ حيثُ كان يحاورُ تلاميذه ويناقشُهم ويطرحُ المسائِلَ عليهم ويطلبُ منهم إعادَة الدرسِ، وكثيراً ما كان يسألُ عن درسِ الأمسِ ليرى مدى تحصيل الطلاب، وبهذا الأسلوبِ الفريدِ كسبَ الطلابُ واستفادوا كثيراً.

عنايته بالتأليف:

ومع كثرةِ هذه الحلقات وكثرة هؤلاء الدارسين فيها اعتنى الشيخُ السعدي عناية فائقةً بالتأليف على غير عادةِ كثيرٍ من علماءِ عصرِه اكتفوا بالحلقاتِ وتعليم التلاميذ لأن التأليف يأخذ منهم وقتاً طويلاً.

أما الشيخ السعدي فقد تركَ مؤلفاتٍ كثيرةً في مختلفِ العلومِ والمعارفِ سلك في تأليفِها طرقاً متعددةً من أنجحِهَا وأنفعِها طريق الحوارِ المفترض بين اثنين يمثلان وجهتي نظرٍ متعارضتين، وهذا اللونُ من التأليف أبدع فيه ابن سعدي وقرَّبَ فيه مسائل كثيرةً لذهنِ السامعِ والقارئ قد لا يستوعبُها في التأليفِ المعتاد.

لقد استطاع الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يصلَ إلى عقلِ القارئ بكُلِّ يُسرٍ وسهولةٍ،

وهذه المحاورةُ التي بين أيدينا تمثل نمطاً جديداً من الكتابةِ طَرَقَه ابنُ سعدي قبل ما يقرب من نصفِ قرنٍ من الزمانِ.

وهذه المحاورةُ اللطيفةُ الهادئةُ جمعت بين قوةِ الحجةِ ووضوحِ المحجةِ وسلامةِ المنهجِ، وبُعدِ النظرِ والبحث عن الأسبابِ وعلاجها ثم الوصول إلى الثمرةِ المرجوةِ، كل ذلك في صفحاتٍ يسيرةٍ لا تتجاوزُ العشرين صفحة، فرحِمَ الله ابنَ سعدي وأعلى منزلَتَه في المهديين وجمعنا به في جناتِ النعيم.



محاورة دينية إجتماعية

خطر الإقامة بين الكفار[١]:

هذه صورة محاورة بين رجلين كانا متصاحبين ورفيقين[٢] مسلمين، يدينان بالدين بالحق، ويشتغلان في طلبِ[٣] العلم جميعاً، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا، فإذا هذا الغائب قد تغيرت[٤] أحواله وتبدلت أخلاقه، فسأله صاحبه عن ذلك، فإذا هو قد تغلَّبت عليه دعايةُ الملحدين[٥] الذين يدعون لنبذِ الدين ورفضِ ما جاء به المرسلون. فحاوله صاحبه وقلبه

---

(١) جميع العناوين من المحقق وليست في الأصل.

(٢) الجليس له أثر كبير جداً ويكفي في ذلك قوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما يحذيك أو تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**» رواه البخاري ومسلم. انظر: صحيح البخاري ٧/ ١٢٥ وصحيح مسلم ٣/ ٣٨.

(٣) طلب العلم مما يعين الإنسان في طريقه إلى الله. وهو من أفضل القربات، وأجل الطاعات وصدق الله العظيم. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال ﷺ: «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**». رواه الترمذي صحيح الترمذي ٢/ ٣٤٢.

(٤) كثير من الذين سافروا للخارج ولم يبحثوا عن المحضن الإسلامي وقعوا في شرك الإعداء ولذا لم تبتلى الأمة الإسلامية بمثل أولئك الذين سافروا للخارج فغسلت أدمغتهم ثم أتوا إلى بلادهم وهم أشد ما يكونون عداوة لدينهم ومبادئهم وبلادهم وعملوا جاهدين على تعميق فصل حاضر الأمة عن ماضيها ومحاولة ربطها بالغرب في كل شيء.

(٥) حرص أعداء الإسلام على استقطاب ثلة من المثقفين وعرض بضاعتهم عليهم فمن أخذها منحوه أعلى الأوسمة ودفعوه فوق ما يستحق، بل وهيأوا له فوق ما يحلم به لأنه أداتهم التي عن طريقها يتحركون وعصاهم التي بها يضربون.

لعله يرجع عن هذا الانقلابِ الغريبِ فأعيته الحيلةُ في ذلك، وعرف أن ذلك علةٌ عظيمةٌ ومرضٌ يَفتقِرُ إلى استئصال الداء ومعالجته بأنفع الدواء وعرف أنَّ ذلك متوقفٌ على معرِفة الأسباب[١] التي حولته والطرق التي أوصلته إلى الحالةِ المخيفةِ وإلى فحصِها وتمحيصِها وتخلِيصها وتوضيحها، ومقابلتِها بما يضادُها ويقمعُها عى وجه الحكمةِ والسدادِ، فقال لصاحبه مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك:

يا أخي، ما هذه[٢] الأسباب التي حملتك على ما أرى؟ وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه؟ فإن كان خيراً كُنتُ أنا وأنت شريكين، وإن كان غير ذلك فأعرفُ من عقلك ودينك وأدبك أنني وأنك لا ترضي أن تقيمَ على ما يضُّرك.

الإعجاب بالكفار وأعمالهم:

فأجابه صاحبه قائلاً: لا أكتمك أني قد رأيتُ المسلمين على حالةٍ لا يرضاها ذوو[٣] الهمم العلية: رأيتُهم في جهلٍ وذلٍ وخمولٍ وأمورهم مدبرة، وفي الجانب الآخرِ هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنونِ الراقيةِ والمخترعاتِ العجيبةِ المدهشةِ والصناعاتِ المتفوقةِ، رأيتُهم قد دانت

(١) كل من أراد بحث قضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات وجب عليه بحث أسبابها ودراستها ثم وضع العلاج الناجع للقضاء على هذه الأسباب وبالتالي علاج المشكلة أو القضية من جذورها، وهذا ما فعله ابن سعدي في هذه المحاورة الرائعة.

(٢) من أراد مناقشة أحد وإيصال الحق إليه فلا ينبغي أن يبدأ بتخطئته فيما هو عليه بل يتدرج معه في بيان الحق فيحسن الدخول إلى قلبه ثم يبدأ فشيئاً حتى يوضح له الحق ويبين له خطأ ما هو فيه، وما ينبغي أن يكون عليه وبهذا المسلك الراشد تميز بعض الدعاة فكانت لهم الآثار الإيجابية على المدعوين.

(٣) هذه مشكلة كثير من المنحرفين إذا دعوتهم للحق جعلوا واقع المسلمين حجة على الإسلام وهؤلاء سواء جهلوا أو تجاهلوا مخطئون لأن الإسلام هو الذي ينبغي أن يحكم في الواقع حكماً على الإسلام فمن أراد أن يعرف الإسلام فليقرأ نصوصه ولبتبين حكمها وأسرارها، وإن شاء مثالاً واقعياً للمجتمع المسلم فليلق نظرةً على القرون المفضلة التي كانت لها الريادة والقيادة.

لهم الأممُ، وخضعت لهم الرقابُ، وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفةِ بما شاؤوا ويعُدُّونهم كالعبيدِ والأُجراءِ، فرأيتُ فيهم العزَّ الذي بهرني، والتفننَ الذي أدهشني فقلتُ في نفسي: لولا أن هؤلاء القوم هم القوم وأنهم على الحقِّ والمسلمون على الباطلِ لما كانون على هذا الوصفِ الذي ذكرتُ لك. فرأيتُ أن سلوكي سبيلهم واقتدائِي بهم خيرٌ لي وأحسنُ عاقبة فهذا الذي صيَّرني إلى ما رأيتَ.

فقال له صاحبه حين أبدى ما كان خافياً: إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى فهذا ليس من الأسباب التي يبني عليها أُولوا الألبابِ والعقول عقائدهَم وأخلاقَهم وأعمالَهم ومستقبلَ أمرِهم، فاسمع يا صديقي تمحيص هذا الأمرِ الذي غرك وحقيقَته:

أفبتفريط المسلين نحتج على الدين؟

إنَّ تأخر المسلمين فيما ذكرت ليس ناشئاً عن دينهم، فإنه قد علِم كُلُّ من له أدنى نظر وبصيرة أنَّ دينَ الإسلامِ يدعو إلى الصلاحِ والإصلاح في أمورِ الدين وفي أمورِ الدنيا، ويَحثُّ على الاستعدادِ من تعلم العلومِ والفنونِ النافعة، ويدعو إلى تقويةِ القوة المعنوية[1] والمادية لمقاومة الأعداء، والسلامة من شرهم وأضرارهم، ولم يستفد أحدٌ منفعةً دنيويةً فضلاً عن المنافع الدينيةِ إلا من هذا الدينِ، وهذه تعاليمُه وإرشاداتُه قائمة لدينا تنادي أهلهَا: هَلُمّ إلى الإشتغالِ بجميعِ الأسبابِ النافعة التي تُعَلِّيكم وتُرقِّيكم في دينكم ودُنياكم. أفبتفريط المسلمين تحتجُ على الدين؟! إن هذا لهو الظلمُ المبينُ!.

من الخطأ الحكم على الإسلام من خلال واقع المسلمين:

أليس من قصورِ النظرِ ومن الهوى والتعصبِ، النظرُ في أحوالِ المسلمين

---

(١) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

في هذه [الحقبة من الزَّمن] التي تدهورت فيها علومهُم وأعمالُهم وأخلاقُهم، وفقدوا فيها جميع مقوماتِ دينهِم، وتركُ النظر إليهم في زهرة[١] الإسلامِ والدينِ في الصدرِ الأولِ حيث كانوا قائمين بالدين، مستقيمين على الدين، سالكين كل طريق يدعو إليه الدين، فارتقت أخلاقُهم وأعمالُهم حتى بلغت مبلغاً ما وصل إليه ولن يصل إليه أحدٌ من الأولين والآخرين، ودانت لهم الدنيا من مشارِقها إلى مغارِبها وخَضَعَتْ لهم أقوى الأمم وذلك بالدين الحقِّ والعدلِ والحكمةِ والرحمةِ، وبالأوصاف الجميلةِ التي كانوا عليها؟!

الجهاد في سبيل الله:

أليس ضعف المسلمين[٢] في هذه الأوقات يوجبُ لأهلِ البصائرِ والنجدةِ منهم أن يكون جدُّهم ونشاطُهم وجهادهم الأكبر متضاعفاً، ويقوموا بكل ما في وُسعهم لينالوا المقاماتِ الشامخةَ ولينجُوا من الهُوَّةِ العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا من أفرضِ الفرائِض وألزَمِ اللازماتِ في هذا الحال؟ فالجهاد في حالِ قوةِ المسلمين وكثرةِ المشاركين فيه له فضلٌ عظيمٌ يفوق سائرَ العباداتِ، فكيف إذا كانوا على هذه الحالة التي وصفتَ؟ فإن الجهاد لا يمكن التعبير عن فضائله وثمراته. ففي هذه الحالة يكون الجهادُ على قسمين: أحدهما: السعيُ في تقويمِ المسلمين[٣] وإيقاظ هممهم وبعث عزائمهم وتعليمهم العلوم النافعة، وتهذيبهم بالأخلاقِ الراقيةِ، وهذا أشَقُّ الأمرين وهو أنفَعُهُمَا وأفضَلُهُمَا.

---

(١) كان المسلمون قادة العالم فخسر العالم هذه القيادة الراشدة بسبب تخاذُل المسلمين وضعفِهم وبعدِهم عن دينهم وفُرقَتِهم وتناحرِهم فيما بينهم مما جعل الأعداءَ يطمعون فيهم ويُغيرون عليهم حساً ومعنى صباحَ مساء.

(٢) مما لا يشكُّ به عاقل أن ضعف المسلمين اليوم جاء من ضعف أفرادهم وعدم تربيتهم، ويوم أن تتربى شبيبةُ الإسلام على العلم والرشد والصلاح والتقى يوم أن يقوى المجتمعُ المسلمُ ويتماسك بنيانُه وصدق الحبيب المصطفى: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» رواه البخاري: صحيح البخاري ٣/ ٩٨، صحيح مسلم ٨/ ٢٠.

(٣) من أعظم أدواء المسلمين اليوم عدم إعداد الفرد المسلم إعداداً متوازناً إعداد روحه وعقله وجسمه.

والثاني: السَّعْي في مقاومةِ الأعداء وإعداد جميع العدد القولية والفعلية والسياسة، الداخلية والخارجية، لِمُناوَأتهم والسلامة من شرِّهم!.

كيف يكون المسلم خدنا لأعدائه؟

أفحين صار الأمرُ هذا الوصف الذي ذكرتَ، وصار الموقف حرجاً تتخلى عن إخوانك المسلمين وتتخلف مع الجبناء والمخالفين؟ فكيف مع ذلك تنضم إلى حزب المحاربين! الله الله يا أخي، لا تكن أقل ممن قيل فيهم:

﴿تَعَالَوْا قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قاتلوا لأجل دينِكم[(١)] أو ادفعوا لأجل قومِكم ووطنكم. لا تكن مثل هؤلاء المنافقين، فأعيذك يا أخي من هذه الحال الذي لا يرضاها أهل الديانات ولا أهل النجدات والمروءات. فهل ترضى أن تشاركَ قومَك في حالِ عزِّهم وقُوَّةِ عددِهم وعنصرهم، وتُفَارِقَهم في حالِ ذلِّهم ومصائِبهم. وتخذلَهم في وقتٍ اشتدت فيه الضرورةُ إلى نصرةِ الأولياء ورد عُدوان الأعداء؟ فهل رأيتَ قوماً خيراً من قومِك أو شاهدتَ ديناً أفضل من دينِك؟

فقال المنصوح: الأمر هو ما ذكرتُ لك، ونفسي تتوقُ إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعاتِ، وتَرَقَّوا في[(٢)] هذه الحياة.

ترك الدين رغبة في حضارات الغرب:

فقال له صاحبه وهو يحاوره: رفضت ديناً قيماً كامل القواعدِ ثابت الأركانِ مشرق البرهانِ، يدعو إلى كل خيرٍ ويحث على السعادةِ والفلاحِ، ويقول لأهله هَلُمَّ إلى كل صلاح وإصلاح، وإلى كل خير ونجاح، واسلكوا

---

(١) لم تصب الأمة الإسلامية في مختلف عصورها بمصيبة أشد وأنكى من هؤلاء المخذلين أصحاب الوجهين الذين عشعش النفاق في قلوبهم وأكل وشرب معهم فأخذوا يطعنون الأمة الإسلامية في قلبها وهم سر خذلانها على مدار تاريخها الطويل.

(٢) بريق الحضارة وبهرجها ما هو إلا كالأصباغ التجميلية على وجه العجوز الشمطاء إذا تفحصته وجدته خراباً بلقعاً لا ينفع في العاجل ولا في الآجل.

كلَّ طريق يوصلكم إلى السعادةِ الدُّنيويةِ والأُخرويَّة. ديناً مبنياً على الحضارة الراقية الصحيحة التي بنيت على العدلِ والتوحيدِ، وأُسسِّت على الرحمة والحكمة والعلمِ والشفقة وأداء الحقوق والواجبة والمستحبة، وسَلمت من الظلم والجشعِ والأخلاقِ السافلةِ، وشملت بظلِّها الظلِّيلِ وإحسانِها الطويلِ وخيرها الشاملِ، وبهائها الكاملِ، ما بين المشارقِ والمغاربِ، وأقَرَّ بذلك الموافِقُ والمُنصفُ المُخالفُ. . . أتتركُها راغباً في حضاراتٍ ومدنياتٍ مبنية على الكفرِ والإلحادِ، مؤسسة على الطمعِ والجشعِ والقسوةِ وظُلم[1] العبادِ، فاقدة لروحِ الإيمانِ ورحمتِه عادمة لنور العلم وحكمتِه حضارةٌ ظاهِرهُا مُزَخرَفٌ مُزوّقٌ، وباطَنُها خرابٌ، وتظنها تعمر الوجُود، وهي في الحَقيَقة مآلُها الهلاكُ والتدميرُ؟ ألْم تر آثارها في هذه الأوقاتِ، وما احتوت عليهِ من الآفات والويلاتِ، وما جَلَبَتْه للخَلائِقِ مِن الهلاكِ والفناءِ والتدميرِ؟.

فَهلْ سمِعَ الخَلقُ مُنذ أوجدَهم الله لهِذِه المجازر البَشرِيَّة التي انتهى إليها شوطُ هِذِهِ الحضارةِ نظيراً أو مثيلاً، وهل أغْنَت عنهم مَدَنِيتُهُم وحضَارتُهم من عذاب الله من شيء لمّا جاء أمرُ رَبِّك، وما زادتهم غير تتبيب؟ فلا تخدعنك ما ترى من المناظر المزخرفة والأقوال المموهة، والدعاوي العريضة، وانظُرْ إلى بواطن الأمور وحقائقها، ولا تغرنك ظواهِرُهَا، وتأمل النتائجَ الوخيمةَ، والثمراتِ الذميمةَ فهل أسْعَدَتْهم[2] هذه الحضارة في دنياهم التي لا حياة لهم يرجون غيرها؟! أم تراهم يتنقلون من شرٍ إلى شرورٍ؟ ولا يسكنون في وقت إلا وهم يتحفزون إلى شرورٍ فظيعةٍ ومجازر عظيمة؟ فالقوة والمدنية والحضارة والمادة بأنواعها إذا خلت من الدينِ الحق فهذه طبيعتها وهذه ثمراتها وويلاتها ليس لها أصول وقواعد نافعة، ولا لها غايات صالحة.

---

(١) ألم تهلك بسبب هؤلاء أمم وشعوب ألم تسلب خيرات وثروات ألم تنتهك أعراض وحرمات، ولعل في بلاد الأفغان في هذا العصر خير شاهد ودليل.

(٢) الواقع أن ما يراه الشخص من مظاهر المتعة ما هو إلا هروب من الهموم المتراكمة والأحزان المتلاحقة فمن لم يطعم سعادة الدنيا بالعبادة يحرم سعادة الآخرة.

هلاك المسلم في ترك دينه:

ثم هب أنهم مُتِّعُوا في حياتِهم وإستُدْرجوا فيها بالعزِّ والرياسةِ ومظاهرِ القوةِ والحياةِ، فهل إذا انحزت إليهم وواليتَهم يُشركونَك في حياتِهم ويجعلونَك كأبناءِ قومِهم؟ كلا والله إنهم إذا رضوا عنك جعلوك من أرذلِ خُدَّامِهم! وآية ذلك أنك في ليلِك ونهارِك تكدحُ في خدمتِهم، وتتكلمُ وتجادلُ وتخاصم على حسابهم، ولم ترهم رفعوك حتى ساووا معك أدنى قومِهم وبني جنسِهم!! فالله يا أخي في دينِك[١] وفي مُرُوءتِك وأخلاقِك وأدبِك!! والله الله في بقية رمقِك!! فالانضمام إلى هؤلاء والله هو الهلاك.

أثر الجليس الصالح وجليس السوء:

فقال له المنصوح: لقد صدقتَ فيما قلتَ، ولكن لي على هذا المذهبِ أصحابٌ مثقفون.. ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون. قد تعاقدتُ معهم على التمسك بالإلحاد واحتقار المستمسكين بدين ربِ العبادِ، قد أخذنا نصيباً وافراً من اللذاتِ، واستبحنا ما تدعو إليه النفوسُ من أصنافِ الشهواتِ فَأنَّى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر، وكيف لي بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال؟! فالآن يتنازعني داعيان: داعي الحق ـ بعدما بان سبيلُه واتضح دليلُه ـ وداعي النفس والاتصال بهؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة، فكيف الطريق الذي يريحني ويشفيني، وما الذي عن هذا الأمر[٢] يسليني؟

فقال له صاحبه الناصح: ألم تعلم أن من أوجب الواجباتِ وأكبرِ فضائلِ الرجل اللبيب أن يتبعَ الحقَ الذي تبين له ويدعَ ما هو فيه من الباطلِ وخصوصاً عند المنازعاتِ النفسية والأغراضِ الدنيوية؟ وأن الموفق، إذا وقع

---

(١) أثبت الواقع أن المتنكرين لدينهم يَلفظُهم الأعداء إذا أدركوا مقصودهم منهم ويبتعد عنهم بنو جنسهم فيعيشون في حيرة عظيمة تنتهي بهم إلى نهاية وخيمة.

(٢) مصيبة المصائب انجراف الشخص مع رفقة السوء حتى يوردوا المهالك فيظن أنه لا يمكن أن يرجع عن هذا الطريق ولا يستقيم له أمر والحق أنه ليس بينه وبين انقلاب حياته من السوء إلى الصلاح ومن الرذيلة إلى الفضيلة إلا التوبة الصادقة.

في المهالك، طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية؟ أما علمتَ أن من نعمةِ الله على العبدِ أن يُقيِّضَ له الناصحين الذين يرشدونه ألى ألخَيْرِ ويأمرونه بالمعروفِ وينهونه عن المنكر[١] ويسعون في سعادته وفلاحهِ؟ ثم من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم ولا يتشبه بمن قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

ثم أعلم أَنَّهُ ربما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال ثم تراجع إلى الحق، الذي هو حبيب القلوب، كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه! فإرجع إلى الحق صادقاً وثِقْ بوعدِ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

البحث عن الحق:

فإذا عرفت هذه الأصولَ فهذا الدينُ الحقُ الذي دعت إليه الرُّسُلُ عُموماً وخاتمهُم وإمامُهم محمدٌ ﷺ خُصوصاً، قَد بُنِي وأُسس على التوحيدِ والتأله لله وحده لا شريك له حُباً وخَوفاً ورجاءً وإخلاصاً وإنقياداً وإذعاناً لربوبيتِه وإستسلاماً لعبوديتِه قد دَلَّ على هذا الأصل الذي هو أكبر جميع أصولِ الأدلةِ العقليةِ والفطريةِ، ودلت عليه جميعُ الكُتبِ السَّماوِيَّةِ، وقررهُ جميعُ الأنبياء والمرسلين وأتباعُهم من أهلِ العلومِ الراسخةِ والألبابِ الرَّزِينة والأخلاقِ العاليةِ والآدابِ الساميةِ، كل أولئك إتفقوا على أن الله منفردٌ بالوحدانيةِ منعوتٌ بكِل صفة كمالٍ، موصوف بغايةِ الجلال والعظمةِ والكِبْرياءِ والجَمالِ، وأَنَّهُ الخالقُ الرازِقُ المدبِّر لجميعِ الأمورِ، وأنَّه منزهٌ عن كلِّ صفةِ نقصٍ، وعن مُمَاثلةِ المخلوقين، وأَنَّهُ لا يستحِقُ العبادةَ والحمدَ والثناءَ والشكرَ إلا هو، فالدين الإِسلامي على هذا الأصلِ أُسِّسَ وعَلَيه قَام واستَقَام.

---

(١) صدق الحبيب المصطفى: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة**». رواه البخاري ومسلم: صحيح البخاري ٧/ ١٢٥ وصحيح مسلم ٣/ ٣٨.

بطلان ما عليه الملحدون:

وأما ما عليه أهلُ الإلحاد فإنَّهُ ينافي هذا الأصلَ غايةَ المنافاةِ، فإنه مبنيٌّ على إنكارِ البارئ رأساً، فضلاً عن الاعترافِ له بالكمالِ وعن القيام بأوجب الواجباتِ وأفرضِ الفُروضِ وهُوَ عُبوديته وحده لا شَريكَ له، فأَهل هذا المذهب أعظم الخلقِ مكابرةً وإنكاراً لأظهرِ الأشياء وأوضحِها فمن أنكر الله فبأي شيء يعترف؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

وهؤلاء أبعدُ النَّاسِ عن عبُوديةِ الله والإنابة إليهِ، وعن التَخَلُّقِ بالأخلاقِ الفاضِلَةِ التي تدعو إليها الشَّرائِعُ، وتخضع لها العقولُ الصَحِيحَةُ ومع خُلُوِّ قلوبهم من توحيدِ الله والإيمان به وتوابعِ ذلك فهم أجهَلُ النَّاسِ، وأقلُّهم بصيرة ومعرفة بشريعةِ الإسلام وأُصولِ الدِّينِ وفُروعِه، فتجدهم يكتُبون ويتكلمُون ويَدَّعُون لأنَفُسِهم منَ العَلْمِ والمعرِفة والثَّقافَةِ واليقينِ ما لا يصل إليه أكابرُ العُلماءِ.

فضل طالب العلم الشرعي على غيره:

ولو طُلبِ من أحدِهم أن يتكلَّمَ عن أصلٍ من أصولِ الدينِ العظيمةِ الذي لا يسع أحداً جَهله، أو على حُكم من الأحكام في العباداتِ والمعاملاتِ والأنكِحةِ لظهرَ عجزُهُ ولم يصل إلى ما وصل إليهِ كثيرٌ من صِغارِ طَلبةِ العِلمِ الشَّرعِيِّ، فكيف يثقُ العاقلُ ـ فضلاً عن المؤمنِ ـ بأقوالهم عن الدينِ؟ فأقوالهم في مسائل[1] الدين لا قيمة لها أصلاً.

وَلو سبرت حاصل ما عليه رؤساؤهُم لرأيتهم قد اشتَغَلُوا بشيءٍ يسيرٍ من عُلومِ العَربيةِ، وتَرَدَّدوا في قِراءةِ الصُّحفُ التي على مشرَبِهم، وتمرَّنوا على

(١) مما ابتليت به أمة الإسلام أنه تجرأ على الكلام في الأحكام الشرعية كثير من الناس الذين لا حظ لهم من العلم والبصيرة وأصبحت الفتوى والقول على الله بغير علم في هذه الأوقات من أسهل الأمور عند الكثيرين فإلى الله المشتكى من غمر يلمز أكابر العلماء ومن حدث ناشئ يفتي في قضايا الأمة الخطيرة التي توقف فيها جهابذة العلم وأساطينه.

الكلام الذي من جنس أساليبِ كثيرٍ من هذه الصُّحف الرَّديئةَ الساقطةِ فَظَنُّوا بأنفسِهم وظن بهم أتباعُهم الاضطلاع بالمعارفِ والعلوم.. فهذا أسمى ما يصلُون إليه[١] في العلم.

أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاقِ من لا يؤمنُ بالله ولا باليومِ الآخرِ ولا يعتقدُ الأديانَ الصحيحةَ، فإن الأخلاق نتائجُ الاعتقادات الصحيحة والفاسدةِ، فغاية ما عند هؤلاء التملق القولي والفعلي، والخُضوعُ الكاذبُ للمخلوقين، وهم مع هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العُجْب والكِبْرِ واحتقار الخلق والاستنكاف عن مخالطةِ من يستنقصونهم شيئاً كثيراً، فَهُم أوضعُ خَلْقِ الله وأعظمُهم كِبْراً وتيهاً.

ثُم إنهم يستعينون على هَذَا الخُلُقِ المُسمَّى عِنْدهم بالثَّقَافَةِ بالتَّصنِيع والتَّجَمُّل بالملابسِ، والفرشِ، والزخارفِ، ويُفنون كثيراً من أوقاتِهم بذلك وقلوبُهم خرابٌ خاليةٌ من الهدى والأخلاقِ الجميلةِ، فالجمالُ الظاهرُ الباطِلُ ماذا يُغني عن الجَمالِ الحقِيقي؟ ثُمَّ إذا لحظت إلى غاياتِهم ومقاصدِهم فإذا هي أغراضٌ دنيةٌ ومقاصدٌ سُفليةٌ ومطامع شخصية، وإذا سبرت أحوالَهم رأيتهم إذا اجتمعوا[٢] تَظُنُّهم أصدقاءَ مجتمعين فإذا افترقوا فهم الأعداءُ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

وما وصفتُ لك من أحوالِهم ـ وأنت تعرفُ ذلك ـ قليلٌ من كثيرٍ فكيف ترضى أن يكون هؤلاء أحبابَك وأصداقاءك ترضى لرضاهم وتسخط لسخطِهم وتقدمهم على حظُوظِك الحقيقيةِ وسعادتِك الأبدية؟ فانظر إلى صفاتِهم نظرَ التحقيقِ والإنصافِ، وقارن بينهما وبين نُعوتِ البررةِ الأخيارِ. الذين امتلأتْ قلوبُهم من محبَّةِ الله والإنابةِ إليه والإيمانِ وإخلاصِ العمل لأجلِهِ، وفَاضَت

(١) فرق شاسع بين أن يتكلم المسلم في الأمور الشرعية وبين أن يتحدث في قضية معينة حديثاً يعبر به عن وجهة نظره الخاصة.

(٢) رحم الله العلامة السعدي كأنه يرى بعين بصيرته هؤلاء الذين يعيشون بين ظهرانينا اليوم وهم ممن يتكلم بلغتنا ومن بني جلدتنا لكنهم من أشد الناس عداوة للخير وأهله.

أَلسنَتُهم بذكر الله والثَّناءِ عليه، واشتَغَلَت جَوارِحُهم في كُلِّ وسيلةٍ تُقرِّبهم إلى الله وتُدنِيهم من رِضوانِه وثَوابِه ونفع الخلقِ، أشجعُ النَّاس قُلوباً وأصدقُهم قَولاً وأطهرُهم أخلاقاً وأزكاهم عملاً وأقربُهم إلى كُلِّ خير وأبعدُهم من كل شرٍ، يكُفُّون عن الخَلْقِ الأذى ويبذلون لهم ويَصبِرون منهم على الأذى، أَفَتقدِّمُ على هؤلاء الإنجاب الغُررَ مَنْ مُلئتْ قُلُوبُهم من الشك والنفاقِ وفَاضَتْ على ظاهرهم، فاكتسبوا لذلك أرذلَ الأخلاقِ، يقومون بالنِّفاقِ والرِّياءِ ويقعدون بالتَّملُّقِ والإعجابِ والكبرياءِ، وصفهم القسوةُ والطمعُ والجشعُ، ونعتُهم الكذِبُ والغِشُ والبَهرجةَ والخُنوعُ، قد منعوا إحسانَهم لكلِّ مخلوقٍ واتصفوا بُكلِّ فُسوقٍ، قد خضعوا في بحوثِهم العلميةِ لكُلِّ مَارِقٍ، وتبعوا في أخلاقِهم كُلَّ رذيلٍ وفاسقٍ؟

سعادة الدنيا والآخرة بالدين:

قال المنصوح: والله ما تعديتَ في وصفِهم مثقالَ ذرةٍ، ولكني أريد أن تدلَّني على طريقٍ يجمع بين السعادةِ الدنيويةِ[1] والسعادة الأخرويةِ، لأن نفوس من تربى وتخلق بأخلاقِ هؤلاءِ لا ترجِع عما أَلِفتَه إلا بأمر قوي: إما بِترغِيبٍ وهوى يجذبُها، وإما بترهيبٍ وخوف يقمعُها.

فقال له صاحبه الناصح: والله لقد أدركتَ في هذا الدِّين مطلوبَكَ، وفيه والله كل مرادِكَ ومرغوبِكَ، فإنَّه الدِّين الذي جَمع بين سَعَادةِ الدُنيا والأخرةِ وفيه اللذَّات القَلبِيَّة والرُوحِيَّة والجَسَدِية، ولا تفقد من مطالبِ النَفوسِ الحقِيقيَّة شيئاً إلا أدركته، ولا من أنواع المسرَّاتِ شيئاً إلا حصلته، ففيه ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وسأوضح لكَ ذلكَ.

أصول اللذات:

فاعلم أنَّ أصولَ اللذَّات المطلوبَة:

---

(١) الإسلام جمع بين خيري الدنيا والآخرة وهو الدين الوحيد الذين حقق التوازن في كل شيء بين متطلبات الروح والعقل والجسد.

أولاً: راحةُ القلوبِ وسُكونها وطُمأنِينَتُها، وفَرحُها وبَهجَتها وزوال هُمومها وغمومها.

ثانياً: القنَاعَةُ والطمأنينة بما أوتيه العَبْد من المطَالِب الجَسديَّة.

ثالثاً: استعمالُ ذلكِ على وجَه يَحصُل به السرور والاغتباط، فَهذِه الأمور الثَّلاثَة، مَن رُزقها واستَعمَلَها عَلى وجهها فَقد نَال كل ما تَعلَّق بِه طَمَع الطَّامِعين، فإنَّ جَميع اللذَّات تَرجع إلى مَا ذَكرنا.

لذات القلوب:

فأما لذَّات القُلوب وحصُول سُرورِها وزَوال كَدرِها فإنَّما أَصل ذلكَ بالإِيَمانِ التَّام بما دَعا الله عبادَه إلى الإيمان بهِ مِن الإيمانِ بتَوحده بجَمِيع نُعُوت الكَمالِ وامتلاءِ القَلبِ مِن تَعظيمه وجَلاله ومن التَّألُّه له وعبُودِيته والإنابة إليه وإخلاص العَمَل الظَّاهِر والبَاطِن لوجهِه الأعلَى، وما يَتْبَع ذلكَ مِن النُّصح لعَبَادِ الله ومَحبَّة الخير لهم وبذلِ المقدُور مِن نَفعهم والإحسانِ إليهم والإكثار مِن ذكر الله والاستِغفَار والتَّوبَة فَمن أوتي هَذه الأمور فَقد حَصل لَقلبه من الهدَايةِ والرَّحمةِ والنورِ والسرور وزوالِ الأكدارِ والهمومِ والغمومِ ما هو نُموذج مِن نَّعيم الآخرِة، وأهل هذا الشَّأنِ لا يغبطُون أربَاب الدُّنيا[1] والملوك على لذَّاتِهم وريَاسَاتِهم بل يرون ما أُعطوه مِن هذه الأمور يَفوق ما أُعطيه هؤلاء بأضعَافٍ مُضَاعَفَة. وهذا النَّعيم القَلبي لا يَعرفه حقَّ المعرِفة إلا مَن ذَاقه وجرَّبه فإنه كما قيل:

مَن ذَاقَ طَعمَ نَعِيمِ القَوم يَدرِيه ... ومَن دَرَاهُ غَداً بالرُّوحِ يَشرِيه

فَهذا إشارة لطَرِيق هذا النَّعيم القَلبي الذي هُو أصلُ كلِ نَعيم.

٢ ـ القناعة والطمأنينة:

وأما الأمر الثاني فإنَّ الله أعطَى العِبَاد القوةَ والصحةَ وما يتَبع ذلكَ مِن مالٍ وأهلٍ وولدٍ وخول وغيرها.

---

(١) لذة العبادة والطاعة لا يدانيها لذة: (ولو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من اللذة لجالدونا عليه بالسيوف).

والنَّاس بالنسبة لهذِه الأشياء نوعان:

ـ قسمٌ صَارتِ هذه النَعم في حقهم مِحَناً ونِقَماً.

ـ وقسمٌ صارَ في حقهِم نَهَماً وخَيرَات ومنحا، أما أهل الدِّين الحقِيقي فقد قَابلوا هذه النِّعم وتَلقوها على وجه الشُكر لله والإغتباطِ بفضله وتناولوها على وجه الاستعَانَة بها على طَاعةِ المُنعِم وعلموا أنها من أكبرِ الوسائل فهم إلى رضَى رَبِّهم وخيرِه وثوابِه إذا استعملوها فيما هُيِّئت له وخلِقَت لأجله وقَد رضوا بها عَن الله كل الرضَى، فإنَّهم عَلموا أنها من عندِ الله الذي له الحِكمة التَّامة في جَميع أقضيته وأقدارِه، وله الرَّحَمة الواسِعَة في جميعِ تدابيرِه، وله النِّعمة السابِغَة في كل عطاياه وهو أرحَم بِهم من الخَلق أجمعين فحيث عَلموا العِلم اليقيني صدورها ممن هَذا شَأنه قنعوا بما أُعطوه منها، من قَليل وكثيرٍ، كل القَنَاعَة، وسكنت قلوبُهم عن التطلُّعِ والتطلُّبِ لما لم يقدَّر لهم.

ومتى حَصلت الطمأنينة والقَناعة والرضَى عن الله بما أعطى فقد حَصَلت الحياة الطيبة، فإذا أدركْتَ حقَّ الإدراكِ نَعتهم هذا عرفتَ أن نَعيم الدنيا في الحقيقة هو نَعيم القَناعة برزق الله وطمأنينة القلوبِ بذكر الله وطاعتِه، وأن الواحد مِن هؤلاء لو لم يكن عنده من هَذه الأمور ـ وهي القُوة والصحَة والمال والأهل والوَلَد وتَوابع ذَلك ـ إلا الشيء القَليل لكَان في راحةٍ وسرورٍ من جِهتَين:

ـ جهة القناعةِ وعَدم تطلع النَّفس وتَشَوقها للأمورِ التي لم تَحصُل.

ـ وجهة ما ترجُوه من ثَوابِ الله العاجلِ والآجلِ على هذه العِبَادَة القلبيَّة التي تَزيد على كَثِير من العِبادَات البدَنية، فإنَّ التعبد لله بمعرِفة نعمه والاعتراف بها والرضَى بهاوالرجَاء لله أن يُديمها ويُتمَّها وأن يَجعلها وسيلة إلى نِعَم أخرى وأن يجعَلَها طريقاً للسعادةِ الأبدية لا رَيب أن هَذه الحوال القَلبية من أفضَلِ الطاعاتِ وأجلِ القرباتِ، فكم من فرق بين سرور هذا الذي تَعبَّد بروح الدِّين وحصلت له الحَياة الطَّيبة، وبين من تلقى هذه النِّعم بالغَفلَةِ وعدم الاعترافِ بنعمَةِ المُنعِم وشقي بهمومها وغُمومها، وكان إذا حَصَل له شيء من مطالبِ النفوس لم يرضَ به بل تَشَوَّق إلى غيره وتطلّعَ لسواه فهذا ينتقلُ من كدرٍ إلى

كَدرٍ آخر، لأن قَلبَه قَد تعلقَ تعلقاً شديداً بمطَالب الجَسَد، فحيث جاءت على خلافِ ما يؤمله ويُريده قَلق أشد القَلق، وهو لا يزال في قَلقٍ مستمرٍ، لأنَّ المطالبَ النفسية متَنَوعة جداً، فلو وافقه واحدٌ لم يوافِقه الآخر وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجَه، وحزن مِن وجَه آخَر فصَفوه مَمزوج بكَدره وسروره مختَلِط بحزنه، فأينَ الحَياة الطَّيبة لهذا؟ وإنما الحياة الطَّيبة لأربَاب البصَائِر والحجَى الذين يتلقَّونها كلها بالقَبولِ والقَنَاعةِ والرضَى.

٣ ـ جهة استعمال النعم:

وأما الأمرُ الثَّالثُ: وهو جهةُ استِعمَالِ هَذه النِّعم، فصَاحِب الدِّين الصحيحِ يتناولها على وجهِ الشُّكرِ لله على نِعَمه والفرحِ بِفَضلِه، وينوى بها التَقَوِّي على ما خُلِق له من عبادة الله وطاعتِهِ، ويُنفقُها مُحتَسِباً بها رضَى الله وفَضله وخَلَفه العَاجِلِ والآجل، ويعلم أنَّه إذا أنفَقَ على نَفسِه وأهلِه أو ولَدِه أو مَن يتصل به فإنَّما نَفَقَته صَافت محَلها ووقَعَت موقعَها فلم يتَثَاقل كَثَرة النَّفقةِ في هَذا الطَّريق لأنه يُقولُ مُعتَقِداً: هَذا أولَى ما بَذلَتُ فيه مَالي، وهَذا ألزَم ما قُمتُ به من الواجِبَاتِ والفُروضِ[1]، وهَذا خير ما قُمتُ بِه من المُستَحَبات، وهَذا أعظَم ما أرجو لَه الخلف مِن الله حَيثُ يقولُ وهو الكريمُ الوفي: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ولا يَزال نَصبَ عَينَيه احتِسَاب الأجرِ في سَعيه بكَسبه وفي مَصرفه أجنَاس ذلكَ وأنوَاعه وأفرَاده متفَطناً لِقوله ﷺ: «**على أنَّك لَن تُنفِقَ نَفَقَة تَبتَغِي بها وَجه الله إلا أُجِرتَ عَليها حَتى مَا تَجعَله في فيِّ امرأتِك**»[2] فَمن كانَ هذا وَصفه فإنَّ لذَّاته الدنيَويَة هي اللذَّات الحَقيقِية السَّالِمة من الأكدارِ مَع ما يرجو من الثوابِ العَاجِل والآجِلِ من الله، ومن كَانت هَذه صِفَته سَهل عَليه الأخذ من جُلِّها ووضعها في مَحَلها ويسرَت لَه أموره غَايَة التَيسِير.

---

(١) يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

(٢) رواه البخاري ومسلم: صحيح البخاري ١٨٦/٣، وصحيح مسلم ١٢٥/٢.

وأما من استَعمَل هَذه النِّعم على وجهِ الشَّرَه والغَفلَةِ، ولم يفكر في الاعترَاف بفضلِ الله في كلِ الأوقاتِ وبِنعَمِ الله، ولم يَفرح بالنِّعمِ لأنها من فضلِ الله بل فرح بها فقط لموافقةِ عرضه النفسي ولا نوى بها الاستعانَة على طاعةِ الله، ولا احتسب في نيلِها[1] وصرفِها على ما المنفق عليهم الأجرَ والثَّوابَ فمن كان هذا وصفه فإن الكَدرَ والحزنَ له بالمرصَادِ، فإنه إذا فاتته بعضُ الشهواتِ النفسيةِ حزَنَ، وإن أدركَ ما أدركه منها ولم يكُن على ما في خاطره من كل وجه حزن، وإن أراد منه ولده ومن يتصل به نفقةً أو كِسوةً واجبة أو مستحبة حزن، ولم تخرج منه إلا بِشقِّ الأنفِس، وإن خرجت منه خَرَجَ معها بضعةٌ من سُرور قَلبِه، لأنَّه يُحبُّ بقاءَ مالِه ويحَزَنُ لنَقْصِه على أي وَجْه كان وليس عنده من الاحتسابِ ما يُهَوِّنُ عليه الأمرَ، إنْ كانَ غير بخيل، فإن كانَ شحيحَ النفسِ مطبوعاً على البُخلِ فإن حياته مع أولاده وأهلِه والمتصِّلين به حياةُ شقاءٍ وعذاب وأكدار متواصلة وأحزان مستمرة، لا إيمان عنده يُهَوِّن عليه النفقاتِ، ولا نفس سخية لا تستعصي عن نيل المكرمات فيا له من عذاب حاضر وعذاب مستمر، فأين هذا من ذاك الذي حصلت له الحياةُ الطَيِّبَةُ بأكملها.

هذا كله بالنَّظرِ إلى هذه الأمُورِ الثَّلاثَة التي هي أصل اللذاتِ عند العقلاءِ، قد اتضح لنا أن صاحب الإيمان الصحيح هو الذي فاز باللذات الحقيقية وسَلَمَ من المكدِّراتِ.

صبر المؤمنين على المصائب:

ثم إذا عطفنا النَّظرَ إلى الطَّوارئ البشريةِ التي لا بُدَّ لِكُلِّ عبدٍ منها، وهي المصبيات التي تعتري العبادَ: من الأمراضِ المتنوعةِ وموتِ الأحبةِ وفقدِ الأموالِ ونقصِها وُوُقوعِ المكارِهِ بمن تحب وزوال المحاب، وغيرها من أنواع

---

(١) قال الشاعر: ابن عثيمين:

ونسعى لجمع المال حلا ومأثما ... وبالرغم يحويه البعيد وأقرب

نحاسب عنه داخلا ثم خارجا ... وفيما صرفناه ومن أين يكسب

المصائب، دَقِيقِها وجَلِيلِها، رأيتَ المؤمنَ حقاً قد تلقَّاهَا بِقُوةٍ وصبرٍ واحتِسَابٍ، وقد قام لها بارتقاب الأجْرِ والثَّوابِ، وعَلمَ أنَّها تقدير العزيز العليم، وأنَّها أقضيَتهُ صدرت من الرَّب الرَّحيم، فَهان عَليهِ أمرُها وخَفَّتْ عَلَيهِ وَطْأتُها فإنّه إذَا فكّر فيما فيها من الآلام الشَّاقَّةِ قابَلَها بما تَتَضمنُهُ من تكَفِير السيِّئاتِ وتكثيرِ الحسنات ورِفعة الدَّرجات والتَّخلقِ بأخلاق الكِرَام والقوة والشجاعة، وإذا أنهكَتْ بَدنَه ومالَه رآهَا مصلحةً لقلبِه وروحِه، فَإنَّ صلاح القُلوبِ بالشُّكرِ لله على نعمائه والصَّبْرِ على بَلائِه، وانتظار الفرج من الله إذا أَلمَّت المُلمَّاتُ، واللجوء إلى الله عِنْدَ جَميعِ المُزعجَاتِ المقُلقاتِ. فأَقَل الأحْوالِ عندَ هذا المؤمن أنْ تتقابلَ عندَهُ المصَائِبُ والمَحَّابُ والأفراحُ والأتَراحُ، وقدْ تَصِلُ الحالُ بِخَواصِ المؤمنين إلى أنَّ أفراحَهم[1] ومسرَّاتِهم عند المصيباتِ تَزيدُ على ما يحصُلُ فيها من الحزنِ والكَدَرِ الذي جُبِلتْ علَيه النُّفُوسُ.

من فقد الإيمان فقد الصبر:

فأين هذه الحالُ من حالِ من تلقى المصيباتِ التي لا بد للخلقِ منها بقلبٍ منزعجٍ مرعوبٍ وخَشَعَت نفسُه المهينة لما فيها من الشَّدائِدِ والكُروبِ فبقيت الحَسراتُ تنتاب قَلْبَه ورُوحَه، وزادت مصائِبُ قَلبِه على مصائِبِ بدنِه، ليس عنده من الصبر وارتقاب الثوابِ ما يخفف عنه الأحزانَ، ولا من الإيمانِ ما يُهَوِّنُ عنه الأشجَانَ، تعتريه المصائُب فلا تَجِد عنده ما يُخَفّفُها، فتعمل عمَلَها في قَلْبِه وروُحِه وبَدَنِه وأَحَوالِه كُلِّها.. القلْبُ مليء من الهَمِّ والغَمِّ والألم، والخَوْف السَّابِقُ واللاحِقُ قد ملأ نَفسَه فانحلَّ لذلك لُبُّه وانحطم، وقدْ ضعف توكله على الله غاية الضَّعفِ، حتى صار قلبهُ يتعلق بمن يرجو نَفْعَه من المخلوقين! فيا لها من مصائب دنيويةٍ اتصلت بالمصائبِ الدينيةِ والخُلُقِيَّةِ وتراكم بعضُها فوقَ بعضٍ حتى صارت عنده أعظم من الجبالِ الرواسي.

---

(١) **«عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**. رواه مسلم: صحيح مسلم ٣/٢٢٩.

فوالله لو عَلم أهلُ البَلاءِ والمَصَائِب بما في الإيمانِ والرُّوحِ والتَّسلية والحياة الطيبة لسارعوا إليه، ولو في هذه الحال التي هم فيها مضطرون إلى ما يخفف عنهم آلامَهم، ولا يجدونه إلا في الإيمانِ الصحيح الحقيقي وما يدعو إليه.

معاشرة الخلق:

ومما يتعلق به سرورُ الحياةِ، ونعيمُها، أو هَمُّها وغَمُّها، مَعاشَرةُ الخَلْقِ على اختلاف طبقاتِهم، فمن عاشرهم بما يدعو إليه الدينُ استراحَ، ومَنْ عاشرهم بحسبِ ما تدعو إليه الأغراضُ النَّفسيةُ، فلا بد أن يكونَ عيشه كدراً، وحياتهُ منَغَّصة.. وتوضيح ذلك أن الناس ثلاثةُ أصنافٍ: رئيسٌ ومرؤوسٌ ونظيرٌ.

وأما من له رئاسة حُكم، أو ثروةٌ، وله أتباعٌ وحاشيةٌ، فله معهم حالان: حالة فيما يفعله معهم، وحالة فيما يصيبه من أتباعه من خيرٍ وشرٍ، وموافق للطبع ومخالف له، فإن هو حَكَّمَ الدِّينَ والشرعَ في الحالتين استراح وله أجرٌ من الله، إذا استعمل العدلَ معهم، واستعمل النُّصْحَ والإِحسَانَ، وقابل المسيء[1] منهم بالعَفْو، وشكرهم على فِعل المعروفِ والخَيرِ، مبتغياً بذلك وَجْهَ الله، وأيضاً فإنَّه إذا تأمَّل فيما فعله من خيرٍ اطمأنَّت نفسُه وانشرحَ صدرهُ، فأين هذا من الرئيس الذي لا يبالي بظلم النَّاس في دمائِهم[2] وأموالِهم وأعَراضِهم، ولا يبالي بسلوكِ طُرق العدْلِ والإنصافِ، وليس له صبر على أيَّة أذيَّةٍ تصيبهُ من رعيَّته؟ فهو من أتباعِه في نكدٍ مستمرٍ، ورعيتهُ قد مُلِئَتْ قُلُوبُهم من مقتِه وبغضِه يتربصون به الدَّوائِر والفُرصَ، حتى إذا وقع في أقلِّ

---

(١) يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

(٢) يقول الرسول ﷺ في خطبته العظيمة في حجة الوداع «... **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا...**».
رواه البخاري ومسلم: صحيح البخاري ٢٦/١ وصحيح مسلم ٣٩/٤.

شيءٍ أعانوا عَلْيه أعدى أعدائهم فهو معهم غيرُ مطْمئن على حياتِه ولا نعمتِه، لا يدري متى تَفْجُؤه البلايا، ليلاً أو نهاراً، هذه حالة الرئيس[١] على وجه الإجمال.

أثر طاعة الله:

وأما حالة المرؤوس، فإن أطاع الدِّين في وظيفتِه وأطاعَ حاكِمه أو سيِّدَه، أو والِده، واستعمل الآداب الشرعيَّة في مُعاملَتِه، والأخلاق المرضْيةَ، فهو مع طاعتهِ لله ولرسولِه قد استراحَ وأراحَ، وطَابَتْ عنه نفسُ رئيسِه، وأَمِنَ عقُوبته، وأمل إحسانَه وبِرَّه ومحبتَّه، وأما من تعدى طوره، وعصى متبوعَه والتوى فإنَّه لا يزال مُتوقعاً لأنواعِ المضَارِّ، يمشي خَائفاً وجِلاً لا يَقَر له قَرارٌ، ولا يستريحُ له.

وأما حالة النظير المساوي فإنَّ جُمهورَ مَنْ تعاشرهُم مِنَ الخَلقِ إذا خَالَقْتَهم بالخُلُقِ الحَسنِ، اطمأنت نفسُك، وزالت عنك الهمومُ، لأنّك تكتسبُ بذلك مودَّتَهم، وتخمد عداوتهم، مع ما ترجوه من عظيم ثواب الله على هذه العِشرةِ التي هي من أفضلِ العباداتِ فإنَّ العبْدَ يبلغ بُحَسْن خُلُقِه[٢]، درجةَ الصائمِ القائم. وحسنُ الخُلقِ له خَاصية في فرحِ النفس. لا يعرفُ ذلك حقَّ معرِفته إلا المُجرِّبون.. فأين حالُ هذا ممَّن عاشَر الناس بأسوإ الأخلاق؟ فَخَيرُه ممنُوع، وشرُّه غيرُ مأمون، وليس له أقل صبر على ما ينالُه من المُكَدِّرات، فهذا قد تَنغَّصت عليه حياتُه، وحَضَرتهَ هُمومةَ وحَسَراتُه، فهو في عناءٍ حاضرٍ، ويخشى من الشَّقاء الآجلِ.. وأما معاشرتُه مع أهِله وأولادِه ومن يتصل به فإنه يتأكد عليه القيامُ بالحقوق اللازمَة، تامة لا نَقْص فيها ولا تَبَرُّم، فمن عامل هؤلاء بما أمر الله ورسولهُ، راجياً بقيامه به ثوابَ رَبِّه ورِضاه، عَاشَ معهم عِيشَةً راضِيةً، ومن كان معهم في نكدٍ وسوءِ خُلُقٍ مع الصَّغيرِ

(١) يا بني لا تكن رأساً فإن الرأس كثير الأذى.
(٢) «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذي يألفون ويؤلفون**». رواه الترمذي: صحيح الترمذي ٢/ ١٩٦.

والكَبير، يخرجُ من بَيته غضبان ويدخُلُ على أهلِه وولدِه متكدِّراً ملآن، فأيُّ حياة لِمَنْ كَانَتْ هذه حاله؟ وما الذي يَرْجوُه حَيثُ ضيَّع مَا فيه فرحهُ ومسرَّاتهُ؟ وأما عِشْرتهُ مع معَاملِيه، فإن استعمل معهم النُّصْحَ والصِّدْق وكان سَمحاً إذا بَاعَ، سَمْحاً إذا اشْتَرى، سمحاً إذا قَضى، سمحاً إذا اقْتضَى ـ حصلت له الرَحْمَةُ، وفازَ بالشَّرَف والاعتِبارِ: واكتسبَ مودَّة معامِليه ودوامَ معاملتِهم، ولا يخفى ما في ذلك من طِيبِ الحياة، وسرور النَّفسِ، وما في ضدِّها من سوء الحالِ وسقوطِ الشرفِ، وتنغصِ الحياةِ.

والفارقُ بين الرجلين هو الدِّينُ، فصاحبُ الدِّين منبسطُ النفْسِ، مطْمئنُّ القَلبِ. . فقَدَ تبينَّ لك أن السعادَةَ واللذة الحقيقيةَ بجميعِ أنواعِها تابعةٌ للدينِ. .

أنواع الدين:

واعلم يا أخي أنَّ الدين نوعَان:

أحدهما: أعمالٌ وأحوالٌ وأخلاقٌ دينيةٌ ودنيويةٌ، وكما ذكرنا أنه لا سبيل إلى حصول الحياةِ الطيبةِ إلا بالدين . .

والثاني: علومٌ ومعارفٌ نافعةٌ، وهي علومُ الشَّرع والدِّين، وما يعينُ عليها ويُتَوصَّلُ إليها بهِ، فالاشتغالُ بها من أجلِّ العباداتِ، وحصُولُ ثمرتِها من أكملِ اللَّذَّاتِ، ولا يُشبهه شيءٌ من اللذاتِ الدنيويةِ، واعتبر بحالِ الراغِبين في العِلم تجدُ أَكثَر أوقاتِهم مصروفةً في تحصيلِ العلم، فيمضى الوقتُ الطويلُ، وصاحبهُ مستغرقٌ فيه يتمنى امتدادَ الزمن، وهذا عنوانُ اللّذةِ، فإن المشتاقَ يَقصُرُ عنده الوَقْتُ الطَّويلُ، ومن ضاق صدرهُ بشيء يطولُ عليه الوقتُ القَصِيرُ.

فضل العلم:

وصاحبُ العلمِ في كُلِّ وقْتٍ مستفيدٌ علوماً يزداد بها إيمانُه، وتكملُ بها أخلاقهُ، والمتصفحُ للكُتُبِ النافعة، لا يزالُ يعرضُ على ذِهنِه عُقُول الأولِّين والآخرِين ومعارفهم وأحوالهم الحميدةُ، وضدُها، في ذلك معتبرٌ لأولي

الألباب.. فكم من قصَّة تمر عليك في الكُتُبِ تكتسبُ بها عقلاً جديداً، وتُسَلِّيك عند المصائبِ، بما جرى على الفضلاءِ، وكيف تلقوها بالرِّضا والتسليمِ واغتنموا الأجر من العليمِ الحكيم.

والعلمُ يُعرِّفُك طرقاً تُدركُ بها المطالِبَ، وتَدفعُ بها المَكَارِه والمَضَارَّ.

أنواع العقل:

والعقلُ عقلان: عقل غَريزِيٌّ، وهو ما وضَعَه الله في الإنسان من قُوةِ الذِّهنِ في أمُورِ الدِّينِ والدُّنْيا، وعقلٌ مكتسبٌ، إذا انضم إلى العقلِ الغَريزِيِّ ازدادَ صاحبُه حَزماً وبَصيرةً، فكما أنَّ العقلَ الغَريزِيَّ ينمو بنمو الإنسان حتى يبلغَ أشُدَّه، فكذلك العقل المكتسب له مادتان للنمو:

مادةُ الاجتماع بالعقلاءِ والاستفادة من عُقُولِهم وتَجارِبهم تارةً بالاقتداءِ، وتارةً بمشاورتهم ومُبَاحَثتِهم، فكم ترقىّ الرَّجُلُ بهذه الحال إلى مراقي الفَلاحِ، ولهذا كان انزواءُ الرجلِ عن الناس يُفوِّتُه خيراً كثيراً، ونفعاً جليلاً، مع ما يُحْدِثُه الاعتزالُ من الخَيالات وسوءِ الظَّنِّ بالنَّاسِ، والإعجاب بالنَّفس الذي يُعبِّر عن نَقْصِ الرَّجُلِ، وربما ضر البَدَنَ، فإن مُخالطَة النَّاسِ تفتحُ أبْواباً مِنَ المصَالحِ، وتسلِّيكَ وتُقَويِّ قَلبَكَ، وفي ضَعفِ القَلبْ ضَرَرٌ على العَقلِ، وضرَرٌ على الدِّينِ، وضرَرٌ على الأخلاقِ وضرَرٌ على الصِّحةِ.

معاملة الناس بحسب أحوالهم:

وينبغي للإنسان أنْ يُعامل النَّاسَ، بحَسبِ أحوالِهم، كما كَانَ النَّبيُّ ﷺ يحسنُ خُلُقَه مع الصَّغِير والكَبِيرِ قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أي: خُذْ ما صَفَا لك من أخْلاق الخَلقِ، ودَع عنْكَ ما تَعسَّر مِنْها.. فيجالس أبناءَ الدُّنْيا بالأدبِ والمُروءة، والأكابِرَ بالتَّوقيرِ، والإخوانَ والأصحَابَ بالانبساط، والفُقراءَ بالرَّحمةِ والتَواضُعِ، وأهلَ العِلمِ والدِّين بما يليقُ بِفضلهم.. فصَاحبُ هذا الخُلُقِ الجَليلِ تراه مبتهجَ النَّفسِ في حياةٍ طَيِّبةٍ.

العلوم النافعة والعلوم الضارة:

وأمَّا المادَّة الثانية للعقل المكتسب فهي الاشتغالُ بالعلُوم النَّافعةِ، فتستفيدُ بكُلِّ قضية رأياً جديداً، وعقلاً سَدِيداً ولا يزال المشتغل بالعلم يترقى في العلمِ والعَقلِ والأدبِ. والعلمُ يعُرِّفُك بالله، وكيف الطَّريق إليْه، يُعَرِّفُكَ كيف تَتَوسل بالأمُورِ المُبَاحَة إلى أنْ تَجعَلها عِبادةً تُقربُكَ إلى الله. والعلمُ[١] يَقَومُ مقامَ الرِّياساتِ والأموالِ فمن أدركَ العلمَ فقد أدرك كلَّ شيءٍ ومن فاتَه العلمُ فَاتُه كلُّ شيء. وكل هذا في العُلوم النَّافعةِ. وأما كُتبُ الخرافاتِ والمُجونِ فإنَّها تُحلِل الأخَلاقَ وتُفسدُ الأفكَارَ والقُلوبَ، بِحَثِّها على الاقتداءِ بأهلِ الشرِ، وهي تَعملُ في الإيمان والقلوبِ عمل النَّارِ في الهَشِيمِ.

حقوق الأصحاب:

فلما تلا النصيحُ لصاحبِه هذه المواضِيعَ، وبرهنَ عليها.

قال له المنصوح: والله لقد انجلى عنيَّ ما أجِدُ في أوَّلِ موضوعِ تَلوتَه عليَّ، وانزاح عَنيّ الباطِلُ في شرحِك الأوْلِ. وإنَّ مجلِسَك يا أخي ونَصيحتَكَ بهذه الطريقةِ النَّافعةِ تَعْدلُ عِنْدي الدُّنْيا وما عَلَيها، فأَحْمَدُ الله أولاً حيثُ قَيَّضكَ لي، وأشكُرك شَكراً كثيراً حَيثُ وفيت بَحقِّ الصُّحبة، ولم تَصنْع ما يصنعهُ أهْلُ العُقُولِ الذِّين إذا رأَوا من أصحْابهم ما يسوؤهُم قَطعُوا[٢] عنهم حَبْلَ الوداد في الحالِ، وأعَانُوا الشّيطَانَ عليهم، فازدَادَ بذلك الشَّرُّ عليهم وضاعَ بينَهم التَّفاهُمُ وإني لا أنسى جميلَ معروفك حيثَ رأيتني سادراً في المهامةِ مغروراً بنفسي مُعجناً برأيي، فأريتني بِعيني ما أنَا فِيه، وأوقفتني بِحكَمتِك على الهَلاكِ الذي وَقَعتُ فيه، فالآن أستغفرُ الله مما مضى وأتوبُ

---

(١) **«وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب...»** رواه الترمذي: صحيح الترمذي ٢/ ٣٤٢.

(٢) ليت أحبابنا يعون ذلك تمام الوعي حيث نرى اختلاف بعض الأصحاب يودي بهم إلى الكراهية والحقد بل وأحياناً يؤدي بهم إلى الكيد والأذية نعوذ بالله من أمراض القلوب.

إليه، وأسألهُ الإعانة على سلوكِ مرضَاتِه، وأَفزعُ إليه أن يَختِم[١] بالصَّالحاتِ أعمالي، وأحمدُ الله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فإنَّه مولي النِّعم، دَافعُ النِّقَمِ غَزيرُ الجُودِ والكَرَم.

انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.



(١) هنيئاً لمن كانت خاتمته حسنة أولئك من الذين أنعم الله عليهم وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ووالدينا وأحبابنا ومشايخنا منهم.

تحقيق كتاب

التسهيل في الفقه

على مذهب الإمام الرباني
أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه

مؤلف الكتاب

بدر الدين محمد بن علاء الدين بن أسباسلار البعلي الحنبلي

حققه وضبط نصه وعلق عليه

أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أ.د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطّبعَةِ الثَانِيَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وبعد:

فالسعادة هو أن يكون العلم المطلوب هو العلم بالله وما يقرب إليه، ويعلم أن السعادة في أن يكون الله هو المحبوب المراد المقصود.

والإخلاص لله هو أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه؛ لأن العلم وسيلة، فهو كالطريق الموصلة إلى بلد معين.

فالمخلص السائر إلى الله مثل من سلك هذا الطريق وجدَّ في سيره، فهو يصل وإن صادفته بعض العوائق والعثرات التي لا تقطعه عن مواصلة السير بالكلية، فهو كالجواد إذا كبا نهض وأسرع.

ومثل من لا يعمل بعلمه بل يتعلم ليقال إنه عالم مثل من هو على طريق البلد المقصودة لكنه يدور في الطريق، وإذا تقدم خطوة رجع خطوتين وجلس، فكيف يصل هذا؟ ومتى يصل؟ لأنه استخدم الوسيلة لغير غايتها!!

وصدق الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقول: «عِظِ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك».

ويقول الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالم طبيب هذه الأمة».

ويقول يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلماء العاملون أرأف بأمة محمد ﷺ وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم». قيل له: كيف؟ قال: «لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها».

هؤلاء هم العلماء الذين نفع الله بعلمهم، وقادوا الأمة إلى ساحل النجاة وبرّ الأمان في كل عصر ومصر.

ونحن ـ إذ نقدم الطبعة الثانية من كتاب التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الربّاني أحمد بن حنبل الشيباني لابن أسباسلار ـ نحمد الله ونشكره، ونثني عليه؛ حيث أنعم علينا بنعم عظيمة ومنها إخراج هذا الكتاب القيِّم، الذي لاقى قبولاً واسعاً لدى طلاب العلم فقرره الكثيرون في حلقاتهم في المساجد، وحفظه كثير من الناشئة. بل إن مما نغتبط به تلك الرسائل التي وصلتنا تثني على الكتاب وتطالب بطبعته الثانية، ومنها ما يطالب بشرحه شرحاً موجزاً، وسنفي بما سبق أن قطعنا على أنفسنا من خدمة العلم وطلابه، فلعل الله أن يمد في أعمارنا على طاعته، ويمتعنا بالصحة والعافية لمواصلة طلب العلم ونشره في حدود الطاقة والاستطاعة.

ولقد بذلنا جهداً كبيراً في تصحيح الكتاب ومراجعته على الأصل المخطوط مرة أُخرى، وأعاننا بعض المشايخ الذين قرروه في حلقاتهم فأرسلوا لنا بعض الأخطاء المطبعية والإملائية وبعض الإشكالات التي أجبنا عنها.

ومن أبرز الإشكالات التي وقعت لبعض طلاب العلم، ما ينقله صاحب الإنصاف في بعض المسائل عن «التسهيل» ثم لا يجدونه فيه، فننبه إلى أن صاحب الإنصاف نقل عن كتاب آخر بهذا الاسم وهو كتاب «التسهيل» لابن عبدوس كما ذكر في مقدمته (١/ ١٤) خلال ذكره للكتب التي نقل عنها، فقد يكون المنقول منه لا من هذا الكتاب.

وإننا نأمل أن تكون هذه الطبعة أكثر وفاء بالمقصود من سابقتها، شاكرين كل الإخوة الذين كتبوا لنا وساعدونا في إبداء المقترحات النافعة،

سائلين المولى ـ جل وعلا ـ أن ينفع بهذا الكتاب كل من اطَّلع عليه، وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان

جوار الكعبة المشرفة

صبيحة الثلاثاء ٢٣/ ٢/ ١٤١٧هـ


٣٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الأوْلى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولا شكَّ أن خير الفقه في الدِّين هو الفقه في أحكام الله، فبها تعرف ما يجب لله ﷻ من أوصاف الكمال، وما يسّره للخلق من بعثة الرّسل، وإنزال الكتب التي بها قوام حياتهم، وصلاحهم، وفلاحهم في العاجل والآجل.

والفقه في الدِّين هو الطّريق الصّحيح لمعرفة شمول الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، ولذا لما قصر فهم الكثيرين عن أحكام الإسلام ساء تطبيقهم، فَقَصَرُوا الإسلام على أشياء معينة، وعزلوه عن ميدان الحياة، وأخذوا يسرحون ويمرحون بلا حدود ولا قيود.

وتصحيحاً للمسار، وتوجيهاً لناشئة الأمة، وإسهاماً في إثراء الحركة الفقهية المعاصرة كان تحقيق الكتاب الذي نقدم له، وهو بعنوان: «التسهيل في الفقه على المذهب الإمام الربّاني أحمد بن حنبل الشّيباني رضي الله عنه». لمؤلفه أبي عبد الله بدر الدّين محمد ابن الشيخ الصّالح علاء الدّين علي بن شمس الدّين محمد بن أسباسلار البعلي الحنبلي.

وقد كان للمؤلف والكتاب منزلة علمية عالية عند العلماء المعاصرين للمؤلف. ومن جاء بعده ممن اطلعوا على هذا الكتاب، ويكفي أن نشير في

هذه المقدمة إلى وصف ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ للمؤلف، حيث قال عنه: «... الإمام العلامة البدر شيخ الحنابلة ببعلبك... وكان إماماً عالماً عليه مدار الفتوى ببلده...»[١].

كما نكتفي بوصف ابن العماد لكتاب التسهيل، حيث يقول عنه: «... له مختصر في الفقه سماه التسهيل عبارته وجيزة مفيدة، وفيه من الفوائد ما لم يوجد في غيره من المطولات، أثنى عليه عِلْيَةُ العلماء...»[٢].

ونظراً لمكانة المؤلف في نفوس العلماء وعلو قدره عندهم، وعظيم نفع كتابه، أكثروا من النقل عنه لثقتهم به، واطمئنانهم إليه، مما سنرى الإشارة له ـ إن شاء الله ـ خلال دراسة الكتاب.

وقد حرصنا ـ ولله الحمد والمنة ـ على أن يخرج الكتاب بصورة حسنة من حيث ترتيبه، وضبطه بالشكل، وتوضيح غريبه، وتوثيق ما أشار إليه من مسائل خلافية.

وقد قدَّمنا للكتاب بتمهيدٍ، تحدثنا فيه عن المؤلف معرفين به، ثم عرّفنا بالكتاب، وبيّنا منهجنا في التّحقيق، وإننا نعتبر إخراج الكتاب فقط مكسباً كبيراً، لعظم فائدته، وشدة الحاجة إليه، والله نسأل أن يُسدّد خطانا، ويعيننا على استكمال المشروعات العلمية التي نزمع إنهاءها، وهي كثيرة ـ بحمد الله ـ، كما نرجوا من مشايخنا وأحبابنا وزملائنا تزويدنا بما يرونه من توجيهات لِتلافيها مستقبلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان

مساء الاثنين ١٥/٥/١٤١٣هـ

---

(١) الدرر الكامنة ٤/٢٠٣.

(٢) شذرات الذهب ٦/٢٥٤، ٢٥٥.

التمهيد

التعريف بالمؤلف، والكتاب، ومنهج التحقيق

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب.

المبحث الثالث: منهج التحقيق.


٣٣٨

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية.

المطلب الخامس: آثاره العلمية.

المطلب السادس: ثناء الناس عليه.

المطلب السابع: وفاته.

المطلب الأول

اسمه، ونسبه

اتفق من ترجم له من العلماء على اسمه، وأنه «محمد»[(١)]، ولكنهم اختلفوا في اسم أبيه وجده.

فأما بالنسبة لاسم أبيه فنجد مثلاً أن ابن عبد الهادي سماه «حسن»، حيث قال في ترجمته: «محمد بن حسن أَسْبَاسَلَار[(٢)]...»[(٣)]. بينما سماه ابن

---

(١) إنباء الغمر ١/ ١٤٥، الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣، تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٢، وذيل ابن عبد الهادي على الطبقات ص٩٤، الجوهر المنضد ص١٤٤، ١٤٥، شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤، ٢٥٥، الإعلام ٦/ ٢٨٦، معجم المؤلفين ١١/ ٤٣، ٥٨.

(٢) قال ابن عبد الهادي في الجوهر المنضد ص١٤٤: «وأَسْبَاسَلَار: اسم أعجمي ذكره الشيخ تقي الدين الجُراعي في شرح التسهيل مثل بهاء الدين ونحوه».

(٣) الجوهر المنضد ص١٤٤.

قاضي شهبة[١]، وابن العماد «علي»، فقال ابن العماد في وفيات سنة ٧٧٧هـ: «وفيها بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أسباسلار»[٢]. وكذا فعل الزركلي[٣]، وعمر رضا كحالة[٤]، وهو المثبت على صفحة عنوان المخطوطة.

وأما بالنسبة لجده، فسماه ابن العماد «محمد»[٥]. كما تقدم في ذكر اسم أبيه، بينما سماه ابن عبد الهادي «أحمد»[٦]. وكذا فعل الزركلي، فقال في ترجمته: «محمد بن علي بن أحمد...». وقال في الهامش: «قلت: وجعلت اسم جده (أحمد) كما هو بخطه، خلافاً لما في المصادر»[٧].

وبقية نسبه هو: ... ابن عمر بن يعلى البعلي الحنبلي، من أهل بعلبك[٨].

وكنيته: أبو عبد الله[٩].

ولقبه: بدر الدين[١٠].

ومع الاختلاف الذي تقدمت الإشارة إليه فقد جاء في مقدمة المخطوطة ما يلي: «... أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الشيخ الصالح علاء الدين بن علي بن شمس الدين محمد بن أسباسلار البعلي الحنبلي».

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٢.
(٢) شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤.
(٣) الأعلام ٦/ ٢٨٦.
(٤) معجم المؤلفين ١١/ ٤٣، ٥٨.
(٥) شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤.
(٦) ذيل ابن عبد الهادي على طبقات ابن رجب ص٩٤.
(٧) الأعلام ٦/ ٢٨٦.
(٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٢، شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤، الأعلام ٦/ ٢٨٦.
(٩) المراجع السابقة، والجوهر المنضد ص١٤٤.
(١٠) المراجع السابقة.

المطلب الثاني

مولده، ونشأته

ولد بدر الدين البعلي، كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٧١٤هـ[١]، والظّاهر من كلام بعض من ترجم له أن ولادته كانت في «بعلبك»[٢].

وقد نشأ نشأة صالحة في بلده «بعلبك»، حيث عاصر فيها كثيراً من العلماء الأجلاء الذين لهم باع طويل في مختلف العلوم الشّرعية، كالقطب اليونيني، فأخذ عنهم.

المطلب الثالث

شيوخه

تقدّم قبل قليل في نشأته أنه تتلمذ على مشايخ بلده، وروىٰ عنهم خاصة القطب اليونيني الذي أكثر من الأخذ عنه.

وهو الإمام العالم المؤرخ قطب الدين موسى بن محمد بن أبي الحسين اليونيني البعلي، المتوفى سنة ٧٢٦هـ، قال عنه الذهبي: «كان عالماً فاضلاً، مليح المحاضرة، كريم النفس، معظماً جليلاً، حدّثنا بدمشق وبعلبك، وجمع تاريخاً حسناً ذيَّل به على «مرآة الزمان». واختصر المرآة، وأكثر العزلة في آخر عمره، وتخلى للعبادة، وكان مقتصداً في لباسه وزيِّه، صدوقاً في نفسه، مليح الشَّيْبَة، كثير الهيبة، وافر الحرمة»[٣].

كما أخذ وروى عن غيره من علماء بلده، حيث جاء في الجوهر المنضد: «... روىٰ عن القطب اليونيني وهو مكثرٌ عنه، وسمع من جماعة

---

(١) إنباء الغمر ١/ ١٤٥.

(٢) ومنهم ابن عبد الهادي في الجوهر المنضد ص١٤٤، حيث لقبه بالبعلبكي، وابن حجر في الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣، حيث قال عنه: شيخ الحنابلة ببعلبك.

(٣) تنظر هذه الترجمة في: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣٧٩، والمقصد الأرشد ٣/ ٩، ١٠، وشذرات الذهب ٦/ ٧٣.

ـ أيضاً ـ من شيوخ بلده»[١].

المطلب الرابع
مكانته العلمية

كان لبدر الدّين البعلي ـ يرحمه الله ـ منزلة رفيعة في العلم، حيث كان شيخ المذهب الحنبلي في بلده، قال عنه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الدرر: «. . . شيخ الحنابلة ببعلبك. . . وكان إماماً عالماً عليه مدار الفتوىٰ ببلده»[٢].

وقال عنه ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «عالم الحنابلة ببعلبك»[٣].

بل قال عنه ابن العماد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحد مشايخ المذهب»[٤]. فجعله من مشايخ المذهب عموماً وليس في بلده وحده.

المطلب الخامس
آثاره العلمية

لم تذكر كتب التراجم التي بين أيدينا للمؤلف سوى هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه: «التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الرباني أحمد بن حنبل الشيباني»، ومن هذه الكتب الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، والدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وشذرات الذّهب في أخبار من ذهب.

كما لم يذكر له سوى هذا الكتاب عبد الله بن علي بن حميد في كتابه «الدّر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد».

ولكن هذا لا يعني قصر باعه في الفقه، وقلة بضاعته فيه، بل له باع طويل في ذلك. كما تقدّم في بيان مكانته العلمية، كما أن هذا المختصر له

---

(١) الجوهر المنضد ص١٤٥.
(٢) الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣.
(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٢.
(٤) شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤.

قيمة علمية كبيرة، كما سيأتي بيان ذلك ـ إن شاء الله ـ في المبحث الثاني، على أن بعض العلماء ينشغل عن التأليف بما يرى أنه أهم من ذلك وأكثر مصلحة كالإفتاء والتدريس، ونحو ذلك.

المطلب السادس

ثناء الناس عليه

أثنى كثيرٌ من الناس على بدر الدين البعلي ـ يرحمه الله ـ في علمه وزهده وورعه، وذلك عائد إلى ما له من منزلة عالية، وفضل كبير، وممن أثنى عليه:

* ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الدرر الكامنة حيث قال عنه: «الإمام العلامة البدر شيخ الحنابلة ببعلبك... وكان إماماً عالماً عليه مدار الفتوى ببلده»[(١)]. وقال عنه في كتابه إنباء الغمر: «وكان طويل الروح، حسن الشكل، طوالاً مخضباً بالحناء فاضلاً كثير الاستحضار»[(٢)].

* وابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخه حيث قال عنه: «الشيخ الإمام العالم المفتي بدر الدين أبو عبد الله...»[(٣)].

* وابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجوهر المنضد حيث قال عنه: «الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الزكي المُحَصِّل...»[(٤)]، وفي كتابه الذيل على طبقات ابن رجب حيث قال: «... الشيخ الإمام الفقيه»[(٥)].

* وابن العماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه شذرات الذهب حيث قال عنه: «الشيخ الإمام العلامة البارع الناقد المحقق أحد مشايخ المذهب...»[(٦)].

---

(١) ٤/٢٠٣.
(٢) ١/١٤٥.
(٣) ١/٢٤٢.
(٤) ص١٤٤.
(٥) ص٩٤ رقم الترجمة (١٦١).
(٦) ٦/٢٥٤.

المطلب السابع

وفاته

اختُلِفَ في السنة التي توفي فيها بدر الدّين البعلي ـ يرحمه الله ـ، فذكر ابن قاضي شهبة في تاريخه[١]، وابن حجر في الدّرر الكامنة[٢]، أنه توفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وسبعمائة من الهجرة، وهو ما نقله ابن عبد الهادي في الجوهر المنضد[٣] عن ابن قاضي شهبة، وكذا ذكر الزركلي في الأعلام[٤]، وعمر رضا كحالة في الموضع الثاني من الموضعين اللذين ذكره فيهما في كتابه «معجم المؤلفين»[٥].

وذكره ابن العماد في كتابه «شذرات الذهب»[٦] في وفيات سنة سبع وسبعين وسبعمائة من الهجرة، وتبعه عمر رضا كحالة في الموضع الأول من الموضعين اللذين ذكره فيهما في كتابه «معجم المؤلفين»[٧].



(١) ١/٢٤٢.
(٢) ٤/٢٠٣.
(٣) ص١٤٥.
(٤) ٦/٢٨٦.
(٥) ١١/٥٨.
(٦) ٦/٢٥٤، ٢٥٥.
(٧) ١١/٤٣.

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف.

المطلب الثاني: منهج المؤلف فيه.

المطلب الثالث: بعض مميزات الكتاب.

المطلب الرابع: بعض من نقل عن المؤلف.

المطلب الخامس: وصف المخطوطة، وصور لنماذج منها.

* * *

المطلب الأول

اسم الكتاب، ونسبته إلى المؤلف

لم يصرِّح المؤلف ـ يرحمه الله ـ باسم كتابه هذا، ولكن جاء في صفحة العنوان ما نصه: «كتاب التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الرباني أحمد بن حنبل الشيباني ﷺ» ثم جاء بعد اسم المؤلف، فهذا يدل على أن هذا هو اسم الكتاب كاملاً.

كما ذكره بلفظ «التسهيل» بعض من ترجم للمؤلف كابن حجر في الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣، وابن عبد الهادي في الجوهر المنضد ص١٤٥، وابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤، ٢٥٥، والزركلي في الأعلام ٦/ ٢٨٦، وغيرهم.

وأما نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه بدر الدين البعلي، فقد تظاهرت وتضافرت الأدلة على صحتها، ومن ذلك:

١ ـ أنه منسوب إليه في صفحة عنوان المخطوطة، فبعد ذكر العنوان المتقدم جاء ما نصه: «... تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن أسباسلار البعلي الحنبلي».

٢ ـ نسبه إليه عدد ممن ترجم له، ومنهم:

أ ـ ابن حجر في كتابه: الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣.

ب ـ ابن عبد الهادي في كتابه: الجوهر المنضد ص١٤٥، حيث قال: «... صنف كتاب (التسهيل) وهو قول واحد في مذهب أحمد...».

ج ـ ابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤، ٢٥٥ حيث قال: «... له مختصر في الفقه سماه التسهيل...».

د ـ الزركلي في الأعلام ٦/ ٢٨٦.

هـ ـ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١١/ ٤٣، ٥٨.

ولعلّه بهذه الأدلّة لا يبقى مجال للشكّ في أن هذا الكتاب (التسهيل) لبدر الدين البعلي ـ يرحمه الله ـ.

المطلب الثاني

منهج المؤلف في هذا الكتاب

بيَّن المؤلف ـ يرحمه الله ـ كما هي عادة المؤلفين ـ في مقدمة كتابه منهجه فيه، وهو أنه أراد أن يؤلف مختصراً في الفقه الحنبلي على القول الراجح عند الأصحاب، فقال: «أما بعد فهذا مختصر في الفقه على مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ وجعل الجنة مأواه، جعلته على القول الصّحيح مما اختاره معظم الأصحاب...».

كما بيَّن منهجه فيه ابن عبد الهادي، حيث قال في ترجمته: «قلت: صنَّف كتاب (التسهيل) وهو قول واحد في مذهب أحمد لم يذكر فيه خلافاً إلَّا

في باب صلاة الجماعة، فإنه جمع مسائل، وأطلق فيها الخلاف»[1].

إلَّا أنه يذكر في بعض المسائل ـ وهي قليلة ـ الرواية الأخرى عن الإمام أحمد في المسألة، ومن ذلك مسألة ما تتعلق به الزكاة هل هو العين أو الذمّة؟ فقال: «ومحلها العين، وعنه الذمة».

ويشير في بعض المسائل ـ وهي قليلة أيضاً ـ إلى القول الثاني في المذهب بقوله: «في الأصح» وهذا يعد ـ أيضاً ـ ترجيحاً منه لهذا القول الذي ذكر، ومن ذلك مسألة نفقة حجّ الصّغير وكفاراته، هل تكون من ماله أو من مال وليه؟ فقال: «. . . ونفقة حجّه وكفاراته في ماله لا في مال وليه على الأصح».

ومنه مسألة من يقع عنه الحجّ إذا حصل ممن حجّ عن غيره قبل أن يحج عن نفسه؟ فقال: «ومن لم يحج عن نفسه لا يحج عن غيره، فلو فعل وقع عن نفسه في الأصح».

وقد يشير إلى ذلك بقوله: «في وجه»، ومن ذلك مسألة صحّة الرّهن إذا حصل قبل البيع، حيث قال: «يصحّ في كل ما يجوز بيعه مع الحقّ وبعده، لا قبله في وجه»، ومنه مسألة حصول الرّجعة بلفظ: «نكحتُ، وتزوجتُ»، حيث قال: «. . . وفي نكحتُ وتزوجتُ وجهٌ».

ولعلّ من المناسب أن نشير هنا إلى أن بعض من ترجم للمؤلف ذكر أن هذا الكتاب: «التسهيل» يُعدّ مختصراً لكتاب: «الدّرر المضية من الفتاوى المصرية»، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ومنهم الزركلي في الأعلام ٦/ ٢٨٦، حيث قال: «له مختصر الفتاوى المصرية سماه: «التسهيل» اختصره من كتاب: «الدرر المضية من الفتاوى المصرية»».

ومنهم ـ أيضاً ـ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١١/٥٨، حيث قال: «له مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية سماه التسهيل». ولعلّه نقل ذلك عن الزركلي.

---

(١) الجوهر المنضد ص١٤٥.

ولكن هذا لم يذكره المؤلف في مقدمته في كلامه عن سبب تأليفه للكتاب الذي سقناه في أول كلامنا على هذا المطلب، بل ذكر أنه أراد به جمع مختصر على القول الصّحيح من المختار عند الأصحاب، والله أعلم.

المطلب الثالث

بعض مميزات الكتاب

هذا المختصر يعد من المختصرات الجيدة في المذهب الحنبلي، وذلك لأنه يجمع بين سهولة العبارة، وجودة الأسلوب، وحسن الصياغة، واحتوائه ـ مع صغر حجمه ـ على مسائل لا توجد في غيره من المختصرات، بل قد لا توجد في المطولات، وقد أثنى عليه ابن العماد، حيث قال: «. . . له مختصر في الفقه سماه: «التسهيل» عبارته وجيزة مفيدة، وفيه من الفوائد ما لم يوجد في غيره من المطولات، أثنى عليه العلماء»[(١)].

وكذلك أثنى عليه عبد الله بن علي بن حميد صاحب كتاب «الدر المنضد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد»، فقال: «مختصرٌ مفيدٌ جدّاً، فيه من الفوائد ما لا يوجد في المطولات»[(١)].

كما أنه يُعدُّ جامعاً للأقوال الصحيحة في المذهب الحنبلي في المسائل التي وقع خلاف فيه ـ كما ذكر المؤلف في مقدمته ـ وهذه تُعدُّ ميزة ظاهرة لهذا الكتاب.

المطلب الرابع

بعض من نقل عن المؤلف

ممن نقل عن المؤلف علاء الدين المرداوي في كتابه «الإنصاف»، فقد ذكره أولاً ضمن الكتب التي نقل عنها، والتي بينها في مقدمة هذا الكتاب ١/ ١٥، ثم نقل عنه في عدة مسائل منها:

---

(١) شذرات الذهب ٦/ ٢٥٤، ٢٥٥.

١ ـ ما نقله في مسألة: «أكثر سن تحيض فيها المرأة» ١/٣٥٦، حيث قال: «... وعنه أكثره ستون سنة، جزم به في الإرشاد، والإيضاح، وتذكرة ابن عقيل، وعمدة المصنف، والوجيز، والمنور، والمنتخب، والتسهيل».

٢ ـ ما نقله في مسألة: «بطلان الأذان في التفريق بينه بكلام محرّم يسير» ١/٤١٩ حيث قال: «... فعلى المذهب لو كان يسيراً لم يعتد بالأذان، وأبطله على الصّحيح من المذهب... وجزم به في الفصول، والتلخيص، والبلغة، والمحرّر، والإفادات، والوجيز، والتسهيل».

٣ ـ ما نقله في مسألة: «مقدار رفع اليدين عند التكبير في الصلاة» ٢/ ٤٥، حيث قال: «... وعنه: يرفعهما إلى حذو منكبيه فقط، وهو المذهب، قال الزركشي: هو المشهور، وجزم به في الوجيز، والتسهيل...».

٤ ـ ما نقله في مسألة «اعتبار التسليمة الثانية من واجبات الصلاة» ٢/ ١١٧، حيث قال بعد ذكر الرواية عن الإمام أحمد في اعتبارها من الواجبات: «... وهذه إحدى الروايات مطلقاً، جزم بها في الإفادات، والتسهيل».

٥ ـ ما نقله في مسألة: «تفضيل الوتر والسّنن الرّاتبة على صلاة التراويح» ٢/١٦٦، حيث قال بعد أن ذكر تفضيلها على التراويح: «... وهو ظاهر كلامه في النظم، والوجيز، والتسهيل، وغيرهم».

٦ ـ ما نقله في مسألة: «ما يجب رده في القرض إذا كان من غير المكيل والموزون والجواهر» ٥/١٢٩، حيث قال بعد أن ذكر أن فيها وجهين: «... أحدهما: يردّ بالقيمة، صححه في التصحيح، وجزم به في الوجيز، وتذكرة ابن عبدوس، ونهاية ابن رزين، ومنتخب الآدمي، والتسهيل...».

هذا فيما يتعلق بمن نقل عن المؤلف، أما نقله غيره فلم يصرّح بشيء من ذلك؛ لأن الكتاب عبارة عن مختصر كما تقدم.

المطلب الخامس

وصف المخطوطة، وصور لنماذج منها

يتلخّص وصفها في الأمور التالية:

أولاً: اعتمدنا في تحقيقنا للكتاب على النسخة الوحيدة له ـ فيما نعلم ـ والتي عثرنا على صورتها في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم (١١٧)، وهي مصورة عن الاتحاد السوفييتي برقم (١٦٥٤).

ثانياً: هذه النسخة التي اعتمدنا عليها قد كتب عليها عنوان الكتاب، واسم المؤلف واضحاً، وجاء في آخرها اسم الناسخ؛ وهو خليل بن علي القادر الحنفي، وتاريخ النسخ؛ وهو الخامس من جمادى الأولى سنة ٨٩٧هـ، وعدد ألواحها ٤١، وعدد الأسطر في كل لوح ٣٤، ونوع الخط معتاد.

ثالثاً: لا يوجد أي طمس في هذه النسخة، فهي كاملة، وأغلبها مضبوط بالشكل، ويوجد فيها تكرار لبعض الكلمات ولكنه قليل جدّاً، وقد نبهنا عليه في موضعه، كما يوجد فيها سقط يسير لبعض الكلمات والحروف فأضفناها حسب اجتهادنا، ونبهنا عليه ـ أيضاً ـ في موضعه.

رابعاً: يوجد على هوامش النسخة تعليقات وإلحاق لبعض الجمل والكلمات الساقطة من الأصل، فأهملنا التعليقات التي يظهر أنها من الناسخ، لكون أغلبها غير واضح، وفيها طمس كثير. والقصد تحقيق أصل الكتاب، وأما السواقط فألحقناها بموضعها في الأصل، وجعلناها بين قوسين، ونبهنا عليها في مواضعها، وفي آخر هذه النسخة إجازة من عبد الرحمن بن محمد العليمي صاحب المنهج الأحمد لأحد تلاميذه تقع في ثلاثة ألواح. وإليك صور لنماذج من المخطوطة:

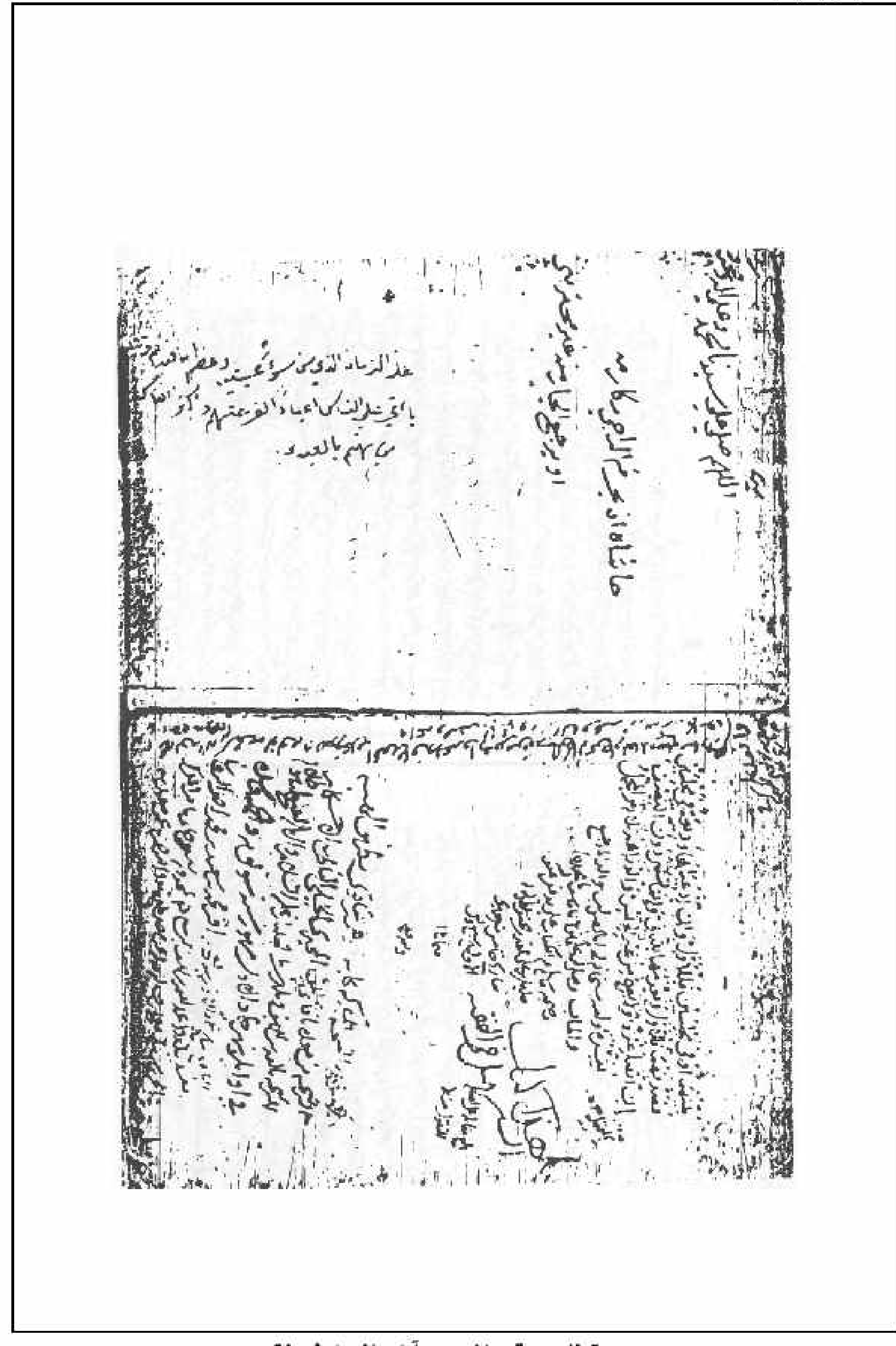
صورة لصفحة العنوان



صورة للوح الثاني وهو أول المخطوطة

وفيه المقدمة وأول كتاب الطهارة

صورة للوح رقم ٢٠ وهو وسط المخطوطة تقريباً
ويظهر فيه باب الحوالة، والصلح، والحجر، وأول باب الوكالة



صورة للوح رقم ٤١ وهو آخر المخطوطة
ويظهر فيه آخر باب الإقرار وختم الكتاب

المبحث الثالث

منهج التحقيق

لما كان الكتاب عبارة عن متن مختصر خال من الأقوال والأدلة، لم يكن فيه ما يحتاج إلى عمل كثير، ووضع منهج مفصل لهذا العمل، فلهذا كان منهجنا في تحقيقه يتلخص فيما يلي:

١ ـ وضع تمهيد للكتاب، يتناول التعريف بالمؤلف والكتاب، كما تقدّم في المبحثين السابقين.

٢ ـ ضبطنا بالشكل بعض الكلمات والصّفحات التي لم تضبط في المخطوطة، كما وضعنا ما يحتاج إليه النصّ من علامات التّرقيم؛ كالفواصل، والنقاط، والأقواس.

٣ ـ ميّزنا الكلام بعضه عن بعض بجعله مقاطع، فكل كلام مستقلّ بمعنى أو شبه مستقلّ وضعناه في مقطع مستقلّ.

٤ ـ وثقنا ما أشار إليه المؤلف من المسائل التي فيها خلاف في المذهب، إما على روايتين أو وجهين من كتب المذهب المعتمدة، وهي قليلة جدّاً.

٥ ـ فسّرنا الألفاظ الغريبة الواردة في الكتاب من كتب الغريب، كالمصباح المنير، والمطلع، والدرّ النقي في شرح ألفاظ الخرقي، وغيرها.

٦ ـ لما كان الكتاب خال من الأقوال والأدلّة لم يحتج إلى وضع فهارس للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والأماكن والبلدان والكتب، ولذلك اكتفينا بوضع فهرسين، فهرس لمصادر ومراجع التحقيق، وفهرس للموضوعات.

كتاب
التسهيل في الفقه

على مذهب الإمام الرباني
أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِهِ نَستَعِينُ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ العَالِمُ العَلَّامَةُ، البَارِعُ النَّاقِدُ المُحَقِّقُ، أبُو عَبدِ اللهِ بَدرُ الدِّينِ مُحمَّدُ ابنُ الشَّيخِ الصَّالحِ عَلاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ شَمسِ الدِّينِ محمَّدِ بنِ أسْبَاسَلارَ البَعلِيِّ الحنبَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَرَضِيَ عَنهُ وَأَرضَاهُ:

الحمدُ للهِ المُهَيمِنِ السَّلامِ، الذي شَرَعَ الحَلالَ والحرامَ، وخَصَّ نَوعَ الإنسانِ بمزيدِ الطَّولِ والإنعامِ، وهَدَى أهلَ السعادةِ مِنْهُمْ للإسلام، وَوفَّقَ مَنْ لَطَفَ به واختاره لِتعلُّمِ الأحكامِ، وجَعَلَ قائدَهُمْ إليه سيِّدَنا محمداً المصطفى خيرَ الأنامِ، عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، وعلى آلهِ وأصحابِهِ الغُرِّ الكرامِ، صلاةً دائمةً مَدَى الدَّهرِ والأيامِ.

أما بعدُ:

فهذا مختصرٌ في الفقهِ على مذهبِ الإمامِ المبجَّلِ، والحَبْرِ المفضَّل أبي عبدِ الله أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ، رضي الله عنه وأرضاه، وجعلَ الجنَّة مأواه، جعلتُهُ على القولِ الصّحيحِ مما اختارَهُ مُعْظَمُ الأصحابِ، تسهيلاً على الطُّلابِ، وتذكرةً لِأُوْلِي الألبابِ، مَعَ كثرةِ عِلْمِهِ، وقِلَّةِ حَجْمِهِ، نسألُ اللهَ النَّفْعَ بِهِ، وأن يَجْعَلَهُ خالصاً لِوجهِهِ الكريمِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ؛ إنه مَنَّانٌ كريم.



كِتَابُ الطَّهارةِ

لا تصحُّ إلا بماءٍ مطلقٍ، باقٍ على أصلِ خِلقَتِه، لا بِمُسْتَعْمَلٍ قلِيلاً في طُهْرٍ، ولو مَسنُونٍ، ولا بِمتغيّرٍ بِمُخالِطٍ يمكنُ صونُهُ عنه كزعفرانٍ، لا مِلحَ ماءٍ وتُرابٍ.

وينجُسُ بِملاقاةِ نَجِسٍ إن تغيَّرَ، أو لم يُقارِبْ خَمسْمَائَةِ رطلٍ بَغداديٍّ، ويَطْهُرُ الكثيرُ إما بزوالِه بِنَفْسِهِ أو بإضافةِ طَهُورٍ كثيرٍ، أو نَزْحٍ يبقى بعدَه كثيرٌ، والقليلُ بالإضافةِ فقط.

ولا تجوزُ طهارةُ رجلٍ بفضلِ طَهُورِ امرأةٍ قليلٍ خَلَتْ به، ويبني الشَّاكُّ على اليقين، ولا يتحرَّى لاشتباهِ طَهُورٍ بنجسٍ، بل يتيمَّمُ، ولِاشْتِبَاهِ طَهُورٍ بطاهرٍ يتوضأُ بكلٍّ، وثوبٌ نجسٌ بطاهرٍ يصلِّي بكلٍّ بعدَدِ النَّجِسِ، ويزيدُ صلاةً، ولو نَسِيَ صلاةً من يومٍ لا بعينِهَا أعادَ الكلَّ.

بابُ الآنيةِ

كُلُّ إنَاءٍ طَاهِرٍ يُباحُ اتخاذُه واستعمالُه إلَّا المَغْصُوبَ ونَحْوَهُ، والنَّقدَينِ وما ضُبِّبَ[١]، أو كُفِتَ[٢]، أو مُوِّهَ بهما، إلا ضبَّةً يسيرةً بفضةٍ.

ويُباحُ للرجلِ مِنَ الفِضَّةِ الخاتَمُ، وحِليةُ السَّيفِ، والحمائلُ، والرَّانُ[٣]،

(١) قال الفيومي: الضَّبَّة من حديد أو صُفرٍ أو نحوه يشعب بها الإناء، وجمعها ضبَّات، وضبَّبته بالتثقيل عملت له ضبة. المصباح ٢/ ٣٥٧.

(٢) كَفَتَ الشيء قبضَه وضمَّه؛ والمقصود هنا الوعاء من زجاج ونحوه، يوضع داخل وعاء آخر من ذهب أو فضة، والكفت بالفتح القدر الصغيرة. القاموس المحيط ١/ ١٥٦.

(٣) قال البعلي: الرَّان شيءٌ يُلبسُ تحت الخُفِّ معروف. المطلع ص١٣٦.

والخفُّ، ومِنَ الذَّهبِ القَبيعةُ، وما اضْطُرَّ إليه كأَنْفٍ، ورَبْطَةِ سِنٍّ، وللنساءِ منهما ما جرتْ عادتُهُنَّ به.

بابٌ

النّجاساتُ: الدّمُ، وقَيئُ غَيْرِ المأكولِ، والمسكِرُ، والخَارِجُ من سَبيلٍ سِوَى رِيحٍ ومَنِيِّ طاهرٍ، وفَضْلَةِ مأكولٍ، والميتةُ سِوَىٰ آدَمِيٍّ ومَأكُولَةٍ، وَشَعْرِ طَاهِرٍ، وَمَا لا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةً، والكلبُ، والخِنْزِيرُ، وما تولَّدَ من نجسٍ، وما أُبِيْنَ من حيٍّ كَمَيِّتِهِ، سِوَىٰ شَعْرٍ، ومِسْكٍ، وفأرَتِهِ.

ولا يَطْهُرُ نَجِسٌ بِدَبْغٍ واستحالةٍ، إلَّا الخَمْرَةَ إذا تخلّلت بنفسِهَا.

فَصْلٌ

وَتُغْسَلُ كلُّ نجاسةٍ سبعاً، إحداهُنَّ بترابٍ، فإن كانت على الأرضِ أو نحوِهَا فمَرَّةً، وغُسَالَةُ كلِّ مرةٍ إن لم تتغيّرْ كمغسولِها، ويُرشُّ بولُ غلامٍ لم يَطْعَمْ.

ويُعفَىٰ في الصّلاةِ عن يسيرِ دمٍ طاهرٍ، وما تَولَّدَ منه، وهو ما لا يَفْحُشُ في النفسِ، وكذا المَذْيُ، وَأَثَرُ الاستِجمَارِ، والخُفُّ، والذَّيلِ بَعدَ دَلكِهِ أو مُرُورِهِ بأرضٍ طاهرةٍ.

بابٌ

السّواكُ سُنَّةٌ، لا بعدَ الزّوالِ لصائمٍ، ويتأكّدُ عندَ الصلاةِ، والانتباهِ، وتغيُّرِ فَمٍ، وقراءةٍ، ووضوءٍ، ودخولِ المنْزلِ، بعودِ أراكٍ، وَنَحوِهِ.

وسُنَّ الادِّهانُ غِبّاً[1]، والاكتِحالُ وِتْرَاً، والاستحدادُ، وقَصُّ الشّاربِ، وقَلْمُ الظُّفُرِ، ونَتْفُ الإبطِ، والتَّيامُنُ في كلِّ شأنِه، ونَظَرُهُ في المرآةِ، وتسريحُ شَعْرِه.

(١) قال البعلي: أي يدهن يوماً ويدع يوماً. المطلع ص١٥.

ويجبُ الختانُ إن لم يَخَفْهُ.

ويكرهُ القَزَعُ، ونتفُ الشَّيبِ، وسُنَّ تغييرهُ بغيرِ سوادٍ.

بابُ الاستنجاءِ

يُنحِّي داخلُ الخلاءِ ما فيه اسمُ الله تعالى إن أمكن، ثُمَّ يقول: بسم اللهِ، أعوذُ باللهِ مِنَ الخُبْثِ والخَبَائِثِ، الرِّجْسِ، النَّجِسِ، الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، ويُقَدِّمُ رجلَهُ اليُسرى دخولاً، واليُمنَى خُروجاً، عَكْسَ المسجدِ، ويعتمدُ على اليسرى في جلوسه، ويَصْمُتُ، ولا يَلْبَثُ فَوقَ حاجَتِهِ، ثُمَّ يمسحُ ذكرَهُ، ويَنْتُرُهُ ثلاثاً، ويُبْعِدُ في الفضاءِ، ويَسْتَتِرُ، ويدنُو مِنَ الأرضِ، ويرتادُ لبولهِ، وإذا خرجَ قالَ: غُفْرانَكَ، الحمدُ للهِ الذي أذهبَ عنّي الأذَى وعَافانِي.

ويَحرُمُ استقبالُ القبلةِ واستدبَارُها في الفضاءِ، ولا يبولُ في ماءٍ راكدٍ، ولا تَحتَ مُثْمِرٍ، وظِلٍّ نَافعٍ، ومَشْمَسٍ، وطريقٍ، وشَقٍّ، وَمُغْتَسَلٍ، ومَهبِّ ريحٍ، ومطرٍ، ولا يَستَقبِل شَمساً، ولا قَمَراً.

ومُوْجِبُهُ: خارجٌ من سبيلٍ سِوى ريحٍ، ويُسنُّ بِحجارةٍ، ثُمَّ ماءٍ، وباليسرى، والقطعُ على وِتْرٍ، والتَّحَوّلُ، ويُجزئُ بِماءٍ، أو ثلاثِ مَسَحَاتٍ، يُنْقِي بها، إن لم يَعْدُ مَوْضِعَ الحَاجَةِ، بكلِّ جامدٍ، طاهرٍ، مُنَقٍّ، لا رَوْثٍ وعظمٍ، ومحترمٍ، ومتّصلٍ بحيوانٍ، ويجزئُ الوضوءُ قبلهُ.

بابُ الوضوءِ

مُوجِبُهُ: خارجٌ مِنْ سبيلٍ، ورِدَّةٌ، وزوالُ عقلٍ، إلّا بنومٍ يسيرٍ جالساً أو قائماً، ومَسُّ فرجِ آدَميٍّ بِيَدِهِ، وملاقاةُ لبشرَتَي رجلٍ وامرأةٍ لشهوةٍ، وأكلُ لحمِ جَزورٍ، وخروجُ غائطٍ، أو بولٍ، أو نجاسةٍ فاحشةٍ مِنْ سائرِ البدنِ.

وفَرضُهُ: النّيةُ، وغسلُ الوجه بِفَمِهِ وَأَنْفِهِ، ويديهِ بِمِرْفَقَيْهِ، ومَسْحُ كلِّ

رأسِهِ بأُذُنَيهِ، وغَسْلُ رجليه بكعبيهِ، وترتيبُهُ كما ذكر الله تعالى[(١)]، والموالاةُ.

وسُننهُ: التّسْميةُ، وغَسْلُ كفّيهِ قبلَهُ ثلاثاً، والبُداءةُ بالمضمضةِ والاستنشاقِ، والمبالغةُ فيهما لغيرِ الصَّائِمِ، وتَخليلُ أصَابعِهِ، وشَعْرٍ كَثِيفٍ بوَجهِهِ، وتقديمُ ميامِنِهِ، وتثنيتُهُ وتثليثُهُ، ورفعُ بصَرِهِ إذا فَرَغَ نحوَ السماءِ (مُشيراً، قائلاً ما وَرَدَ[(٢)])[(٣)].

بابُ المسحِ على الخفين

يُجزئُ في الوضوءِ مَسْحُ أكثرِ أعلى الخُفَّينِ، وما في معناهُمَا من ثابتٍ بنفسِهِ ساترٍ محلَّ الفرضِ، يُمكنُ مُتابعةُ المشْيِ عليه إنْ لُبِسَ بعدَ طُهْرٍ تامٍّ، للمقيمِ يوماً وليلةً، ولِمُسافرٍ قَصَرَ ثلاثةً بلياليها، مِنَ الحدَثِ إلى مثلِهِ.

(وكذا)[(٤)] على العمامةِ المُحنَّكةِ، وذاتِ الذُّؤابةِ، إذا سترتِ الرأسَ، لا ما جَرَتِ العادةُ بكشفهِ.

ولو مَسَحَ مقيمٌ ثُمَّ سافرَ، أو عَكَسَ فكالحاضرِ.

ويَبْطُلُ بِخَلْعٍ، وتمامِ مدَّةٍ، فَيتوضأ، فأما الجبيرةُ فتُمسَحُ في الطَّهارتينِ، إلى حَلِّها إن لم يَعْدُ بها مَوْضِعَ الحاجةِ، والله أعلم.

---

(١) يعني في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ...﴾ الآية [المائدة: ٦].

(٢) يشير إلى ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو يُسبغ ـ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلَّا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**.
وعند الترمذي زيادة: «اللَّهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».
أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحبّ عقب الوضوء ١/ ٢١٠، والترمذي في أبواب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء ١/٣٨، ٣٩، وغيرهما.

(٣) ما بين القوسين من الهامش.

(٤) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

بابُ الغُسلِ

وموجِبُهُ: خُروجُ مَنِيٍّ بلذةٍ وتَدَفُّقٍ، ودُخولُ حَشَفَةٍ، أو قَدْرِهَا فرجاً أصلياً، وموتٌ، وحيضٌ، ونفاسٌ، وإسلامٌ.

وفرضُهُ: النِّيةُ، وغَسْلُ كلِّ بشرتِهِ، وباطنُ فَمِه وأَنفِهِ، وإن نَوَى طَهَارَتينِ أَجزَأَ، كما لو تيمَّمَ للحدَثَينِ والنجاسةِ.

وسُنَّتُهُ: الوضوءُ قبلَهُ، وإزالةُ ما به من أذىً، وغَسْلُ كفيهِ، والتسميةُ، وَحثْيُ الماءِ على رأسهِ ثلاثاً قبلَ الإفاضةِ، وغَسْلُ رِجْلَيْهِ ناحيةً، لا في حَمامٍ ونَحْوِهِ، والدَّلكُ، والموالاةُ.

ويُسَنُّ لِجُمُعَةٍ، وعيدٍ، وخسوفٍ، واستسقاءٍ، وإفاقةٍ، وإحرامٍ، وغَسْلِ مَيتٍ، ودخولِ مكةَ، وعرفةَ، ورمي الجمارِ، والطوافِ.

ويَحرُمُ بالحدثِ مسُّ المصحفِ، والصّلاةُ، والطوافُ، وبالجنابةِ: الثلاثةُ، والقراءةُ، واللبثُ في المسجدِ بِلا وضوءٍ، وبالحيضِ والنفاسِ: الخمسةُ، والصِّيامُ، والوطءُ في الفرجِ إلى الغُسلِ، والطَّلاقُ إلى الانقطاعِ.

بابُ التَّيمُّمِ

شَرطهُ: فَقْدُ ماءٍ (أو إعْوَازُه إلا بثمنٍ مُجْحِفٍ)[١]، فلو بُذِلَ هِبةً، أو بثمنٍ غيرِ مُجْحِفٍ لَزِمَهُ قَبولُهُ، أو خوفُ ضررٍ باستعمالِهِ، لمرضٍ، أو عطشٍ مُحترمٍ، ودخولُ الوقتِ، وطَلَبُ فاقِدهِ، لا إن خافَ على نفسِهِ أو مالِهِ، وترابٌ، طاهرٌ، له غبارٌ.

وفرضُهُ: تعيينُ نيّتِهِ، فلو تيمَّمَ لنفلٍ لم يُصلِّ به فرضاً، أو لفرضٍ صلّى ما شاءَ، ومسحُ جميعِ وجههِ ويديهِ إلى الكوعينِ، والترتيبُ.

وسُنَنُهُ: التّسميةُ، وتقديمُ يُمناهُ، وتأخيرُهُ إن ظَنَّ وُجْدَانَ الماءِ، ومبطلُهُ:

(١) ما بين القوسين من الهامش.

مبطلُ طهارةِ الماءِ، وخروجُ الوقتِ، وقدْرتُهُ على استعمالِ الماءِ، وإن بُذلِ للأحقِّ قُدِّمَ الميتُ، ثُمَّ مَنْ عليه نجاسةٌ، ثُمَّ الحَائِضُ، ثُمَّ الجنبُ.

ويجزئُ ضربةٌ واحدةٌ لوجهِهِ وكفّيهِ، فإن تيمم لنجاسةِ بدنهِ لم يُعِدْ.

بابُ الحيضِ

أَقَلُّ إمكانِهِ تِسعُ سِنِينَ، وأكثَرُهُ ستونَ سَنةً، وَأَقَلُّ الحَيضِ يَومٌ وليلةٌ، وأكثرُهُ خَمسةَ عَشَرَ يوماً، وغَالبُهُ ستٌّ أو سَبعٌ، ولا حيضَ لحاملٍ، فَإن رأته قبلَ الوَضعِ بيومينِ أو ثلاثةٍ فَنِفَاسٌ، وَأَقَلُّ طُهْرٍ بينَ الحيضتين ثَلاثَةَ عَشَرَ، فَتَجلِسُ المُبْتَدَأَةُ أَقَلَّهُ، ثُمَّ تَغتَسِلُ وتُصلِّي، فإن لم يَعْبُرْ أكثرُهُ اغْتسلتْ عندَ انقطاعِهِ، وإن تكرَّرَ ثلاثاً فعادةٌ، وتَقْضِي ما صَامَتْهُ فيهِ فرضاً، ثُمَّ إن تَغَيَّرَتْ لم تلتفتْ حتى يتكرَّرَ ثلاثاً أيضاً.

وإن عَبَرَ أَكْثرَهُ فاستحاضةٌ، تَجلسُ المُمَيِّزَةُ أيَّامَ التَّمييزِ، وهو الأسودُ الثَّخِيْنُ، إن لم يَعْبُرْ أكثرَهُ، والمعتادةُ أيام العادةِ، والمَتَحَيِّرةُ غَالِبَهُ، وباقي الأيام تَغْسِلُ فَرْجَهَا وَتَعْصِبُهُ، وتتوضَّأُ لوقتِ كلِّ صلاةٍ، وكذا دائمُ الحدثِ الذي لا ينقطعُ قَدْرَ الوضوءِ والصلاةِ.

وأكثرُ النفاسِ أربعونَ يوماً، وَلا حَدَّ لأقَلِّهِ، وتَعُدُّ مِنَ اليومِ الأولِ.



كتابُ الصَّلاةِ

إنّما فُرِضَ الخمسُ على: مُكَلّفٍ، وهو المسلمُ، العاقلُ، البالغُ، لا حائضٌ ونفساءُ، ويؤمر بها ابنُ سبْعٍ، ويُضربُ على تركِها ابنُ عشْرٍ، فإن بلغَ فيها أو بعدَها في وقتِها أعادَهَا، وما قبلَهَا إن جُمِعتْ إليها؛ كالحائضِ تطهُرُ، والكافرِ يُسلمُ، والمجنونِ يُفيقُ، ولو صَلَّى كَافرٌ أسلَمَ.

ووقتُ الظهرِ مِنَ الزّوالِ إلى مصيرِ ظلِّ الشّيْءِ مثلَهُ بعد الذي زالتْ عليهِ الشّمسُ، ثُمَّ يَعْقُبُهُ العصرُ، وهي الوسْطىٰ، والمُختارُ إلَى مصيْرِ ظلِّ الشيءِ مثْلَيهِ، ويبقى وقتُ الضّرورةِ إلَى الغُروبِ، ثُمَّ يَعْقُبُهُ المغربُ، وهي الوترُ، ويمتدُّ إلى غروبِ الشَّفقِ الأحمرِ، ثُمَّ يعقُبه العِشَاءُ، ويُختارُ إلى ثُلثِ الليلِ، ووقتُ الضَّرورةِ إلى طلوعِ الفجر الثانِي، وهو البياضُ المعترضُ في المشرقِ، ثُمَّ يعقُبه الفجرُ، ويبقَى إلى طلوعِ الشّمسِ، ويُدرَكُ الوقتُ بتكبيرةٍ؛ كالجماعة، والجُمعةُ بركعةٍ، وأوّلهُ أفضلُ، إلَّا العِشاءَ الآخِرةَ ما لم يَشقّ، والظُّهْرَ في حَرٍّ أو غَيمٍ لمنْ يَقصِدُ الجَمَاعَةَ، وحَرُمَ تأخيرها أو بَعْضِها عن وقتِهَا بغير عُذْرِ جمعٍ، وشُغْلٍ بشرطِهَا، فإنْ أخَّرَهَا جُحوداً كَفَرَ، أو تَهاوُناً دُعيَ إليها، فإن أبَى وجَبَ قتلُهُ، إذا ضاقَ وقتُ التي بَعدَها، ولا يُقتلُ حتّى يُستتابَ ثَلاثاً، فإن تابَ وإلَّا قُتِلَ، ويجبُ القضاءُ على الفورِ، مرتَّباً، إلَّا إن خَشِيَ فوتَ حاضرةٍ، وإلا أتَمَّهَا نفلاً، ثُمَّ رَتَّبَ.

بابُ الأَذانِ والإقامةِ

وهما فرضُ كفايةٍ، على الرِّجالِ، للصّلواتِ الخمسِ، وَيُقَاتَلُ أهلُ المِصْرِ بتركِهِمَا، وهو خَمسَ عَشْرَةَ، وهي إحدى عَشْرَةَ.

ويسنُّ مؤذِّنٌ صَيِّتٌ، عالِمٌ بالوقتِ، يُثوِّبُ بعدَ الحيعلةِ في الصّبحِ، ولا يُؤذَّنُ قبلَ الوقتِ إلّا لها، وإنَّمَا يَجُوزُ مُرَتَّباً، لا بِفَصلٍ كثيرٍ، ومُحَرَّمٍ، ويقولُ مُستمعُهُ مثلَهُ، إلّا في حيعلةٍ فيُحَوْقِل[1]، وَيَسْأَلُ بَعْدَهُ الوسيلةَ.

وتُسنُّ له الطّهارةُ، وقيامُه مستقبلاً، على علوٍّ، يَجعلُ إصْبَعَيهِ في أُذنيه، مُلْتَفِتاً في حَيعَلَتِه يميناً وشمالاً، ولا يُزِيلُ قدميهِ، وتَرَسُّلُهُ، وحَدْرُهَا.

بابُ شروطِ الصّلاةِ

هي ستةٌ: دخولُ الوقتِ، والطّهارةُ مِنَ الحدثِ، ومِنَ الخَبَثِ، بدناً، وثوباً، وموضعاً، لا إنْ عَجزَ، وسترُ مَنْكِبَيهِ وعورَتِه، بِمَا لا يَصفُ البشرةَ، من سُرَّتِه إلى ركبَتَيهِ، والأَمَةُ ونَحْوُهَا مثلُهُ، والحرَّةُ سِوى وجْهِهَا وكفَّيهَا، وَالدُّبُرُ أولى، والعورةُ أولى مِنَ المنكِبِ، فلو عَدِمَ فقاعداً إيماءً، وإن صلى قائماً جاز.

ويَحْرُمُ على الرّجلِ الذّهبُ، ومَا هُوَ أو غَالِبُهُ حريرٌ، فلا تصحُّ الصلاةُ فيه؛ كالمغصوبِ، والحُشِّ، والحمَّامِ، والمَقْبَرَةِ، وَعَطَنِ الإبلِ، وإنَّمَا تصحُّ في الكعبةِ وعلى ظهرِهَا نفلاً.

الخامسُ: استقبالُ عينِ الكعبةِ للقريبِ، وجِهتِها للبعيدِ، وإن اشتَبَهَتْ سفراً اجتَهَدَ بشمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ، وريحٍ، ومياهٍ، وحضراً بخبرِ ثقةٍ، عَن عِلمٍ، ومَحَاريبِ مسلمٍ، والعاجزُ يُقلِّدُ عارفاً، فلو اختلفا قلَّدَ أوثقَهُما عندهُ، ويجدِّدُهُ، ولا يعيدُ ولو أخطأ، إلّا الحاضرَ، ويسقط لعجزٍ، ويُصَلِّي كيفَ أمكنَ وتوجَّه، كنفلِ السّفرِ للسَّائرِ، والهارِبِ من سيلٍ أو سَبُعٍ.

السَّادسُ: النيّةُ، فيُعَيِّنُ المُعَيَّنةَ، وَيُقَارِنُ بها التّكبيرَ، فإن تقدمتْ يسيراً جازَ ما لم يَفْسَخْها، ويَجِبُ استصحابُ حُكمِهَا، ويُسنُّ ذِكْرُهَا.

(١) الحوقلة، حكاية قول: لا حول ولا قوة إلّا بالله. المطلع ص٥٠.

بابُ صفةِ الصَّلاةِ

يَمشي إليها بسكينةٍ ووقارٍ، بتقريبِ خُطاهُ، قائلاً ما وردَ[(١)]، غَيرَ مُشَبِّكٍ، ويقومُ عندَ كلمةِ الإقامةِ[(٢)] إن رأى الإمامَ، وإِذَا أُقيمَتْ فَلا صلاةَ إِلَّا المكْتُوبَةُ، ثُمَّ يُسوِّي الإمامُ صفَّهُ، ويكبِّرُ جَهراً، وغَيرُهُ سِرّاً، كالقِرَاءة، ويَرْفَعُ يديهِ عندَ ابتداءِ التكبيرِ حَذْوَ منكبيهِ، ثُمَّ يَضَعُ اليُمنَى على كُوعِ اليُسرى تحتَ سُرَّتِه، ناظراً موضعَ سجودِه، ثُمَّ يقولُ: سبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ، وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالَى جدُّكَ، ولا إله غيرُكَ، ثُمَّ يتعوَّذُ، ثُمَّ يُسَمِّي سِرّاً، ثُمَّ يقرأُ الحمدَ، بإحدَى عَشْرَة شَدَّةً، مُرَتَّبَةً متواليةً، فإن لم يُحْسِنْهَا تَعَلَّمَهَا، فإنْ ضاقَ الوقتُ قرأ قَدْرَهَا، ولو عَلِمَ آيةً كرَّرَها، فإنْ لم يُحسِنْ قُرآناً ذكرَ اللهَ، وإنْ لم يعرِفْ وَقَفَ قَدْرَهَا، ثُمَّ يُؤَمِّنُ جهراً فِي الجَهْرِيَّةِ، ثُمَّ يَقرأ سورةً، في الصُّبحِ من طِوَالِ المُفَصَّلِ، والمغربِ من قِصَارِه، والباقي من أوساطِه، ويَجهرُ الإمامُ بالصّبحِ، وَأُولَيَي المغربِ والعشاءِ، ثُمَّ يرفَعُ يَدَيهِ ويركع مكبراً، مَادّاً ظَهْرَهُ، مستوياً رَأْسُهُ حِيَالَهُ، واضعاً يديه على ركبتيهِ مفرَّجَتَي الأصابع، فيقول: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ

(١) ومنه ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، خرج إلى الصلاة وهو يقول: **«اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وأعطني نوراً»**.

أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/ ٥٢٥، وغيره.

وما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج من بيته إلى الصّلاة، فقال: «اللهم إنّي أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أَشَراً ولا بَطَراً ولا رِيَاءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذّنوب إلَّا أنت، أقبلَ الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك»**.

أخرجه أحمد ٣/ ٢١، وابن ماجه في كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة ١/ ٢٥٦، وقال: «قال في الزوائد: هذا إسناد مسلسل بالضعفاء».

(٢) يعني: «قد قامت الصلاة».

ثلاثاً، ثُمَّ يَرفعُ قائلاً: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، ويرفعُ يَدَيهِ، فيقولُ: رَبَّنَا ولكَ الحمدُ، مِلْءَ السَّماءِ وَمِلْءَ الأَرضِ، وَمِلْءَ ما شئتَ من شيءٍ بَعدُ، ثُمَّ يسجدُ مُكَبِّراً، بركْبَتَيهِ، ثُمَّ يَديهِ، ثُمَّ جبهتِهِ وأنْفِهِ، ويكونُ على أطرافِ أصابعِه، مُجافياً، واضعاً يديهِ حَذْوَ مَنكِبيهِ، ويجبُ سجودُه على هذه الأعضَاءِ السّبعةِ، ثُمَّ يقولُ: سبحانَ ربِّيَ الأعلى ثلاثاً، ثُمَّ يَرْفَعُ مكبراً، ويجلسُ مفترشاً، يَفْرِشُ يُسراهُ فيجلسُ عليهَا، ويَنْصِبُ يُمناهُ، فيقول: ربِّ اغفر لي ثلاثاً، ثُمَّ يسجدُ الثانِيةَ كذلك، ثُمَّ يرفعُ مكبراً فيقومُ على صدورِ قدميهِ معتمداً على ركبتيهِ، ما لم يَشُقَّ فبالأرضِ، ثُمَّ يُصلي الثانِيةَ كالأولى، سوىٰ الاستفتاحِ والتحريمِ، ثُمَّ يَجلسُ مفترشاً، يضعُ يَديهِ على فَخِذَيْهِ، يَقْبِضُ الخِنْصِرَ[١] والبِنْصِرَ[٢] من يُمناهُ مُحلِّقاً إبْهَامَهُ[٣] مَعَ الوسطى، مشيراً بِسَبَّابَتِهَا[٤] في تشهُّدِه، فيقولُ: التَّحيَّاتُ للهِ، والصّلواتُ والطّيباتُ، السلامُ عليكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحين، أشهدُ أن لا إِلٰهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

فَصْلٌ

ثُمَّ يُصلّي الثالثةَ والرابعةَ كالثانِيةِ، بالحمدِ فقط، ثُمَّ يَجْلِسُ مُتَورِّكاً، يَفْرِشُ اليسرى، ويَنْصِبُ اليمنى، وأليَتَاهُ على الأرضِ، ثُمَّ يتشهّدُ، ويزيدُ: اللهم (صلِّ)[٥] على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما صليتَ على آلِ إبراهيمَ،

---

(١) الخِنْصِر بكسر الخاء والصاد: الأصبع الصغرى. (المطلع ص٧٩).

(٢) البِنْصِر بكسر الباء والصاد: الأصبع التي تلي الخِنصِر، وجمعها بناصر. المطلع ص٧٩.

(٣) الإبهام: الأصبع العظمى، وهي مؤنثة، وجمعها أباهيم. مختار الصحاح، مادة «بهم» ص٢٧.

(٤) السبابة هي الأصبع التي تلي الإبهام، وهي المسبحة ـ أيضاً ـ، قيل: سُمِّيت السبابة لأنهم كانوا يشيرون بها إلى السبّ والمخاصمة. المطلع ص٧٩.

(٥) في الأصل «صلي» والصواب ما أثبتناه بدون ياء، والله أعلم.

إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك على مُحمدٍ، وعلى آلِ مُحمدٍ، كمَا باركتَ على آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم إني أعوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهنَّمَ، ومن عذابِ القبرِ، ومن فِتْنَةِ المحيَا والمَمَاتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ، ويدعو[1] بما ورد، ثُمَّ يُسلِّمُ عن يَمِينِهِ، ثُمَّ عن يسارِه، ويستغفرُ ثلاثاً، ويقول: اللهمَّ أنتَ السلامُ، وَمنكَ السَّلامُ، تَباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرام.

والمرأةُ كالرَّجُلِ، لكن تَجْمَعُ نَفْسَهَا ركوعاً وسجوداً، وَتَجلِسُ مُتَرَبِّعَةً، أو سَادِلةً.

ولَهُ ردُّ المَارِّ، وإن نَابَهُ شَيءٌ سَبَّحَ، وَصَفَّقَتْ، وَإن لَم تَكُنْ سِتْرَةٌ قَطَعَهَا مُرورُ كَلبٍ أسوَدَ بَهيمٍ[2].

بابٌ

أركانُها اثنا عشر: القيامُ، والتحريمُ، والفاتِحةُ لغير مأمومٍ، بل تُسَنُّ في سَكَتَاتِ إمَامِهِ وإِسرَارِهِ، والركوعُ، والسجودُ، واعتدالُهُ عنهما، وطُمَأنينتُهُ في الكلِّ، والتشهد الأخير، وجَلسَتُهُ، والتَّسْلِيمَةُ الأوْلَى، والتّرتيبُ.

وواجباتُها تسعةٌ: باقي التَّكبيرِ، والتَّسميعُ، والتَّحميدُ، والتَّسبيحُ، والاستغفارُ مرةً، والتَّشهدُ الأولُ، وجَلسَتُهُ، والصلاةُ على محمد ﷺ، والتسليمةُ الثانيةُ.

فَتَبطُلُ بِفَواتِ رُكنٍ أو شرطٍ، لا إن نَسِيَ نَجاسةً، أو فَوتِ وَاجبٍ عمداً.

وكُرِهَ رَفْعُ بَصَرِهِ إلى السَّماءِ، والإقعاءُ[3]، وافتراشُ ذراعيهِ في السجودِ،

---

(١) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

(٢) البهيم هو الذي لا يخالط لونه لون آخر، ولا يختصّ بالأسود. المطلع ص٨٨، والدر النقي ٢/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) قال الفيومي: أقعى إقعاءً ألصق أليتيه بالأرض، ونصب ساقيه، ووضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب. المصباح ٢/ ٥١٠.

وصَلاتُهُ حَاقِنَاً[١]، أو حَاقِبَاً[٢]، أو بحضرة طعامٍ لتائقٍ[٣]، والعَبَثُ، والتَّخَصُّرُ[٤]، وفَرْقَعةُ الأصابعِ، وتَشْبيكُهَا.

وله عَدُّ الآي، وَقَتْلُ الحشراتِ، ولُبْسُ الثوبِ، ما لم يَطُلْ.

بابُ سجودِ السَّهْوِ

لا يُشْرَعُ لِعَمْدٍ، بل لِسَهْوٍ من زيادةٍ وَنقصٍ وشَكٍّ، فَيجِبُ لما يُبْطِلُ عَمْدُهُ، ولو شَكَّ في عددٍ بنى على اليقينِ، إلا الإمامَ فَعَلى غَلَبَةِ ظَنِّهِ، ولَو تَرَكَ رُكناً أتى به ما لم يَشْرَعْ فِي قراءَةِ الثانِيَةِ، فتبطل الركعةُ فقط.

ومحلُّهُ قبلَ السَّلامِ، إلا مَنْ سَلَّمَ عن نقصٍ، أو إمَامٌ عَمِلَ بِغَالِبِ ظَنِّهِ فَبَعْدَهُ.

بابُ صلاةِ التطوُّعِ

آكَدُهَا: الاستسقَاءُ، والكسوفُ، ثُمَّ الوترُ، بينَ صلاةِ العشاءِ والفجرِ، وأقلُّهُ ركعةٌ، وأكْثَرُهُ إحدَى عَشْرَةَ، مثنى مثنى، وأدنَى الكمالِ ثلاثٌ بِفَصْلٍ، ويقنُتُ بعدَ الرّكوعِ، بالمأثورِ[٥]، وفِي الفجرِ للنَّازِلَةِ.

---

(١) الحاقن هو الحابس لبوله. المطلع ص٨٦، والمصباح ١/ ١٤٤.

(٢) الحاقب هو من احتبس غائطه. المطلع ص٨٦، والمصباح ١/ ١٤٣.

(٣) التائق إلى الشيء هو من اشتاقت نفسه إليه. المصباح ١/ ٧٨.

(٤) التخصر هو وضع اليد على الخصر، قال الفيومي: الخصر من الإنسان وسطه، وهو المستدق فوق الوركين، والجمع خصور. المطلع ص٨٦، والمصباح ١/ ١٧٠.

(٥) ومن ذلك ما جاء في حديث الحسن بن علي ﵄ قال: علَّمني رسول الله ﷺ، كلمات أقولهن في الوتر: «**اللهمَّ اهدني في من هديت، وعافني في من عافيت، وتولني في من توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت**».
أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب القنوت في الوتر ٢/ ٦٣، والترمذي في أبواب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر ١/ ٢٨٩، وغيرهما.

ثُمَّ السُّنَنُ الرَّاتِبةُ عَشْرٌ، قَبْلَ الظهرِ، وَبَعْدَهَا، وَبَعْدَ المَغرِبِ والعشاءِ، وقَبْلَ الصبحِ، وهما أَفْضَلُ.

ثُمَّ التراويحُ، عشرونَ في رمضانَ، ثُمَّ صلاةُ الليلِ، وَسَطُهُ، ثُمَّ الشَّطْرُ الأخيرُ، ثُمَّ النهارُ في بيتِهِ، ثُمَّ مَسْجِدِهِ، قائماً، ثُمَّ قاعداً.

وأدنَى الضُّحَى ثنتان، وأكثرها ثمانٍ، إذَا عَلَتِ الشَّمسُ، إلى الزوالِ.

وَسُنَّ أربعَ عَشْرَةَ سَجْدَةً، لقارئٍ ومُسْتَمِعٍ؛ كالصلاةِ، بلا تَشَهُّدٍ.

ولا يَتَطَوَّعُ بَعْدَ الفجرِ إلى الارتفاعِ، وَبَعْدَ العصرِ إلى الغروبِ، وَعِنْدَ الاستواءِ إلى الزوالِ، إلا بِمَا لَهُ سَبَبٌ.

بابٌ

الجماعةُ واجبةٌ على الرِّجَالِ، لِلخَمْسِ، وفي مسجدٍ لا تُقَامُ إلا بحضورِهِ أَفْضَلُ، ثُمَّ الأكثرُ جماعةً، ثُمَّ العتيقُ، ثُمَّ الأَبْعَدُ، ثُمَّ البيتُ، ولا يَؤُمَّنَّ قَبْلَ راتبٍ بِغَيرِ إذنِهِ، إلا إن تأخرَ لِعُذرٍ، فإن لم يُعْلَمْ انْتُظِرَ وَرُوسِلَ، ما لم يُخْشَ خروجُ الوقتِ.

فإن صلَّى، ثُمَّ حَضَرَ جَماعةً أعادها مَعهُمْ، وَشَفَعَ المغربَ برابعةٍ، وتُعادُ في غيرِ الثلاثةِ مَسَاجِدَ.

وَلَو سَبَقَ إِمَامَهُ بِرُكنٍ، فَلَحِقَهُ فيه، أو رَفَع فأتى به مَعَهُ فَلا بأس، وَسْبقُهُ بركنينِ مُبْطِلٌ، وَنِيَّتُهُمَا عندَ التحريمِ شَرْطٌ، لكنْ إن أَحْرَمَ مُنفرداً، ثُمَّ نَوى الإمامةَ أو الائتمامَ، أو فَارَقَ إِمَامَهُ بلا عُذْرٍ، أو استُخْلِفَ، أو أَمَّ مسبوقاً فيما فاتهما لعذرٍ فَخِلافٌ[1].

وسُنَّ أن يُخَفِّفَ في تمامٍ، ويطيلَ الأولى، وانتظارُ داخلٍ في الركوعِ.

ويُكرهُ مَنْعُ المرأةِ مِنَ المسجدِ، وبَيتُها أفضلُ.

---

(١) ينظر هذا الخلاف في: الهداية لأبي الخطاب ١/ ٤٢، ٤٣، والإنصاف ٢/ ٢٩ وما بعدها.

فَصْلٌ

يُعذرُ في تَرْكِ الجمعةِ والجماعةِ: المريضُ، والخائفُ ضَياعَ مالِهِ، أو فَوتَهُ، أو موتَ قريبٍ، أو ضرراً يَلْحَقُهُ، كمطرٍ، وَوَحْلٍ، ونحوه.

بابُ الإمامةِ

أَحَقُّ الناسِ بها السّلطانُ، ثُمَّ رَبُّ البيتِ، ثُمَّ الرّاتبُ، ثُمَّ الأقرأُ، ثُمَّ الأفقهُ، ثُمَّ الأقدمُ سِنّاً، ثُمَّ سِلماً، ثُمَّ الأقدمُ هجرةً، ثُمَّ الأَشرَفُ، ثُمَّ الأتقى، ثُمَّ الحُرُّ، ثُمَّ البصيرُ، ثُمَّ الحاضرُ، ثُمَّ القارئُ.

ولا تصحُّ من كافرٍ، ونَجِسٍ، ومُحْدِثٍ، يعلمان ذلك، ولا من أُمِّيٍّ، وَأَرَتٍ[(١)]، وأَخْرَسَ، ومَنْ به عُذْرٌ مستمرٌ، ولا عاجزٍ عن ركنٍ أو شرطٍ، إلا بِمِثْلِهِم، ولا خُنثى وأُنثى إلا بأُنثى.

فَلو صَلَّى راتبٌ جالساً لعذرٍ يزولُ تابعوه، ولو طَرَأَ بها لم يجلسوا.

وإن أَمَّ صَبِيٌّ ببالغٍ، أو متَنَفِّلٌ بِمفتَرِضٍ، أو مَن يُؤَدِّي بمن يَقْضِي، أو من يصلي فرضاً بآخَرَ، أو أقلفٌ[(٢)]، أو فاسقٌ فروايتان[(٣)].

ويُكرهُ مِنْ فَأْفَاءٍ[(٤)]، أو تَمْتَامٍ[(٥)]، ولَحَّانٍ لا يحيلُ معنى، وبنساءٍ أجانبَ لا مَحْرَمَ أو رُجُلَ معهنَّ، وَقَومٍ يَكرهُونَهُ.

---

(١) قال الفيومي: الرُّتَّةُ بالضم حُبسةٌ في اللسان، وعن المُبَرِّد هي كالريح يمنع الكلام فإذا جاء شيء منه اتَّصَل، وقيل: إذا عرضت للشخص تتردد كلمته ويسبقه نَفَسُهُ، وقيل: يدغم في غير موضع الإدغام. المصباح ١/٢١٨.

(٢) الأقلف هو الذي لم يختن. المطلع ص٩٩.

(٣) وهما الصحة وعدمها، وانظر: هاتين الروايتين في: الهداية لأبي الخطاب ١/٤٣، ٤٥، والمحرر ١/١٠١، ١٠٣، والفروع ١/٥٩٠، والكافي ١/١٨٤، ١٨٥.

(٤) الفأفاء هو من يتردد في الفاء إذا تكلم. المطلع ص١٠٠.

(٥) التمتام هو الذي فيه تمتمة، وهو الذي يتردد في التاء. مختار الصحاح، مادة «تمم» ص٣٣، والمطلع ص١٠٠.

فَصْلٌ

يُسَنُّ وُقُوفُ الجماعةِ والمرأةِ خَلفَهُ، والواحدِ عن يمينهِ، وعن جانبيهِ جائزٌ، وأَمَامَهُ، وعن يَسْرَتِهِ، أو فذاً مُبْطِلٌ، ومن لم يقف مَعَهُ إلا كافرٌ، أو مُحْدِثٌ يَعْلَمُهُ، أو أُنثى، أو صَبِيٌّ فَهُوَ فَذٌّ، ويقومُ إمَامُ العُرَاةِ، والمرأةُ بالنِّساءِ وَسْطاً.

ويُقَدَّمُ الرَّجلُ، ثُمَّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ الخُنثىٰ، ثُمَّ المرأةُ، كتقديمِهِم إلى الإمامِ في الجَنَازَةِ، وإلى القِبلةِ في القبرِ.

بابُ صلاةِ أهلِ الأعْذارِ

مَنْ عَجَزَ عَنِ القيامِ، أو طَالَ مَرَضُهُ، أو لَحِقَهُ مَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ، صلَّى قاعداً، ثُمَّ على جَنْبٍ، ثُمَّ مستلقياً، إيْمَاءً، ثُمَّ بِطَرْفِهِ، ولو عَجَزَ عَنِ القراءةِ فَبِقَلبِهِ.

فَصْلٌ

وَمَنْ سَافَرَ لا لمعصِيَةٍ، سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً[(١)]، سُنَّ له قصرُ رُبَاعِيَّةٍ مُؤداةٍ إلى ركعتينِ، إذا جاوزَ السُّورَ، أو العُمرانَ، أو الخيامَ، ونَواهُ عندَ التَّحريمِ، ولو أَحْرَمَ مُقيماً ثُمَّ سَافَرَ، أو عَكَسَ، أو ائتمَّ بِمُقيمٍ، أو مشكوكٍ، أو نوى إقامةً أَكْثَرَ من إحدى وعشرينَ صلاةً، أو ذَكَرَ صلاةَ سفرٍ في حضرٍ، أو بِالعَكْسِ، أو مَلَّاحاً معه أهلُهُ ولا ينوي إقامةً في مَوضِعٍ، أو ذَكَرَ صلاةَ سفرٍ في آخَرَ أَتَمَّ، لا إن سَلَكَ البُعْدَى.

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل = ١٠٠٠ باع، والباع = ٤ أذرع شرعية، إذن الميل = ١٠٠٠ × ٤ = ٤٠٠٠ ذراع شرعية، والذراع الشرعي = ٤٦,٢ سنتيمتراً.
تعليق الخاروف على الإيضاح ص٧٦.
فقدر الميل بالمتر = ٤٠٠٠ × ٤٦,٢ = ١٨٤٨٠٠ ÷ ١٠٠ = ١٨٤٨ متراً.
ومسافة القصر حسب ما سبق = ٤٨ ميلاً، فقدرها بالكيلومتر = ٤٨ × ١٨٤٨ = ٨٨٧٠٤ ÷ ١٠٠٠ = ٨٨,٧٠٤ كيلو متر.

فَصْلٌ

يَجوزُ الجَمْعُ بَينَ: الظهرِ والعصرِ، والعشاءَينِ، في وقتِ إحداهُما، لسفرِ قَصْرٍ، وَمَرَضٍ يَشُقُّ، ومَطَرٍ يَبُلُّ، وَوَحْلٍ، وَعُذْرٍ يُبِيحُ تَرْكَ الجُمُعَةِ، فلو قَدَّمَ اشْتُرِطَ نِيَّتُهُ، والموالاةُ، لا قَدْرَ إقامةٍ ووُضوءٍ، وَوجودُ العذرِ عندَ افتتاحِهما، وإن أَخَّرَ فَنِيَّتُهُ، ما لَم يَضِقْ وَقتُ الأولى عَنْ فِعْلِهَا، واستمرارُ العذرِ إلى وَقتِ الثانيةِ.

بابُ صلاةِ الخوفِ

تَجُوزُ بكلِّ صِفَةٍ صَحَّتْ عن رسول الله ﷺ، فمنها: إذا كان عَدُوُّهُ في غير قبلةٍ، فَلتَحْرِسْ فِرْقَةٌ، وَيُصَلِّي بِأُخرى بركعةٍ، ثُمَّ تُتِمُّ، وتَذْهَبُ فَتَحْرِسُ، وتأتي تلك فيصلي بها الثانيةَ، ثُمَّ تُتِمُّ فَيُسَلِّمُ بها.

وإن كان قِبْلَةً، أَحْرَمَ بهم صَفَّين فسجدَ مَعَهُ المُقَدَّمُ، فإذا رَفَعَ، سَجَدَ الحَارِسُ، وَلَحِقَهُ، ثُمَّ تَعْكِسُ في الثانية، وسَلَّمَ بهم.

ولو صَلَّى بكلِّ صلاةً صَحَّ، كما لو أَتَمَّ وَقَصَرَتْ كلُّ فِرْقَةٍ خَلفَهُ، فإن اشتدَّ الخَوفُ، صَلَّوا رِجَالاً ورُكباناً، إلى القبلة وغيرها، يُومِئونَ إيماءً على قَدْرِ الطاقةِ.

بابُ صَلاةِ الجُمُعَةِ

وهي ركعتانِ على ذَكَرٍ، مُكَلَّفٍ، حُرٍّ، صحيحٍ، مقيمٍ، ليسَ أبعدَ من فَرْسَخٍ[1].

وشَرْطُهَا: الأبنيةُ، أو قريبُها، وحضورُ أربعينَ ممن تلزَمُهُ، وإذَا حَضَرَهَا مَنْ لا تَلزَمُهُ أَجزَأَتهُ، والمعذورُ تلزَمُهُ وتنعقدُ به، والوَقتُ، من أولِ السّادسةِ، إلى آخِرِ وَقْتِ الظهرِ، فإن فَاتَ، أو أدرَكَ أقلَّ من ركعةٍ، أو نَقَصَ العددُ قَبْلَ ركعةٍ أتَمُّوا ظهراً.

---

(١) تقدم بيان مقدار الفرسخ ص٧٠.

وَيُقَدِّمُ خُطبتين، يَجِبُ في كلٍّ حَمدُ اللهِ، والصلاةُ على محمد ﷺ، والوصيةُ بالتقوى، وقراءةُ آيةٍ، وحضورُ الأربعينَ.

فَصْلٌ

وسُنَّ لها التَّنظّفُ، والتّطيّبُ، ولبسُ بياضٍ، ماشياً بسكينةٍ، مبكراً، وخُطْبَتُهُ قائماً، على عُلُوٍّ، متوكئاً على شيءٍ، وَجُلُوسُهُ بَينَ الخُطبَتَيْنِ، وقَصدُهُ تلقاءَ وَجْهِهِ، وقِصَرُ خُطبتِهِ، وَطُوْلُ صَلاتِهِ، وَيُسَلِّمُ عليهم إذا صَعَدَ وَقَبْلَهُ، وجُلُوسُه للأذانِ، والدُّنوُّ مِنَ الإمام، وقراءةُ الكهفِ يومَها، والجُمُعَةِ في أوَّلَتِهَا، والمنافِقِينَ في الثانيةِ، والسجدةِ، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] في صُبْحِهَا، ويُوجِزُ الدَّاخلُ حالَ الخطبةِ بركعتينِ، ويحرُمُ الكلامُ، إلا للإمام، ومَنْ كلَّمَهُ، ويجوزُ أكثرُ من جُمعةٍ إن احتيجَ، وإلا فالأُوْلىٰ الصحيحةُ، ثُمَّ جُمُعَةُ الإمامِ، فإن جُهِلَتْ أو تساوتا بَطَلَتَا.

بابٌ

صلاةُ العيدِ، فَرْضُ كِفَايَةٍ، تَسْقُطُ بِفِعْلِ أَرْبَعِينَ، وتُسَنُّ في الصَّحْرَاءِ، إلا من عُذرٍ، وتعجيلُ الأَضْحَى، والإمساكُ حتى يُصَلِّيَ، عَكْسَ الفطرِ، وأولُ وَقْتِهَا إذا ارتفعت الشمس إلى الزوال.

فيخرج (فيصلي ركعتين)[١] على أحسنِ هيئةٍ، إلا المُعْتَكفَ ففي ثيابِ اعتكافِهِ، (يُكبِّرُ)[٢] في الأولى بَعْدَ استِفتاحِهِ ستاً، وفي الثانيةِ بَعْدَ الرَّفعِ خَمساً، يَرفَعُ يَدَيهِ مَعَ كُلٍّ، ويذكرُ اللهَ تعالى، ويُصلِّي على النَّبِيِّ ﷺ، وَتُدْرَكُ بتكبيرةٍ، وإن فاتتهُ سُنَّ له قضاؤها على صِفَتِهَا، ثُمَّ يَخْطُبُ ثنتينِ، يستفتحُ الأولى بتسعِ تكبيراتٍ والثانيةَ بسبعٍ، يَحُثُّهُمْ في الفطرِ على الصدقةِ، وفي الأضْحَى على الأُضْحِيَة، مبيناً أَمْرَهُما.

---

(١) ما بين القوسين من الهامش.

(٢) ما بين القوسين من الهامش.



وَيُسَنُّ التكبيرُ ليلتَي العيدينِ، وفي الأَضْحَى خَلفَ الفريضةِ جَماعةً، من فَجْرِ عَرَفَةَ إلى عصرِ آخرِ أيَّامِ التشريقِ، إلا المُحْرِمَ فمن ظُهْرِ النَّحرِ، وهو شَفْعٌ، والتكبيراتُ الزوائدُ والخطبتانِ سنةٌ، ولا يَتَنَفَّلُ قَبْلَهَا ولا بَعْدَهَا في مَوضِعِهَا.

بابٌ

صَلاةُ الاستسقاءِ سُنَّةٌ، وَصِفَتُهَا وأحكامُها كالعيدِ، وَيأمرُ بالتوبةِ وتَرْكِ الظلمِ، والصِّيامِ، والصّدقةِ، ثُمَّ يَخرجُ بهم ليومٍ يَعِدُهُم، ببِذْلَةٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَذَلُّلٍ وَتَضَرُّعٍ بلا طِيبٍ، فيصلي ركعتينِ، ثُمَّ يَخْطُبُ واحدةً، يُكْثِرُ فِيهَا الاستغفارَ، والدعاءَ، والمأثورُ أحسنُ، ثُمَّ يُحَوِّلُ رِدَاءَهُ، وَيُفْرَدُ أهلُ الذِّمَّةِ ناحيةً إن خرجوا، لا بيومٍ، وإن خِيفَ كثرةُ المياهِ قال: اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَينَا، رَبَّنَا ولا تُحَمِّلنَا ما لا طاقَةَ لنا به.

بابُ صلاةِ الكسوفِ

إذا كَسَفَتِ الشَّمسُ أو القمرُ، فَزِعُوا جَماعةً وَفُرَادَى، إلى صلاةِ ركعتينِ يَجْهَرُ فيهما، كُلُّ ركعةٍ بركوعين، يُطِيلُ الأُولى نَحوَ البقرةِ[١]، وَيُقَصِّرُ الثانيةَ يسيراً، وَيُنَادَى لها وللعيد: الصَّلاةُ جَامِعَةٌ.

وسُنَّ: الدّعاءُ، والصّدقةُ، والتّوبةُ.

وَيُصَلَّى لِزَلزَلةٍ دائِمَةٍ فَقَطْ.



---

(١) يعني قراءة سورة البقرة.

كِتابُ الجَنَائِزِ

تُسَنُّ عِيَادةُ المريضِ، وتذكيرُه التَّوْبةَ، والوصيَّةَ، وإذا نُزِلَ به بَلَّ حَلقَهُ، ولقَّنْهُ: لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، مرةً، فإن تَكَلَّمَ أعادَهُ بِلُطْفٍ، وَيَقْرَأُ ﴿يسٓ ۝١﴾، وَيُوَجِّهُهُ القبلةَ، فَإذَا قُبِضَ غَمَّضَهُ، وَشَدَّ لَحْيَيهِ، وَثَقَّلَ بَطْنَهُ.

فَصْلٌ

غَسْلُهُ، وَتَكْفِينُهُ، (وَالصَّلاةُ)[١] عَليهِ، وَدَفْنُهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وأَوْلَى النَّاسِ به وَصِيُّهُ، ثُمَّ أبوهُ، ثُمَّ جَدُّهُ، ثُمَّ أَقْرَبُ عَصَبَاتِهِ، والأُنثَى الأقربُ من نِسَائِهَا، إلا الصَّلاةَ فإنَّ الإمامَ أحقُّ بها بعد وَصِيِّهِ، ولكلِّ زَوجٍ غَسْلُ الآخَرِ، ولا يُغَسَّلُ شَهِيدُ مَعرَكَةِ كُفَّارٍ، إلا أن يكونَ جُنُباً، وَيُنَحَّى عَنهُ الجُلودُ، والحَديدُ، ويُزَمَّلُ في ثِيابهِ نَدْباً، ولا يُصَلَّى عليهِ، وَيُغَسَّلُ سِقْطُ الأربعةِ أَشهُرٍ، وَتُسْتَرُ عَورَتُهُ، ثُمَّ يَعْصِرُ بَطْنَهُ بِرِفْقٍ، وَيُنَجِّيهِ بِوَضْعِ خِرْقَةٍ على يدهِ، ولا يُسَرِّحُهُ، وَيَأخُذُ من شَارِبهِ وَظُفْرِهِ إنْ طَالَ، وَيُظَفَّرُ شَعْرُهَا ثَلاثَةَ قُرُونٍ وَيُسدَلُ مِن ورائِهَا.

وَيُسَنُّ إيتَارُ الغُسْلِ، بِسِدرٍ في الأُولَى، وكَافورٍ في الآخِرَةِ، وَمَنْ تَعذَّرَ غُسْلُهُ يُمِّمْ، وَتُجَمَّرُ أكفَانُهُ، وَيُذَرُّ الحَنُوطُ فيها، وَفِي مَغَابِنِهِ[٢] وَمَوَاضِعِ سُجُودِهِ، وإنْ خَرَجَ منه شَيءٌ غَسَلهُ وسَدَّهُ بِقُطْنٍ، ثُمَّ بِطِيْنٍ حُرٍّ[٣]، وإن لم يُنْقِ زادَ إلى سَبْعٍ، وَيُطَيَّبُ، إلا المُحْرِمَ فعلَى حَالَتِهِ، وَيُكَفَّنُ الذَّكَرُ فِي ثَلاثِ لفائفَ

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.
(٢) قال ابن المَبْرِد: والمغابن عيناهُ، وفمهُ، وأنفهُ، وأُذناهُ، وإبطاه. الدر النقي ٢/ ٣٠١.
(٣) الطين الحر؛ أي الخالص. المطلع ص١١٦.

بيضٍ، والأنثى بإزارٍ وخِمَارٍ وَقَمِيصٍ ولِفَافتينِ، والواجبُ سَتْرُهُ.

فَصْلٌ

في الصلاة يَقِفُ الإمَامُ عِنْدَ صَدْرِ الذَّكَرِ، ووسْطَ الأُنثَى، وَفَرْضُهَا: أن يُكَبِّرَ نَاوِيَاً، ثُمَّ يَقْرَأَ الحَمْدَ، ثُمَّ يُكَبِّرَ فَيُصَليَ على مُحَمَّدٍ ﷺ كالتَّشَهُّد، ثُمَّ يُكبِّرَ فَيَدعُوَ[1] لِلمَيِّتِ، ثُمَّ يُكَبِّرَ فَيُسَلِّمَ واحدةً عن يَمينِهِ، ويُصَلَّى على القَبرِ، وعَلَى الغَائِبِ بِالنيَّةِ إلى شَهْرٍ، ويَقْضِي ما فَاتَهُ، ولا يُصَلِّي الإمامُ عَلى غَالٍّ، وَلا قَاتِلٍ نَفْسَهُ.

فَصْلٌ

يُسَنُّ الإِسْرَاعُ بها، وَالتَّرْبِيعُ بِوَضعِ المُقَدَّمَةِ اليُسرَى عَلى كَتِفِهِ اليُمنَى إلى الرِّجْلِ، ثُمَّ اليُمنَى عَلى كَتِفِهِ اليُسرَى إلى الرِّجْلِ، وَالمُشَاةُ أَمَامَهَا، ولا يَجلِسُ حَتَّى تُوضَعَ، ولا يُقامُ لَهَا، ويُسَجَّى قَبْرُ الأُنثَى، وَيَجِبُ دَفْنُهُ مُسْتَقْبِلاً، وسُنَّ في لَحْدٍ، وَيُرفَعُ قِيدَ شِبْرٍ، مُسَنَّماً، ويُكرَهُ تَجْصِيصُهُ، والبِنَاءُ والوَطءُ عَلَيهِ، والاتِّكاءُ عَلَيهِ، وَلا يُدْخِلُهُ خَشَباً، ولا مَا مَسَّتهُ نارٌ، وَيُنْصَبُ عَلَيهِ اللَّبِنُ، وَيَحثُو[2] عَلَيهِ التُّرَابَ ثَلاثاً، ثُمَّ يُهَالُ التُّرَابُ.

وسُنَّ تَعزِيَةُ أَهلِهِ، وَجَعْلُ عَلامةٍ عَلى المُصَابِ[3]، وإِصْلاحُ طَعَامٍ لَهُم، لا هُمْ للناسِ، وللرِّجالِ زِيارةُ القبورِ، فيسَلِّمُ وَيدعُو[4] لَهُم، ويجوزُ بُكَاءٌ بِلا نَدْبٍ وَنَوْحٍ وَشَقٍّ، وأَيُّ قُرْبَةٍ فَعَلهَا وَجَعَلَ ثَوَابَهَا للمَيِّتِ المُسلِمِ نَفَعَتْهُ بِكَرَمِ اللهِ ورَحْمَتِهِ.

---

(١) جاءت في الأصل بألف بعد الواو والأولى بدون ألف.
(٢) في الأصل «يحثوا» بالألف والصواب بدونها.
(٣) هذا لا أصل له في الشرع وهو من استحسانات الفقهاء التي لا دليل عليها. والله أعلم.
(٤) في الأصل «يدعوا» بألف بعد الواو والأولى بدونها كما أثبتناه.

كِتَابُ الزَّكَاةِ

إنَّمَا تَجِبُ علَى حُرٍّ، مُسْلِمٍ، تَامِّ المُلكِ، في النَّعَمِ بشرطِ: الحَولِ، والنِّصَابِ، وَالسَّوْمِ أَكْثَرَ السَّنَةِ.

وَفِي عَرْضِ التجَارَةِ، والنَّقدينِ، لا حُليٍّ مُباحٍ مُعَدٌّ للاستعمالِ أو العَارِيَةِ، بِشَرطِ النِّصَابِ والحَولِ، ولِربحِ تِجارَةٍ ونِتَاجٍ حَولُ الأَصلِ.

وفي الحُبُوبِ كُلِّهَا، وكُلِّ ثَمَرٍ يُكَالُ ويُدَّخَرُ، بِشَرطِ النِّصَاب، فلو نَقَصَ أو أَبْدَلَهُ بغير جِنْسِهِ انقطعَ الحَولُ، لا إن فَرَّ مِنَ الزَّكَاةِ.

ويُزَكَّى الدَّينُ على مَليءٍ وَقتَ قَبْضِهِ، ويَمنَعُهَا الدَّينُ بِقَدْرِهِ، وَمَحَلُّهَا العَينُ، وعنه[1] الذِّمَّةُ، وَلَو مَاتَ أُخِذَتْ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَتَجِبُ عَلى الفَورِ، إن أمكَنَ الأداءُ، ولا تَسْقُطُ بِتَلَفِهِ.

بابُ زكاةِ الإبلِ

نِصَابُهَا خَمْسٌ، فَفِي كُلِّ خَمْسٍ إلى أربعٍ وعشرينَ: شاةٌ، (جَذَعَةُ ضَأنٍ لها)[2]، لها سِتَّةُ أشهر، أو ثَنِيَّةُ مَعْزٍ لها سَنَةٌ، ولا يُجزئُ بَعِيرٌ، ثُمَّ فِي كلِّ خَمسٍ وعشرِينَ بِنتُ مَخَاضٍ لها سَنَةٌ، فَإن عُدِمَتْ فابْنُ لَبونٍ، ثُمَّ فِي سِتٍّ وثلاثينَ بِنْتُ لَبونٍ، ولها سَنَتَانِ، ثُمَّ فِي سِتٍّ وَأربعينَ حِقَّةٌ، ولها ثَلاثُ سِنينَ، ثُمَّ في إحدَى وَسِتينَ جَذَعَةٌ ولها أربعُ سِنينَ، ثُمَّ في سِتٍّ وسبعينَ بنتا لبونٍ، ثُمَّ

---

(١) يعني الإمام أحمد ـ يرحمه الله ـ، وانظر هاتين الروايتين في: الفروع ٢/ ٣٤٣، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي ٢/ ٤٦٠، ٤٦١، والمغني ٤/ ١٤٠، والكافي ١/ ٣٧٥.

(٢) ما بين القوسين من الهامش.

في إحدى وتسعينَ حِقَّتَانِ إلى مائةٍ وعشرينَ، فَإِذَا زَادَتْ واحِدَةً فَفِيهَا ثَلاثُ بَنَاتِ لبونٍ، ثُمَّ فِي كُلِّ أربعينَ بِنْتُ لبونٍ، وفِي كُلِّ خَمسينَ حِقَّةٌ، فَلو فَقَدَ واجبَ إبلٍ، رَقَى سِناً وَأَخَذَ جُبْرَاناً، أو نَزَلَ وأَعْطَى هو شاتَينِ أو عشرينَ دِرهَماً.

بابُ زكاةِ البقرِ

يَجِبُ في كُلِّ ثلاثينَ تَبيعٌ أو تَبيعةٌ ولَهُ سَنَةٌ، وَفي كُلِّ أربعينَ مُسِنَّةٌ لها سنتانِ، ثُمَّ يتغيَّرُ الفرضُ من ستينَ بكلِّ عَشْرٍ، والجواميسُ نوعٌ مِنهُ.

بابُ زكاةِ الغنمِ

وَنِصَابُهَا أربعونَ، وفِيهَا شَاةٌ، ثُمَّ في مائةٍ وإحدى وعشرينَ شاتانِ، ثُمَّ في مائتينِ وواحدةٍ ثَلاثُ شِيَاهٍ، ثُمَّ في كلِّ مائةٍ شاةٌ، وَلا تُؤْخَذُ كَرِيمَةٌ[1]، وَلا لَئِيمَةٌ[2]، وَإِن كَانَ النِّصَابُ كُلُّهُ ذُكُوراً أجزَأَ ذَكَرٌ، أو صِغاراً فَصَغِيرةٌ، وَلا يُجزِئُ إلا جَذَعُ ضَأنٍ، له سِتَّةُ أشهرٍ، أو ثَنِيَّةُ مَعْزٍ.

والخُلْطَةُ تَجعلُ المالَينِ واحداً، إن اتَّحَدَ المُراحُ، والمَشْرَبُ، والمَحْلَبُ، والمَسْرَحُ، والرَّاعِي، والفَحْلُ، ولم يَنفَرِدَا في بعضِ الحَولِ، وَيَرجِعُ مَنْ أُخِذَ منه على خَليطِهِ بِقيمةِ حِصَّتِهِ، بقولِ المرْجُوعِ عليهِ، ولا يَرْجِعُ بِظُلْمٍ بلا تأويلٍ.

بابُ زَكَاةِ النَّقدَينِ

نِصَابُ الذهبِ عِشْرُونَ مِثْقَالاً، وَالفِضَّةِ مائتا دِرْهَمٍ، وفيهما رُبْعُ العُشْرِ، وَمَا زَادَ بِحِسَابِهِ، وَلَو شَكَّ فِي مَغْشُوشٍ سَبَكَهُ، أو اسْتَظْهَرَ بِزيادَةٍ.

---

(١) الكريمة هي الجامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن، أو جمال صورة، أو كثرة لحم أو صوف. المطلع ص١٢٦.

(٢) اللئيمة ضد الكريمة. المطلع ص١٢٦.

وفي الرِّكَازِ الخُمُسُ عِندَ حُصُولِهِ، وهو دِفْنُ الجاهليةِ، وفي المَعْدِنِ رُبْعُ عُشْرِ قِيْمَتِهِ، إن بَلَغَتْ نِصَاباً في الحالِ، سَواءٌ كان بِدَفْعَةٍ أو دَفَعَاتٍ، بِلا إِهْمَالٍ، واللهُ سُبحَانَهُ أعلَمُ.

بابُ زَكاةِ الحُبُوبِ والثَّمَرِ

نِصَابُهُ: ألفٌ وَسِتُّمِائَةِ رِطْلٍ عِرَاقِياً، جَافَّاً مُصَفًّى، وفيهِ العُشْرُ إن سُقِيَ بلا مُؤْنَةٍ، وإلا نِصْفُهُ، وما سُقِيَ بهما بِحِسَابِهِ، بِشَرطِ مُلكِهِ وقتَ الوجوبِ، وهو حِينَ اشتدادِ الحَبِّ وبُدُوِّ صَلاحِ الثَّمَرِ، وَيُقْبَلُ قَولُهُ فِي جَائِحَةٍ، وَيَسْتَقِرُّ بِجَعْلِهِ فِي البَيْدَرِ[1].

وسُنَّ الخَرْصُ، وَتَرْكُ الثُّلُثِ أو الرُّبُعِ لهُ، فإن أَبَى أَكَلَ بِقَدْرِهِ، وفي العَسَلِ العُشْرُ، وَنِصَابُهُ سِتُّمِائَةِ رِطْلٍ.

بابُ زكاةِ العُرُوضِ

تُقَوَّمُ آخِرَ الحَولِ بِالأَحَظِّ لِلمَسَاكِينِ، مِنْ عَينٍ أو وَرِقٍ، فإن بَلَغَتْ نِصَاباً أُخِذَ رُبْعُ عُشْرِهَا، بشَرطِ مُلكِهَا بِنِيَّةِ التِّجَارَةِ، ثُمَّ إن نَوَى القُنْيَة فلا، ثُمَّ لَو نَوَى التِّجَارَةَ استَأنفَ، وَيُضَمُّ أَحَدُ النَّقدَينِ إلى الآخَرِ، كَقِيمَةِ العُرُوضِ، وَثَمَرةِ العَامِ، ولا يُضَمُّ جِنْسٌ إلى غَيرِهِ.

بابُ زكاةِ الفطرِ

إنَّمَا تَجِبُ علَى مُسلِمٍ، تَلْزَمُهُ مُؤْنَةُ نَفْسِهِ، فَضَلَ عندهُ عن قُوْتِهِ وَقُوْتِ عِيَالِهِ يَومَ العِيدِ وَلَيلَتَهُ صَاعٌ، وتَلزَمُهُ فِطرَةُ مَنْ يَمُونُهُ بِقَدْرِهَا كَالمُبَعَّضِ، وَيُقَدِّمُ نَفْسَهُ، ثُمَّ امرَأَتَهُ، ثُمَّ رَقِيقَهُ، ثُمَّ وَلَدَهُ، ثُمَّ أُمَّهُ، ثُمَّ أَبَاهُ، ثُمَّ الأَقرَبَ، وَتُسَنُّ عَنِ الجَنِينِ.

---

(١) قال الفيومي: البَيْدَرُ هو المكان الذي تُداسُ فيه الحبوب. المصباح ١/٣٨.

وَتَجِبُ بِغُرُوبِ الشَّمسِ لَيلَةَ الفِطرِ، وَإخرَاجُها يومَ العيدِ جَائِزٌ، ومِنْ يَومينِ قَبْلَهُ، وَمِنْ قَبلِ صَلاتِهِ أَفضَلُ.

وَقَدرُهَا: صَاعٌ، خَمسَةُ أرطَالٍ وثُلثٌ بِالعِرَاقِيِّ، مِنْ بُرٍّ، وشَعيرٍ وَدَقِيقِهِمَا، وَتَمرٍ، وَزَبِيبٍ، فَإن عَدِمَهُ فَمِمَّا يُقتَاتُ، وَأَفْضَلُهَا التَّمْرُ، ثُمَّ الأَنْفَعُ.

بابُ إخرَاجِ الزَّكَاةِ

لا تَجُوزُ إلا بِنِيَّةٍ، لا إن قَهرَهُ الإمامُ، ولا تُنْقَلُ مَسَافَةَ القَصْرِ، إلا أن يُعْدَمَ مَنْ يَأخُذُهَا، وَيُعَجِّلُ إن كَمَلَ النِّصابُ عَن سَنَةٍ، وسُنَّ تَعْمِيمُ الأصنافِ الثَّمَانِيَةِ بِهَا، ويُجزئُ واحدٌ مِنهُم، وَهُم الفقراءُ، والمَسَاكِينُ، وَالعَامِلُونَ، والمُؤَلَّفَةُ قُلوبُهُمْ، وَالمُكَاتَبُونَ، وَالغَارِمُونَ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وابنُ السَّبِيلِ.

ولا يُجزئُ، وَلا يَحِلُّ لأَصْلِهِ وَفَرْعِهِ وَزَوجِهِ، وَبَنِي هَاشِمٍ، والمُطَّلِبِ، وغَنِيٍّ بِمالٍ، أو كَسْبٍ، أو زَوْجٍ، أو سَيِّدٍ، ولا مَن تَلزَمُهُ نَفَقَتُهُ بِخِلافِ التَّطَوُّعِ، وَالفَقيرُ مَنْ لا يَجِدُ بَعضَ كِفَايَتِهِ، والمِسكِينُ مَنْ يَجِدُ مُعْظَمَهَا، وَيُعْطَى العَامِلُ أُجرَتَهُ، وغَيرُه حَاجَتَهُ.



كِتَابُ الصِّيامِ

يَجِبُ برؤيةِ الهِلالِ، أو كَمَالِ شَعبَانَ، أو إحَالَةِ غَيْمٍ أو قَتَرٍ دُونَهُ لَيلَةَ الثَّلاثِينَ، وَإِنَّمَا يُقْبَلُ عَدْلٌ في رَمَضَانَ، وَرُؤْيَتُهُ نَهاراً للمُقْبِلَةِ، وَرُؤيَةُ بَلَدٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَمَنْ رَآهُ وَحْدَهُ صَامَ، عَكْسُ الفِطْرِ، وَيُؤْمَرُ بِهِ الصَّبِيُّ إنْ أَطَاقَهُ، وَلَو صَامُوا بِشَهَادَةِ اثنَينِ ثَلاثِينَ فَلَمْ يَرَوهُ أَفْطَرُوا.

فَصْلٌ

إنَّمَا يَجِبُ على مُسْلِمٍ، مُكَلَّفٍ، قَادِرٍ، وإِنَّمَا يَصِحُّ بِنِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ، لِكُلِّ يَومٍ، وَانْتِفَاءِ مُفَطِّرٍ، وهو: حَيضٌ ونِفَاسٌ، وَرِدَّةٌ، وتَعَمُّدُ ذَاكِرٍ قَيئَاً، أو جِمَاعَاً، أو اسْتِمْنَاءً، أو إنزَالاً بِتِكْرَارِ نَظَرٍ، أو وُصُولَ شَيءٍ مِنْ مَنْفَذٍ جَوفِهِ، لا غُبَارٌ وَنَحْوُهُ، وريقٌ مُعْتَادٌ، وحَجْمَاً واحْتِجَامَاً.

وَلَو أَكَلَ شَاكَّاً فِي الغُرُوبِ، لا الفَجْرِ، أو اعْتَقَدَهُ لَيلاً فَخَالَفَ قَضَى، ويَتَحَرَّى الأَسِيرُ، ويُجْزِئُه إن وافَقَهُ أو بَعْدَهُ.

فَصْلٌ

يُسَنُّ تَأخِيرُ سَحُورٍ، وَتَعْجِيلُ فِطْرٍ، عَلَى رُطَبٍ، ثُمَّ تَمرٍ، ثُمَّ ماءٍ، وَالذِّكْرُ عِنْدَهُ[1]، وَعَلى مُفْطِرٍ رَمَضَانَ بِجِمَاعٍ ولو مِرَاراً قَبلَ التَّكْفِيرِ القَضَاءُ، وَكَفَّارَةُ

---

(١) ومن ذلك ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أفطر يقول: **«ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله»**.

أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب القول عند الإفطار ٢/ ٣٠٦، وسكت عنه، والدارقطني في كتاب الصيام ٢/ ١٨٥، وقال ابن قدامة في المغني ٤/ ٤٣٨: «إسناده حسن».

الظِّهَارِ، وَغَيرُهُ يَقضِي فَقَطْ، وَعَلى مَنْ مَاتَ وَلم يَصُمْ مُدُّ طَعَامٍ لِكُلِّ يوم إنْ فَرَّطَ، وَلَوْ عَبَرَ رَمَضَانٌ آخَرُ قَبْلَ صَوْمِهِ لِغَيْرِ عُذرٍ قَضَى وَأَطْعَمَ، وَمَنْ مَاتَ وقَد نَذَرَ صَوماً، أو حَجّاً، أو اعْتِكَافاً فَعَلَهُ عَنْهُ وَلِيُّهُ.

بابُ صومِ التطوعِ

أَفْضَلُهُ صِيَامُ دَاوُدَ عليه السلام، صَومُ يَومٍ وَفِطْرُ يَومٍ، وَأَفْضَلُ (شَهْرٍ)[١] بَعدَ رَمَضَانَ المُحَرَّمُ، وسُنَّ صَومُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، والبِيضِ، وَعَرَفَةَ لِغَيرِ مَنْ بهَا، وَعَاشُورَاءَ، والاثنَينِ والخَمِيسِ، وَسِتَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ، وَلَيلَةُ القَدْرِ فِي العَشرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، والوِتْرُ آكَدُ، وَأَرْجَاهُ لَيلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَيَدعُو[٢] بِالعَفوِ.

فَصْلٌ

كُرِهَ إِفْرَادُ رَجَبٍ، والجُمُعَةِ، والسَّبْتِ، والشَّكِّ، وَالدَّهْرِ، وَكُلِّ يَومٍ يُعَظِّمُهُ الكُفَّارُ مَا لم يُوافِقْ عَادَةً، وَيَحْرُمُ صَومُ العِيدَينِ، وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ، لا لِمَنْ تَمَتَّعَ وَلم يَجِدْ هَدْياً.

وسُنَّ لِمَن تَطَوَّعَ بِعِبَادَةٍ إِتْمَامُهَا، إلا الحَجَّ والعُمْرَةَ، فَيَجِبُ إِتْمَامُهُمَا، وَقَضَاءُ فَاسِدِهِمَا، والفِطْرُ فِي الفَرْضِ لمَرَضٍ يَشُقُّ، وَسَفَرِ قَصْرٍ، وَخَوفِ حَامِلٍ أو مُرْضِعٍ على نَفْسِهِمَا فَتَقْضِي، وَعَلى وَلَدِهِمَا فَتَقْضِي وَتُطْعِمُ مِسْكِيناً لِكُلِّ يَومٍ، والهَرِمُ، وَمَنْ لا يُرْجَى بُرْؤُهُ يُطْعِمُ فَقَطْ، وَيَقضِي المُغْمَى عَليهِ، إلا المجنُونُ.



(١) ما بين القوسين من الهامش.

(٢) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

كِتَابُ الاعتِكَافِ

هوَ سُنَّةٌ، ولُزومُ المَسجِدِ للطاعةِ، وَيَجِبُ بِالنَّذرِ، وإنَّمَا يَصِحُّ بِنِيَّةٍ، وَمَسْجِدِ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ تَلزَمُهُ في مُدَّةِ اعتِكَافِهِ، وَمِنَ المَرأةِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ، سِوَى مَسْجِدِ بَيتِهَا، وَلَو نَذَرَ شَهْراً مُطْلقاً لَزِمَه مُتَتَابِعاً، وَالشُّرُوعُ قَبْلَ لَيْلَتِهِ.

وَيَبْطُلُ: بِرِدَّةٍ، وَسُكْرٍ، وَجِمَاعٍ، وإنْزَالٍ بِمُبَاشَرَةٍ، لا بِخُرُوجٍ لا بُدَّ مِنْهُ كَحَاجَتِهِ، وَوَاجِبٍ وَمَسنونٍ شَرَطَهُ، وَلَهُ السُّؤالُ عَنِ المَرِيضِ مَا لَمْ يَخْرُجْ[1]، وَيَشْتَغِلُ بِالقُرَبِ، وَيَجْتَنِبُ مَا لا يَعْنِيهُ، وَلَو نَذَرَهُ أو الصَّلاةَ في مَسْجِدٍ فَلَهُ فِعلُهُ في أَفْضَلَ مِنهُ، وأَفْضَلُهَا: الحَرَامُ، ثُمَّ المَدِينَةُ، ثُمَّ الأَقْصَى.



(١) أي ما لم يضطره السؤال للخروج من المسجد، فإن كان يترتب على السؤال خروج من المسجد فليس له ذلك.

كِتَابُ الحجِّ والعمرةِ

يَجِبَانِ على الفَورِ، مَرَّةً فِي العُمْرِ، على مُسْلم مُكَلَّفٍ حُرٍّ، مَلكَ زَادَاً وَرَاحِلةً، تَصلُحُ لمِثْلِهِ، فَاضِلَةً عَنْ حَاجَتِهِ مِنْ مَسْكَنٍ، وخَادِمٍ، ووَفَاءِ دَينٍ وكَفَّارَةٍ، دَائِمَةٍ لَهُ ولأهلِهِ، فَلو عَجَزَ لكِبَرٍ، أو مَرَضٍ مَأيُوسٍ أقَامَ مَنْ يَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ، مِن مَكَانِهِ، وَإِنْ مَاتَ قَبلهُ أُخْرِجَا عَنْهُ مِنْ رَأسِ مَالهِ، فَإِنْ لم يَفِ، أو زَاحَمَهُ دَينٌ فَبِحِصَّتِهِ مِنْ حَيثُ يَبْلُغُ.

وَيَصِحُّ مِنَ العَبْدِ وَلا يُجزِئُ، إِلَّا أنْ يُعْتَقَ بِعَرَفَةَ، وَفِي العُمْرَةِ قَبْل طَوَافِهَا، وَكَذَا الصَّبِيُّ، وَيُفْعَلُ عَنْهُ ما يَعْجِزُ عَنْهُ مِنْ إحرامٍ ونحوِهِ، أو لا يُنَافِيهِ مِنْ مُبَاحٍ، وَنَفَقَةُ حَجِّهِ وَكَفَّارَاتُهُ في مَالِهِ، لا في مَال وَلِيِّهِ عَلى الأصَحِّ[1].

وَتَزِيدُ المَرأةُ بِمَحْرَمٍ، وَهُو: زَوجُهَا، أو مَنْ تَحْرُمُ عَليهِ عَلى الأبَدِ بِنَسَبٍ، أو سَبَبٍ مُبَاحٍ، ويُجْزِئُ بِدُونِهِ، وَمِنْ غَيرِ مُسْتَطِيعٍ.

وَمَنْ لم يَحُجَّ عَنْ نَفْسِهِ لا يَحُجُّ عن غَيرِه، فَلو فَعَلَ وَقَعَ عَنْ نَفْسِهِ فِي الأصَحِّ[2].

---

(١) والرواية الثانية: أنها في مال وليه.
ينظر في هاتين الروايتين: الهداية لأبي الخطاب ١/ ٨٨، والمحرر ١/ ٢٣٤، والفروع ٣/ ٢١٦.

(٢) والرواية الثانية: يقع عن الغير.
وينظر في هاتين الروايتين: الهداية لأبي الخطاب ١/ ٨٩، والمغني ٥/ ٤٢، والمحرر ١/ ٢٣٦، والفروع ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨.

بابٌ

المواقيتُ، لأهَلِ المَدِينةِ: ذو الحُلَيْفَةِ[١]، وَلأهْلِ الشَّامِ، ومِصْرَ، والمغرِبِ: الجُحْفَةُ[٢]، ولليمنِ: يَلَمْلَمُ[٣]، وَلنَجْدٍ: قَرْنٌ[٤]، وللمَشْرِقِ: ذَاتُ عِرْقٍ، وَهَذِهِ المواقِيتُ لِمَنْ مَرَّ بهَا، أو حَاذَاهَا مِنْ غَيرِهِم، مُرِيداً للنُّسِكِ، أو مَكَّةَ لحَاجَةٍ لا تَتَكَرَّرُ، غَيْرَ قتالٍ مُبَاحٍ، وَمَنْ كَانَ دُونَ الميقَاتِ فَمِنْ مَوضِعِهِ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنهَا لِلحَجِّ، وَمِنَ الحِلِّ للعُمرةِ، فَإن تَجاوَزَهُ رَجَعَ إليهِ، فَإن أَحْرَمَ مِنْ مَوضعِه فَعَليهِ دَمٌ، وَلَو رَجَعَ مُحْرِماً إلَيهِ، والاخْتِيَارُ ألَّا يُحْرِمَ قَبلَ مِيقَاتِهِ، ولا قَبْلَ أَشْهُرِه، وَأَشْهُرُ الحجِّ: شَوَّالٌ، وذو القَعْدةِ، وعشرُ ذي الحِجَّةِ، فَإن فَعَلَ فَهُوَ مُحْرِمٌ.

بابُ الإحرامِ

مَنْ أرادَهُ اغتَسَل، وتَنَظَّفَ، وَتَطَيَّبَ، وتَجَرَّدَ عَنِ المَخِيطِ، وَلَبِسَ إزاراً وَرِدَاءً، وأَحْرَمَ عَقِيبَ مَكتُوبَةٍ أو نَفْلٍ، وهُو أنْ يَنْوِيَهُ بِقَلبهِ، قَائلاً بِلسَانِهِ: اللهُمَّ إنّي أُرِيدُ النّسُكَ الفُلانِيَّ، فَيَسِّرْهُ لِي، وتَقَبَّلهُ منّي، فَإن حَبَسَني حَابسٌ فَمَحِلِّي حَيثُ حَبَستَني، ويَنْوي نُسُكاً بعَينِهِ، وأفضَلُهَا التَمتُّعُ، وهُوَ أَنْ يُحْرِمَ بالعُمرةِ في

---

(١) قال البعلي: ذو الحُلَيفة بضم الحاء وفتح اللام موضع معروف مشهور بينه وبين المدينة ستة أميال، وقيل: سبعة. المطلع ص١٦٤.
ويسمى اليوم بـ«أبيار علي».

(٢) قال البعلي: الجُحفة بجيم مضمومة، ثم حاء مهملة ساكنة، قال صاحب «المطالع» هي قرية جامعة بها منبر على طريق المدينة من مكة، وهي على ستة أميال من البحر، وثماني مراحل من المدينة، وقيل: نحو سبع مراحل من المدينة، وثلاث من مكة. المطلع ص١٦٥. وهي الآن خراب.

(٣) قال البعلي: قال صاحب «المطالع» وهو جبل من جبال تهامة على ليلتين من مكة. المطلع ص١٦٦.

(٤) قال البعلي: قَرْن بسكون الرّاء بلا خلاف، قال صاحب «المطالع» وهي ميقات نجد على يوم وليلة من مكة. المطلع ص١٦٦. ويسمى اليوم بـ«السيل الكبير».

أشهرِ الحَجِّ، ثُمَّ يَحِلُّ، ثُمَّ يُحرمُ بالحَجِّ في عَامِهِ، ثُمَّ الإِفْرادُ، وهُو أنْ يُحْرِمَ بالحجِّ مفرِداً، ثُمَّ القِرَانُ، وهُو أنْ يُحْرِمَ بهِمَا، (أَو يُحْرِمَ بِالعُمرَةِ، ثُمَّ يُدْخِلَ عَلَيهَا الحَجَّ)، وسُنَّ لهُمَا جَعْلُهُ عُمْرَةً إنْ لم يَكُنْ مَعَهُمَا هَدْيٌ، والمُتَمتِّعَةُ إذا حَاضَتْ فَخَافتْ فَوْتَ الحَجِّ قَرَنَتْ.

فَإِذَا استَوى على راحِلتهِ لبَّى: لبَّيكَ اللهمَّ لبَّيكَ، لبيكَ لا شَريكَ لكَ لبيكَ، ويُسنُّ رَفْعُ صَوتِه بهَا، والمَرأةُ بِقدرِ ما تُسمِعُ رَفِيقتَهَا، يُلبّي إذا عَلا نَشَزاً، أو هَبَطَ وادياً، أو لَقِيَ رِفقَةً، وَدُبُرَ الصَّلاةِ، وإِقبَالَ الليلِ والنَّهارِ، أو تَغَيَّرَ حالٌ إلى حالٍ.

بابُ محظوراتِ الإحرامِ

يَحْرُمُ بالإحرامِ، لبسُ المَخِيطِ، والخُفّينِ، وَسَتْرُ الرَّأسِ، وَحَلْقُ الشَّعْرِ، ودَهْنُهُ، وقَلْمُ الظُّفْرِ، والطِّيبُ، لا اسْتِدَامَتُهُ في بَدَنِهِ، وَقَتْلُ صَيدِ بَرٍّ مَأكُولٍ، أو مُتَوَلِّدٍ مِنهُ، واصْطِيَادُهُ، أو مُعَاوَنَةٌ عَليهِ بِإشَارةٍ أو غَيرِهَا، والجِمَاعُ، ومُبَاشَرَةٌ بِشَهوةٍ، وَعَقْدُ النِّكاحِ، ولا فِديةَ فيهِ، وكَالرَّجُلِ المَرأَةُ، إلَّا فِي اللِّبَاسِ، وإِحْرَامُهَا في وجْهِهَا، فإنْ احْتَاجَتْ سَدَلَتْ، وتَجْتَنِبُ القُفَّازَينِ، وَالخَلخَالَ، ونَحْوَهُ، والإِثْمِدَ، ومَنِ اضْطُرَّ إلى مَحْظُورٍ فَعَلهُ وفَدَى، إلَّا السَّراوِيلَ والخُفّينِ، ولا فِدْيةَ فيهِ، كالصَّائِلِ ونَحوِهِ، والنِّكاحُ (لا خُلْعاً)[1].

بابُ الفديةِ

مَنْ حَلْقَ رأسَهُ خُيِّرَ بَيْنَ صِيَامِ ثلاثَةِ أيَّام، أو إطعامِ سِتَّةِ مَسَاكينَ، كُلُّ مِسكينٍ مُدٌّ بُرّاً، أو نصفُ صاعِ تَمراً، أو شَعِيراً، أو ذَبْحُ شاةٍ، وَكَذا تَغْطِيتُهُ، وتقليمُ أظفارِهِ، واللُّبْسُ، والطّيبُ، وَفي كُلِّ شَعْرةٍ أو ظُفْرٍ مُدٌّ، والثَّلاثُ كَالكُلِّ.

(١) هذا هو ظاهر ما في الأصل، ولم نطلع على قولٍ لأحدٍ من أهل العلم بأن الخلع من المحظورات، فلعل فيه تصحيف والله أعلم.

وإنْ قَتَلَ صَيداً فَدَاهُ بِمِثْلِه نَعَماً، بِقَولِ الصَّحَابةِ، وإلَّا عَدْلينِ، أو قَوَّمَهُ بِنَقدٍ واشترى به طَعَاماً، لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ، أو يَصومُ عَنْ كلِّ مُدٍّ يَومَاً.

فَصْلٌ

وَيَجبُ على المُتمتّعِ والقَارنِ دمٌ، إنْ لم يَكُونَا من حَاضِرِي مَكَّةَ، فَمن لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثةِ أيامٍ فِي الحَجِّ، وسَبعةٍ إذَا رَجَعَ، وكَذا مَنْ وَطِئَ فَتَجِبُ بهِ بَدَنَةٌ فِي الحَجِّ، وَشَاةٌ فِي العُمْرَةِ، وفِعْلُهُ قَبْلَ التّحَلُّلِ الأولِ مُفْسِدٌ، ويَمضِي فيهِ ويَقْضِي مِنْ قَابلٍ، وبَعْدَ التَحلُّلِ الأَولِ يُحْرِمُ مِنَ الحِلِّ، وعَليهِ شَاةٌ، ومَنْ بَاشَرَ فَأنْزَلَ فَعَلَيهِ بَدَنةٌ، وإلَّا شَاةٌ، كَمَنْ كرَّرَ نَظَراً فأنزَل، أو اسْتَمْنَى.

وَمَنْ كَرَّرَ مَحظُوراً مِنْ جِنسٍ غَيرِ قَتْلِ الصَّيدِ قَبْلَ أَنْ يُكَفِّرَ فَكَفَّارَةٌ، وإلَّا كَفَّارَتَينِ كالجِنْسَينِ.

وكُلُّ هَدْيٍ أو إطعامٍ لمسَاكِينِ الحَرَمِ، إلَّا فِدْيَةُ الأذى والإِحْصَارِ فَحيثُ وُجِدَا.

بابُ جَزَاءِ الصَّيدِ

يَجِبُ المِثْلُ فِي المِثْلِيِّ، فَقَضَتِ الصَّحابَةُ فِي النَّعامَة بِبَدَنَةٍ، وحِمارِ الوَحْشِ، وبَقَرِهِ، والإيَّلِ[1]، والثَّيْتَلِ[2]، والوَعِلِ[3] بِبَقَرَةٍ، والضَّبُعِ بِكَبْشٍ، والغَزَالِ، والثَّعْلبِ بِعَنْزٍ، وَالوَبْرِ[4]، والضَّبِّ بِجَدْيٍ، والأَرْنَبِ بِعَنَاقٍ، والحَمَامِ

---

(١) الإيَّل بكسر الهمزة وتشديد الياء مفتوحة؛ الذكر من الأوعال. المطلع ص١٧٩.

(٢) الثَّيْتَل بفتح الثاء وتسكين الياء وفتح التاء؛ الوعل المسن، وقيل: الوعل عامة، وقيل: ذكر الأروى وجنس من بقر الوحش. المطلع ص١٧٩.

(٣) الوعل هو تيس الجبل، وجمعه وعول، ففيه ثلاث لغات: فتح أوله وكسر ثانيه، إسكانه، وضم أوله وكسر ثانيه. المطلع ص١٧٩، ١٨٠.

(٤) الوبر بسكون الباء، والأنثى وبرة، وهي دويَّبة أصغر من السنور طحلاء اللون ـ أي كلون الرماد ـ لا ذنب لها ترجن في البيوت. المطلع ص١٨٠، ١٨١.

بِشَاةٍ، وَفِيمَا لا مِثْلَ لهُ قيمَتُهُ، وَفِي الجُزْءِ بِقِسْطِهِ، والإعَانَةُ شَرِكَةٌ، وعَلى الشُّرَكَاءِ جَزَاءٌ، وصَيدُ الحرمِ كالإحْرامِ.

ويَحْرُمُ قَلْعُ شَجَرَةٍ، لا يَابِسٍ، وإِذْخِرٍ[1]، ومَا زَرَعَهُ آدميٌّ، وتُضْمَنُ الكَبِيرةُ بِبَقَرةٍ، والصَّغِيرةُ بِشَاةٍ، والغُصْنُ بِما نَقَصَ، والحَشِيشُ الرَّطبُ بِقِيمتِه.

ويَحْرُمُ صَيدُ المَدينةِ، بِلا فِدْيةٍ، وَحَشِيشُهَا وشَجَرُهَا بِلا حَاجةٍ.

بابُ دُخُولِ مَكَّة

سُنَّ مِنْ أَعَلاهَا مِنْ ثَنِيَّةِ كَدَا، ثُمَّ يَدخُلُ المَسجدَ مِنْ بابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَإِذَا رَأى البَيتَ رَفَعَ يَدَيهِ وكَبَّرَ ودَعَا، ثُمَّ يَبْتَدِئُ مِنَ الحَجرِ الأسودِ بِطَوافِ العُمْرةِ المُعْتَمِرُ، وبالقُدُومِ غَيرُهُ، مُضْطَبِعاً بِرِدَائِهِ، وَسَطَهُ تَحْتَ عَاتِقِهِ الأيْمَنِ، وَطَرَفَيْهِ عَلَى الأَيسَرِ، فَيُحَاذِي الحَجَرَ بِبَدنِهِ، وَيَسْتَلِمُهُ، ويُقَبِّلُهُ، فَإِن شَقَّ قبَّلَ يَدَهُ، أَو أَشَارَ إليهِ، ثُمَّ يأخذُ عَلَى يَمِينِهِ، ويَجْعَلُ البيتَ عَلَى يَسارِهِ، فَإِذَا أَتَى اليَمَانِيَّ استَلَمَهُ، وقبَّلَ يَدَهُ، فَيَطوفُ سَبْعَاً، يَرْمُلُ في الثَّلاثةِ الأُوَلِ، وهو إسراعُ المَشْيِ[2]، ويَقُولُ كُلَّمَا حَاذَى الأسودَ والرُّكْنَ: اللهُ أكبرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وبينَ الركنَينِ: ربنَا آتنا في الدُّنيَا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النارِ، ويَدعُو[3] بِمَا أَحَبَّ، وَلَا رَمَلَ عَلى امرأةٍ، وأَهلِ مَكَّةَ، ولا اضطِبَاعَ، ولَا عَلَى الرَّجُلِ فِي غَيرِ هذَا، ويَكُونُ طَاهِراً مُستَتِراً.

فَصْلٌ

ثُمَّ يُصَلّي رَكْعَتَينِ، خَلْفَ المَقَامِ، ثُمَّ يَعُودُ إلى الحَجَرِ فَيَستَلِمُهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إلى الصَّفَا مِنْ بابِهِ، فَيَرْقَى عَليهِ، ويُكَبِّرُ ويَحْمَدُ، ثُمَّ يَنْزِلُ ويَمشِي حَتَى يَأتِيَ

---

(١) الأذخر بسكون الهمزة والخاء نبت طيب الرائحة، الواحدة إذْخِرَةٌ. المطلع ص١٨٣.
(٢) مع تقارب الخُطَا، (من غير وثبٍ». المقنع ص٧٨.
(٣) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

العَلَمَ، فَيَسْعى إلى العَلَمِ الآخَرِ، ثُمَّ يَمشِي إلى المَرْوَةِ، فَيَفْعَلُ عليهَا كالصَّفا، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَى الصَّفا، يَفعلُ ذلك سَبعاً، يَفْتتحُ بالصّفا ويَختِمُ بالمروةِ، ذَهَابُهُ سَعْيَةٌ، وَرُجُوعُهُ سَعْيَةٌ، ثُمَّ إنْ كَان في الحجِّ بَقِيَ على إحرامِهِ، وإنْ كَانَ مُعتَمراً قَصَّرَ وحَلَّ، إلَّا مُتَمَتِّعاً مَعَهُ هَدْيٌ فَلا يَحِلُّ حَتى يَحُجَّ، ويَقْطعُ المُتَمَتِّعُ التلبيَةَ إذا وَصَلَ البَيتَ.

بابُ صِفَةِ الحَجِّ

مَنْ كَانَ مُحِلّاً بِمَكَّةَ مِنْ مُعْتَمرٍ وَغَيرِهِ، فَلْيُحْرِمْ بالحجِّ يَومَ التَّرْوِيَةِ ثامِنَ الحِجَّةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إلىَ مِنىً، فَيُصلّي بها الظّهرَ والعَصْرَ ويَبيتُ بهَا، فَإذا طَلعَتِ الشَّمْسُ سَارَ إلى عَرَفَةَ، فَأَقَامَ بِنَمِرةَ[١]، فَإذا زَالتِ الشَّمْسُ خَطَبَ الإِمَامُ، وصَلَّى بهم الظُّهرَ والعَصرَ جَمْعَاً، ثُمَّ رَاحَ إلَى المَوقِفِ، وهُوَ عَرَفَةُ كلُّهَا إلَّا بَطْنَ عُرَنَةَ[٢]، وَوَقْتُ الوقوفِ مِنْ طُلوعِ فَجْرِ عَرفةَ إلى فَجْرِ النَّحْرِ، فَمَنْ حَصَلَ بهَا وهُوَ عَاقِلٌ (صحّ)[٣] حَجُّهُ، وعِندَ الصَّخَراتِ، وجَبَلِ الرَّحْمَةِ، ورَاكِباً أفضلُ، ويُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ، وذِكرِ اللهِ ﷻ.

فَإذَا غَربتِ الشَّمْسُ دَفَعَ إلى مُزْدَلِفَةَ، بِسكينةٍ، مُلبِّياً، ذَاكِراً، فَيجمَعُ بهَا العِشَاءين، قَبلَ حَطِّ الرِّحَالِ، ويَبيتُ بهَا، فَيُصَلّي الصُبحَ، ثُمَّ يَأتِي المَشْعرَ الحَرَامَ، فَيَدعُو[٤] إلى أنْ يُسْفِرَ، ثُمَّ يَدفَعُ، فَإذَا بَلَغَ مُحَسِّراً[٥] أَسْرعَ، رَميَةَ

(١) قال البعلي: نَمِرة بفتح النون وكسر الميم بعدها راء موضع بعرفة، قال الأزرقي: هو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من مأزمي عرفة. المطلع ص١٩٥.

(٢) قال البعلي وابن عبد الهادي: بطن عُرنَة هو بطن الوادي الذي يقال له: مسجد عرفة، وهي مسايل يسيل فيها الماء إذا كان المطر، فيقال لها الجِبَال، وهي ثلاثة أقصاها مما يلي الموقف. المطلع ص١٩٦، والدر النقي ٢/ ٤٢٤.

(٣) ما بين القوسين من الهامش.

(٤) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والصواب حذفها كما فعلنا.

(٥) قال البعلي: مُحَسِّر بضم الميم وفتح الحاء بعدها سين مهملة مشددة مكسورة بعدها =

حَجَرٍ، وأَخَذَ حَصَى الجِمَارِ، فَوقَ الحمُّصِ ودُونَ البُنْدُقِ، سَبْعُونَ، فَإذَا وَصَلَ مِنَىً بَدَأ بِجَمرةِ العَقَبةِ، فَرَمَاهَا بِسبعِ حَصَيَاتٍ مُكَبِّراً رَافِعاً يَدَيهِ مُسْتَقْبِلاً، ولا يُجْزِئُ غَيرُ الحَصَى، وَيَقْطَعُ التَّلبِيَةَ مَعَ ابْتِدائِهِ، ثُمَّ إنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ نَحَرَهُ، وحَلَقَ الرَّجلُ أَو قَصَّر، مِنْ جَمِيعِ شَعْرِهِ، كالمَرأةِ، ثُمَّ قَدْ حَلَّ لَهُ كُلُّ شَيءٍ، غَيرَ النِّسَاءِ، ثُمَّ يُفِيضُ إلى مَكَّةَ، فَيَطُوفُ للزِّيَارةِ، وَبِهِ تمَامُ الحَجِّ، وأَوَّلُ وَقتِهِ بَعْدَ نِصْفِ لَيلَةِ النّحرِ، ثُمَّ يَسْعَى المُتَمَتِّعُ مُطْلَقاً، وَغَيرُهُ إنْ لَمْ يَكُنْ سَعَى عِنْدَ طَوَافِ قُدُومِهِ، ثُمَّ قَدْ حَلَّ لَهُ كلُّ شَيءٍ، ثُمَّ يَشْرَبُ مِنْ زَمْزَمَ، مُتَضَلِّعاً، وَيَدعُو[1] بالمأثورِ[2].

فَصْلٌ

ثُمَّ يَرْجِعُ إلى مِنَىً، فَيَبِيتُ بهَا، فَيَرْمِي الجَمَراتِ ثَلاثةَ أَيامِ التَّشريقِ بَعْدَ الزَّوالِ، كلُّ جَمرةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يَبْدَأُ بالأُولَى وَتَلِي مَسجِدَ الخَيفِ، ثُمَّ بِالوُسْطَى، ويَقِفُ عِنْدَهُمَا، ويَدْعُو[3] طَوِيلاً، لا عِنْدَ الثَّالِثَةِ، وَلَيسَ عَلَى الرُّعَاةِ وَالسُّقاةِ مَبِيتٌ، إلا مَنْ غَرَبَتِ الشَّمْس وَهُوَ بهَا، فَيَلزَمُ الرُّعَاةَ فَقَطْ، فَمَنْ أَحَبَّ تَعَجَّلَ فِي يَومَين، فَإنْ غَرَبَتْ شَمْسُ الثَّانِي وَهوَ بهَا لَزِمَهُ المَبِيتُ، والرَّميُ مِن غَدٍ، فَإذَا أَتَى مَكَّةَ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يُوَدِّعَ البَيتَ بِطَوَافٍ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ كُلِّ أُمُورِهِ، فَيَدْعُو[4] بِمَا أَحَبَّ مِنْ خَيرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَلا وَدَاعَ عَلَى حَائِضٍ ولا نُفَسَاءَ، فَإنْ خَرَجَ قَبْلَهُ رَجَعَ إنْ قَرُبَ، وَإلا بَعَثَ بِدَمٍ.

= راء كذا قيده البكري، وهو وادٍ، بين مزدلفة ومنى، وقيل: سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حَسَّرَ فيه، أي: أعيا. المطلع ص١٩٦، ١٩٧.

(١) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

(٢) ذكر ابن قدامة في المغني ٥/٣١٩ أنه يقول عند الشرب: بسم الله، اللّهم اجعله لنا علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، ورِيّاً وشبعاً، وشفاء من كل داء، واغسل به قلبي، وأملأه من حكمتك.

(٣) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

(٤) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

بابُ صِفَةِ العُمرَةِ

وَصِفَتُهَا: أنْ يُحْرِمَ مِنَ الحِلِّ، ثُمَّ يَطُوفَ بِالبَيْتِ وَيَسْعَى، ثُمَّ يَحْلِقَ أو يُقَصِّرَ، ثُمَّ قَدْ حَلَّ، وَيُسَنُّ لِمِنْ لا شَعرَ لهُ إمْرَارُ المُوسَى عَلَى رَأْسِهِ.

وَأَرْكَانُ الحَجِّ: الوُقُوفُ، وَطَوَافُ الزِّيَارَةِ، والإحْرَامُ، وَالسَّعْيُ.

وَوَاجِبُهُ: الإحْرَامُ مِنَ المِيقَاتِ، والوُقُوفُ إلَى الليلِ، وَالمَبِيتُ بِمُزْدَلِفَةَ، إلَى مَا بَعْدِ نِصفِ الليلِ، وَالمَبِيتُ بِمِنَىً، والرَّمْيُ، والحَلقُ، وطوافُ الوداعِ، وغيرُ ذلك سُنَّةٌ.

وأركانُ العُمْرَةِ: الطّوافُ، والإحرامُ، والسّعيُ في روايةٍ[(١)]، وواجبُهَا: الحلقُ في روايةٍ[(٢)].

فَمَنْ تَرَكَ رُكناً لم يَتِمَّ نُسُكُهُ إلَّا بهِ، أو واجباً جَبَرَهُ بِدَمٍ، ولا شيءَ في السُّنةِ.

بابُ الفَوَاتِ

مَنْ طَلَعَ عليهِ فَجْرُ النّحرِ ولم يَقِفْ بِعرَفَةَ فاتَهُ الحجُّ، وتَحلَّلَ بطوافٍ وسَعْيٍ، وإنْ أخطأَ الناسُ يومَ عرفةَ أجْزَأَ، إنْ قَرُبَ، وإنْ أَخْطَأَ بعضُهم فَاتَهُ الحجُّ.

والمُحْصَرُ بَعَدُوٍّ أو مَرَضٍ ونحوِهِ يَنْحَرُ هدْياً ويَحِلُّ، فإنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ عَشرَةَ أيّامٍ ثُمَّ حَلَّ، ومَنْ صُدَّ عَنْ عَرَفَةَ فَقَطْ تَحَلَّلَ بِعُمْرةٍ، وَلا شَيءَ عَلَيهِ، وَمَنِ اشتَرَطَ أن مَحِلَّهُ حيثُ أُحْصِرَ تحلَّلَ بلا شيءٍ.

---

(١) والرواية الثانية أن السعي من واجباتها.
تنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ١/١٠٦، والمحرر ١/٢٤٤، والمقنع ص٨٣.

(٢) والرواية الثانية أن الحلق والتقصير لا يجب في العمرة.
تنظر هاتان الروايتان في: المحرر ١/٢٤٥، والمقنع ص٨٣.

كتابُ البَيْعِ

وَهُوَ مُعَاوَضَةُ المَالِ بِالمَالِ لِغَرَضِ التَّمَلُّكِ، ويصِحُّ بِإِيْجَابٍ وقبولٍ: بِعْتُكَ، واشْتَرَيْتُ، وَنَحْوِهِ، وبالمُعَاطَاةِ، نَحْو: أَعْطِنِي بِهَذَا، فيُعْطِيهِ مَا يُرضيهِ.

وَلَهُ شُرُوطٌ، أن يَتَرَاضَيَا بهِ، فَلَو أُكْرِهَ بِغَيرِ حَقٍّ لَمْ يَصِحَّ، وَأَنْ يَكُونَ العَاقِدُ مُكَلَّفاً رَشِيداً، لَكِنْ يَصِحُّ مِنَ السَّفِيهِ بِإِذْنِ وَلِيِّهِ، وَبِغَيرِ إِذنِهِ في اليَسِيرِ، وأَنْ يَكُونَ مَالاً مَنْفعتُهُ مُبَاحَةٌ لِغَيرِ حَاجَةٍ، مَمْلُوكاً لِلعَاقِدِ أو مَأذُوناً فِيهِ، مَقْدُوراً عَلَيهِ، مَعْلُوماً بِرُؤيَةٍ، أَو صِفَةٍ، بِثَمَنٍ مَعْلُومٍ.

وَيَصِحُّ بَيعُ الجَوزِ واللَّوزِ فِي قِشْرَيهِ، وما مَأكُولُهُ في جَوفِهِ، لا بَيعُ عَصِيرٍ لِمَنْ يُخمِّرُهُ، أو سِلاحٍ فِي فتْنَةٍ، أو لِحَرْبِيٍّ، أو مَنْ تَلزَمُهُ الجُمُعَةُ بَعْدَ نِدَائِهَا، ولا يَصحُّ بَيعُهُ عَلى بَيعِ أخِيهِ، وَلا شِرَاؤُهُ عَلى شِرَائِهِ، ولا الصُّبْرَةُ[1] إلَّا قَفِيزاً[2]، والحَيَوَانُ إلَّا حَمْلَهُ أو شَحْمَهُ، وَلا بَيعُ حَصَاةٍ[3]،

---

(١) قال البعلي: الصُّبْرة من الطعام وغيره: هي الكومة المجموعة، وقيل: سميت بذلك لإفراغ بعضها على بعض، يقال: صبرتُ المتاعَ وغيره إذا جمعت وضممت بعضه إلى بعض. المطلع ص٢٣٨.

(٢) قال البعلي: القفيز مكيال، وجمعه أقفزة وقُفزان بضم القاف، قال الإمام أحمد: قدر القفيز صاع قدره ثمانية أرطال، وقال أبو بكر: قد قيل: إن قدره ثمانون رطلاً، وقال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، والصاع: خمسة أرطال وثلث. المطلع ص٢١٨.

(٣) قال ابن قدامة: واختلف في تفسيره، فقيل: هو أن يقول: ارم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم، وقيل: هو أن يقول: بعتك من هذه الأرض مقدار ما تبلغ هذه الحصاة إذا رَمَيْتَها بكذا، وقيل: هو أن يقول: بعتك هذا بكذا على أني متى رميتُ هذه الحصاة وجب البيع، ثم قال: وكل هذه البيوع فاسدة لما فيها من الغرر والجهل. المغني ٦/٢٩٨.

وَمُنَابَذَةٍ[١]، وَمَا فِيه غَرَرٌ[٢]، وَلا عَبْدٌ مُسْلِمٌ لِكَافِرٍ، ولا مَكِيلٌ أو مَوزُونٌ قَبْلَ قَبْضِهِ، ولا شِرَاءُ سِلعَةٍ بَاعَهَا نَسِيئَةً وَلَم تَتَغَيَّرْ بِأَقَلَّ مِمَّا بَاعَهَا نَقْدَاً، وَإِنْ بَاعَ مَا يَجْرِي فيهِ الرِّبَا نَسِيئَةً لم يَجُزْ أَنْ يَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ قَبْلَ قَبْضِهِ ما لا يَجُوزُ بَيعُهُ بِهِ نَسِيئَةً.

بابُ الخِيَارِ

يَثْبُتُ لَهُمَا فِي المجْلِسِ، وَمُدَّةٌ مَعْلُومَةٌ شَرَطَاهَا، وَخِيَارُ الغَبْنِ، والتَّدْلِيسِ، وَيُرَدُّ مَعَ المُصَرَّاةِ عِوَضَ اللبَنِ صَاعُ تَمْرٍ، ويُخَيَّرُ فِي المَعِيبِ، إنْ لَمْ يَعْلَمْهُ وَقْتَ العَقْدِ، بَينَ الرَّدِّ والإمْسَاكِ مَعَ الأَرْشِ[٣]، وَلَو تَعَذَّرَ الرّدُّ فَلَهُ الأَرْشُ.

وَكُلُّ شَرْطٍ مِنْ مُقْتَضَى العَقْدِ أَو مِنْ مَصْلَحَتِهِ، كَصِفَةٍ فِي الثّمَنِ، أو المُثْمَنِ، صَحِيحٌ، وَيَفْسَخُ بِفواتِهِ، وَإِنْ عَلَّقَ البَيعَ، أو شَرَطَ عَقْدَاً آخَرَ، أو رَهْنَاً مُحَرَّمَاً أو مَجْهُولاً أو مَا يُنَافِي العَقدَ، فَبَاطِلٌ، وفِي العَقْدِ رِوَايَةٌ[٤]، وَيَصِحُّ شَرْطُ نَفعِ البَائِعِ فِي المَبِيعِ، كَحَمْلِ الحَطَبِ، وجَزِّ الرَّطْبَةِ[٥]، كَشَرطِ البَائِعِ نَفْعَ

---

(١) قال ابن قدامة: والمنابذة أن يقول: أي ثوب نبذته إليَّ فقد اشتريتُهُ بكذا. المغني ٦/ ٢٦٨.

(٢) هنا في الأصل عبارة: «ولا السلاح في الفتنة أو لأهل الحرب» لكن لفظ «السلاح» مشطوبة، وقد تقدم ما هو في معناها فحذفناها.

(٣) قال البعلي وابن عبد الهادي: الأرْش بفتح الهمزة وسكون الراء، قال أبو السعادات: وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأُروش الجنايات والجراحات من ذلك، لأنها جابرة عما حصل فيها من النقص. المطلع ص٢٣٧، والدر النقي ٢/ ٤٦٥.

(٤) يعني بالبطلان، والثانية الصحة.
انظر: هاتين الروايتين في: الفروع ٤/ ٦٢، والمقنع ص١٠٢.

(٥) قال البعلي: الرَّطْبة بفتح الراء وسكون الطاء: نبت معروف يقيم في الأرض سنين كلما جُزَّ نبت، وهي القضب ـ أيضاً ـ، وهي الفصفصة. المطلع ص٢٣٣. وهي ما يسمى اليوم بالبرسيم.

المَبِيعِ مُدَّةً تُعْلَمُ، وَلا يَصِحُّ جَمْعُ شَرْطَينِ مِنْ ذَلِكَ، وَيَصِحُّ بَيعُ العَرَبُونِ[١].

وَمَتَى اخْتَلَفَا فِي قَدْرِ الثَّمَنِ تَحَالَفَا، وتَفَاسَخَا، وَيُبْدَأُ بِيَمِينِ البَائِعِ، وَإِنْ أَخْبَرَ بِثَمَن المبيعِ فَزَادَ رَجَعَ عَلَيهِ بالزِّيَادَةِ، وحَطِّهَا مِنَ الرِّبحِ، أو النَّقْصِ فِي المواضَعةِ، وَإِنْ غَلِطَ عَلَى نَفْسِهِ خُيِّرَ المشْتَرِي بَينَ الرّدِّ وإِعْطَائِهِ مَا غَلِطَهُ، وَمَتَى اشْتَرَاهُ مُؤَجّلاً، أو مِمَّنْ تُردُّ شَهَادَتُهُ لَهُ، أو بَاعَهُ بَعْضَ صَفْقَةٍ لا يَنْقَسِمُ ثَمَنُهَا عَلَيهَا بِالأجْزَاءِ، ولَمْ يُبَيِّنْه وَقْتَ تَخْبِيرِه بِالثَّمَنِ، فَلِلمُشتَرِي الخِيارُ.

بابُ الرِّبَا

يُشْتَرَطُ فِي بَيعِ مَكِيلٍ بِمَكِيلٍ وَمَوزُونٍ بِمَوزُونٍ الحُلُولُ، والقَبْضُ فِي المَجْلِسِ، لا التَّمَاثُلُ إلَّا أنْ يَتَّحِدَ جِنْسُهُمَا، وَالجِنْسُ مَا لَهُ اسْمٌ خَاصٌّ يَشْمَلُ أنْوَاعاً، وَفُرُوعُ الأجْنَاسِ أجْنَاسٌ، وإنْ اتّفَقَتِ الأسْمَاءُ، وَلا تَصِحُّ مُحَاقَلَةٌ[٢]، وَمُزَابَنَةٌ[٣]، إلَّا فِي العَرَايَا، فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أوسُقٍ، لِمَنْ بِهِ حَاجَةٌ، وَلا ثَمَنَ مَعَهُ، وَلا لَحْمٌ بِحَيَوَانٍ، وَمَرْجِعُ الكَيلِ والوَزْنِ عُرْفُ الحِجَازِ، وإلَّا مَوضِعُهُ.

بابُ بَيعِ الأصولِ والثِّمَارِ

مَنْ بَاعَ أَرْضاً، دَخَلَ غِرَاسُهَا وَبِنَاؤهَا، لا زَرْعٌ لا يُحْصَدُ إلَّا مَرّةً، وَلَهُ تَبْقِيَتُهُ إلى حَصَادِهِ، وَمَا يُحْصَدُ مَرَّةً بَعدَ أُخرَى، فَأُصُولُهُ لِلمُشتَرِي، وَجَزَّتُهُ الظَّاهِرَةُ لِلبَائِعِ.

وَيَدْخُلُ فِي الدَّارِ الأرْضُ والبِنَاءُ، وَمَا يَتَّصِلُ بهَا لِمَصْلَحَتِهَا.

---

(١) قال الفيومي: العربون بفتح العين والراء، قال بعضهم: هو أن يشتري الرجلُ شيئاً أو يستأجره ويعطي بعض الثمن أو الأجرة، ثم يقول: إن تم العقد احتسبناه وإلَّا فهو لك ولا آخذه منك. المصباح المنير ٢/٤٠١.

(٢) قال ابن قدامة: والمحاقلة بيع الزرع بحب من جنسه. المغني ٦/٢٩٩.

(٣) بيع المزابنة: هو بيع ثمر النخل على رؤوسها بالتمر كيلاً، وبيع العنب على الكرم بالزبيب كيلاً. حلية الفقهاء ص١٢٧.

وَمَنْ بَاعَ نَخْلاً قَدْ أُبِّرَ فَثَمَرَتُهُ لِلبَائِعِ، مُبَقًّى، مَا لَمْ يَشْترطْهُ المُشْتَرِي، وَكَذَا سَائِرُ الشَّجَرِ إذا بَدَا ثَمَرُهُ.

ولا تُبَاعُ ثَمَرةٌ قَبْلَ بُدُوِّ الصّلاحِ، ولا الزَّرْعُ قَبْلَ اشْتِدَادِهِ، إلّا أَنْ يَشْتَرِطَ القَطْعَ، وَلا الرَّطْبةُ والبُقُولُ إلَّا كُلَّ جَزَّةٍ، ولا القِثَّاءُ ونَحْوُهُ إلَّا كُلَّ لَقْطَةٍ، إلَّا أن يَبِيعَ أَصْلَهُ، ويَرْجِعُ على البَائِعِ بالجَائحةِ، وَبُدُوُّ الصَّلاح (فِي)[1] النّخْلِ أنْ يَحْمَرَّ أو يَصْفَرَّ، وَالعِنَبُ أنْ يَتَمَوَّهَ، وَباقِي الثَّمرِ أنْ يَبْدُوَ نُضْجُهُ.

بابٌ

السَّلَمُ نوعٌ مِنَ البَيعِ، وشَرطُهُ إمكَانُ ضَبطِ صِفَاتِهِ، كَالمَكِيلِ وَالمَوزُونِ، وأن يَصِفَهُ بِمَا يَختَلِفُ بهِ الثَّمَنُ ظَاهِراً، وأن يقبِضَ ثَمَنَهُ فِي المَجْلِسِ، وَكَونُهُ فِي الذِّمَّةِ، بِأَجَلٍ مَعلُوم، يَعُمُّ وُجُودُهُ عِندَ مَحِلِّهِ، مَعلُومُ القَدْرِ بِمِعيَارِهِ، ويُعيِّنُ مَوضِعَ الوَفاءِ إن لَم يَصْلُحْ مَوضِعُ العَقْدِ لهُ، وَلا يَتَصَرَّفُ فِيهِ قَبلَ قَبضِهِ، إلَّا بالإِقَالَةِ.

ولَو أسْلَمَ ثَمَناً في جنْسَينِ لَم يَصِحَّ حَتَّى يُبَيِّنَ ثَمَنَ كلِّ جِنسٍ.

وَيَصِحُّ قَرضُ كُلِّ مَا يُسْلَمُ فِيهِ، وَيَمْلِكُهُ بِقَبضِهِ، ولا يُؤَجَّلُ كَالحَالِّ، ويُرَدُّ المِثْلُ فِي المِثْلِيِّ، والقيمةُ في غيرِهِ، وَلا يَجُوزُ شَرطُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ المُقرِضُ، لا وَثِيقَةٌ، ولا يَقْبَلُ هَدِيَّةً لَم تَجْرِ بها عَادَةٌ.

بابُ الرَّهنِ

يَصِحُّ فِي كُلِّ مَا يَجُوزُ بَيعُهُ، مَعَ الحَقِّ وَبَعدَهُ، لا قَبْلَهُ فِي وَجْهٍ[2]، بِدَينٍ ثَابِتٍ لازمٍ، وَهُوَ أَمَانَةٌ، وإنَّمَا يَلزَمُ بِالقَبْضِ واسْتِدَامَتِهِ، فَلا يَنْفُذُ تَصَرُّفُ الرّاهِنِ

(١) ما بين القوسين إضافة، ظاهر السياق أنه لا بُدَّ منها، والله أعلم.

(٢) والوجه الثاني يصح قبله.
انظر: هذين الوجهين في: الهداية لأبي الخطاب ١/ ١٥٠، والمحرر ١/ ٣٣٥، والفروع ٤/ ٢٠٨.

بِغَيرِ عِتْقٍ، وَتُؤخَذُ قِيمَتُهُ فتُجْعَلَ رَهْنَاً، وَلا يَنْفَكُّ شَيءٌ مِنْهُ إلَّا بَأدَاءِ الكُلِّ.

وَلِلمُرْتَهِنِ أَنْ يَرْكَبَ وَيَحْلِبَ بِقَدَرِ عَلَفِهِ، وَلَو جَنَى فَالمَجْنِيُّ عَلَيهِ أحَقُّ بِرَقَبَتِهِ، فَلَو فَدَاهُ سَيِّدُهُ فَهُوَ رَهْنٌ بِحَالِهِ، وَإنْ جُنِيَ عَلَيهِ فَالخَصْمُ مَالِكُهُ، وَمَا قَبَضَهُ بِسَبَبِهِ رَهْنٌ، كَنَمَائِهِ، وَكَسْبِهِ، فَإذَا حَلَّ الدَّينُ فَامْتَنَعَ الرَّاهِنُ مِنَ الوَفَاءِ أجْبَرَهُ الحَاكِمُ، وَإلَّا بَاعَهُ وَقَضَى دَينَهُ.

بابُ الضَّمَانِ

إنَّمَا يَصِحُّ مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ، بِرِضَاهُ، وَلا يُعْتَبَرُ كَونُ الحَقِّ مَعْلُومَاً، وَلا وَاجِبَاً إن آلَ (إلى)[1] الوُجُوبِ، وَلا يَصِحُّ ضَمَانُ أمَانَةٍ إلا أنْ يَضْمَنَ تَعَدِّيَهُ، وَلَهُ مُطَالَبَةُ مَنْ شَاءَ، وَلَو أبْرَأَ الأصِيْلَ بَرِئَا، لا عَكْسُهُ، وَيَرْجِعُ بِمَا أدَّى نَاوِيَاً لِلرُّجُوعِ.

وَتَصِحُّ كَفَالَةُ بَدَنِ مَنْ عَلَيهِ دَينٌ، لا حَدٌّ، فَإنْ لَمْ يُحْضِرْهُ لَزِمَهُ مَا عَلَيهِ، لا إنْ مَاتَ.

بابُ الحَوَالَةِ

يَبْرَأُ بهَا المُحِيلُ، وَشَرْطُهَا: اتِّفَاقُ الدَّينَينِ جِنْسَاً، وَصِفَةً، وَحُلُولاً، وَتَأجِيلاً، وَكَونُهَا عَلَى دَينٍ مُسْتَقِرٍّ، بِرِضَا المُحِيل، لا المُحْتَالِ إن أحَالَهُ عَلَى مَلِيءٍ.

بابُ الصُّلحِ

يَصِحُّ مَعَ الإقْرَارِ، بأنْ يَهَبَهُ بعضَ دَينِهِ، إنْ لَمْ يكنْ بشرطٍ، مِمَّنْ يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ، وَمِنْ غَيرهِ إنْ عَجزَ، وَهُوَ عَلَى بَعْضِه هِبَةٌ أو إبْرَاءٌ، وَعَلَى غَيرهِ بَيعٌ أو إجارَةٌ، وَلا يَصِحُّ عَمَّا لا يُؤخَذُ العِوضُ عَنْهُ.

---

(١) ما بين القوسين من الهامش.

وَيَصِحُّ مَعَ الإنْكَارِ، إنْ لَمْ يَعْلَمْ أحَدُهُمَا كَذِبَ نَفْسِهِ، فَمَنْ عَلِمَ بَطَلَ في حقِّهِ، وَهُوَ بَيعٌ فِي حَقِّ المُدَّعِي، إبْرَاءٌ فِي حَقِّ الآخَرِ، وإنَّمَا يَضَعُ خَشَبهُ عَلَى جِدَارِ جَارِهِ وَشَرِيكِهِ مَعَ الحَاجَةِ إن لَمْ يَضُرَّ بهِ، وَصَاحِبُ العُلُوِّ يَسْتُرُ نَفْسَهُ عَنِ الأسْفَلِ.

باب الحَجْر

مَنْ لَزِمَهُ دَينٌ فَلِغَرِيمِهِ مَنْعُهُ مِنْ سَفَرٍ لَمْ يَتَعَيَّنْ، إنْ حَلَّ فِي غَيبَتِهِ، لا إنْ وثَّقَهُ، ويأمُرُهُ الحَاكِمُ بِوَفَاءِ الحَالِّ، فإِنْ أَبَى حُبِسَ، فَإِنْ أَصَرَّ فَلَهُ عُقُوبتُهُ، أو يَبِيعَ مَالَهُ ويقْضِيَ دَيْنَهُ، فَلَو ادَّعى العُسْرَةَ ولَمْ يَكُنْ دَيْنُهُ عَنْ عِوَضٍ، ولا عُرِفَ لَهُ مَالٌ، أو صَدَّقَهُ غرِيمُهُ خُلِّيَ سَبِيلُهُ، وإلَّا حُبِسَ، إلَى أن يُقِيمَ بَيِّنَةً.

ومَنْ قَلَّ مَالُهُ عَنِ الدِّيُونِ وسَألَ غُرَمَاؤهُ الحَجرَ عَليهِ أجَابَهُم الحَاكِمُ إلَى ذلكَ، وَتَعلَّقَ حَقُّهُم بِعَينِ مَالِهِ، دُونَ ذِمَّتِهِ، لَكِن إنْ جَنَى شَارَكَ المَجْنِيُّ عَلَيهِ الغُرَمَاءَ، ثُمَّ يَبِيعُ مَالَهُ ويَتْرُكُ لَهُ مَا تَدْعُو[1] إلَيهِ الحَاجَةُ، وَيُبْدَأُ بَأرْشِ جِنَايَةِ العَبْدِ الأقلِّ مِنْ قِيمَتِهِ أو قَدْرِهَا، ثُمَّ بِمَنْ لَهُ رَهْنٌ، ثُمَّ مَنْ وَجَدَ مَتَاعَهُ، بِعَينِهِ، وَلَمْ يَأخُذْ مِنْ ثَمَنِهِ شَيئاً، وَلَمْ يَزِدْ زِيَادَةً مُتَّصِلَةً، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ حَقٌّ ثَانٍ، أخَذَهُ، إنْ كَانَ المُفلِسُ حَيَّاً، ويُقْسَمُ البَاقِي بَينَ بَاقِي الغُرَمَاءِ عَلَى قَدرِ دِيُونِهِمْ، ويُنْفَقُ عَلَيهِ وَعَلَى مَنْ تَلزَمُهُ نَفَقَتُهُ إلَى أن يُقْسَمَ، وَلَو وَجَبَ لَهُ حَقٌّ بِشَاهِدٍ فَأبَى أن يَحْلِفَ لَمْ يَكُنْ لِلغُرَمَاءِ أن يَحْلِفُوا.

فَصْلٌ

وَلا يَحِلُّ المُؤجَّلُ بِفَلَسٍ، وَلا بِمَوتٍ إنْ أَوْثَقَ الوَرَثَةُ، وَمَنْ دَفَعَ مَالَهُ إلَى صَبِيٍّ أو مَجْنُونٍ أو سَفِيهٍ فَهُوَ المُتْلِفُ لهُ، وَمَتَى عَقَلَ أو بَلَغَ رَشِيداً دُفِعَ إلَيهِ مَالُهُ بِغَيرِ حَاكِمٍ، وإلَّا فَهُو تَحْتَ حَجْرِ الأبِ، ثُمَّ وَصِيِّهِ، ثُمَّ الحَاكِمِ، ولا

(١) في الأصل «يدعوا» بإثبات الألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

يَتَصَرَّفُ إِلَّا بِمَا فِيهِ حَظٌّ، وَلا يَشْتَرِي لِنَفْسِهِ مِنْ مالِهِ وَلا يَبِيعُهُ إِلَّا الأبُ، ويأْذَنُ لِمَنْ مَيَّزَ لِيَخْتَبِرَهُ، وَلا يَأْكُلُ إِلَّا عِنْدَ الحَاجَةِ، والرُّشْدُ: الصَّلاحُ فِي المَالِ.

وَيَحْصُلُ البُلُوغُ بِالاحْتِلامِ، أو نَبَاتِ شَعْرٍ خَشِنٍ حَولَ قُبُلِهِ، أو تَمَامِ خَمْسَ عَشْرةَ سَنَةً، وَتَزِيدُ الجَارِيَةُ بِالحَيضِ والحَمْلِ.

بابُ الوكالةِ

تَجُوزُ فِي كُلِّ مَا يُنَابُ فِيهِ، إِذَا كَانَا مِمَّنْ يَصِحُّ ذَلك مِنْهُمَا، وَهِي عَقْدٌ جَائِزٌ، وتَبْطُلُ بِمَوتٍ، وَفَسْخٍ، وَجُنُونٍ، وحَجْرٍ لِسَفَهٍ، وَكَذَا كُلُّ عَقْدٍ جَائِزٍ كَالشَّرِكَةِ، والمُزَارَعَةِ، والمُسَاقَاةِ، والجَعَالَةِ، والمُسَابَقَةِ، والوَكِيلُ أمِينٌ، لَكِنْ لَو قَضَى بِغَيرِ بَيِّنَةٍ ضَمِنَ، لا بِحَضْرَةِ المُوَكِّلِ.

وَتَصِحُّ بِكُلِّ قَولٍ (يَدُلُّ عَلَى الإِذنِ، وَكُلِّ قَولٍ)[1] أو فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَى القَبُولِ، مُتَرَاخِياً وَفَوراً، بِجُعلٍ وَغَيرِهِ، فَيَفْعَلُ مَا تَنَاوَلَهُ لَفظاً أو عُرْفاً، وَلا يُوَكِّلُ فِيمَا يَتَوَلَّى مِثْلُهُ، وَلا يَشْتَرِي مِنْ نَفسِهِ وَلا يَبِيعُهَا، إِلَّا بإِذْنٍ، وَإِن اشْتَرَى مَا لَمْ يَأذَنْ لَهُ فِيهِ وُقِفَ عَلَى الإِجَازَةِ، وإِلَّا لَزِمَهُ.

بابُ الشَّرِكَةِ

هِيَ أَرْبَعَةُ أنواعٍ: شَرِكةُ عِنَانٍ بِمَالَيْهِمَا وبَدَنَيْهِمَا، وشَرِكَةُ وُجُوهٍ يَشْتَرِيَانِ بِجَاهَيهِمَا، وَشَرِكَةُ مُضَارَبَةٍ، مَالُ وَاحِدٍ وَبَدَنُ الآخَرِ، وَشَرِكَةُ الأَبْدَانِ، وَالرِّبْحُ فِي الكُلِّ عَلَى مَا شَرَطَاهُ، وَالوَضِيعَةُ[2] عَلَى قَدْرِ المَالِ، ولا يَتَعَيَّنُ لِوَاحِدٍ دَرَاهِمُ وَلا رِبْحُ شَيءٍ مُعَيَّنٍ، وَكَذَا المُسَاقَاةُ وَالمُزَارَعَةُ، وَإِنَّمَا يَتَصَرَّفَانِ عَلَى وَجْهِ الحَظِّ، وَلا يَبِيعُ نَسَاءً إِلَّا بإِذنٍ، وَلَو دَفَعَ دَابَّتَهُ لِيَعْمَلَ عَلَيهَا وَمَا حَصَلَ بَينَهُمَا جَازَ.

---

(١) ما بين القوسين من الهامش.

(٢) قال البعلي وابن عبد الهادي: الوضيعة فعيلة بمعنى مفعولة، قال أبو السعادات: الوضيعة: الخسارة، وقد أوضع في البيع يوضع وضيعة، والمعنى: الخسارة على قدر المال. المطلع ص٢٦٠، والدر النقي ٣/ ٥١١.

بابُ المُسَاقَاةِ

تَجُوزُ فِي كُلِّ شَجَرٍ لَهُ ثَمَرٌ يُؤْكَلُ، بِجُزْءٍ مِنْهُ مَعْلُوم، وَكَذَا المُزَارَعَةُ بِجُزْءٍ مِنَ الزَّرْعِ، سَوَاءٌ كَانَ البَذْرُ مِنْهُمَا أو مِنْ أحَدِهِمَا، وَعَلَى العَامِلِ مَا جَرَتِ العَادَةُ بِهِ، وَعَلَى رَبِّ المَالِ مَا فِيهِ حِفْظُهُ.

بابُ إحياءِ المواتِ

مَنْ أحْيَا أرْضاً دَاثِرَةً، لَمْ يُعْلَمْ لَهَا صَاحِبٌ معْصومٌ، فَهِيَ لَهُ، بِأنْ يُعَمِّرَهَا بِمَا تَتَهَيَأُ بهِ لِمَا يُرَادُ مِنْهَا كَالتَّحْوِيطِ، وَسَوقِ المَاءِ، وَقَلعِ أحْجَارِهَا وَأشْجَارِهَا المَانِعَةِ مِنْ زَرْعِهَا وَغَرْسِهَا.

وإن حَفَرَ بِئْراً فِيهَا فَوَصَلَ إلَى المَاءِ مَلَكَ حَرِيمَهَا مِنْ كلِّ جَانِبٍ خَمْسِينَ ذِرَاعَاً فِي العَادِيَّةِ[1]، ونِصْفَهُ في البَدِيَّةِ[2]، وَلا يُمْلَكُ مَا قَرُبَ مِنْ عَامِرٍ وتَعَلَّقَ بِمَصَالِحِهِ، وَلا مَعْدِناً ظَاهِراً.

وَمَنْ جَعَلَ عَلَى (عَمَلٍ) شَيءٍ جُعْلاً مَعْلُوماً، فَمَنْ عَمِلَهُ بَعْدَ بُلُوغِهِ الجُعْلُ استَحَقَّهُ.

بابُ اللقطةِ

هِيَ عَلَى ثَلاثَةِ أضْرُبٍ، أحَدُهَا: مَا تَقِلُّ قِيمَتُهُ، وَلا تَتْبَعُهُ الهِمَّةُ، فَيُمْلَكُ بِغَيرِ تَعْرِيفٍ، الثاني: الحَيَوَانُ المُمْتَنِعُ بنفسِهِ مِنْ صِغَارِ السِّبَاعِ، فلا يُملكُ، ولا يَبْرأُ مَنْ أخَذَهُ إلَّا أنْ يَدْفَعَهُ إلَى الإمَامِ، الثالِثُ: مَا عَدَا ذَلكَ، فَيجُوزُ أَخْذُهُ لِمَنْ أَمِنَ نَفْسَهُ، وَيَجِبُ تَعرِيفُهُ حَولاً، فِي مَجْمَعِ النَّاسِ، فَإنْ عُرِفَ وإلَّا فَهُوَ كَسَائِرِ مَالِهِ، بَعدَ أنْ يَعْرِفَ صِفَتَهُ، فَمَتَى جَاءَ طَالِبُهُ فَوَصَفَهُ دَفَعَهُ إلَيهِ، أو

---

(١) قال البعلي: العاديّة بتشديد الياء: القديمة منسوبة إلى عاد، ولم يرد عاداً بعينها، لكن لما كانت في الزمن الأول وكانت لها آبار في الأرض نسب إليها كل قديم. المطلع ص٢٨١.

(٢) قال الفيومي: أي حادثة، وهي خلاف العاديَّة القديمة. المصباح المنير ١/ ٤٠.

مِثْلَهُ إنْ هَلَكَ، بِلا بَيِّنَةٍ، وَلَو تَلِفَ فِي حَولِ التَّعْرِيفِ بِلا تَعَدٍّ فَلا ضَمَانَ عَلَيهِ، وَإنْ كَانَ مِمَّا يَتْلفُ أو يَحْتَاجُ إلى مُؤْنَةٍ فَلَهُ أَكْلُهُ وَبَيْعُهُ قبلَ الحولِ، ثُمَّ يُعَرِّفُهُ.

بابُ اللَّقيطِ

وهُوَ الطِّفلُ المَنْبُوذُ، مُسْلِمٌ إنْ وُجِدَ فِي بَلَدٍ فِيهِ مُسْلِمٌ يُولَدُ لِمِثْلِهِ، وَمَا وُجِدَ عِنْدَهُ أو قَرِيباً مِنْهُ فلَهُ، نَفَقَتُهُ مِنْهُ وإلَّا مِنْ بَيتِ المَالِ، وحَضَانَتُهُ لِوَاجِدِهِ إنْ كَانَ عَدْلاً، ولو وَجَدَهُ مُتَنَقِّلٌ أو مَنْ يُرِيدُ نَقْلَهُ إلى البادِيَةِ لَمْ يُقَرَّ معهُ، وَمَنْ ادَّعَاهُ لَحِقَ بهِ نَسَباً، لا دِيْنَاً، ولو ادَّعَاهُ جَمَاعةٌ وتَسَاوَوا أُرِيَ القَافَةَ فلَحِقَ بِمَنْ ألحقُوهُ بهِ ولو بالكُلِّ، ومِيْراثُهُ ودِيَتُهُ فَيءٌ، والله تَعَالَى أعلَم.

بابُ السَّبْقِ

لا يَجُوزُ بِجُعْلٍ إلَّا في خُفٍّ وحَافرٍ ونَصْلٍ، فإنْ كَانَ مِنْ غَيرِهِمَا فَهُو لِمَنْ سَبَقَ، وإنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمَا فَسَبَقَ أو جاءَا معاً أحْرَزَهُ المُخْرِجُ، وإن سَبَقَ الآخَرُ أخذَهُ، فإنْ أخْرجَا معاً جَازَ مُحَلِّلٌ يُكافِيهِما، فإنْ سَبَقَهُمَا أحْرزَ سَبَقَيْهِمَا، وإن سَبَقَ أحَدُهما أحْرَزَ سَبَقَهُ، وأخَذَ سَبَقَ صَاحِبِهِ، ولا بُدَّ مِنْ تَحْدِيدِ المسَافَةِ والغَايةِ، والإِصَابَةِ، وصِفَتَيهِمَا، وعَدَدِ الرَّشْقِ، وإنَّمَا تَكُونُ المُسَابَقَةُ على الإصَابَةِ.

بابُ الوَدِيعَةِ

وهي أَمَانةٌ لا تُضْمَنُ بِغَيرِ تَعَدٍّ، مِثْلِ أنْ يَحْفظَهَا بِدُونِ حِرْزِهَا، أو يَجْحَدَهَا، ونَحْوِ ذلك، فإنْ قَالَ: ما لَكَ شيءٌ، ثُمَّ ادَّعى ردَّهَا أو تَلَفَهَا قُبِلَ، بِخِلافِ مَا أودَعْتَنِي شيئاً.

والعَارِيَّةُ مَضْمُونَةٌ وإنْ لَم يَتَعَدَّ، وتَجُوزُ فِي كُلِّ مَنْفَعَةٍ، لا بُضْعٍ(١)، وَمُسْلِمٍ لِكَافِرٍ، ويَرْجِعُ ما لَم يأذنْ بشَغْلِهِ بشيءٍ يَضُرُّ بِهِ إن رَجَعَ.

---

(١) قال البعلي: البُضع بضم الباء فرج المرأة، والنكاح ـ أيضاً ـ. المطلع ص٢٧٢.

بابُ الإجَارَةِ

إنَّمَا تَصِحُّ عَلَى مَنْفَعَةٍ مُبَاحَةٍ، مَعْلُومَةٍ عُرفاً، أو وصْفاً، أو رُؤْيَةً، بِمُدَّةٍ معْلومةٍ، مَعَ بَقَاءِ العَينِ، مِنْ مَالكٍ مُتَصَرِّفٍ أو مَأذُونٍ لَه، مُتَمَكِّنٍ مِنَ التَّسْلِيمِ، ويَسْتَوفِي المنفَعَةَ ودُونَهَا بِنَفسِهِ، وبِمِثلِهِ، بأُجْرةٍ وَغَيرِهَا، لا بِمُخَالِفٍ، وتُعْتَبَرُ مَعْرِفَةُ الرَّاكِبِ والدَّابةِ وتَوَابِعِهِمَا، بِرُؤيَةٍ أو صِفَةٍ، وقَدْرُ الحِمْلِ بِكَيلٍ أو وَزْنٍ، ومَعْرِفَةُ الأَجْرِ، والعُرْفُ كالتَقْدِيرِ في أُجْرةِ طيرٍ وحَمَّامٍ، وسَفينَةٍ، وخيَّاطٍ، وطَعَامِ أجيرٍ ونحوِهِ.

فَصْلٌ

ويُسْتَحَقُّ الأجْرُ والمَنْفَعَةُ بالعَقْدِ، مَا لَمْ تُؤَجَّلِ الأُجْرةُ المعينة في الذمّة فحتى يُسَلِّمَهُ.

ويضمنُ الأَجِيرُ المشْتَرَكُ[1] ما تَلِفَ بِعَمَلِهِ، لا مِنْ حِرْزِهِ، والخَاصُّ[2] ما تَعدَّى فيهِ، ولا ضَمانَ على حَاذِقٍ بغيرِ جِنَايَةٍ.

وهي لازمَةٌ، تَنْفَسِخُ بالتَّلَفِ، والإتْلَافِ، وغَرَقِ الأرضِ، وانقطاعِ مَاءٍ، لا بِجنُونٍ، أو مَوتِ مَنْ لهُ وارِثٌ، ولهمَا الفَسْخُ باتِّفَاقِهِمَا، وبِخَوفٍ عامٍّ مَانِعٍ مِنَ النَّفْعِ، ولو تَجَاوَزَ المَسَافَةَ أو زادَ لَزِمَهُ مَا سمَّى، وأُجرَةُ مِثْلٍ للزائدِ، وضَمَانُ العينِ إنْ تَلِفَتْ، وهيَ أَمَانَةٌ، فيُقَدَّمُ قولُهُ في نَفْيِ للتَّفْريطِ، وقَولُ المُؤْجِرِ في الرَّدِّ، وفي قَدْرِ الأُجرةِ والمُدَّةِ، وإبَاقِ العبدِ والدَّابَّةِ ومَوتِهمَا تَردُّد.

---

(١) الأجير المشترك هو الذي يقع العقد معه على عمل معين، أو عمل مدة معينة لا يستحق جميع نفعه فيها، ومثال ذلك: الخيَّاط، والحدّاد، وسمي مشتركاً لأنه يتقبّل أعمالاً لإثنين وثلاثة وأكثر في وقت واحد، ويعمل لهم، فيشتركون في منفعته واستحقاقها. المغني ٨/١٠٣.

(٢) الأجير الخاص هو الذي يقع العقد عليه في مدة معلومة يستحق المستأجر نفعه في جميعها، ومثال ذلك من استؤجر لعمل بناء أو خدمة في مدة معينة كيوم أو شهر، سمي خاصّاً لاختصاص المستأجر بنفعه في تلك المدة دون سائر الناس. المغني ٨/١٠٣.

كتابُ الغَصْبِ

وهُوَ الاسْتيلاءُ على مالِ غَيرِهِ، ظُلماً، فيَلزَمُهُ رَدُّهُ بِزِيادَتِهِ، وأُجْرَةُ مِثْلِهِ، وأَرْشُ نَقْصِهِ، وعَليهِ أَرْشُ مَا جَنَى، فلَو خَاطَ بهِ جُرْحَ مُحْتَرَمٍ أو مُحَرَّمٍ فَالقِيمَةُ، وَلَو رَقَعَ بهِ سَفِينَةً فحتَّى تُرْسَى، ولَو تَعَذَّرَ أو تَلِفَ فَمِثْلُهُ فِي المِثْليِّ، وإِلَّا قيمَتُهُ، ثُمَّ إنْ قَدِرَ عليهِ بَعْدُ رَدَّهُ، وأَخَذَ القيمَةَ، ولَو زَادَ بِسِمَنٍ أو صَنْعَةٍ ثُمَّ نَقَصَ لا بِسِعْرٍ ضَمِنَهَا، ولو طحَنَهُ أو نَسَجَهُ، أو زَرَعَهُ، أو صَارَ فَرْخاً، أو اتَّجرَ فِيهِ فَهُوَ ونَمَاؤُهُ لِرَبِّهِ.

ولو خَلَطَهُ بِمَا لا يَتَمَيَّزُ مِنْ جِنْسِه فَعَلَيهِ مِثْلُهُ مِنْهُ، وبِمُتَمَيِّزٍ لَزِمَهُ تَخْلِيصُهُ، وبغيرِ جِنْسِهِ فَمِثْلُهُ مِنْ حَيثُ شَاءَ.

ولو غَرَسَ الأرضَ أو بَنَاهَا قُلِعَ وطُمَّ الحَفْرُ، وإنْ زَرَعَ خُيِّرَ مالِكُهَا بينَ أخذِهِ بعوضِه أو تَرْكِهِ بِالأَجْرِ، وإنْ وَطِئَ حُدَّ، وَلَزِمَهُ المَهْرُ، وَوَلَدُهُ رَقِيقٌ، وكَذَا مشْتَرٍ عَلِمَ، وَغَيرُ العَالِمِ عَلَيهِ المَهْرُ وقِيمَةُ وَلَدِهِ والأَجْرُ، وَيَرْجِعُ بذَلكَ على الغَاصِبِ.

بابُ الشُّفْعَةِ

وَهِيَ أنْ يستَحِقَّ انتزَاعَ حِصَّةِ شَرِيكِهِ، مِمَّنِ اشْتَرَاهَا، بِشَرْطِ كَونِهَا شِقْصاً[1] مُشَاعَاً، مِنْ عَقَارٍ، أو ما يتَّصِلُ بهِ، تُمْكِنُ قسْمَتُهُ، انتَقَلَ بِعِوَضٍ، يأْخُذُهُ كُلَّهُ، بمثْلِ ثَمَنِهِ إنْ كَانَ ذَا مِثْلٍ، وإلَّا بقيمتِهِ، وإنِ اختَلَفَا في قَدْرِهِ ولا بيِّنَةَ فَقَولُ المُشْترِي.

---

(١) قال البعلي: الشِّقص بكسر الشِّين، قال أهل اللغة: هو القطعة من الأرض، والطائفة من الشيء، والشّقيص الشّريك. المطلع ص٢٧٨.

ومَتى أَخَذَهُ وفيهِ غَرْسٌ أو بناءٌ للمُشْتَرِي أعْطَاهُ قِيمَتَهُ، إلَّا أنْ يَشاءَ المُشْتَري قَلعَهُ مِنْ غَيرِ ضَرَرٍ، وإنْ كَانَ فِيهِ زَرْعٌ أو ثَمَرَةٌ ظَاهِرَةٌ فَهِيَ للمُشْتَرِي، مُبَقَّاةٌ إلى حَصَادِهِ، وَلَو تَعَدَّدُوا فَعَلَى قَدْرِ سِهَامِهِمْ، فإنْ تَرَكَهَا أحَدُهُمْ لم يَكُنْ لِلآخَرِينَ إلَّا أَخْذُ الكلِّ أو التَّركُ، وإنْ عَجَزَ عَنْ بَعْضِ الثَّمَنِ بَطَلَتْ، كَمَا لو تَأَخَّرَ عَنِ الطَّلَبِ لغيرِ عَجْزٍ، كَغَيبَةٍ؛ أو حَبْسٍ، أو مَرَضٍ، وَأَشْهدَ بهِ، أو صِغَرٍ فَحَتَّى يَكْبُرَ، ولا تَجِبُ لِكَافِرٍ عَلَى مُسْلِمٍ، فَإنْ لَمْ يَعْلَمْ حَتَّى تَبَايَعَهُ ثلاثةٌ أو أكْثَرُ فَلَهُ مُطالَبَةُ مَنْ شَاءَ، وَلَو بَاعَ شِقْصاً وسَيفاً أَخَذَهُ[1] بِحِصَّتِهِ.

بابُ الوقفِ

إنَّما يَجُوزُ فِي عَينٍ يَجُوزُ بَيعُهَا، ويُنتَفَعُ بهَا دَائِمَاً مَعَ بَقَائِهَا، وعَلَى بِرٍّ أَو مَعْرُوفٍ، بالقولِ أو الفِعْلِ الدَّالِّ.

ولا يُبَاعُ إلَّا أن يَتَعَطَّلَ نَفْعُهُ، فَيُشْتَرى بِثَمَنِهِ ما يَقُومُ مَقَامَهُ؛ كالفَرَسِ الحَبِيسِ، وَيُرْجَعُ فِيهِ، ومَصْرِفِهِ، وشُرُوطِهِ، إلى لَفْظِ وَاقِفه، فَلو وَقَفَ على وَلَدِهِ، ثُمَّ عَلى المسَاكِينِ: الذَّكَرِ والأُنثى بالسَّوِيَّة، وعَلَى جَمَاعَةٍ مَحْصُورِينَ يَعُمُّ بالسَّوِيَّةِ، مَا لَم يُفَضِّل بَعْضَهُمْ، وإلَّا جَازَ تَخْصيصُ وَاحِدٍ بِهِ والتفضِيلُ.

بابُ الهبةِ

وهي تَمْليكٌ في الحياةِ بِلَا عِوَضٍ، تَصِحُّ بإيجَابٍ وقبولٍ، ومُعَاطَاةٍ، وتَلزَمُ بالقَبْضِ بإذنِه.

ولا يَرجِعُ غَيرُ أبٍ، ويَقْسِمُ بَينَ أولَادِهِ عَلى قَدْرِ إرْثِهِمْ، وَلا يَجُوزُ التَّفْضِيلُ بِغَيرِ سَبَبٍ، ويَلزَمُ أخذُهُ أَو جَبْرُهُ، ولَهُ تَمَلُّكُ مَا شَاءَ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ، إنْ حَازَهُ، ولَم تَتَعَلَّقْ حَاجَةُ الابنِ بهِ، وَلَمْ يَخُصَّ بهِ وَلَدَهُ الآخَرَ، ولا يُطَالِبُ أبَاهُ بِحقٍّ أبداً.

وأَعْمَرْتُكَ دَارِي، وَهِيَ لكَ: تَمليكٌ، وَسُكْنَاهَا لَكَ: عَارِيَةٌ.

---

(١) الضمير هنا يعود إلى الشّقص.

كتابُ الوَصَايَا

سُنَّ لِمَنْ تَرَكَ خَيراً الوَصِيَّةُ بِالخُمُسِ، فَتَصِحُّ مِمَّنْ يَملِكُ التَّبَرُّعَ، ولَو أخْرَسَ، ومُمَيِّزاً، وسَفِيهاً، وبِخَطِّهِ تَحتَ رأسِهِ، وَلِكُلِّ مَنْ تَصحُّ هِبتُه، وللحمْلِ إنْ عُلِمَ وجودُه حَالَها، وَبكلِّ مَا فِيهِ نَفعٌ مُبَاحٌ، وبالمعْدُوم، وبِمَا لا يُقْدَرُ عَليهِ، وَبِما لا يَمْلكُهُ، وَبِغَيرِ مُعَيَّنٍ كعَبْدٍ، وَيُعطيهِ الوَرَثَةُ مَا شاءوا، فَإن هَلَكُوا إلا وَاحِدَاً تَعَيَّنَ، وبِمِثْلِ أحدِ وَرَثَتِهِ، ولهُ مِثْلُ أقلِّهم، فَإن سَمَّاهُ فَلهُ نَصِيْبُهُ مَضْمُومَاً إلَى المَسألَةِ، فَلَهُ مَعَ ابنينِ وَبِنتٍ السُّدُسُ، وبِجُزْءٍ، أو حَظٍّ، أو نَصِيْبٍ، أو شَيءٍ، ويُعطونَهُ ما شاءوا، وَبِسَهمٍ، ولَهُ سُدُسٌ.

فَصْلٌ

وتُخْرَجُ الواجِبَاتُ مِنْ رَأسِ المَالِ، فإنْ وصَّى بهَا مِنَ الثلثِ زُوْحِمَ أصحَابُ الوَصَايَا، وقيلَ: يُبدَأُ بهِ.

وَتَصِحُّ إلَى كُلِّ عَدلٍ، بِكلِّ مَا يَجُوزُ للمُوصَى فِعْلُهُ، وَلَو وَصَّى بأكثرَ مِنَ الثُّلثِ أو لِوَارِثٍ وُقِفَ على إجَازَةِ الوَرَثةِ، ويُعتَبَرُ الثّلثُ، وكَونُهُ وارثاً عندَ المَوتِ، وَتُجْمَعُ الحُرِيَّةُ في بعضِ العبيدِ بالقرعةِ إن عَجَزَ ثُلثُهُ، كَمَا يُخْرَجُ بها مَنْ أَشكَلَ، وتَصِحُّ بِكلِّ مالِهِ حيثُ لا وَارثَ.

والمُنْجَزةُ في مرضِ موتِهِ المخُوفِ، أو كَالمَخُوفِ، كحَالةِ التِحَامِ الحَربِ، وَهَيَجَانِ البَحرِ، والطَّاعُونِ، والطَّلْقِ، وتَقْدِيمِهِ لِقِصَاصٍ، إنِ اتَّصلَ بِهِمُ الموتُ وَصِيَّةٌ، لا فِي أربَعةِ أحكَامٍ: كَونُها لازمةٌ، ويُبدأُ بالأولِ عندَ ضِيْقِ

ثُلُثِهِ، والوصيةُ بِخِلافِهِ، ويُسوَّى بَينَ الأولِ والآخِرِ، ومِنها: كونُها تنفيذاً، ويُعتبَرُ ردُّهَا وَقَبُولُهَا مِنْ حينِهَا، والوَصِيَّةُ حينَ الموتِ.

فَصْلٌ

ولو وصَّى لقرابَتِهِ فللذَكرِ والأُنثى مِنْ ولَدِهِ وقرابةِ أبيهِ وإن علا، ولأقْرَبِ قرابَتِهِ: الابنُ والأبُ سواء، والجَدُّ والأخُ سَوَاءٌ، وَلِلأبَوَين أولَى مِنْ أخٍ لأبٍ، وأهلُ بَيتِه وقَومُهُ ونُسَبَاؤُهُ كقرابتِه، والأَيِّمُ والعَزَبُ: من لا زوجَ لهُ، والأَرَامِلُ: مَنْ فَارقهنَّ الزّوجُ، ولا يَدْخُلُ كافِرٌ فِي قَرَابَتِهِ وأهلِ قَريَتِهِ، وبَنُو فُلانٍ إن كَانوا قبيلةً شَمِلَ الإنَاثَ وإلا فَلا، والدَّابةُ والشَّاةُ: للذَّكَرِ والأُنثى، وَالطَّبلُ، والقَوسُ: للمباحِ، وَقَوسِ النُشَّابِ إن لم يَكُنْ قَرينةٌ إلى غيرِه، فَلو تعدَّدَ فالقرعةُ، وَجِيرانُهُ: أربعونَ داراً مِنْ كلِّ جانبٍ، ولِعَقِبِي، ونَسْلِي، وولدِ ولدِي، يَشْمِلُ ولدَ الإناثِ، والوَقفُ كالوَصِيَّةِ فِي هَذَا.

فَصْلٌ

ولا تَصِحُّ بِمُحَرَّمٍ، ولا لِمَنْ لا يَمِلكُ، كبهيمةٍ ومَلَكٍ وميِّتٍ، فَلو وصَّى لَهُمَا[1] فالكلُّ للحيِّ إن عَلِمَ مَوتَهُ، كَمَا لَو وصَّى لزيدٍ وَبَهيمةٍ، وَتبطلُ بِرُجُوعِهِ، وبيعهِ ونَحوِهِ، ورَهْنِهِ، وَإِحْبَالِهِ، وخَلطٍ بغيرِ متميّزٍ، وضِعْفُ الشيءِ: مِثْلُهُ مَرتينِ، وضِعْفَاهُ: ثَلاثةُ أمثالِهِ، وبِمثلِ نصيبِ ثَالثٍ لو كانَ لَهُ الرُّبُعُ، وَبِمثلِ نصيبِ خامسٍ لَو كانَ، إلا مِثلَ نَصِيبِ سَادِسٍ لَو كَانَ، فَقَد أوصَى بِالخُمُسِ إلَّا السُّدُسَ: فَتَصِحُّ مِن اثنَينِ وَسِتِّينَ، وعَلى هَذا، وإن وصَّى لهُ بثلثِ معيّنٍ أو بهِ، فاستُحِقَّ (ثُلثاه فله الباقي، أو بثلثِ ثلاثةٍ فاستُحِقَّ اثنانِ أو مَاتا)[2]، فلهُ ثُلثُ البَاقِي.

---

(١) يعني لحيّ وميّت.

(٢) ما بين القوسين من الهامش.

كتابُ الفَرَائِضِ

يُقَدَّمُ الكَفَنُ عَلى الدَّيْنِ وغَيرِهِ، وَالوَارِثُ ثَلاثةٌ: ذُو فَرْضٍ، وعَصَبَةٌ، وذُو رَحِمٍ، فَذو الفَرْضِ عَشَرَةٌ: الزَّوجَانِ، والأَبَوانِ، والجدُّ، والجدَّةُ، والبَنَاتُ، وبناتُ الابنِ، والأخَواتُ، والإخوَةُ مِنَ الأُمِّ، فَلِلزَّوجِ الرُّبعُ مَعَ ولدِ الميتِ أو ولدِ ابنِه، والنّصفُ مَعَ عَدَمِهِ، وللزَّوجةِ أو الزَّوجاتِ الثُّمُنُ مَعَهُ، وَالرُّبعُ مَعَ عَدَمِه، وللأبِ السُّدسُ مَعَ ذكورِ الولدِ، وَهُوَ عَصَبَةٌ إن عُدِمُوا، والأمْرانِ مَعَ إناثِ الولدِ.

فَصْلٌ

وللجدِّ أحوالُ الأبِ، ويزيدُ بِرابعةٍ مَعَ الإخوةِ والأخواتِ لأبوينِ أو لأبٍ، فلهُ الأحَظُّ مِنَ المقاسَمةِ كأخٍ، أو ثُلُثُ الكُلِّ، فإن كان ثَمَّ فَرْضٌ فلهُ الأحظُّ مِنَ المقاسمةِ، كأخ، أو ثلثُ الباقي، أو سُدُسُ الكُلِّ، وولدُ الأبِ كذا إنِ انفردوا، وَإلَّا عَادَّ بِهِم وَلَدُ الأبوينِ الجدَّ، ثُمَّ أخَذُوا حَاصِلَهُمْ، مَا لَمْ يكنْ ولدُ الأبوينِ أُختاً واحدةً، فتأخذُ تمامَ النِّصفِ فَقَطْ، فَإن لَمْ يَفْضُلْ عَنِ الفَرْضِ سِوَى السُّدسِ أخَذَهُ الجدُّ وسقطوا، إلَّا فِي الأكدَرِية وهي: زوجٌ، وأمٌّ، وأُخْتٌ، وجَدٌّ، أصلُهَا مِنْ سِتَّةٍ، وَتَعُولُ إلى تِسعَةٍ، ثُمَّ يُقْسَمُ ما للجدِّ والأختِ بينهما على ثلاثةٍ، فتصحُّ من سبعةٍ وعِشرين، وَلا يَعُولُ فِي مَسائلِ الجدِّ غيرُهَا، ولا يُفرضُ لأُختٍ مَعَ جَدٍّ فِي غيرِها، ولو لَمْ يكنْ فيها زوجٌ لَصَحَّتْ مِنْ تِسْعَةٍ، وَتُسَمَّى الخَرْقَاءَ، وَلَو كان معهم أَخٌ وأختٌ لأبٍ صَحَّتْ من أربع وخَمسِينَ، وَتُسَمَّى مُخْتَصَرَةَ زَيدٍ، وإنْ كَانَ مَعَهم أَخٌ آخَرُ صَحَّتْ مِنْ تسعينَ، وسُمِّيت تِسعِينِيَّةَ زَيدٍ.

فَصْلٌ

وللأمِ السُّدسُ مَعَ الوَلدِ أو وَلدِ الابنِ، أو اثنَينِ فَصَاعِدَاً مِنَ الإخوَةِ والأخَوَاتِ، وثُلثُ الباقِي بَعدَ أحَدِ الزَّوجين فِي أبٍ، وأحدِ الزَّوجين، وَثُلُثُ المَالِ فِي غَيرِ ذلك، وَتَكونُ عَصَبةً إذا نُفِيَ ولدُهَا بِلِعانٍ أو كانَ مِنْ زناً، فَإن لَم تَكُن فَعَصَبتُها عَصَبةٌ، وللجدَّاتِ السُّدسُ، إذا تَحاذينَ، وإلَّا فهو للقُربَى، وَترثُ مَعَ ابْنِهَا، ولا يَرِثُ أكثرُ مِنْ ثَلاثَةٍ: أمُّ الأمِّ، وأمُّ الأبِ، وأمُّ الجدِّ، وأُمّهاتُهُنَّ كذلك.

فَصْلٌ

للبِنتِ النِّصفُ، وللبنتينِ فَأَكْثَرَ الثُّلثانِ، وبناتُ الابنِ مِثْلُهُنَّ، إذا عُدِمْنَ، ولَهنَّ مَعَ بنتٍ السُّدسُ، فَإن اجتَمَعنَ سقَطَ بناتُ الابنِ، مَا لَم يَكنْ مَعَهُنَّ، أو أنزلَ منهنَّ ذَكَرٌ فَيُعَصِّبُهُنَّ، لا عليا ذاتِ فرضٍ.

والأخَواتُ للأبوينِ مِثْلُ البناتِ، والأخَواتُ مِنَ الأبِ مَعَهُنَّ كَبناتِ الابنِ مَعَ البناتِ، لَكن لا يُعَصِّبُهنَّ إلَّا أخوهنَّ، والأخواتُ مَعَ البناتِ عَصَبَةٌ، وللواحدِ مِنْ ولدِ الأمِّ السُّدُسُ، فَإنْ كَثُروا فَهُم شُرَكاءُ في الثُلُثِ، ذَكَرُهُمْ وأُنثَاهُمْ سَوَاءٌ.

بابُ الحجبِ

كلُّ مَنْ أدلَى بِشَخصٍ سَقطَ به، إلَّا وَلدُ الأمِّ فيسقطُ بالولدِ وولدِ الابنِ والأبِ والجدِّ، وَيسقطُ ولدُ الأبوينِ بالأبِ والابنِ وابنهِ، وَيَسْقُطُ وَلَدُ الأبِ بالثّلاثةِ، وبالأخِ مِنَ الأبوينِ، وَتَسْقُطُ الجَدَّةُ بالأمِّ، والجدُّ بالأبِ.

بابُ العَصَبَةِ

وَهو كلُّ ذَكَرٍ ليسَ بَينَهُ وبينَ الميِّتِ أُنثى، وأحقُّهمْ أقربُهمْ، الابنُ، ثُمَّ ابنُه، ثُمَّ الأبُ، ثُمَّ أبُوه، (ثُمَّ بَنُو الأبَوَينِ)، ثُمَّ بَنُو الأَبِ، ثُمَّ بَنُوهُم، ثُمَّ بَنو

الجَدِّ، ثُمَّ بَنُوهم، وَعلَى هَذا لا يرثُ بنو أبٍ أعلَى مَعَ بَنِي أبٍ أقرَبَ منهُ، فَإِنِ استووا قُدِّمَ وَلَدُ الأبوينِ، وَأَربَعةٌ يُعَصِّبُونَ أخواتِهِم فيما بَقِيَ، للذَّكرِ مِثْلُ حظِّ الأُنثيينِ، وهم: الابنُ، وابنهُ، والأخُ لأبوينِ أو لأبٍ، ومَنْ عَدَاهُمْ يَنْفَرِدُ الذُّكورُ بالإرثِ.

والعَصَبَةُ تأخذُ الكلَّ إِنِ انفردوا، والبَاقِيَ مَعَ ذَوِي الفَرْضِ، فإن عُدِمَ فَالمُعْتِقُ، ثُمَّ عَصَبَاتُهُ الأقربُ فالأقربُ.

بابُ ذوي الأَرحَامِ

وهُمْ كلُّ قَرابةٍ لَيسَ بذِي فَرْضٍ وَلا عَصَبَةٍ، ويُقدَّمُ عَلَيْهُمُ [الرَّدُّ](1)، وذو الفَرْضِ والعَصَبةِ، ثُمَّ يُورَّثونَ بالتنْزيلِ، فَيُجْعَلُ كلُّ وارثٍ كَمَنْ أدلَى به، ويُسَوَّى بَينهم، والجِهَاتُ أَرْبَعَةٌ: الأُبوّةُ، والأُمومةُ، والبنوّةُ، والأُخوّةُ، وَيَسْقُطُ البعيدُ بالقريبِ.

بابُ أُصولِ المسائلِ

الفرُوضُ ستَّةٌ، نِصْفٌ، ورُبُعٌ، وَثُمُنٌ، وثُلثانِ، وثُلثٌ، وسُدسٌ، وأُصُولُها سَبعةٌ، فَالثُّمنُ وحْدَهُ، أو مَعَ النِّصفِ مِنْ ثَمانيةٍ، والرُّبعُ وَحدَهُ، أو مَعَ النِّصفِ مِنْ أربعةٍ، والثُّلُثُ والثُّلُثَانِ مِنْ ثلاثةٍ، والنِّصفُ مِنِ اثنينِ، فَهذِه الأربَعةُ لا تَعولُ، وَإذَا كَانَ مَعَ النِّصفِ سُدُسٌ، أو ثُلثانِ، أو ثُلثٌ فَهي مِنْ ستَّةٍ، وَتعولُ إلَى عَشَرةٍ، وإنْ كَانَ مَعَ الرُّبُعِ أحدُ الثَّلاثةِ فهي مِنِ اثني عَشَرَ، وتَعولُ علَى الفردِ إلَى سَبعَةَ عَشَرَ، وَإن كَانَ مَعَ الثُّمنِ أحدُ الثَّلاثةِ فَهي مِنْ أربعةٍ وعشرينَ، وتَعولُ إلَى سَبعةٍ وعشرينَ، فَإذَا لَمْ يَنقَسمْ سَهْمُ فريقٍ عليهم قسمةً صحيحةً، ضَرَبْتَ عدَدَهُمْ أو وِفْقَهُ فِي أصلِ المسألةِ وعولِها فما بلغَ فَمنهُ تَصِحُّ.

(١) لم نستطع قراءتها ولعلها ما أثبتناه.

فإذا قُسِّمتْ فكلُّ مَنْ له شيءٌ مِنْ أصلِ المسألةِ فاضربه في العددِ المضروبِ فيها، وهو له إن كان واحداً، وإلَّا قُسِّم عليهم، وَلَو انكسرَ على فريقينِ فأكثرَ فإن تَماثلا أجزأكَ واحدٌ، وإنْ تَنَاسَبَا أجزَأكَ أكثرُهُمَا، وإنْ تَبَايَنَا ضَرَبتَ ذَا فِي ذَا، ثُمَّ فِي أصلِ المسألةِ، وإنْ تَوَافَقا ضَرَبتَ وِفْقَ أحدِهما في الآخَرِ، ثُمَّ في الأصلِ، فما بَلَغَ فمنه تَصِحُّ.

بابُ الرَّدِّ

إذَا لَم يكنْ عَصَبَةٌ رُدَّ مَا فَضَلَ عَنْ ذَوي الفُرُوضِ عَلَيهم، عَلَى قَدرِ فُرُوضهِم، إلَّا الزَّوجَين، فإن انكَسَرَ عَلَى أحَدِهم فَخُذْ عددَ سهامِهم مِنْ أصلِ ستّةٍ، واجعله أصلَ المسألةِ.

ومَتَى مَاتَ بَعضُ الوَرَثةِ قبلَ قَسْمِ التَّركةِ فهي مُنَاسَخَةٌ، فإن (كانَ)[1] وَرَثةُ الثانِي كَالأوَّلِ قُسِّمَت التَّركةُ عَلى مَنْ بَقِيَ مِنهُم عَلى مَسألَةِ الأوَّل، وإلَّا قُسِّمَتْ تَرِكَةُ الأولِ، فَمَا حَصَلَ للثانِي مِنهَا إن انقَسَمَ عَلَى مَسألتِهِ صَحّتِ المسْألَتَانِ مِمَّا صَحَّتْ مِنْهُ الأُولَى، وإلا وَافَقْتَ بَيْنَ سِهَامِهِ ومَسْألَتِهِ وَضَرَبْتَهَا أو وِفْقَهَا في الأُولَى، فَمَا بَلَغَتْ صَحَّتْ مِنْهُ، ثُمَّ مَنْ له شيٌ مِنَ الأولى مضروبٌ في الثانِيةِ أو وِفْقِهَا، ومَنْ له شيءٌ مِنَ الثانِيةِ مضروبٌ فيما ماتَ عنهُ أو وِفْقِهِ، وَكذا تَصنَعُ فِي الثَّالثِ ومَنْ بَعدَهُ.

بابُ ميراث الخُنثَى

الخُنْثَى المُشْكِلُ مَنْ لَهُ ذَكَرٌ وَفَرْجٌ، فَيُعتبَرُ فِيهَا أحوَالُهُ، فإن رُجِيَ انكشافُ حَالِهِ، أُعطِيَ ومَنْ معه اليَقِينَ، وإلَّا أُعطِيَ نِصفَ مِيرَاثِ ذَكَرٍ ونصفَ ميراثِ أُنثى، وَكَذَا دِيَتُهُ، وجِراحُه، ولا يُزَوَّجُ بِحَالٍ.

وَمَوانعُ الإرثِ والحَجبِ ثَلاثةٌ: الرِّقُّ، وَاختِلافُ الدِّينِ، وَالقَتْلُ بِغَيْرِ

(١) ما بين القوسين إضافة لا بد منها.

حَقٍّ، وَمَنْ بَعْضُهُ (حُرٌّ)[1] يَرِثُ ويَحْجِبُ بِقدرِهِ.

وإذا جُهِلَ أَوَّلُ المُتوارِثَينِ، وَرِثَ كلٌّ صاحبَهُ مِنْ تِلادِ مالِهِ، دونَ ما ورِثَه مِنَ الميتِ مَعَهُ، ولَو ادَّعى كلُّ ورثةٍ سبْقَ الآخَرِ ولا بيِّنَةَ، أو تَعارَضَتا حَلَفَ كلٌّ، وَلا تَوارثَ، كَمَا لَو مَاتَا مَعاً.

بابُ ميراثِ المفقودِ

يُقسمُ مالُهُ فِي الزَّمَنِ الذي لزوجتِه أَنْ تَتَزَوَّجَ فيه، فَإن مَاتَ مُورِّثُهُ فِي مدَّةِ التربُّصِ دُفِعَ إلى كلِّ وارثِ اليقينُ، ووُقِفَ الباقي.

كَمَا لَو مَاتَ عَنْ حَملٍ يَرِثُهُ، وُقِفَ لَه نصيبُ ابنينِ إن كَان أكثَرَ، وإلَّا ابنَتينِ، ودُفِعَ إلَى مَنْ يَحجُبهُ الحملُ أقلُّ ميراثهِ، وإلَى مَنْ لا يَحجبهُ كلُّ ميراثهِ، فإذا وُلِدَ، أَخَذَ نصيبَهُ، ورُدَّ الباقي إلَى مستحقِّه، وإذا اسْتَهَلَّ وَرِثَ، وَوُرِثَ، كَأَن بَكَى، أو عَطَسَ، لا إنْ تَحَرَّكَ، وَبَيْنُونَةُ المريضِ لا تقطعُ الإرثَ في العِدّةِ حَيثُ يُتَّهَمُ، وإن أقرَّ الوَرَثَةُ بِمُشَارِكٍ فَصَدَّقَهُمْ، أو كَانَ صَغيراً مَجهُولَ النَّسَبِ، ثَبَتَ نَسَبُهُ وإرْثُهُ، وإن أقرَّ بعضُهم لَم يَثْبُتْ، ولهُ فَضْلُ ما بِيَدِ المُقِرِّ عَنْ ميراثِهِ.

بابُ الوَلَاءِ

كُلُّ مَنْ أَعتَقَ عَبداً أو عَتَقَ عَلَيه بِرَحِمٍ، أو كِتَابَةٍ، أو تَدبيرٍ، أو استِيلادٍ، فَلَهُ وَلاؤهُ، وولاءُ أولادِهِ مِنْ زَوجَةٍ مُعْتَقَةٍ، أو أَمَتِهِ، وعَلَى مُعْتَقِيه ومُعْتَقِي أولادِهِ وأولادِهِم، ومُعْتَقِيهِمْ أبداً ما تناسَلُوا، ثُمَّ لِعَصَبَةِ السَّيِّدِ، ولا يُباعُ، ولا يُورثُ، وَهو للكُبْرِ، ولا يَرِثُ النِّسَاءُ مِنَ الوَلاءِ إلَّا ما أعتَقْنَ، أو أَعْتَقَ مَنْ أَعْتَقْنَ، ولا يرثُ به ذو فَرْضٍ إلَّا الأبُ والجدُّ، يرثان السُّدسَ مَعَ الابنِ، والجدُّ الثلثَ مَعَ الإخوةِ، إذا كان أحظَّ له، وَإذا أَعْتَقَتِ المَرأةُ عبداً، ثُمَّ ماتت فولاؤه لابنِها، وعَقْلُهُ على عَصَبَتِهَا.

---

(١) ما بين القوسين إضافة لا بد منها لاستقامة العبارة.

فَصْلٌ فِي جرِّ الولاءِ

مَنْ كَانَ أحدُ أبويهِ حُرَّ الأصلِ، ولَم يَمَسَّهُ رقٌّ، فلا ولاءَ عليهِ، وإن كانَ أحَدُهُما رقيقاً تَبعَ الولدُ الأمَّ، فإن كَانت رَقيقةً فأعتقهُم السيِّدُ فولاؤهم له لا ينجرُّ عنه بِحَالٍ، وإن كانَ الأبُ رقيقاً والأمُّ معتقةً فأولادُهُما أحرارٌ، ولاؤُهم لِمَوالِي أُمِّهِم، فَلَو أُعتِقَ الأبُ جرَّ مُعتِقُهُ ولاءَ أولادِهِ، ولو اشترى أحدُ الأولادِ أباهُ عتَقَ عليهِ، ولَهُ ولاؤهُ وولاءُ إخوَتِهِ، وَيبقَى وَلاؤه لِمَوالِي أُمِّهِ، ولَو اشتَرى ابنٌ وبنتٌ منهم الأبَ عَتَقَ عليهما، وصارَ ولاؤهُ لَهُمَا نِصفينِ، وَجَرَّ كُلٌّ واحدٍ نصفَ ولاءِ صَاحِبِه، وبَقِيَ نصفُهُ لِمَوالِي أُمِّهِ، فإن ماتَ الأبُ وَرِثَاه أثلاثاً، ثُمَّ إذا مَاتت البِنتُ وَرِثَها أَخُوهَا، ثُمَّ إذا ماتَ الأخُ فماله لِمَوالِيه، وهم أختُه وَمَوالِي أمِّه، فَلِمَوالِي أُمِّهِ النِّصفُ، والنِّصفُ الآخرُ لِمَوالِي الأُختِ، وهُم أَخُوهَا ومَوَالِي أُمِّهَا، فَقَد رَجَعَ إليهِ رُبعٌ، فَهُوَ لِبَيتِ المَالِ، وقِيل: لِمَوَالِي الأُمِّ[١].



(١) ينظر هذا الخلاف في: الفروع ٥/ ٦٩.

كتابُ العِتْقِ

يَصِحُّ مِنْ مَالكٍ مُطلقٍ، بِصَريحِ العِتقِ والتَّحريرِ وَفَكِّ الرَّقَبَةِ، وَبِالكِنَايَةِ مَعَ النِّيَّةِ، وَلَو أعتَقَ جُزءاً مِنْ عَبدِهِ سَرَى، وَمِنْ مُشتركٍ عَتَقَ الباقِي عليه بقيمتِهِ، إن أيسَرَ بها، ومَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ (مَحْرَمٍ)[1] عَتَقَ عليه.

ويَصِحُّ تَعلِيقُ العِتقِ بالصِّفَةِ، ولا يَبطلُ بِقَولِهِ، وَلَهُ بَيعهُ والتصَرُّفُ فيهِ، فَمَتَى عادَ عادتِ الصِّفةُ، وَلَو كانت حاملاً حِينَ التّعليقِ ووجودِ الشَّرطِ عَتَقَ حَملُهَا، فإن حَمَلتْ وَوَضَعتْ فيما بَينهما لَمْ يَعْتِقْ، ومَنْ قَال: أعتق عبدَك عنِّي، وَعَليَّ ثَمنُهُ فَفَعَلَ فَعَلَى الآمرِ ثَمنُهُ، وَلَه وَلاؤه، وَإن لَمْ يَقُل: عنِّي، فالثّمنُ عليهِ، والولاءُ للمُعتِقِ، وَمَنْ أعتَقَ عَبدَاً عَنْ حَيٍّ بِلا أمرِهِ، أو عَنْ مَيِّتٍ فالوَلاءُ للمُعْتِقِ، وإن أعتَقَهُ عَنه بأمرِهِ، فالولاءُ للمعْتَقِ عنه.

بابٌ

التَّدبِيرُ وصيةٌ، فَلو قالَ: أنتَ مُدَبَّرٌ، أو حُرٌّ بَعدَ مَوتِي صَارَ مُدَبَّراً، وَيَبْطُلُ بِإزالَةِ مُلكِهِ، فلو عَادَ رَجَعَ تَدبيرُه، وَيَجُوزُ تَدبيرُ المُكاتَبِ وَعَكْسُهُ، فإن أدَّى عَتَقَ، وإن ماتَ سيدُهُ قبلَ الأداءِ عَتَقَ إن حَمَلَ الثُّلُثُ ما بَقِيَ مِنْ كتابتهِ، وإلَّا عَتَقَ بقدرِهِ، وسَقَطَ بينهما بقدرِ ما عَتَقَ، وهو على الكتابةِ فيما بَقِيَ، ومَنِ استولدَ مدبَّرتَهُ بَطَلَ تدبيرُهَا، ولَو أسلَمَ مُدَبَّرُ الكافرِ أو أمُّ ولدِه، جُعِلا بِيَدِ ثقةٍ، وأُجبِرَ السيدُ على نفقتِهما إن لم يكنْ لهما كَسْبٌ، فَإن أسلَمَ رُدَّا إليه، وإن مَاتَ عَتَقَا، ولو دبَّرَ شِرْكَاً له في عبدٍ لَمْ يَسْرِ، وإن أعتَقَهُ فِي مَرضِهِ، وثُلُثُهُ يَحْتَمِلُ باقيهِ عَتَقَ جَميعُهُ.

---

(١) ما بين القوسين من الهامش.

بابُ الكتابةِ

تَصِحُّ مِنْ جَائِزِ التَّصرُّفِ، وفِي مَرَضِهِ مِنْ ثُلثِهِ، ونُدِبَ إن طَلبَهَا كَسُوبٌ، وَإنَّمَا تَصِحُّ بِمَالٍ مَعلومٍ، إلَى أَجَلٍ مَعلومٍ، أقلُّهُ نَجْمَانِ، وإنْ حَلَّ نَجمٌ فلم يُؤدِّه فله تَعْجِيزُهُ، ويُبدأُ بِجنايَتِهِ، وَهو عَبدٌ ما بَقِيَ دِرهمٌ، لكِنْ يَمْلِكُ أكْسَابَهُ وهو البيعُ والشِّراءُ، وما فيه مصلحةُ مالِهِ، ولا يتبرَّعُ ولا يتزوّجُ إلَّا بإذنٍ.

ويُسَنُّ حَطُّ الرُّبُعِ، وَيَجُوزُ بَيعُهُ، فَيُؤدِّي إلَى مُشتَرِيهِ، وَليسَ لَه وطءُ مُكَاتَبتِهِ بغيرِ شرطٍ، فَإن فَعَلَ لَزِمَهُ مَهْرُ المِثْلِ، فإن أولدَهَا صارتْ أمَّ ولدٍ، ولَو اشتَرى كلٌّ واحدٍ مِنَ المُكَاتَبَينِ الآخَرَ صَحَّ الأولُ، ولَو اختَلفَ هو وَسيدُهُ في المكاتبةِ أو عِوَضِهَا، أو التَّدبِيرِ، أو الاستيلادِ قُدِّمَ قولُ السيدِ، ويَجرِي الرِّبَا بَينَهُمَا.

بابُ أمهاتِ الأولادِ

إذا وَطِئَ أَمَتَهُ، أو أَمَةَ ابْنِهِ، أو مُشْتَرَكَةٍ، فأتَتْ بِبَدْءِ خَلْقِ آدَميٍّ، صارتْ أُمَّ ولدٍ، تَعْتِقُ بِموتِهِ مِنْ رأسِ مالِهِ، ولهُ استِخدامُهَا، لا ما يَنْقُلُ المُلكَ، أو يُرادُ لهُ، كَرَهْنٍ، ولو وَطِئَ أمةَ غيرِهِ بنكاحٍ أو غيرِهِ، ثُمَّ مَلَكَهَا حامِلاً منهُ، عَتَقَ الجنينُ، وله بيعُها، وإذَا وَلَدتْ أمُّ الولدِ مِنْ غيرِ سيدِهَا فلولدِهَا حُكْمُهَا، كَوَلَدِ المدبَّرةِ والمكاتبةِ بَعْدَهُ.



كتابُ النِّكَاحِ

وهو سُنَّةٌ، وأَفْضَلُ مِنْ نَفْلِ العِبَادَةِ، وَحَتْمٌ عَلَى تَائِقٍ، يَخَافُ العَنَتَ، وَيَحْرُمُ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى المَرأةِ، لا أَمَتِهِ المُبَاحَةِ لَهُ وَزَوجَتِهِ، وَمَنْ يُرِيدُ نِكَاحَهَا، فَيَنظُرُ مِنْ هَذِهِ مَا يَظهَرُ غَالِبَاً، أو الشهَادَةَ عليها، أو مُعَاملتَهَا فَيَنظُرُ الوجهَ، أو مُدَاوَاتَهَا فَمَوضعُ الحَاجَةِ، أو مُسْتَامةٍ، أو ذَاتِ مَحْرمٍ، فَينظرُ ما يَظْهَرُ مَعَ الرّأسِ والسَّاقينِ.

وَيَحْرُمُ التَّصريحُ بِخِطْبَةِ المُعتدَّةِ، وَلا يُعَرِّضُ لِغير بائِنٍ، وَلا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ إنْ أُجِيبَ.

بابٌ

أركانُهُ: إيجابٌ، وَقَبُولٌ: زوَّجتُ، وقَبِلتُ، أو أَنكَحْتُ، ونَكَحْتُ، وَلو قالَ لأَمَتِهِ: أَعْتَقْتُكِ وجَعَلتُ عِتْقَكِ صَدَاقَكِ بحضَرةِ شَاهِدَينِ صَحَّ، وأيُّمَا عَبْدٍ نَكَحَ بغيرِ إذنِ مَوَاليهِ فَنِكَاحُهُ بَاطِلٌ، فإن دَخَلَ بهَا فَفِي رقبتهِ المَهرُ، ومَنْ غُرَّ بأمَةٍ فَلهُ الفَسْخُ، وَوَلَدُهُ حُرٌّ، وَيَفْدِيهِمْ بِمثلهِمْ، ويرجعُ بهِ على مَنْ غَرَّهُ، ويُفَرَّقُ بينهما إن لَمْ يكنْ مِمَّن يَحِلُّ لهُ الإِمَاءُ، وإلَّا فما وَلَدَتْ بعدَ علمِهِ رقيقٌ، وتَعْيِينُ الزّوجينِ، برؤيةٍ أو صفةٍ، وشَهادةُ عَدْلَينِ شَرْطٌ، وَالكَفَاءَةُ فِي دِينِهِ وَنَسَبِهِ، فلو رَضِيَتْ بِغَيرِه جَازَ فِي الأصحِّ[1]، والولِيُّ، إنْ كَانَ حُرَّاً، ذَكَرَاً، مُكَلَّفاً، يُوافِقُ دِينَهَا، إلَّا المُسلِمَ إذَا كَانَ سُلطاناً أو سَيِّدَ أمَةٍ، والأبُ أولَى وإن عَلا، ثُمَّ

(١) والرواية الثانية: لا يجوز، واختارها الخرقي وجماعة.
تنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ١/٢٥٠، الفروع ٥/١٨٩، والمغني ٩/٣٨٨، ٣٨٩، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي ٥/٥٩ ـ ٦٢.

الابنُ وإن نَزَلَ، ثُمَّ أقربُ عَصَبَتِهَا، ثُمَّ المُعْتِقُ، ثُمَّ عَصَبَاتُهُ، الأقربُ فَالأقرَبُ، ثُمَّ السُّلطانُ، ووكيلُ كلِّ واحدٍ من هؤلاءِ يقومُ مَقَامَهُ، ولا يُزَوِّجُ الأبعدُ مَعَ وجُودِ الأقربِ إلَّا لِعُذْرٍ كَعَضْلٍ، وجُنُونٍ، وغَيبةٍ، وَصِغَرٍ، وَيَتَوَلَّى طَرَفَي العقدِ إذا زوَّجَ عَبْدَهُ الصّغيرَ مِنْ أمتِهِ، ويُجْبِرُ الأبُ أولادَهُ الصّغارَ والمجانينَ والبُكَّرَ، وَالسيدُ إماءَهُ الأبكارَ والثُّيَّبَ، وَعبيدَهُ الصِّغَارَ، ولا يزوِّجُ غَيرُهُما إلَّا بإذنٍ، إلَّا المَجنُونةَ إذَا ظَهَرَ منها المَيلُ إلَى الرِّجالِ.

وإذنُ بنتِ تِسْعِ سِنِينَ معتبرٌ في الأظهرِ[1]، وإذنُ الثيِّبِ الكلامُ، وإذنُ البكرِ الصُّمَاتُ.

ويُقَدَّمُ في الأولياءِ الأَعْلَمُ، ثُمَّ الأَسَنُّ، ثُمَّ القُرعَةُ.

بابُ المحرَّماتِ في النِّكاحِ

يَحْرُمُ مِنَ النّسبِ والرَّضَاعِ غيرُ ولدِ العُمُومَةِ والخُؤولَةِ، وَمِنَ المُصَاهَرةِ بالعقدِ زَوجَةُ أَصْلِهِ، وَفَرْعِهِ، وَأَصْلُ زَوجَتِهِ، وبالدُّخولِ فَرعُها، ومثلُها الوطءُ بشبهةٍ، أو زِناً، أو مُلكٍ، وتَحْرُمُ بِنْتُهُ مِنَ الزِّنا.

ولا يُجْمَعُ بينَ امرأةٍ وأختِهَا، أو عمَّتِهَا، أو خالَتِهَا، ولَو بِتَسَرٍّ، وَلا يَنْكِحُ كافرٌ مُسْلِمَةً، ولا مُسلِمٌ كافرةً، إلَّا حُرَّةً كتابيةً، وإنَّما يَنْكِحُ حُرٌّ مسلمٌ أَمَةً مُسلِمةً لِخوفِ عَنَتٍ، وفَقْدِ طَوْلِ حُرَّةٍ، ولو بَقِيَ الشّرطانِ أُبيحَ لهُ أربعٌ.

وَيَحْرُمُ إلى أَمَدٍ زوجةُ الغيرِ، ومعتَدَّتُهُ، ومستَبرأَتُهُ، والزّانيةُ حتى تتوبَ وتعتدَّ، والمُستَوفَى طلاقُها حتى تَنْكِحَ زوجاً غَيرَهُ بلا حِيلةٍ، والمُحْرِمَةُ حتى تَحِلَّ، وَمُلاعِنةٌ، والخامسةُ للحرِّ، والثالثةُ للعبدِ، وَلا يَنْكِحُ سَيِّدَتَهُ، ولا أَمَتَهُ، ولا حُرٌّ أَمَةَ ولدِهِ، ولا حُرَّةٌ عبدَ ولدِهَا.

---

(١) والرواية الثانية: للولي تزويجها بغير إذنها.

تنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ٢٤٨/١، والفروع ١٧٢/٥، والمغني ٤٠٧/٩.

بابُ الخِيَارِ

يَثبتُ لَهُمَا مُتراخِياً ما لَمْ يَحْصُلْ رِضاً، بِحاكمٍ، بِجنونٍ، وجُذامٍ[(١)]، وبَرَصٍ، ورِقٍّ، وله بِقَرَنِهَا[(٢)]، ورَتَقِهَا[(٣)]، (وفَتْقِهَا)[(٤)]، ولَها بِعُنَّتِهِ[(٥)]، وجَبِّهِ[(٦)].

ولا يَجوزُ تعليقُ النِّكاحِ، وَلا يَصِحُّ شِغَارٌ، ومُحَلِّلٌ، وَمُتعَةٌ، وإن شَرَطَ أنْ لا مَهْرَ ولا نَفَقَةَ ونَحْوَهُ بطلَ الشَّرطُ، وإن شَرَطَ أَلَّا يُخْرِجَهَا مِنْ بلدِهَا، أو دارِهَا، أو لا يتزوجَ عليهَا صحَّ، وَلَهَا الفَسْخُ بِخُلْفِهِ.

بابُ نِكَاحِ الكُفَّارِ

نِكاحُهُمْ مُعتَبَرٌ ما اعتقدُوا حِلَّهُ، ولَم يَترافَعُوا إلينا، وإن تَرافَعوا صَارَ كَأنكِحَتِنَا، وإنْ أسلَمَ أحَدُ الزَّوجَينِ غَيرَ الكِتَابِيَينِ، أو زَوجَةُ كِتَابِيٍّ فلا نِكَاحَ قبلَ الدُّخولِ، ولا مَهْرَ، وبَعْدَهُ تَقِفُ الفُرْقَةُ على إسلامِ الآخَرِ في العِدَّةِ، فَإِنْ أسلَمَا مَعَاً، أو زَوجُ الكتابيةِ فَهُمَا على النِّكاحِ، فَلَو أَسْلَمَ عَنْ أَكْثَرَ مَنْ أربعٍ أُجبِرَ على اختيارِ أربعٍ، وَطَلاقُهُ ووطؤهُ اختيارٌ.

---

(١) قال البعلي: الجذام داء معروف تتهافت منه الأطراف، ويتناثر منه اللحم. نسأل الله العافية. المطلع ص٣٢٤.

(٢) قال البعلي: القَرَن بفتح القاف والراء مصدر قرِنت المرأة تقرَن قَرَنا، وهو عظم أو غدة مانعة ولوج الذكر.
المطلع ص٣٢٣، ونقله عنه ابن عبد الهادي في الدر النقي ٣/ ٦٣٥، ٦٣٦.

(٣) قال البعلي وابن عبد الهادي: الرَّتَق بفتح الرّاء والتّاء مصدر رتقت المرأة ترتق رتقاً إذا التحم فرجها. المطلع ص٣٢٣، الدر النقي ٣/ ٦٣٤.

(٤) ما بين القوسين من الهامش، والفتق كما قال ابن قدامة: انخراق.
ما بين مجرى البول ومجرى المني، وقيل: انخراق ما بين القبل والدبر. المقنع ص٢١٤، ٢١٥.

(٥) قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: العنين هو العاجز عن الإيلاج، وهو مأخوذ من «عَنَّ» أي اعترض، لأن ذكره يعترض إذا أراد الإيلاج. المغني ١٠/ ٨٢.

(٦) قال الفيومي: يقال: مجبوب بيّن الجباب بالكسر إذا قطعت مذاكيره. المصباح ١/ ٨٩.

كتابُ الصَّدَاقِ

يُسَنُّ فِي العقدِ، ولو قليلاً، ومنفعةً معلومةً، وألَّا يزيدَ على خَمْسِمَائةِ درهمٍ، وكلُّ ما جَازَ ثمناً جَازَ صداقاً، وإنَّما يُنَقِّصُهَا مِنْ مَهْرِ المِثْلِ أبُوهَا، ولو لَمْ يُسَمِّ شيئاً وَجَبَ بِفَرْضِهَا، أو الحاكِمِ، وإلَّا وَجَبَ مَهْرُ المِثْلِ بِالدخُولِ، والمُتْعةُ قَبْلَهُ، وأعلاها خَادِمٌ، وأدنَاهَا كِسْوَةٌ تُجْزِئهَا الصَّلاةُ فيهَا، ولو أصْدَقَهَا مُعَيَّناً فوجدَتْهُ معيباً خُيِّرتْ بينَ أَرْشِهِ وَرَدِّهِ وأخذِ قيمتهِ، وإنْ كانَ خَمراً أو مغصوباً وعَلِمَتْهُ وقتَ العقدِ فلها مَهْرُ المِثْلِ، وإلا فَالقِيمَةُ، كما لو تزوَّجَهَا على عبدٍ فتعذَّرَ، فالقيمةُ، ولو اختلفَا قُدِّمَ قولُ مُدَّعِي مَهْرِ المِثْلِ.

وكُلُّ فُرْقَةٍ قبلَ الدخولِ مِنْ جِهَتِهَا تُسْقِطُ المهرَ، ومِنْ جهتهِ، أو أجنبيٍّ تُنَصِّفُهُ، وَيَرْجِعُ على الأجنبيِّ، وإنْ دخَلَ استقرَّ؛ كالموتِ، والخَلوَةِ.

وتُسَنُّ وَلِيمَةُ العُرْسِ، ويُكرهُ النِّثَارُ والتقاطُهُ، والأولى قَسْمُهُ، وَتَجبُ إجابةُ مُسْلِمٍ عُيِّنَ فِي الأولِ، ويُسَنُّ إِعْلانُهُ، وَضَرْبُ دُفٍّ للنساءِ، كَمَا في العيدِ، وقدومِ الغائِبِ.

بابُ عِشرةِ النِّسَاءِ

يَجِبُ عَلى كُلِّ واحدٍ مِنَ الزَّوجينِ مُعَاشَرَةُ الآخَرِ بالمَعرُوفِ، وأداءُ حَقِّهِ بلا مَطْلٍ وكُرْهٍ، ويَجِبُ تسليمُ نفسِهَا، وطاعتُهُ استِمتَاعاً، ما لَمْ يكنْ عُذرٌ، ولا يطأُ فِي حيضٍ، وَدُبُرٍ، ولا يَعْزِلُ عَنْ حُرَّةٍ بغيرِ إذنِهَا، ولا عَنْ أمَةٍ بِغيرِ إذنِ سيِّدِهَا، ويُلزِمُهَا بالغُسلِ الواجبِ، وأَخْذِ ما يُعَافُ، ويَجمعُ بينهنَّ بغُسْلٍ، لا مَسْكَنٍ كُرْهاً.

وحَقُّهَا المَبيتُ عندَهَا ليلةً مِنْ أربعٍ، وَمِنْ ثَمانٍ لِلأَمَةِ، وإصَابتُهَا كلَّ أربعةِ أشهرٍ مرَّةً، إن لَمْ يكنْ عذرٌ، وإلَّا فلها الفسخُ بِحاكمٍ، كما لو سافَرَ أكثرَ مِنْ ستّةِ أشهرٍ فطلبتْ قدومَهُ فأبَى مِنْ غيرِ عذرٍ، ومتى مَنَعَتْهُ حَقَّهُ، أو تَكَرَّهَتْ به وَعَظَهَا وَزَجَرهَا قولاً، فإنْ أبتْ هَجَرَهَا مَضْجَعاً ما شاء، وكلاماً دونَ ثلاثٍ، فإنْ أصرَّتْ فَلَهُ ضربُهَا يَسيراً، وإنْ مَنَعَهَا الحقَّ مُنِعَ مِنْهَا حتى يُحْسِنَ عِشْرتَهَا، فإن ادَّعى كلٌّ واحدٍ ظُلمَ الآخَرِ أُسْكِنَا بقُربِ ثقةٍ يُلزِمُهُمَا الإنصافَ، فإنْ صَارَا إلَى الشِّقاقِ بَعَثَ الحاكمُ عَدلينِ مُسْلِمَينِ، يَفْعَلانِ بِتوكيلِ الزَّوجَينِ الأَصْلَحَ مِنْ جَمْعٍ أو فُرْقَةٍ، فإنْ امْتَنَعَا لَم يُجْبَرَا في روايةٍ[1]، لَكِنْ يَمْنَعُ الحاكمُ ظُلمَهُ.

بابُ القَسْمِ

تَجِبُ التَّسْوِيَةُ في القَسْمِ، لا الوَطءِ، وعِمَادُهُ الليلُ، لا لِحارسٍ وَنَحوِهِ، لِلحُرَّةِ ضِعْفُ الأَمَةِ، ولِلجَدِيدَة فَضْلٌ بالزِّفَافِ، للبكرِ سَبْعاً، ولِلثيِّبِ ثلاثاً، فإنْ اسْتَوَيَا فالقُرْعَةُ، فلو بدَأَ، أو سَافَرَتْ مَعَهُ بلا قُرْعَةٍ، أَثِمَ وَيقضِي، ولَهَا أن تَهَبَ حَقَّهَا لبعضِ ضَرَّاتِهَا، بِإِذْنِهِ، وَلَهُ فيجعَلُهُ لِمَنْ شَاءَ، ويُسمِّي عِندَ الوطءِ، ويقولُ ما وَرَدَ[2].

---

(١) والرواية الثانية: يجبرهما الحاكم على ذلك.
تنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ١/ ٢٧١، والمحرر ٢/ ٤٤، والفروع ٥/ ٣٤٢.

(٢) ومن ذلك ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدكم حين يأتي أهله، قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فولد بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً**».
أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ٦/ ١٤١، ومواضع أُخر، ومسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ٢/ ١٠٥٨، وغيرهما.

بابُ الخُلعِ

وإذَا خَافَتْ ألَّا تُقِيمَ حُدودَ اللهِ فَلَهَا فداءُ نفسِهَا، بِما يَريانِهِ، وَتَبِينُ به، فَلا يَلحَقُهَا بَعْدَهُ طَلاقٌ، وَيَجوزُ بِمَجهُولٍ، وكلٌ مَا يَصِحُّ صَداقاً، مِنْ زوجٍ يَصِحُّ طَلاقُهُ، مِمَّنْ يَصِحُّ تَصَرُّفُهُ، ولو أَجْنَبِي، ولا يُسَنُّ بأكثرَ مِما أعْطَاهَا، فإن قالت: عَلَيَّ ما في يَدِي مِنَ الدَّرَاهِمِ فَلَهُ ما فِيهَا، وإلَّا فَثَلاثَةُ دَرَاهِمَ، وفِي المُبْهَمِ أَقَلُّهُ.



كتابُ الطَّلاقِ

إنَّمَا يَصِحُّ مِنْ زَوجٍ عَاقِلٍ، مُختَارٍ، لا مَنْ زَالَ عَقلُهُ بِمُبَاحٍ، أو إكرَاهٍ بِضَربٍ وَنَحوِهِ بِغَيرِ حَقٍّ، وَيَملِكُ الحُرُّ ثَلاثاً، وَالعَبدُ طَلقَتَينِ، ويَحرُمُ جَمْعُ الثّلاثِ، وَطَلاقُ مَنْ دَخَلَ بهَا فِي حَيضٍ أو طُهرٍ أصَابَهَا فيهِ، ويَقَعُ، وَلا سُنَّةَ وَلا بِدعَةَ لِحَامِلٍ، وآيِسَةٍ، وَصَغِيرةٍ كغير مَدخُولٍ بهَا.

وَصَرِيحُهُ: الطّلاقُ، والسَّرَاحُ، والفِرَاقُ، وَغَيرُهُ كِنَايَةٌ، إن احتَمَلَهُ، ونَوَاهُ، وَقَعَ بِالظَّاهِرِ ثَلاثٌ، وَهِيَ: أَنتِ خَلِيَّةٌ، وَبَرِيَّةٌ، وَبَائِنٌ، وَبَتَّةٌ، وَبَتْلَةٌ، وحُرَّةٌ، والحَرَجُ، وبِغَيرِهَا مَا نَوَاهُ، وإلَّا وَاحِدَةٌ.

ويُعَلَّقُ بالشَّرطِ؛ كَالعِتقِ، بَعدَ النِّكَاحِ، والمُلكِ، وَأدَوَاتُ الشَّرطِ إنْ، وإذَا، وَمَتَى، وَكُلَّمَا، وَمَنْ، وأيٌّ، وكُلُّها عَلى الفورِ مَعَ "لَمْ"، خَلَا: إنْ، وكُلَّمَا للتّكرارِ، وَغَيرُ المَدخُولِ بهَا تُبِينُها الوَاحِدَةُ، وتُحَرِّمُهَا الثلاثُ، ولو بالوَاوِ، وَلا يَتَجَزَّأُ ولا مَحَلُّهُ، فَرُبعُ طَلْقَةٍ، أو نِصفُكِ طَالِقٌ، واحدةٌ، لا إنْ أضَافَهُ إلَى ما يَزُولُ، وَيَصِحُّ استِثنَاءُ الأقَلِّ.

وَلَو شَكَّ فِيهِ، أو عَدَدِهِ، أو فِي الرَّضَاعِ، أو عَدَدِهِ، أو شَرْطٍ أَخَذَ باليقينِ، فإن أَبْهَمَ أو نَسِيَ المعيَّنَةَ أَقْرَعَ، ثُمَّ إن بانَتْ غَيرَها رُدَّتْ إليه، فإنْ مَاتَ قبلَ القُرعةِ فالورثَةُ مِثْلُهُ.



كتابُ الرَّجْعَةِ

مَنْ طَلَّقَ دُونَ مُلكِهِ، بِلَا عِوَضٍ، فَلَهُ رَجْعَةُ المَدْخُولِ بهَا، مَا دَامَتْ فِي العِدَّةِ، بـ: رَاجَعْتُ، أو: أمسَكْتُ ونَحْوِهِ، وَبِالوَطءِ، وَفِي: نَكَحْتُ، وتَزَوَّجْتُ، وَجْهٌ[1]، بِلا وَلِيٍّ، ولا رِضَاهَا، وَهِيَ زَوجَةٌ يَلحَقُهَا الطَّلاقُ، والظِّهارُ، والإيلاءُ، وَتَعُودُ على مَا بَقِيَ مِنَ الطَّلاقِ وَلَو بَعْدَ زَوجٍ، ولا تُعلَّقُ الرَّجْعَةُ، ولا تَصِحُّ فِي الرِّدَّةِ، وَتُسْتَحَبُّ فِي البدعيِّ، ويُقَدَّمُ قولُهَا فِي انقضاءِ عدَّتِهَا، مَا ادَّعَتْ مُمكِنَاً، والله أعلَم.



(١) أي أنها تحصل بهما، والوجه الثاني: أنها لا تحصل بهما.
يُنظر هذان الوجهان في: الهداية لأبي الخطاب ٢/ ٤١، والمحرر ٢/ ٨٣، والفروع ٥/ ٤٦٤، والمغني ١٠/ ٥٦١.

كتابُ العِدَدِ

لا عِدَّةَ بِفُرقَةِ الحَيَاةِ قَبلَ مَسِيسٍ أو خَلوَةٍ، والمُعْتَدَّاتُ ستَّةٌ: أولاتُ الأحْمَالِ أجلُهُنَّ بِالوَضْعِ، وهوَ مَا تَصِيرُ بهِ أمَّ وَلَدٍ، فإن كانَا تَوأمَينِ فبالآخِرِ.

الثانِي: المُتَوَفَّى عَنْها زَوجُهَا، عدَّتُهَا أربعةُ أشهرٍ وَعَشْراً، وتَتَنصَّفُ بالرِّقِّ.

الثالثُ: المُطلقَاتُ فِي الحياةِ مِنْ ذَوَاتِ القُرُوءِ، يَتَرَبَّصنَ بِثَلاثِ حِيَضٍ، وَالأمَةُ حَيضَتَانِ.

الرابعُ: اللائي يَئِسْنَ، واللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ، فَثلاثةُ أشهُرٍ، والأمَةُ شَهرَانِ.

والخامسُ: مَنِ ارتفعَ حَيضُهَا لا تَدْرِي سَبَبَهُ، تَعتدُّ سَنَةً، وإنْ عَلِمَتْ فحتَّى يَعُودَ.

السَّادسُ: امرأةُ المفقُود بِمَهْلكَةٍ، أو مِنْ بينِ أهلهِ فلمْ يُعلمْ خَبَرُهُ، تَتَرَبَّصُ أربعَ سنينَ، ثُمَّ تَعْتَدُّ للوفَاةِ، والغَيبَةُ التِي ظَاهِرُهَا السَّلامةُ فَتَبقَى أبداً، وَعَنْهُ[1]: تِسعِينَ سَنَةً مِنْ يَوم وُلِدَ، وَلَو خَرَجَتْ لسفرٍ أو حَجٍّ فتوفِّي زَوجُهَا رجعتْ لقضاءِ العدَّةِ بمنْزلهِ إنْ قَرُبَتْ، وَلَو أسلَمَتِ امرأةُ الكَافِرِ، أو ارتَدَّ زَوجُ المُسلِمَةِ بعدَ الدخُولِ، فَلَها نَفَقَةُ العِدَّةِ، وعَكسُهُ بعَكسِهِ.

فَصْلٌ

تَجْتَنِبُ المتوفَّى عنهَا: الزِّينَةَ، والطِّيبَ، ولبسَ المَصْبُوغِ للتَّحَسُّنِ،

(١) يعني الإمام أحمد ـ يرحمه الله ـ، وتُنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ٢/ ٦١، والمحرر ٢/ ١٠٦، والمغني ١١/ ٢٤٧، ٢٤٨.

والإثْمِدَ، وَعَليهَا المَبِيتُ بِمنْزِلِ الوَفاةِ إنْ أمْكَنَ، والمبْتُوتَةُ مِثْلُهَا، إلَّا فِي المبيتِ فِي الأَشْهَرِ[(١)].

بابُ الاستبرَاءِ

مَنْ مَلَكَ أمَةً لَم يُصِبْهَا ولَم يُبَاشِرْهَا حتَّى يَسْتَبْرِئَهَا، وَكَذَا المُسْتَفْرَشَةُ والمُعْتقةُ لا تُنْكَحُ حتى تُستبرَأَ، بِالوَضعِ فِي الحَامِلِ، وحَيضَةٍ في الحَائِضِ، وَشهْرٍ فِي الآيِسَةِ، وَعَشَرَةِ أشهُرٍ فِيمَنْ ارتَفَعَ حَيضُهَا لا تَدْرِي سَبَبَهُ.



(١) والرواية الثانية: لا يجب على المبتوتة الإحداد.
تُنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ٢/ ٦٢، والمحرر ٢/ ١٠٨، والفروع ٥/ ٥٥٤، والمغني ١١/ ٢٩٩.

كتابُ الرَّضَاعِ

يُحَرِّمُ خَمْسُ رَضَعَاتٍ في الحَولَينِ، وَتَنْشُرُ الحُرْمَةَ إِلى فُرُوعِهِ، لا أُصُولِهِ، وَمَنْ فِي دَرَجَتِهِ، فإنْ وَطِئَا امْرَأَةً فَوَلَدَتْ فأرضعتْ، فَهوُ ابنُ ذي النَّسَبِ، وَلَو لَهُمَا، وإلَّا حَرُمَ عَلَيهِمَا، وَيَثْبُتُ بقولِ امرأةٍ عدلٍ.



كتابُ الظِّهَارِ

هُوَ تَشْبِيهُ امرأةٍ أو عُضوِهَا بِمَنْ تَحْرُمُ عليهِ أبداً، أو بِعُضوِهَا، نَحو: أنتِ عَليَّ كَظهرِ أُمِّي، أو حَرَامٌ، فتَحرُمُ، حَتَّى يُكَفِّرَ، بِتَحرِيرِ رَقبةٍ مُؤمنةٍ مِنْ قَبلِ أن يَتَمَاسَّا، فَمَن لَم يَجِدْ، فَصِيَامُ شَهرَينِ مُتَتَابِعَينِ، فَمَن لَم يَستَطِعْ، فَإطعَامُ سِتِّينَ مِسكِيناً، ومَنْ كَرَّرهُ قَبلَ التَّكفِيرِ فَوَاحِدَةٌ كَاليَمِينِ، وَكَمَا لَو ظَاهَرَ مِنْ نِسَائِهِ بِكَلِمَةٍ، وَإن ظَاهَرَ مِنْ أَمَتِهِ أو حَرَّمَهَا، أو مُبَاحاً، أو هِيَ مِنهُ، لَمْ تَحْرُمْ، وَكَفَّارَتُهُ كاليمينِ، والعَبْدُ بِالصِّيَامِ.

بابُ الإيلاءِ

وهو حَلِفُ زوجٍ مُكَلَّفٍ ولو ذِمِّيٍّ باللهِ أو صفتِه عَلى تركِ وطءِ زوجَتِهِ في القُبُلِ أَكْثَرَ مِنْ أربَعةِ أشهُرٍ، فَيُمْهَلُ أربعةَ أشهُرٍ، فَإن فَاءَ وإلَّا أُمِرَ بِالطَّلاقِ، وإن أنْكَرَ الإيلاءَ، أو مُضِيَّ الأربَعَةِ، أو ادَّعى الوَطءَ وهي ثيِّبٌ قُدِّمَ قولُهُ، وفَيئَةُ العَاجِزِ قَولُهُ: إذا قَدِرْتُ جَامَعْتُ.

بابُ اللِّعَانِ

إذا قَذَفَ مُكلّفٌ زَوجَتَهُ المُحْصَنَةَ، أي: البَالِغَةَ العَاقِلَةَ الحُرَّةَ المُسلمةَ العَفِيفَةَ، بالزِّنَا، فالحَدُّ، إن طَلَبَتْ، وإلَّا عُزِّرَ، وَيُسْقِطُهما بِبَيِّنَةٍ وبِلِعَانِهِ، بِأن يَشهَدَ أربعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، والخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شهادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، والخامسةُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، ويُخَوَّفَانِ عندَ الخامسةِ، ثُمَّ يُفرِّقُ بَينَهُما الحاكِمُ أبداً، وإن نَفَى الوَلَدَ انتَفَى، مَا لَم يَكُنْ أقَرَّ

بِهِ أو وُجِدَ مِنهُ الدَّلالَةُ عَلى الإقرارِ بِهِ، وَمَتَى أمكَنَ كَونُ الوَلَدِ مِنَ الوَاطِئِ لَحِقَهُ، لا مِنْ زِنَا، واللهُ أعلَمُ.

بابُ الحضَانَةِ

أَحَقُّ النَّاسِ بِكَفالَةِ الطِّفْلِ والمَعتُوهِ أُمُّهُ، ثُمَّ أُمَّهَاتُهَا، ثُمَّ الأبُ، ثُمَّ أُمَّهَاتُهُ، ثُمَّ الجدُّ، ثُمَّ أُمَّهَاتُهُ، ثُمَّ الأختُ للأبوينِ، ثُمَّ الأبِ، ثُمَّ الأُمِّ، ثُمَّ عمَّتُهُ، ثُمَّ خالتُهُ، ثُمَّ أقربُ النِّساءِ، ثُمَّ أقربُ عَصَبَاتِهِ، وَتُمنَعُ بِرِقٍّ، وفِسْقٍ، وَتزَوُّجٍ بأجنَبِيٍّ، وتَعودُ بزَوالِ المَانِعِ، وابنُ سَبْعٍ يُخَيَّرُ، فَإن أبَى فَالقُرْعَةُ، وَمَنْ سافَرَ إلَى بَلدٍ بَعيدٍ لِيَسْكُنَهَا وهو وطَرِيقُهُ آمنَانِ فالأبُ أحقُّ، كابْنَةِ السَّبعِ مُطلَقاً، وَعَلَيهِ أن يَسْتَرْضِعَ لِوَلَدِه، وأُمُّهُ أحقُّ، ولو بأُجْرَةِ مثلِهَا.



كتابُ النَّفَقَاتِ

تَجِبُ لِزَوجَةٍ يُوطأُ مِثْلُهَا غَيرَ مُمْتَنِعَةٍ، ولِرَجْعِيَّةٍ، وحَامِلٍ، قَدْرَ كِفَايَةٍ، مُعْتَبَرَةٍ بِحَالِ الزَّوجَينِ في مَحِلِّهِمَا، للمُوسِرَةِ تَحتَ مُوسِرٍ مِنْ أَرْفَعِ خُبْزِ بَلَدِهَا وملبُوسِهَا وسُكْنَاهَا، وَلِلفَقِيرَةِ أَدْوَنُهُ، وللمتوسِّطَةِ ومَنْ أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ مَا بَينَ ذَلِكَ، كُلٌّ على حَسَبِ عَادَتِهِ، بُكْرَةَ اليَومِ، والكِسوةُ أَوَّلَ السَّنَةِ، وَيَلزَمُهُ ما يعودُ بِنظَافَتِهَا مِنْ دُهنٍ وسِدْرٍ وماءٍ، لا طَبِيبٍ، ودَوَاءٍ، وطِيْبٍ، وَحِنَّاءٍ وَنَحوِه، ويُخْدِمُهَا لمَرَضِهَا أو كَونِ مِثْلِهَا لا تَخْدُمُ نَفْسَهَا، ولو بَذَلَتِ التَّسْلِيْمَ فَرَضَهَا الحاكمُ، ويُمْهَلُ الغائبُ حَتَّى يُرَاسَلَ.

فَصْلٌ

تَجِبُ نَفَقَةُ الفقراءِ الوارثينَ بِفَرْضٍ أو تَعْصِيبٍ، مِنْ أصولِهِ وفروعِهِ، إن فَضَلَ عندَه عَنْ وَاجِبِ نَفَقَتِهِ، وَيُبْدَأُ بالأقربِ، وَيُقْسَمُ عَلى كُلِّ وَاحدٍ بِقدرِ إرثِهِ، إلَّا الأبَ فعليهِ وَحْدَهُ.

وتَجِبُ نَفَقَةُ رَقِيقِهِ، وبَهائمِهِ بالمَعرُوفِ، وإِعْفَافُ مَنْ تَتَحَتَّمُ نَفَقَتُهُ، فَإن أَبَى أُجبِرَ، إلَّا أن يبيعَ أو يَذبحَ المَأكولَ.



كتابُ الجناياتِ

القَتلُ إمَّا عَمْدٌ، وهُوَ قَصْدُ الجِنَايَةِ بِمَا يَقتلُ غالباً، وإمَّا شِبهُ عَمْدٍ، وَهوَ قَصْدُهَا بِمَا لا يَقتُلُ غالباً، وإمَّا خَطأٌ مِثْلُ رَمْيِهِ هَدَفاً فَيُصِيبَ بَشَراً، والقَوَدُ فِي العمدِ، فَإن عَفَا عَنهُ إِلى الدِّيَةِ، أو مَاتَ الجَانِي، وَجَبَتْ مُغلَّظَةٌ، حَالَّةٌ، وفِي الخَطَأِ وَعَمدِهِ دِيَةٌ، مؤجَّلَةٌ فِي ثَلاثِ سِنين، عَلَى العَاقِلَةِ، تُخَفَّفُ فِي الخَطَأِ، وتُغلَّظُ فِي العَمْدِ.

بابُ القَوَدِ

يُقَادُ ولَو جَمْعٌ بواحدٍ، فِي نَفسٍ وَعُضْوٍ لَه مِفْصَلٌ، أو حَدٌّ ينتهي إليه، ويُشْتَرَطُ كَونُ الجَانِي مُكَلَّفَاً، غيرَ أَصْلٍ، والمَقْتُولُ مَعْصُوماً، مُكافِئاً دِيناً وَحُرِّيَّة، وتَسَاوِي مَحَلِّ العُضْوَينِ، ولَمْ يَخْتَصَّ المَقْطُوعُ بِنَقْصٍ، واتَّفَقَ جَمِيعُ الأولياءِ عَلَيهِ، وَكَانَ مُسْتَحِقُّهُ مكلّفاً، وإلَّا حُبِسَ الجَانِي حَتَّى يُكلَّفَ، وأن يُؤمَنَ التَّعَدِّي إِلَى غَيرِ الجَانِي، فلا يُقَادُ مِنْ حَاملٍ حَتَّى تَضَعَ وتَسْقِيَهُ اللِّبَأَ[1]، كالحَدِّ.

وَيَضْمَنُ سِرَايةَ الجِنَايَةِ، ما لَمْ يَستَوفِ قَبلَ البُرءِ، لا القَوَدَ، وإنَّمَا يُقْتَصُّ بَعدَ بُرْءِ الجُرحِ وَيَأْمَنَ النَّزَّ، ومَتَى وَرِثَ الجَانِي، أو ولَدُهُ شيئاً مِنْ دَمِهِ سَقَطَ القِصَاصُ، ولَو قَتَلَ واحِدٌ جَماعةً وَرَضُوا بِقَتلِهِ قُتِلَ، وإنْ تَشَاحُّوا قُتِلَ بالأوَّلِ، وللباقينَ دِيةُ قَتِيلِهِم، وإنَّمَا يُستوفَى بالسَّيفِ بالعُنُقِ، وَلَو مَثَّلَ فَلَهُم فِعْلُ مِثْلِهِ، لا مُحَرَّمَاً.

(١) قال البعلي: اللبأ مهموزاً مقصوراً بوزن العنب، وهو ما يحلب من اللبن عند الولادة، يقال: لبأت الشاة ولدها وألبأته: أرضعته اللبأ. المطلع ص٣٦٠.

ولو فَعَلَ أحَدُهُما فِعلاً لا تبقى الحياةُ مَعَهُ كَقَطع وَدِجَيْهِ[١] ثُمَّ ضَرَبَ الآخَرُ عُنَقَهُ، فَالأَوَّلُ القَاتِلُ، وعكسُهُ بِعَكسِهِ، وإن أَمَرَ عالِماً بتحريمِ القتلِ ففعَلَ قُتِلَ القاتِلُ وأُدِّبَ الآمِرُ، ولو ألزمهُ قُتِلَا، وإلَّا قُتِلَ الآمِرُ، ويُحْبَسُ المُمْسِكُ حتى يَمُوتَ.



(١) قال البعلي: الودجان واحدهما ودج بفتح الدال وكسرها، وهما: عرقان في العنق. المطلع ص٣٥٩.

كتابُ الدياتِ

كُلُّ مَنْ أتْلَفَ إنسَاناً أو جُزءَاً مِنهُ بِمُبَاشَرَةٍ، أو تَسَبُّبٍ فَعَلَيهِ دِيَتُهُ، كَالِقَائِهِ على حَيَّةٍ، أو سَبُعٍ، أو نَارٍ، أو ماءٍ لا يُمكنهُ التَّخَلُّصُ مِنهُ، أو طَرَحَ بِطَرِيقٍ قِشْرَ بِطِّيخٍ، أو حَفَرَ بِئرَاً، أو وَضَعَ حَجَرَاً ونَحوَهُ، أو تعدَّى بِرَبْطِ دَابَّةٍ أو غيرِهَا.

ودِيَةُ الحُرِّ المُسلِمِ مَائَةٌ مِنَ الإبلِ، أو مَائَتَا بَقَرَةٍ، أو ألفَا شَاةٍ، أو ألفُ مِثقَالِ ذَهَبٍ، أو اثنَا عَشَرَ ألفَ دِرهَمٍ، المُغَلَّظَةُ ثَلاثُونَ حِقَّةً، وثلاثونَ جَذَعَةً، وَأربَعُونَ خَلِفَةً حَامِلاً، والمُخَفَّفَةُ عِشرونَ بَنِي مَخَاضٍ، وعِشرُون بَنَاتِ لَبُونٍ، وعِشرُون بَنَاتِ مَخَاضٍ، وعِشرُون حِقَّةً، وعِشرُونَ جَذعَةً، وَدِيَةُ الكِتَابِيِّ نِصفُ دِيَةِ المُسلِمِ، وَالمَجُوسِيِّ (ثَمَانُمِائةِ)[1] دِرهَمٍ، وَالأنثَى فِي الكُلِّ عَلى النِّصفِ، لَكِن تُساوي جِرَاحَهُ إلَى الثلثِ، وَدِيَةُ العَبدِ قِيمَتُهُ، وَجنِينُ الحُرِّ المُسلِمِ غُرَّةٌ، قِيمَتُهَا خَمسُ إبلٍ، وَإن كَانَ كِتَابِيَّاً فَعُشْرُ دِيَةِ أُمِّهِ، أو عَبداً فَعُشْرُ قِيمَتِهَا، وَلَو سَقَطَ حَيَّاً، ثُمَّ مَاتَ مِنَ الضَّربَةِ فَالدِّيَةُ، إذَا كَانَ لِوَقتٍ يَعِيشُ لمِثْلِهِ.

بابُ موجبِ القِصاصِ

مَا فِي الإِنسَانِ مِنهُ شَيءٌ فَفِيهِ الدِّيَةُ، وَشَيئَانِ فَأكثَرُ فِي الكُلِّ الدِّيَةُ، وفِي البَعضِ بِحِسَابِهِ، فَفِي اليَدِ نِصفُهَا، وفِي الجِفنِ رُبعُهَا، وإِصْبَعٍ وَهَاشِمَةٍ[2]

---

(١) هكذا في الأصل «ثمانمائة» بدون ياء وصوابه «ثماني مائة» بياء للإضافة، والله أعلم.

(٢) قال البعلي: قال الأزهري: الهاشمة: التي تهشم العظم، تصيبه وتكسره. المطلع ص٣٦٧.

عُشْرُهَا، وَسِنٍّ مُثْغِرٍ وَمُوضِحَةٍ[١]، وأُنْمُلةِ إبْهَامٍ نِصفُ عُشْرِهَا، ومُنَقِّلَةٍ[٢] عُشْرٌ وَنِصْفٌ، وَجَائِفَةٍ[٣] وَدَامِغَةٍ[٤] وَآمَّةٍ[٥] ثُلُثُهَا، وفِي جُرحٍ لا مُقَدَّرَ فِيهِ، وَعُضوٍ بِلا نَفعٍ حُكُومَةٌ، وَهِي أن يُقدَّرَ المَجنِيُّ عَلَيهِ كَأنَّه عَبدٌ بِلا جِنَايَةٍ، ثُمَّ يُقَدَّرُ، وَهِيَ بِهِ قَد بَرَأَتْ، فَمَا نَقَصَ فَلَهُ مِثْلُهُ مِنَ الدِّيةِ، ولا يُجَاوَزُ بها أرشُ المُقَدَّرِ، وفِي بَعضِ كَلامِهِ بِحِسَابِهِ مِنْ حروفِهِ، وَذِرَاعٍ، وَزَنْدٍ[٦]، وَعَضُدٍ، وفَخِذٍ، وَسَاقٍ، بَعِيرَانِ، وضِلَعٍ وَتَرقُوَةٍ[٧] بَعِيرٌ، وَأنْمُلَةٍ ثُلُثُ عَقْلِها، وفِي كُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ الحَدَبِ، وَالصَّعَرِ، وَتَسوِيدِ الوجهِ، وَاستِطلاقِ البَولِ دِيَةٌ، كَقَرعِ رَأسِهِ أو لِحيَتِهِ، وَكَذَا أنفُ الأخْشَمِ، وَأُذُنَا الأصَمِّ، وَجِنَايَةُ العَبدِ فِي رَقَبَتِهِ، وَيَفدِيهِ سَيِّدُهُ بَأقَلِّ الأمرَينِ مِنْ أرشِهَا أو قِيمَتِهِ، ولَو جُنِيَ عَلَيهِ وَجَبَ مَا نَقَصَ مِنْ قِيمَتِهِ.

بابٌ

العَاقِلَةُ عَصَبَاتُه، وَإنَّما يُحَمَّلُ ذَكَرٌ مكلّفٌ، حُرٌّ، غَنِيٌّ، مُوَافِقُ دِينِهِ، بِفَرضِ حَاكِمٍ بِقَدرِ حَالِهِ، وَمَا فَضَلَ عَلَى القَاتِلِ كَمَنْ لا عَاقِلَةَ لهُ، ولا تَحْمِلُ

(١) قال البعلي: الموضِحَة: التي تبدي وضح العظم، أي: بياضه، والجمع: المواضح. المطلع ص٣٦٧.

(٢) قال الفيومي: المُنَقِّلَةُ: هي الشجة التي تخرج منها العظام. المصباح المنير ٢/ ٦٢٣.

(٣) قال البعلي: الجائفة: الطعنة التي تبلغ الجوف، قال أبو عبيد: وقد تكون التي تخالط الجوف والتي تنفذ أيضاً. المطلع ص٣٦٧.

(٤) قال الفيومي: الدامغة هي الشجة التي تخسف الدماغ ولا حياة معها. المصباح المنير ١/ ١٩٩.

(٥) قال الفيومي: الآمَّة هي التي تصل إلى أمّ الدماغ، وهي أشد الشجاج. المصباح المنير ١/ ٢٣.

(٦) قال البعلي: الزند بفتح الزاي ما انحسر عنه اللحم من الساعد، وقال الجوهري: موصل طرف الذراع بالكف. المطلع ص٣٦٨.

(٧) قال الفيومي: الترقوة هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من المصباح المنير ١/ ٧٤.

عَمداً، وَلا عَبدَاً، وَلا صُلحَاً، ولا اعترَافاً، ولا دُونَ ثُلثِ الدِّيَةِ، وَعَمدُ صَبيٍّ وَمَجنُونٍ خَطأٌ، فَتَحمِلُهُ العَاقِلَةُ، ولا عَاقِلَةَ لِمُرتَدٍّ، ولا مَنْ أسلَمَ بَعدَ الجِنَايَةِ، أو الجَرحِ.

(١)وتَجِبُ بِقَتلِ مُسلِمٍ وَذِمِّيٍّ بِغَيرِ حَقٍّ، وَشِرْكَةٍ، وَإمْلَاصٍ(٢) كَفَّارَةُ الظِّهَارِ.

بابُ القَسَامَةِ

تُشْرَعُ فِي العَمدِ عَلَى مُعَيَّنٍ، وَفِي الخَطأِ عَلَيهِ، أو عَلَى مُعَيَّنِينَ، بِشَرطِ اتِّفَاقِ الأولِيَاءِ، واللَّوْثِ كَعَدَاوةٍ ظَاهِرَةٍ، فَيَحلِفُ الوَلِيُّ خَمسِينَ يَمِينَاً، وَيَستَحِقُّ دَمَهُ، وفِي الخَطَأِ دِيَتَهُ، وَلَو كَانُوا جَمَاعَةً وُزِّعَتْ عَلَيهِم بِقَدرِ إرثِهِمْ وجُبِرَ الكَسْرُ، فإن أبَوا أو كَانُوا نِسَاءً حَلَفَ المُدَّعى عليهِ خَمسِينَ يَمِيناً وبَرِئَ، فإنْ نَكَلَ، أو لَمْ يَرْضَوا بها أُدِّيَ مِنْ بيتِ المَالِ.

بابُ البُغَاةِ

يُعْتَبَرُ كونُ الإمامِ قُرَشِيَّاً، ذكراً، حُرَّاً، عَدْلاً، مُجتهِداً، شُجَاعاً، مُطَاعَاً، ذَا رَأيٍ، سَمِيعاً، بَصِيراً، نَاطِقاً، بِبَيعَةِ أَهلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ، مِنْ العلماءِ ووجوهِ النَّاسِ، بصفةِ الشهودِ، أو بنصِّ مَنْ قَبْلَهُ، أو استيلاءٍ، ويُشَاوِرُ ذَا العلمِ والرَّأيِ، ولا يَقْعُدُ عن مُهِمٍّ.

فالبُغاةُ مَنْ خَرَجَ عليهِ بتأويلٍ سائغٍ ولَهُمْ شوكةٌ، فَيُزِيلُ ما يَنْقِمُونَ، ولهُ إنظَارُهُم مُدةً، لا خَدِيعَةً، فإن أصَرُّوا دَفَعَهُمْ بالأَسْهَلِ، وإلَّا قَاتَلَهُم، وَيَجِبُ عَونُهُ، ولا يُجَازُ على جَرِيحٍ، ولا يُتْبَعُ مُدْبِرٌ، ولا تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، ولا يُغْنَمُ

---

(١) من هنا بدأ المؤلف ـ يرحمه الله ـ يتكلم عن كفارة القتل، فالأولى إفرادها بفصل كما هي العادة.

(٢) الإملاص هو الإسقاط، قال ابن منظور: أملصت المرأة بولدها أي أسقطت. لسان العرب، مادة «ملص» ٧/ ٩٤.

مالُهُم، بل يُرَدُّ بعدَ القِتَالِ، كالأسيرِ، ولا يُقَاتَلُ بِمَا يَعُمُّ إتلافُهُ، كَنَارٍ ومَنْجَنِيقٍ.

بابُ الرِّدَّةِ

هِيَ كُفرُ مُسلِمٍ مُختَارٍ عَاقِلٍ، باللهِ، أو صفةٍ من صِفاتِهِ، أَو جَعَلَ لَهُ شَريكاً أو نِدّاً أو وَلداً ونحوَهُ، أَو جَحَدَ نبّياً أَو كِتاباً من كُتبهِ تَعالى، أو عبادةً مِنَ الخَمْسِ، أو مُجْمَعاً عَلى حِلِّهِ أو حُرْمَتِهِ، ونَحوِهِ مِنَ الأحكامِ ظَاهِراً، مِمَّنْ لا يَجْهَلُ مِثلُهُ، وكذا سَبُّ اللهِ ورَسُولِهِ، أو تَشْبِيهُهُ بِخَلقِهِ، فَيُسْتَتَابُ ثَلاثاً، فإن أَسلَمَ وإلَّا قُتِلَ، وَمَالُهُ فَيءٌ، ولا يُرَقُّ ولا وَلَدُهُ الذي وُلِدَ قَبْلَ الرِّدَّةِ.



كِتَابُ الحُدوُدِ

إنّمَا يَجِبُ عَلى مُكَلَّفٍ، عَالِمٍ بِالتَّحرِيمِ، ولا يُقيمُهُ إلَّا الإمامُ أو نَائِبُهُ، أَو سَيِّدٌ بالجَلدِ خَاصَّةً، وَيَتَنَصَّفُ بالرِّقِّ، وَيُحتَسبُ بِبَعْضِهِ، ومَنْ رَجَعَ بعدَ إقرارِهِ بهِ خُلِّيَ، ولا تَتَدَاخَلُ حُقوقُ آدَمِيٍّ، بَلْ يُبدَأُ بِغَيرِ القَتلِ، وتُقَدَّمُ عَلَى غَيرِهَا، وأمَّا حُدودُ اللهِ فَتَتَدَاخَلُ إنْ كَانت مِنْ جِنسٍ واحدٍ، أو فِيها قَتْلٌ دَخَلَتْ فِيهِ، وإلَّا فَلا، لكنْ يُبدأُ بالأخَفِّ، وبعدَ بُرءِ ما قَبْلَهُ، ولا يُقامُ في مَسْجدٍ، ولا حَرَمٍ إنْ لَم يَفْعَلهُ فِيهِ، بل يُضَيَّقُ عَليه بِتركِ البيعِ والشِّراءِ حَتَّى يَخْرُجَ إلَى الحِلِّ، فيُقامَ حينئذٍ.

بابُ الزِّنَا

وهو تَغييبُ الحَشَفَةِ أو قَدرِهَا في قُبُلٍ أصلِيٍّ، أو دُبُرٍ، من آدَمِيٍّ، حَرَامَاً، مَحْضَاً، مُختاراً، بِلا شُبهةٍ، فَيُرجَمُ المُحصَنُ، ويُجلدُ غَيرُهُ مائةً، ويُغَرَّبُ عَامَاً، بِمَحرَمٍ للمرأةِ، والتَّلَوُّطُ زِناً، وَعَنْهُ[1] فِيمَنْ زَنَا بِذَاتِ مَحْرَمٍ: الرَّجْمُ، ومَنْ وَطِئَ زوجتَهُ فِي نِكاحٍ صَحِيحٍ قُبُلاً وهُمَا مُكَلَّفَان حُرَّانِ فَهُمَا مُحصَنان، وإنَمَا يَثبتُ بإقرارٍ أربعَ مراتٍ، أو شَهَادةِ أربَعَةِ[2] رِجَالٍ عُدُولٍ، بزناً وَاحِدٍ، فِي مَكانٍ وَاحِدٍ، بزَمَنٍ وَاحدٍ، مِنْ وَاحِدٍ، وإلَّا حُدَّ الشّهُودُ للقَذفِ.

---

(١) يعني الإمام أحمد ـ يرحمه الله ـ، ويقصد بذلك الرجم مطلقاً أي سواء كان بكراً أو ثيباً، والرواية الثانية: حكمه حكم الزاني بغير ذات المحرم. تنظر هاتين الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ٢/ ٩٩، والمحرر ٢/ ١٥٣.

(٢) جاء في الأصل أربع رجال والصحيح كما أثبتنا أربعة رجال لذا وجب التنويه.

وَيَجِبُ التَّعزيرُ في كلِّ مَعصِيةٍ لا حدَّ فِيها ولا كَفارةَ، كَوطءٍ دُونَ الفَرجِ، أَو دُبُرَ امرَأتِهِ، أَو تَسَاحَقَتَا، أَو اسْتَمْنَى، لا لِخوفِ زناً.

ويَجِبُ بِقَذْفِ مكلَّفٍ، مُسلماً مُكلَّفاً حُرَّاً عَفِيفاً، بِزناً أو تَلَوُّطٍ، ثَمانُونَ جَلدةً، إنْ طَلَبَهُ، ويَسْقُطُ بِعَفْوِهِ، أو بَيِّنَةٍ، وَيُورَثُ عَنْهُ.

بابُ حَدِّ السَّرقةِ

يَجِبُ بِسرقَةِ مُكلَّفٍ، لِغيرِ أصلٍ أَو فَرعٍ، أَو سَيِّدٍ، أَو عَبْدٍ، أَو شَريكٍ، ونَحوِهِ، نَصاباً رُبْعَ دِينَارٍ، أَو قَدرَهُ، مُحْتَرَماً، مِنْ حِرْزِ مِثْلِهِ، ما لا يُعَدُّ بِهِ مُضَيِّعاً، بِلا شُبْهَةٍ، بِطَلَبِ رَبِّهِ، قَطْعُ يُمْنَاهُ مِنَ الكُوعِ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ، أَو عَادَ، فَقَدَمُهُ اليُسْرَى، فَإن عَادَ حُبِسَ، ويَغْرَمُ العَينَ، وإِنَّما يَثبتُ بِإقرارٍ مَرَّتَينِ، أَو شَهادةِ عَدلَينِ، وتُحْسَمُ بزيتٍ مِنْ مَالِهِ.

بابُ المُحَارَبَةِ

مَنْ أَخَافَ السَّبيلَ فَقَطْ شُرِّدَ، فإِنْ أَخَذَ نِصَاباً قُطِعَتْ كَفُّهُ اليُمنَى وقَدَمُهُ اليُسْرَى، بِمَقَامٍ واحِدٍ، وَمَنْ قَتَلَ انْحَتَمَ القَوَدُ، وَمَنْ أَخَذَ وَقَتَلَ قُتِلَ ثُمَّ صُلِبَ، فَإن تَابَ قَبلَ الظَّفَرِ، سَقَطَ الحَدُّ، لا حَقُّ آدَمِي.

وَيُدْفَعُ الصَّائِلُ على نفسٍ أو مَالٍ أو حَرِيْمٍ بالأَسْهَلِ، ثُمَّ إِنْ قُتِلَ فَهَدَرٌ.

وَمَا أَتْلَفَتْهُ البَهَائِمُ لَيلاً ضُمِنَ، لا نَهاراً إنْ لَمْ يَكنْ صَاحِبُهَا مَعَهَا، وإِنْ كانَ مَعَها فَيَضْمَنُ ما أَتْلَفَتْهُ بفَمِهَا أو يَدِهَا أو رِجْلِهَا، دُونَ نَفْحِهَا ابْتِدَاءً.

بابُ حَدِّ المُسْكِرِ

يَجِبُ عَلى كُلِّ مُختَارٍ عَالِمٍ إنْ كَانَ كَثِيرُهُ يُسْكِرُ، إنْ ثَبتَ أنه شَرِبَ، أو اسْتَعَطَ، أَو أَكَلَهُ بِطعامٍ، أَربَعونَ جَلدَةً، وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، وَلَو تَمَّ لِعَصِيرٍ ثلاثةُ أَيامٍ حَرُمَ، إلَّا أَنْ يَغْلِيَ قَبلَ ذَلكَ فَيَحْرُمُ، ويُكرهُ الخَلِيطَانِ، ولَا

بَأسَ بالفُقَّاعِ[١]، وَتَرْكِ تَمْرٍ ونَحوِهِ في الماءِ ليَأخُذَ مُلوحَتَهُ، مَا لَمْ يَشْتَدَّ أو تَأتِ عَليهِ ثلاثٌ.

وَمَنْ وَجَبَ للهِ عَليهِ حَدٌّ فَتابَ قَبْلَهُ سَقط في رِوايةٍ[٢]، ولو مَاتَ مِنَ الحدِّ فَهَدَرٌ، وإنْ زَادَ فالدِّيَةُ، وعَنْهُ[٣]: نِصْفُهَا.



---

(١) قال البعلي: قال ابن سيده: الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، سمي بذلك لما يعلوه من الزبد. المطلع ص٣٧٤.

(٢) تنظر هاتان الروايتان في: الهداية لأبي الخطاب ٢/١٠٧، والكافي ٤/١٧٢، ١٧٣.

(٣) يعني الإمام أحمد ـ يرحمه الله ـ وتُنظر هاتان الروايتان في: الكافي ٤/٢٣٨، والمحرر ٢/١٦٥.

كِتَابُ الأَطْعِمَةِ

يَحِلُّ كُلُّ طَاهِرٍ غَيرِ مُضرٍّ وَلا مُسْكِرٍ، وكُلُّ حَيوانٍ سِوَى حَشَراتٍ وضِفْدِعٍ، وَتِمْسَاحٍ، وَمَا يَعْدُو بِنَابٍ، أَو مِخْلَبٍ، وبَغْلٍ وحِمَارٍ، وَمَا يَأكُلُ جِيفاً، وَمَا نُصَّ عَلَى تَحْرِيْمِهِ، أَو تَوَلَّدَ مِنْ مُباحٍ وغَيرِهِ، فَمنِ اضْطُرَّ سَدَّ رَمَقَهُ، كشُرْبِ خَمرٍ لِدَفْعِ غُصَّةٍ، لا عَطَشٍ وَتَدَاوٍ، ويُقَدَّمُ المُخْتَلَفُ فيهِ على غَيْرِهِ.

ويأكلُ مِنْ ثَمَرٍ بلا حائطٍ ونَاظِرٍ.

وَلِلمُضْطَرِّ أَخْذُ طَعَامِ غَيرِهِ وَلَو بِقِتَالٍ، إنْ لَمْ يَكنْ بِهِ مِثْلُ ضَرَرِهِ.

بابُ الصَّيدِ والذَّبَائح

حِلُّهُمَا مِنْ عَاقلٍ مسلم أَو كِتابِيٍّ، وَيُشتَرَطُ في المقدُورِ عَليهِ لا جَرَادٍ وبَحْرِيٍّ قَطْعُ كُلِّ الحلقُومِ والمريءِ، بِجَارِحٍ غَيرِ سِنٍّ وَظُفرٍ، بِشَرْطِ حَيَاةٍ مُستَقِرَّةٍ، وتَسْمِيَةُ اللهِ لِلذَّاكِرِ، والأَخرَسُ يُشِيرُ إِلى السَّمَاءِ، وفي غَيْرِ المقدُورِ عَليهِ، كَصَيدٍ وَبَعِيرٍ نَدَّ أو تَرَدَّى بِهُوَّةٍ جَرْحٌ بآلةِ ذكاةٍ أَينَ أَمكنَ، وبإِرْسَالِ جارحةٍ مُعلَّمَةٍ قَصْداً يُسَمِّي بِهِ عِنْدَ إرْسَالِهَا، لا ضَارٍ أَسْوَدَ، أو شَرِيكِ مَنْ لا يُبَاحُ صيدُهُ، والمُعَلَّمُ سَبُعٌ مُسْتَرْسِلٌ مُنْزَجِرٌ لَا يَأكُلُ، أو ذُو[١] مِخْلَبٍ مُسْتَرْسِلٍ، يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، فَيَحِلُّ إِنْ أدْرَكَهُ مَيِّتاً أو بِحَركةِ مذبوحٍ وإِلَّا كَالمَقْدُورِ، ويُسَنُّ الاستقبَالُ، وقَطْعُ الوَدجَينِ، ونَحْرُ البَعِيرِ فِي اللَّبَّةِ[٢]، قَائِماً معقُولَةً يُمنَاهُ.

---

(١) في الأصل «ذوا» بألف بعد الواو، والأولى حذفها كما فعلنا.

(٢) قال ابن قدامة: ومعنى النحر أن يضربها بحربة أو نحوها في الوهدة التي بين أصل عنقها وصدرها. المغني ١٣/ ٣٠٤.

بابُ الهَديِ والأضَاحِي

تُسَنُّ التَّضْحِيَةُ، مِنْ صلاةِ عيدِ النَّحرِ إلَى آخرِ يَومَي التَّشرِيقِ، بِبَدَنَةٍ لَهَا خَمْسُ سِنِينَ، ثُمَّ بِبَقرةٍ لَهَا سَنَتَانِ، (ثُمَّ)[١] بِمَعزٍ لَهُ سَنةٌ، أو ضَأنٍ لهُ ستّةُ أشهرٍ، لا مُبيِّنَةِ عَوَرٍ وَمَرَضٍ وعَرَجٍ وعَجَفٍ[٢]، وعَضَبٍ بأنْ ذَهبَ أكثرُ أُذُنِهِ أَو قَرْنِهِ، البَدَنَةُ والبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، يَأكلُ ثُلثَهَا، ويُهْدِي ثُلُثَهَا، ويَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهَا.

ويُسنُّ سَوقُ الهَديِ، وتَقْلِيدُهُ، ووقوفُهُ[٣] بِعَرَفَةَ، وإشعَارُ البُدْنِ، وَيَأكُلُ مِنْ هَديِ التَّطَوُّعِ والمُتْعَةِ والقِرانِ.

والعقيقةُ سُنَّةٌ، عَنِ الغُلامِ شَاتانِ، وَعَنِ الجَارِيَةِ شَاةٌ، يُذبحُ يَومَ السَّابعِ، فَإن فَاتَ فَفِي الرَّابعَ عَشَرَ، فَإن فَاتَ ففي إحْدَى وَعِشرينَ، ولا يُكسَرُ عَظْمُهَا، وحُكْمُهَا كَالأُضْحِيَةِ.

بابُ النَّذْرِ

مَنْ نَذَرَ طَاعَةً لَزِمَتْهُ، فإنْ عَجزَ كفَّرَ، كاليَمينِ، وَلا نَذرَ فِي مَعصِيةٍ، ولا مُبَاحٍ، وَلا مَا لا يَملِكهُ، وإنَّمَا يَنعَقِدُ بِاللفظِ، وَمُطْلَقُ القُربةِ أقلُّ وَاجبٍ، كَالعِتقِ والصَّدَقَةِ، وَما يُجزئُ كَفارةً، وَأَقلُّ مُتَمَوَّلٍ، ومَنْ نَذَرَ المَشْيَ إلَى بَيتِ اللهِ الحرَامِ أو مَوضِعٍ من الحَرَمِ لَزِمَهُ المشيُ فِي حَجٍّ أو عُمرَةٍ، ومَنْ نَذَرَ صومَ شَهرٍ بِعَيْنِهِ فَجُنَّ لَمْ يَقْضِ، وإنْ أَفْطَرَ لِعُذْرٍ أو غَيرِهِ قَضَاهُ، (أو فِي أثنَائِهِ لِغَيرِ عُذرٍ قَضَاهُ)[٤]، وَكَفَّرَ مِنْهُمَا، وَلِعُذْرٍ يَبْنِي، وَمَنْ قَطَعَ تَتَابُعَهُ لِغَيرِ عُذْرٍ استَأْنَفَ، وَلِعُذْرٍ اسْتَأْنَفَ، أو بَنَى وَكَفَّرَ، وَمَا قُصِدَ بِهِ المنْعُ أو الحَظُّ، خُيِّرَ بينَهُ وبَينَ

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.
(٢) قال ابن عبد الهادي: العجفاء: الضعيفة. الدر النقي ٣/ ٧٩١.
(٣) الظاهر أنه يعني الهدي.
(٤) ما بين القوسين من الهامش.

كَفارةِ يَمينٍ، وَمَنْ نَذَرَ الصّدقةَ بِمَالِهِ أجْزَأهُ ثُلثُهُ، أو الطوَافَ عَلَى أربعٍ فَطَوَافَينِ، أَو قَالَ: للهِ عَليَّ نَذرٌ، وَلَم يَنْوِ شيئاً كَفَّرَ، كَاليَمِينِ.

بابُ الأَيمَانِ

إنَّمَا تَنْعَقِدُ مِنْ مُكَلَّفٍ مُختَارٍ، بِاللهِ، أو صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَهِيَ عَلَى فعلٍ أَو تَرْكٍ مُمْكِنٍ مُسْتَقْبَلٍ يَمِيْنٌ، وغَيرُهُ غَمُوسٌ فَلَغْوٌ، فإنْ تَأوَّلَ مُحِقٌّ، أو قَالَ: إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى مُتَّصِلاً، أَو أُكْرِهَ، أو نَسِيَ، لَم يَحْنَثْ، ويُرْجَعُ إلَى النِّيّةِ، ثُمَّ إلَى السَّبَبِ، ثُمَّ الإشَارَةِ، ثُمَّ وَضْعِ اللَّفظِ شَرعَاً أو عُرفاً، ثُمَّ لُغَةً.

وكَفَّارتُهَا إذَا حَنِثَ عِتقُ رقبةٍ مُؤمِنَةٍ، أَو إطعامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مُدّاً مُدّاً، أَو كِسوَتُهُم مَا تُجزِئُ فِيهِ الصَّلاةُ، فَمَنْ لَمْ يَجدْ صَامَ ثَلاثةَ أيامٍ مُتَتَابِعَةً، قَبلَ الحِنْثِ أَو بَعْدَهُ.

وَلَو حَلَفَ: لَا بِعْتُ، فَباعَ فاسداً، لَم يَحْنَثْ، إلَّا أَنْ يُضِيفَهُ إلَى مَا لَا يَصِحُّ، نَحوَ: لَا بِعْتُ الخَمْرَ، وَيُجزِئُ إطعَامُ خَمْسَةٍ، وَكِسوَةُ خَمْسَةٍ، وَلَو أطعَمَهُمْ، أَو كَسَاهُمْ، وأَعتَقَ نِصفَ عبدٍ، أو أعتَقَ نِصفَي عَبدَينِ فَلَا، ويُكَفِّرُ العَبدُ بِالصِّيامِ،كَمَنْ لَمْ يَفْضُل عِندَهُ عَنْ مُؤْنَتِهِ وَمُؤْنَةِ عِيالِهِ، وَوَفَاءِ دَيْنِهِ كَفَّارةٌ، وَلَا يَلزَمُهُ بيعُ ما يَحتَاجُ إليهِ، كَمَسكَنٍ، وخَادِمٍ، وَكُتُبِ عِلمٍ، وَبِضَاعَةٍ يَخْتَلُّ رِبْحُهَا المُحتَاجُ إلَيهِ، وَمَنْ شَرَعَ فِي الصَّومِ ثُمَّ أَيسَرَ لَمْ يَلزَمْهُ الانتقالُ، وَلَو لَمْ يَجِدْ إلَّا مِسْكِيناً رَدَّدَهُ عَلَيهِ عَشَرَة أيامٍ.



كتابُ الجِهَادِ

وَهوَ فَرضُ كِفَايَةٍ، يَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ حَضَرَ الصَّفَّ، أَو حُصِرَ، أَو استُنفِرَ، وإنّما يَجبُ عَلَى مُسلِمٍ مُكَلّفٍ، حُرٍّ، ذَكَرٍ، مَستَطِيعٍ، وغَزْوُ البَحرِ أفضَلُ، وَلا يَجُوزُ إلَّا بِإذنِ الإمَامِ، لا إنْ فَجَأَهُمْ عَدُوٌّ، أو عَرَضَ فُرْصَةٌ، وَيَلزَمُهُمْ طَاعَةُ أميرِهِمْ.

وَلَهُمْ تَبْيِيتُ الكُفَّارِ، ولا يُقتَلُ صَبِيٌّ، وامرأةٌ، وَمَجنُونٌ، وراهبٌ، وشيخٌ فانٍ، وَزَمِنٌ[1]، وأَعْمَى، بِلا رَأيٍ أو قِتَالٍ، وَلا أسِيْرٌ، حتى يَأْتِيَ بِهِ الإمامَ إنْ أَمكنَ، ويُرَقُّ صَبِيٌّ وامرأةٌ، ومَنْ فيهِ نفعٌ مِمَّنْ لا يُقتلُ، كَالأعمَى ونَحوِهِ، وَفِي غَيرِهم مِنَ الأُسَارَى المُقاتِلَةِ يَفعَلُ الإمَامُ الأَصْلَحَ مِنَ القَتلِ والإِرْقَاقِ وَالمَنِّ وَالفِدَاءِ بِمَالٍ أو مُسلِمٍ، إلَّا العَبْدَ فَبينَ القَتْلِ أو الرِّقِّ، وَلا يُفَرَّقُ بَيْنَ ذِي رَحِمٍ مُحَرَّمٍ، إلَّا بعدَ البُلُوغِ، ومَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الأسْرِ عَصَمَ مَالَهُ ودَمَهُ، وبَعْدَهُ يَتَعَيَّنُ رِقُّهُ، ويُحْكَمُ بِإسْلَامِ صَغِيرٍ أَسلَمَ أحدُ أبويهِ أَو مَاتَ، أَو سُبِيَ مُنْفَرِداً عَنْهُمَا، أو عَنْ أحدِهِما، واللهُ أعلَمُ.

بابٌ

الغَنِيمَةُ إن كَانَت أَرضاً خُيِّرَ الإمَامُ بَيْنَ قَسْمِهَا أو وقْفِهَا، وإن كانت مَالاً بَدَأَ بإخراجِ مُؤْنَةِ حِفظِهَا، وَيَخُصُّ القاتِلَ بِالسَّلَبِ، إذا قَتَلَهُ حَالَةَ الحَربِ، مُنهَمِكاً عَلَيهِ غَيرَ مُثْخَنٍ بِالجِراحِ، ثُمَّ البَاقِي خُمُسُهُ للهِ وَرَسُولِهِ، وَمصْرِفُهُ المَصَالِحُ، ولِبَنِي هَاشِمٍ والمُطَّلِبِ، ويُضَعَّفُ للذَّكَرِ، وَلِليَتَامَى الفُقَرَاءِ،

---

(١) قال ابن عبد الهادي: هو من لا يقدر على القيام. الدر النقي ٣/ ٧٧٧.

والمسَاكِينِ، وابنِ السَّبِيلِ، ثُمَّ يُخرَجُ بَاقِي الأنفَالِ، ويُرضَخُ لِمَن لا سَهْمَ لَهُ، كَصَبِيٍّ، وعَبْدٍ، وامرأةٍ، وَكَافِرٍ سَهمَاً نَاقِصاً، ثُمَّ البَاقِي لِمَنْ شَهِدَ الوَقْعَةَ، مِمَّنْ يُمكِنُهُ القِتَالُ وَمُستَعِدٌّ لَهُ، لِلرَّاجِل سَهْمٌ، ولِلفارِسِ ثَلاثَةٌ، وَالاعتِبَارُ فِي كَونِهِ عَبْداً، أَو فَارِساً، أو رَاجِلاً، أو كَافِراً، أو مُسلِمَاً حالَ الحَربِ.

وَمَا أُخِذَ مِنْ كَافِرٍ بِلا قِتَالٍ فَهُوَ فَيءٌ يُصْرَفُ فِي مَصَالِحِ المُسلِمِينَ، يُبْدَأُ بالأَهمِّ فالأَهَمِّ.

بابٌ

الأَمَانُ يَصِحُّ مِنَ المُسلِمِ العَاقِلِ المُخْتَارِ، بِأَجَرْتُكَ، وَلا بَأسَ عَلَيكَ، وَنَحوِهِ، مِنَ الإِمَامِ لِلكُلِّ، وَمِنَ الأَميرِ لِمَنْ بإزَائِهِ، ومِنَ الوَاحِدِ لِقَافِلةٍ، كَعشَرَةٍ، وَتَجُوزُ مُهَادَنَتُهُم، لِمَصلَحَةٍ، مِنَ الإِمَامِ أو نائِبِه، ويَحْمِيهِم مِنَ المُسْلِمِين، وَيَنْبذُ إليهم عَهْدَهُمْ إن خافَ نَقضَهُمْ.

بابُ الجِزيَةِ

لا جِزيَةَ عَلَى مَنْ لَم يَجُزْ قَتْلُهُ، وَلا فَقِيرٍ يَعْجَزُ عَنهَا، وإِنَّما تُؤْخَذُ مِنْ كِتابِيٍّ أو مَجُوسِيٍّ، فِي رَأسِ كُلِّ حَولٍ، مِنَ المُوسِرِ ثَمَانِيَةٌ وَأربَعونَ دِرهَماً، وَمِنَ المُتَوسِّطِ نِصْفُهُ، وَمَنْ دُونَهُ رُبْعُهُ، وَتَسقُطُ بِالإِسلامِ، وَمَنِ اتَّجَرَ[1] مِنهُم إِلَى غَيْرِ بَلَدِهِ أُخِذَ مِنْهُ نِصفُ العُشُرِ، وَمِنَ الحَربِيِّ عُشُرٌ، وَيَجُوزُ شَرطُ ضِيافَةِ المارِّ بِهِم مِنَ المُسلِمِينَ.

بابُ أحكامِ الذِّمَّةِ

يَلزَمُهُمْ التَّميُّزُ عَنِ المُسلِمِينَ بِحَذْفِ مَقادِمِ رؤوسِهِم، وَتَرْكِ الفَرْقِ، وَكُنَى المُسلِمِينَ، وَيركَبُونَ عَرْضَاً لا بِسَرْجٍ، ويَلبَسُونَ غِيَاراً، ويُشَدُّ فَوقَ ثِيَابِهِم

(١) في الأصل «تجر» بدون ألف، والصواب إثباتها كما فعلنا.

الزُّنَّارُ[(١)]، ويُجْعَلُ فِي العَمائِمِ خِرْقَةٌ، وَفِي رِقَابِهم خَواتِيمُ الرَّصَاصِ، وجُلجُلٌ[(٢)] فِي الحَمَّامِ، وَلا يُسَاوُوا بِنَاءَ مُسْلِمٍ، وَيَنتَقِضُ عَهدُهُ بِمَنعِ الجِزْيَةِ، وَعَدَمِ التِزَامِ أحكَامِ المِلَّةِ، أو قِتَالِ المُسلِمِينَ، أو استِيطَانِ دَارِ الحَرْبِ، أو تَجَسُّسٍ، أَو زِنَاً بِمُسْلِمَةٍ، أو ذِكْرِ اللهِ، أو كتَابِهِ، أَو رَسُولِهِ بسوءٍ، وَبِاللُّحُوقِ بِدَارِ الحَرْبِ يُخَيَّرُ فِيهِ، كَالأَسِيرِ، وَبِغَيْرِهِ يُقتَلُ، وَمَالُهُ فَيءٌ، ويَبْقَى عَهْدُ نِسائِهِ وذُرِّيتِهِ، لَا مَنْ وُلِدَ فِي دَارِ الحَرْبِ، أو أَخَذَهُ مَعَهُ.



(١) قال الجوهري: الزُّنَّارُ حزامٌ للنصارى. مختار الصحاح، مادة «زنر» ص١١٦.

(٢) قال البعلي: الجلجل: هو الجرس الصغير الذي في أعناق الدواب، والجلجلة صوته. المطلع ص٢٢٤.

كتابُ القَضَاءِ

وَهوَ فرضُ كِفَايةٍ، وَعَلَى الإمامِ نَصْبُ مَنْ يُكتفَى بِهِ، وعَلَى المُتَعَيِّنِ إن طُلِبَ الإجابَةُ، كالإمَامَةِ، وإنَّمَا يَلِيهِ مُسلِمٌ، مُكَلَّفٌ، ذَكَرٌ، حُرٌّ، عَدْلٌ، سَمِيعٌ، بَصِيْرٌ، مُتكَلِّمٌ، عارِفٌ أحكَامَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، والإجْمَاعِ، والخِلَافِ، وطُرُقِ الاجتهادِ، ولِسَانِ العَرَبِ، ويُسَنُّ كَونُهُ كَاتِباً، ونُزولُهُ وَسَطَ البَلَدِ، وحُكمُهُ بِمَكانٍ وَاسِعٍ، بِلَا حَاجِبٍ وبَوَّابٍ فِي المَجْلِسِ، ولَا يَحكُمُ مَعَ مُخِلٍّ بفكرٍ كغَضَبٍ، وجُوعٍ، وعَطَشٍ، وشِدَّةِ حَرٍّ أو بَرْدٍ، ومَرَضٍ، وَخَوفٍ، وهَمٍّ، ونُعاسٍ، وَيَجِبُ أن يُسَوِّيَ بينَ الخَصْمَيْنِ، لكن يَرفَعُ مَجلِسَ المُسلِمِ.

ولا يَقبَلُ هَدِيَّةَ خَصْمٍ، ومَنْ لَمْ تُعْهَدْ مِنْهُ قبلَ الوِلَايَةِ، وإنّما يُقبَلُ كتابُ القَاضِي إليهِ بِعَدْلَيْنِ، فِي حَقِّ آدَمِيٍّ، وَيَختَصُّ مَا ثَبَتَ لِيُحكمَ بِهِ، بِمَسافَة قَصْرٍ فَأَكْثَرَ، وَيَقدَحُ فِيهِ فِسْقُ كَاتِبِهِ، بِخِلافِ مَا حَكَم بِهِ، ولا يَضرُّ عَزْلُهُمَا وموتُهُمَا، فَمَنْ وَصَلَهُ لَزِمَهُ العَمَلُ بِهِ، والإشهَادُ بِمَا حَكَمَ بِهِ إنْ طُلِبَ مِنْهُ.

بابُ الدَّعَاوى

إنَّما تَصِحُّ مُحرَّرَةً، مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ، فَإذا تَمَّت فَلَهُ سُؤالُ المُدَّعَى عَلَيهِ، فإن أَقَرَّ حَكَمَ للمدَّعِي، وَإنْ أنكرَ وَلِلمُدَّعِي بَيِّنَةٌ حَكَمَ بها، وإلَّا حَلَفَ المُدَّعَى عَلَيهِ بِطَلبِ المُدَّعي، فَإن نَكَلَ وَرَدَّهَا عَلى المُدَّعِي حَلَفَ وَاستَحَقَّ، فإن نَكَلَ أيضاً صَرفَهُمَا، وإن ادَّعَى مَا بِيَدِ أحدِهِمَا ولَا بَيِّنَةَ فقولُهُ، أو بيدِهِمَا، أو تَعَارَضتَا حَلَفَا، وجُعِلَ اليمينُ بَينَهُمَا، وَيَحلِفُ على البَتِّ، إلَّا فِي نَفي فِعْلِ غَيْرِهِ، فَعَلَى نَفيِ العِلْمِ، ولا تُشْرَعُ اليَمِينُ فِي حُقوقِ اللهِ ـ تعالى ـ.

وإذا كانَ لِمَيِّتٍ حقٌّ، أو لِلمُفْلِسِ فَحَلَفَ الورثةُ أو المفلسُ ثَبَتَ، وَإن لَم يَحلِفُوا فَبَذَلَ الغُرَمَاءُ اليَمِينَ لَم يُقْبَلْ، وإن ادَّعَى جَمَاعةٌ حَلفَ لكلِّ واحدٍ يَمِيناً، إلَّا أَنْ يَرضُوا بِوَاحِدةٍ، وإن كَانَت حُقُوقٌ لوَاحدٍ فلكُلِّ حقٍّ يَمينٌ.

بابُ القِسمَةِ

إذا كانَ فِيهَا رَدُّ عِوَضٍ، أو ضَرَرٌ يُنْقِصُ القِيمةَ فهيَ بيْعٌ، يَجِبُ التَّراضِي، وإلَّا فَهي إجبَارٌ، يُجبَرُ المُمتَنِعُ، وهي إفرازُ حَقٍّ، ولَهُمَا القَسْمُ بأنفسِهِمَا، وَبِمَنْ يَنْصِبَانِهِ، أو يَطْلُبانِهِ مِنَ الحَاكِمِ، ويكُونُ عَدلاً عَارفاً بهَا، وَيُعَدِّلُ السِّهامَ، ثُمَّ يُقْرِعُ، فَمَنْ خَرَجَ سَهمُهُ أَخَذَهُ، وتَلزَمُ مِنَ الحَاكِمِ مُطلقاً، والإجبَارُ بالقُرعَةِ، وَيَكفِي قَاسِمٌ، حَيثُ لا تَقْوِيْمَ، وإلَّا قاسِمان.



كتابُ الشهاداتِ

تَحَمُّلُ الشَّهَادةِ وَأداؤُهَا فَرضُ كِفَايةٍ، وَفرضُ عَينٍ إن تَعَيَّنَ، وإنَّمَا تُقْبَلُ مِنْ مُسْلمٍ، مُتكلِّمٍ، مُكلَّفٍ، مُختارٍ، عَدْلٍ لَمْ يُبَاشِرْ كَبِيرَةً، ولَا لَازَمَ صَغِيرَةً، ذِي مُرُوءَةٍ، غَيرَ جَارٍّ لِنَفْسِهِ نَفعاً، أو دَافِعٍ عَنهَا ضَرراً، لا عَدُوٍّ عَلَى عَدُوِّهِ، وَلَا أَصْلٍ وَفرعٍ، وَسَيِّدٍ وَعَبدٍ لِلمَشهُودِ لَه، وغَيرِ مَعرُوفٍ بِكثرَةِ غَلَطٍ وَنِسيَانٍ، ويُردُّ العبدُ فِي حَدٍّ وقَصَاصٍ، ولَا يُسْمَعُ جَرْحٌ وتَعدِيلٌ وتَرجَمةٌ إلَّا مِنْ عَدْلينِ، ويُقَدَّمُ الجَرحُ، ويُقبلُ عَلَى فِعلِ نَفْسِهِ، وَمِنَ الأَصَمِّ عَلى مَرْئِيٍّ ومَسمُوعٍ قبلَ صَمَمِهِ، ومِنَ الأعْمَى فِي مَسمُوعٍ إن تَيَقَّنَ الصَّوتَ، ومُسْتَفِيضٍ وَمَرْئِيٍّ قَبلَ العَمَى إن عَرَفَه بِمَا مَيَّزَهُ، ومِنَ المُستَخفِي، الزِّنا: بأَرْبَعَةٍ، والمَالُ وما يُقصَدُ بِهِ برجلينِ، ورَجُلٍ وامرأتين، ورجلٍ وَيَمينٍ، وما يُطَّلعُ عليهِ برجلين، وَمَا لَا يراهُ الرِّجالُ غَالِباً بامْرَأةٍ، وإنَّما يَشْهَدُ بعلمِهِ برؤيةٍ في الأفعالِ أو سماعٍ مِنَ المَشْهُودِ عليهِ، أو باسْتِفَاضَةٍ، فِيمَا يَتَعَذَّرُ عِلمُهُ غَالِبَاً إلَّا بهَا، كالنَّسَبِ ونحوِهِ، إلَّا فِي حَدٍّ وَقِصَاصٍ، وَمَنْ تابَ قُبِلَتْ منهُ حينئذٍ.

وتُقبلُ الشَّهادَةُ على الشَّهادةِ، فِي حَقٍّ آدميٍّ، إن تَعَذَّرَ السَّمَاعُ مِنَ الأصلِ، وَأَقَلُّهُ فَرْعَانِ، ذَكَرَانِ، استَرعَاهُمَا الأصلُ، أو سَمِعَاهُ يشهدُ بِهِ عِندَ حَاكِمٍ، أو يَعْزِيهِ إلَى سَبَبٍ، ومَنْ رَجَعَ بَعدَ الحُكمِ غَرِمَ بقسْطِهِ، وقَبْلَ الحدِّ والقِصَاصِ يُسْقِطُهُمَا.



كتابُ الإِقرارِ

يَصِحُّ مِنْ مُكلّفٍ رَشيدٍ مُخْتَارٍ، لأَهْلٍ غَيرِ مُكذِّبٍ، وَيَصِحُّ مِنَ العبدِ والصّبيِّ المَأذُونِ لَهُمَا في قَدْرِ ما أُذِنَ لَهُمَا فِيهِ، ومِنَ المُكْرِهِ بِغَيرِ ما أُكْرِهَ عليهِ، ومِنَ السَّفِيهِ بِحدٍّ أَو قِصَاصٍ أَو طلاقٍ، وبالمالِ وَيُتْبَعَانِ بِهِ بَعْدَ الرِّقِّ وَالحَجْرِ، ومِنَ المريضِ المخُوفِ بِغَيرِ مَالٍ، وَبِه لِغَيرِ وَارِثٍ، وَامْرَأَتِهِ بِمَهْرِ مثلِهَا.

ومن أَقَرَّ بِدَرَاهِمَ، ثُمَّ سَكَتَ بحيثُ يُمكِنُهُ الكلامُ، ثُمَّ قَالَ: زُيُوفاً، أو صِغَاراً، أو مؤجلةً لَزِمَتْهُ جِيَاداً وَافِيَةً حَالَّةً، ولو قَالَ: لَهُ عَلَيَّ دَرَاهِمُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِيعَةٌ، لَمْ يُقْبَلْ، وَلَو قَالَ: عِندي، قُبِلَ، وَلَا يَلزَمُ الوَرَثَةَ وَفَاءُ دَينٍ، إِلَّا أن يُخَلِّفَ تَرِكَةً فَيَتَعَلَّقُ بهَا، وبِإقرَارِهِمْ يَثبُتُ، وبِإِقْرَارِ بَعْضٍ يَثْبُتُ بِقَدْرِ حِصَّتِهِ، فإِنْ شَهِدَ وهوَ عَدْلٌ ثَبَتَ، وَلَو خَلَّفَ ابناً ومَائةً، فادَّعى رَجُلٌ مائةً فَصَدَّقَهُ، ثُمَّ ادَّعى آخَرُ مائةً وَصَدَّقَهُ، فإن كانَ في مَجْلِسٍ فالمائةُ بَينَهُمَا، أو فِي مَجْلِسَينِ فَلِلأَوَّلِ، وإن ادَّعَيَاهَا وَدِيعةً فِي مَجْلِسَينِ فَصَدَّقَهُمَا فَلِلأَوَّلِ، وَيَغْرَمُهَا لِلثَّانِي، وإنّما يُسْتَثْنَى دُونَ النِّصفِ، إن اتَّصَلَ عُرْفاً، وَلا يَصِحُّ مِنْ غَيرِ الجِنْسِ، والدَّرَاهِمُ: ثلاثَةٌ، والمُجْمَلُ: يُفَسِّرُهُ (بالمُحْتَمِلِ)[1]، واللهُ سُبْحَانَهُ أعلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيهِ المَرْجِعُ والمَآبُ.

وَصَلَّى اللهُ على مَولانَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وآله، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

تمَّ الكتاب على يد فقير عفو ربه
خليل بن علي القادر الحنفي
بتاريخ خامس شهر جمادى الأولى
من سبع وتسعين وثمانمائة للهجرة

(١) ما بين القوسين من الهامش.

التعليق على كتاب

الإجابة الصادرة في صحة الصلاة في الطائرة

مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ

ترجم للمؤلف وقدم للكتاب واعتنى به وعلق عليه
وأضاف إليه بعض المسائل

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي أرسله الله تعالى على فترة من الرسل رحمة بالخلق أجمعين.

وبعد:

فقد بين الله تعالى الحكمة من خلقنا في كتابه العزيز فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. فقد بينت الآية الكريمة الحكمة الشرعية الدينية من خلق بني آدم وهي تحقيق العبودية لله تعالى، العبودية الشاملة التي لا تقبل التجزئة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[البقرة: ٨].

ومن كمال لطفه بعباده ورحمته بهم أنه حينما أمرهم بذلك تكفل بخلق ما يعينهم على ما خُلقوا له فسخر لهم كل ما في الكون تسخيراً تاماً لكي يعبدوه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. الآية.

ومن أعظم ما سخره الله ﷻ لعباده هذه المراكب السيارة من خيل وبغال وحمير وغيرها من الصناعات التي أحدثت في هذه العصور كالسفن والطائرات والسيارات ونحوها.

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٥ ـ ٨].

فقوله ﷻ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إشارة منه إلى ما سيحدث في العالم من تغيير في أمور المركوبات.

ونظراً لأن هذه المستجدات التي قام الإنسان باختراعها والتي لم تكن موجودة من قبل فقد يحدث فيها بعض المسائل الهامة التي تتعلق بالصلاة والصيام والحج وغيرها. قام علماء الأمة ببيان ما أشكل على أفراد الأمة من هذه المسائل.

وضمن من قام بهذه المهمة العلّامة المحدث الفقيه المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله. فقد ألّف رسالة قيّمة النفع فريدة النوع لم يسبقه إلى تأليفها أحد بخصوص حكم الصلاة في الطائرة.

وقد يسر الله تعالى الاطلاع على هذه الرسالة فقرأتها وعقدت العزم بناء على مشورة بعض المشايخ على إخراجها وقد قمت بذلك ولله الحمد وإتماماً للفائدة أضفت بعض المسائل الهامة المتعلقة بركوب الطائرة كالصيام والحج.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه إنه سميع قريب مجيب.

أبو محمد
أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الزلفي ص. ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢

ترجمة مؤلف الرسالة[1]

١ ـ اسمه ونسبه:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من قبيلة (الجكنيين) المشهورة المعروفة التي يرجع نسبها إلى قبيلة (حمير) العربية المشهورة.

٢ ـ مولده ونشأته:

وُلِد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ١٣٢٥هـ.

وكان مسقط رأسه رَحِمَهُ اللَّهُ عند ماء يسمى (تنبه) من القطر المسمى شنقيط التي تسمى الآن دولة موريتانيا الإسلامية.

أما نشأته رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد نشأ في قبيلة معروفة بالعلم وفروسية القتال فجمعوا بين الحسنيين وهذا كان له أثر بالغ في حياة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فقد طلب العلم على قدم وساق سواء في الحل أو الترحال فجمع بين علوم شتى.

٣ ـ طلب العلم:

لقد كانت همة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في طلب العلم عالية جداً فهو لم يقتصر في طلب على علم فن من الفنون فقط بل عقد العزم على أن يكون شيخاً في عدد

---

(١) من أراد الزيادة في ترجمة المؤلف فليرجع إلى كتاب (منسك الإمام الشنقيطي) للمؤلف والدكتور عبد العزيز الحجيلان.

من الفنون ونال مقصوده رَحِمَهُ اللهُ فتجده إماماً في الفقه وإماماً في الحديث وإماماً في الأصول وإماماً في التفسير وغيرها من العلوم.

٤ ـ شيوخه:

تتلمذ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على عدد كثير من العلماء الأجلاء نذكر بعضهم:

١ ـ خالد بن عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن نوح وتعلم عليه القرآن.

٢ ـ ابن خاله سيدي محمد بن أحمد بن محمد المختار. وتعلم عليه رسم المصحف العثماني وقرأ عليه التجويد.

٣ ـ زوجة خاله وقد أخذ عنها الأدب ومبادىء النحو والأنساب والسيرة.

٤ ـ الشيخ محمد بن صالح وقد درس عليه قسم العبادات من مختصر خليل في الفقه المالكي.

٥ ـ الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم وغيرهم الكثير.

٥ ـ أعماله ومناصبه:

تولى رَحِمَهُ اللهُ كثيراً من الأعمال والمناصب منها:

١ ـ تولى التدريس والإفتاء في بلاده قبل قدومه إلى المملكة للحج.

٢ ـ تولى التدريس في المسجد النبوي في المدينة النبوية بعد استقراره فيها.

٣ ـ اختير للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عند افتتاحه سنة ١٣٧١هـ.

٤ ـ تولى التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة بعد افتتاحها.

٥ ـ رُشح عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة.

٦ ـ كان عضواً مؤسساً في رابطة العالم الإسلامي.

٦ ـ تلاميذه:

للشيخ تلاميذ كثيرون نذكر منهم أشهرهم:

١ ـ فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح إمام المسجد النبوي ورئيس محاكم المدينة رَحِمَهُ اللهُ.

٢ ـ الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ القاضي بمحكمة المدينة وهو من أخص تلاميذه.

٣ ـ الشيخ محمد المجذوب.

٤ ـ أبناء الشيخ نفسه ومن أبرزهم محمد المختار الأستاذ في قسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية.

٥ ـ فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦ ـ الشيخ محمد ربيع المدخلي.

٧ ـ الشيخ إحسان إلهي ظهير.

٧ ـ وفاته:

بعد حياة مديدة حظيت بالتأليف والتدريس والافتاء والبذل والعطاء توفي العلَّامة الإمام المحقق الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في ضحى يوم الخميس السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ) وكانت وفاته بمكة المكرمة وذلك أثناء رجوعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة بمكة وصلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم.

أما بعد:

فقد طلب منا بعض فضلاء إخواننا أن نقيد لهم حروفاً نظهر بها صحة صلاة من صلى في الطائرة فأجبناهم إلى ذلك ونذكر إن شاء الله وجه استنباط صحتها من كتاب الله ثم من سُنة نبيه ﷺ ثم من كلام العلماء على طريق المناظرة الشرعية(١) الخالية من لجاج(٢) الجدل أما القرآن فقد امتن الله فيه على خلقه في مسودة الامتنان(٣) التي هي سورة النحل بهذه المراكب المستحدثة لأنه لما بين أنواع الامتنان فيها وذكر الامتنان بأنواع من المركوبات في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]. أشار إلى امتنانه بمركوبات لم تخلق ولم يعلمها الموجودون(٤) في زمن النبي ﷺ فقوله:

---

(١) أبدع العلّامة الشنقيطي رحمه الله في منهجه التعليمي حيث سلك طرقاً شتى لإيصال المعلومات إلى طلابه وقد وفق في هذا الباب وطرق مسائل كثيرة بأساليب متنوعة ومنها هذا الأسلوب وهو طريق المناظرة الشرعية الذي انتهى فيه إلى ترجيح الصلاة في الطائرة والرد على المالكية في ذلك الذين يقولون بعدم صحة الصلاة في الطائرة.

(٢) من يكتب لنفع الناس ينبغي أن تخلو كتابته من الجدل الممنوع وإذا تطلب الأمر مناقشة المخالفين في أي مسألة فينبغي الأدب واتباع الأساليب النافعة المفيدة وهذا ما سلكه العلّامة الشنقيطي رحمه الله.

(٣) سميت سورة النحل بسورة الامتنان لأن الله تعالى عدَّدَ فيها نعمه على خلقه التي امتن فيها على خلقه.

(٤) احتج بعض من قصر فهمهم بعدم وجود الدليل على السيارات والطائرات والقاطرات والمركبات الفضائية وغيرها مما سخره الله للناس. فرد عليهم من أنار الله بصائرهم بهذه الآية ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهي تشمل سائر المراكب الموجودة وغيرها مما لم يكتشفه البشر بعد.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] مقترناً بجنس المركوبات يدل على أنه من جنس ما يركب ودلالة الاقتران وإن ضعفها بعض الأصوليين كما أشار له صاحب مراقي السعود بقوله:

أما اقتران اللفظ في المشهور فلا يساوي في سوى المذكور[1]

قال المؤلف في تفسير هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأنهم من ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات، والقطارات، والسيارات.

ويؤيد ذلك إشارة النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث الصحيح قال مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء**

---

(١) فتح الودود بشرح مرامي السعود ص١٦٨. قال صاحب فتح الودود عند شرحه لهذا البيت: يعني أن القران بين لفظ الجملتين أو المفردين أو الجمل أو المفردات بالعطف لا يوجب التسوية بينهما في غير الحكم المذكور وأما الحكم المذكور فتجب التسوية بينهما فيه هذا هو المشهور وعليه الجمهور خلافاً لبعض المالكية والمزني وابن يوسف في قولهم أن القران بين الجملتين أو المفردين بالعطف يوجب التسوية بينهما في الحكم المذكور كالمذكور وينبني على الخلاف قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فعلى الأول لا تستوي العمرة مع الحج في الوجوب ابتداء لأنه حكم غير مذكور بناءً على أن القرآن بين اللفظين بالعطف لا يقتضي التسوية بينهما في غير الحكم المذكور وتستوي معه في وجوب الاتمام لأنه مذكور وعلى الثاني تستوي العمرة معه في الوجوب ابتداء في وجوب الإتمام بناءً على أن القرآن بين اللفظين يقتضي التسوية بينهما في الحكم المذكور وغيره.

والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» ومحل الشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: **«ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها»** فإنه قسم من النبي ﷺ أنه ستترك الإبل فلا يسعى عليها، وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة.

فقد صححها(١) جماعة من المحققين ولا سيما في هذا الموضع الذي دلت فيه قرائن المشاهدة(٢) على صحة دلالة الاقتران فيه ونعني بدلالة الاقتران هنا دلالة اقتران ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨](٣) بجنس ما يركب(٤) وإذا حققت أن الله امتن في سورة الامتنان(٥). على الخلق بوجود هذه المراكب التي من جملتها الطائرة فاعلم أن ركوبها جائز لأن الله لا يمتن بمحرم(٦) وإذا

---

(١) المقصود دلالة الاقتران التي أشار إلى ضعفها سابقاً.

(٢) قرائن المشاهدة هي ما يشاهده العَالِمُ عند القول في حكم ما فهي دليل قوي يستأنس به على صحة دلالة الاقتران وقد شاهد الشيخ، رحمه الله تعالى، ذلك بنفسه كما ذكر ذلك الشيخ محمد عطية سالم تلميذه، رحمهما الله، حيث قال أنه ممن سافر مع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله إلى بلد أفريقية بالطائرة وقد طلع الفجر وهم بالطريق فأذن بعضهم ثم تقدم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله فصلى بهم فلما انتهى من صلاته سألته عن هذه الصلاة فقال هذه أحسن صلاة صليتها ثم قال: نحن كنا نعبد الله في الأرض والآن نحن نعبده في السماء.

(٣) قاله المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية.

(٤) أي: بجنس ما ذكره الله تعالى في نفس الآية.

(٥) سورة الامتنان هي سورة النحل كما ذكرناه سابقاً.

(٦) إن من نعم الله على عباده أن دل عقولهم إلى معرفة هذه الصناعات الحديثة التي هي في الأصل نعمة من نعمه على خلقه فهذه السفن والطائرات والسيارات وغيرها كلها من فضل الله على خلقه فسبحان من قال في كتابه: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ غير أنه انطمست قلوب وأعين المنحرفين عن منهج سلف الأمة حينما نقول لهم إنه يجب الرجوع إلى منهج السلف والعودة إلى ما كان عليه سلف الأمة قالوا يريدوننا أن نرجع إلى العصور المظلمة ويقولون بأنها عصور التخلف والرجعية وقد قرأت لبعض المتأثرين بهذا الفكر رسالة يتهجم فيها على من يدعوا الناس إلى التمسك بآثار السلف ثم يقول إننا في عصر التكنولوجيا والتقدم وقد صعد الناس إلى القمر وهؤلاء يدعوننا إلى السلف ولم يفرق المسكين بين قولنا الرجوع إلى منهج السلف في العبادات وغيرها وبين أن ديننا يدعو إلى التقدم والرقي والازدهار ويحث على ذلك بل وجعل =

كان جائزاً ودخل وقت الصلاة فيها فقد دل الكتاب والسُّنة والإجماع على أن الله لا يكلف الإنسان إلا طاقته لقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[(١)] فإذا صلى الإنسان فيها فقد فعل طاقته ولم يؤمر إلا بطاقته[(٢)] وقد أشار النبي ﷺ إلى حدوث هذه المركوبات لقوله كما ثبت في صحيح مسلم: «**ولتتركن القلاص[(٣)] فلا يسعين عليها**»[(٤)].

= الأجر والمثوبة لمن قام بذلك فالإسلام لا يحرم الصناعات الحديثة من سيارات وطائرات وسفن وقطارات وغيرها فهذه كلها من نعم الله على عباده فينبغي أن نفرق بين الأمرين:

الأول: الدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة من عبوديتهم لله تعالى وبالأخص في أمور العقيدة.

ثانياً: أننا حينما نقول بالرجوع إلى منهج السلف نقول بأنه لا تعارض بين الأخذ بالأمور المباحة التي جاءت الشريعة بإقرارها كركوب السيارات والطائرات وغيرها من الوسائل الحديثة وبين ما ذكرناه في الأمر الأول.

(١) رواه البخاري ١٣/ ٢١٩، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) هذه القاعدة أي قاعدة «لا تكليف إلا بالاستطاعة» أو لا تكليف إلا بمقدور قاعدة عظيمة تدل على تيسير الله لعباده بل وتدل بلا ريب على سماحة هذه الشريعة التي مبناها على الرحمة بالخلق وهذه القاعدة تضمنت أمرين:

الأول: أن الواجب يتعلق بالاستطاعة فلا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة فالضرورة تقدر بقدرها فإذا اندفعت الضرورة وجب الانكفاف.

الثاني: أن كل من عجز عن شيء من شروط الصلاة أو أركانها أو واجباتها فإنها تسقط عنه ويصلي على حسب ما يقدر عليه مما يلزم فيها وكذا الصوم من عجز عنه عجزاً مستمراً لكبر أو لمرض لا يرجى برؤه أفطر وكفر عن كل يوم إطعام مسكين ومن عجز عن الصيام لمرض يرجى برؤه أو لسفر أفطر وقضى وهكذا سائر العبادات الواجبة. فلله الحمد على ذلك. فالذين يقولون بعدم جواز الصلاة في الطائرة هم في الحقيقة يضيِّعون ما وسَّعه الله على عباده فنسأل الله تعالى العلم النافع والعمل الصالح.

(٣) قال النووي رحمه الله في شرحه لمسلم ٢/ ١٩٢.

القلاص بكسر القاف وهي جمع قلوص بفتحها وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب الساعة.

(٤) الحديث رواه مسلم رقم (٢٤٣)، كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ. ومسند أحمد ٢/ ٤٩٤ بلفظ: (وليتركن).

وأما الدليل من السنة فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر أنه سُئل عن الصلاة في السفينة فقال: «**صلِّ فيها قائماً إلا أن تخاف الغرق**»[١] أخرجه الدارقطني والحاكم على شرط الصحيحين مع أن القرآن دل بدلالة الإشارة[٢] على صحة الصلاة في السفينة حيث امتن بركوبها ﴿تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ومعلوم أنه لا يتيسر النزول بالساحل عند كل صلاة فالصلاة فيها صحيحة قطعاً وإذا دل الكتاب والسُّنة والإجماع على صحة الصلاة في سفينة البحر[٣] فاعلم أنها لا يوجد بينها وبين الطائرة فرق له أثر في الحكم[٤]؛ لأن كلاً منهما سفينة متحركة ماشية يصح عليها الإتيان بجميع أركان الصلاة من قيام وسجود وركوع واعتدال وغير ذلك بل هو بالطائرة أسهل[٥]؛ لأنها أخف حركة من السفينة وكل منهما تمشي على جرم لأن

---

(١) رواه الحاكم ١/ ٢٧٥ وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه ورواه الدارقطني في باب صفة الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين من غير عذر وصفة الصلاة في السفينة ١/ ٣٩٥، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٥٥ باب القيام بالفريضة وإن كان في السفينة مع القدرة والحديث صححه العلامة الألباني ﷺ في صفة الصلاة ص٥٩.

(٢) دلالة الإشارة. قال المؤلف ﷺ في مذكرة أصول الفقه (ص٢٣٦) وإيضاح دلالة الإشارة: أنها دلالة اللفظ على معنى ليس مقصوداً باللفظ، ولكنه لازم للمقصود فكأنه مقصود بالتبع لا بالأصل.

(٣) بناء على ما تقدم: فإن الصلاة في السفينة جائزة عند الأئمة الأربعة وأنه يصلي فيها قائماً إلا إذا كان لا يستطيع القيام فليصل قاعداً. فإذا نقل الإجماع على صحة الصلاة في السفينة فما هو وجه الفرق بينها وبين الطائرة وكل ما توهم البعض من توهمات توجب كون الطائرة تختلف عن السفينة كلها توهمات عارية عن الصحة كما سيذكر ذلك المؤلف، مع العلم أنه ليس كل المالكية يقولون بعدم صحة الصلاة في الطائرة بل هناك من قال بجوازها.

(٤) قال الألباني ﷺ في صفة الصلاة ص٧٩.

فائدة: وحكم الصلاة في الطائرة كالصلاة في السفينة، أن يصلي قائماً إن استطاع وإلا صلى جالساً إيماءً بركوع وسجود كما تقدم.

قلت: وسنذكر إن شاء الله كيفية الصلاة في الطائرة في بعض المسائل في هذه الرسالة.

(٥) أما الطائرة فإنها لا تقف إلا في المطار المعد لهبوطها ومن ثم إذا كانت المسافة بعيدة وخيف فوت الوقت فإنه يصلي فيها، ولا تؤخر الصلاة عن وقتها وهذا أمر =

الهواء جرم بإجماع المحققين من نظار المسلمين والفلاسفة.

وتحقق صحة ذلك إذا نفخت قربة مثلاً فإن الرائي يظنها مملوءة من الماء ولو كان الهواء غير جرم لما شغل الفراغ بملء الأوعية المنفوخة وبين الهواء والماء مناسبات كثيرة حتى أن أحدهما لينتقل من عنصره إلى عنصر الآخر ألا ترى أن الماء إذا بلغ مائة درجة من درجات الحرارة تبخر فصار هواء فانتقل من عنصر الماء إلى عنصر الهواء وإذا لم يكن بينهما فارق له تأثير في الحكم فاعلم أن عامة العلماء ما عدا قوماً من أتباع داود الظاهري على أن المسألة المنطوق بها والمسألة المسكوت عنها إن لم يكن بينهما فارق له أثر في الحكم فإن المسكوت عنها تدخل في حكم المنطوق بها(١) وهو الدليل

= ممكن وليس فيه مشقة وقد لاحظنا ذلك من واقع التجربة ولله الحمد. ولكن لو كانت الفجوات التي بين المقاعد وعند الأبواب لا تتسع لجميع الركاب فمن الممكن أن يصلوا جماعة بقدر العدد الذي تتسع لـه الفجوات ثم تليها جماعة أخرى وهكذا لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. انظر في ذلك فتوى اللجنة الدائمة في صحة الصلاة في الطائرة ٨/ ١٢٠، وفتوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ٣/ ١٧٨ - ١٧٩، وفتوى الشيخ محمد الصالح العثيمين (في مجموع فتاوى الشيخ رحمه الله ١٢/ ٤٩٣).

(١) هذه المسألة أي الحاق المسكوت عنه بالمنطوق هي واحدة من أعظم مسائل أصول الفقه. فيجب التنبه لها.

قال مؤلف هذه الرسالة رحمه الله في مذكرة أصول الفقه ص٢٤٩.

إذا علمت ذلك فاعلم أن التحقيق أن نفي الفارق أربعة أقسام لأن نفيه إما أن يكون قطعياً أو مظنوناً وفي كل منهما إما أن يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق أو مساوياً له.

فالمجموع أربعة:

الأول: هو ما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق مع القطع بنفي الفارق. كإلحاق أربعة عدول بالعدلين في قبول الشهادة كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وكإلحاق الضرب في التأفيف في الحرمة كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

الثاني: هو ما كان المسكوت عنه فيه مساوياً للمنطوق مع القطع بنفي الفارق. كإلحاق إحراق مال اليتيم وإغراقه بأكله في الحرمة. وكإلحاق صب الماء بالبول فيه.

الثالث: هو ما كان المسكوت عنه فيه أولى مع نفي الفارق بالظن الغالب كإلحاق شهادة الكافر بشهادة الفاسق في الرد المنصوص عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. =

المعروف عند الأصوليين بالإلحاق بنفي الفارق وهو نوع من تنقيح المناط[(١)] وسماه الشافعي القياس في معنى الأصل قال في مراقي السعود:

قياس معنى الأصل عنهم حقق   لما دعى الجمع بنفي الفارق[(٢)]

وقال أيضاً في مسالك العلة في الكلام على تنقيح المناط:

فمنه ما كان بإلغا الفارق   وما بغير من دليل رائق[(٣)]

فإلحاق ضرب الوالدين بالتأفيف في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] وإلحاق شهادة أربع عدول بالعدلين في قوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] وإلحاق وزن الجبل بمثقال الذرة في قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة: ٨] وإلحاق إحراق مال اليتيم وإغراقه بأكله في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية وإلحاق البول في إناء وصبه في الماء الراكد المنهي عنه[(٤)]. وإلحاق التضحية بالعمياء بالتضحية بالعوراء

= وكإلحاق العمياء بالعوراء في منع التضحية.

الرابع: هو ما كان المسكوت عنه فيه مساوياً للمنطوق مع كون نفي الفارق مظنوناً لا مقطوعاً.

كإلحاق الأمة بالعبد في سراية العتق المنصوص عليه في العبد.

(١) قوله: «وهو نوع من تنقيح المناط».

هو أن يضيف الشارع الحكم إلى سببه فيقترن به أوصاف لا مدخل لها بالإضافة فيجب حذفها عن الاعتبار ليتسع الحكم. مثاله قوله ﷺ للأعرابي الذي قال: هلكت يا رسول الله... الحديث. فكونه أعرابياً لا أثر له فيلحق به التركي والعجمي لعلمنا أن مناط الحكم وقوع مكلف لا وقوع أعرابي إذ التكليف تعم الشخص على ما مضى (روضة الناظرين ٣/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤).

قوله وسماه الشافعي القياس في معنى الأصل: أي سمى مفهوم الموافقة بالقياس في معنى الأصل وقد اختلف في ذلك. فذهب الجمهور إلى أنَّ هذا نوع من المفهوم وذهب الشافعي إلى أنه قياس وذهب آخرون إلى أنه مجاز من إطلاق البعض وإرادة الكل.

(٢) متن مراقي السعود ص١٥١ وانظره أيضاً في فتح الودود شرح مراقي السعود (٣٤٩).

(٣) مراقي السعود ص١٣٩، فتح الودود ص٣٢٠.

(٤) لقوله ﷺ: (**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه**». مختصر صحيح البخاري للزبيدي: باب لا يبولن في الماء الدائم رقم (١٧٧) ص٥٩.

المنهي عن التضحية[١] بها، وإلحاق الأمة بالعبد في سراية العتق في قوله ﷺ: **«من أعتق شركاً له في عبد»**[٢]. وإلحاق حكم القاضي في حالة الجوع والعطش والحقن والحقب والسرور والحزن ونحو ذلك من كل ما يشوش بالغضب المنصوص عليه في حديث أبي بكرة المتفق عليه: **«لا يقضين حكَمٌ بين اثنين وهو غضبان»**[٣]، **ونحو ذلك مما هو كثير جرى كله إلحاقاً بنفي الفارق**[٤] **واعلم أن إلغاء الفارق يقول به من لا يقول بالقياس**[٥] **وهو في حكم النص عند جماهير من العلماء**[٦].

ومما يدل عليه أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى لا يقول بالقياس في الكفارة[٧] وقد قال فيها بالإلحاق بنفي الفارق وذلك في الأعرابي الذي قدم

---

(١) لحديث البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«أربع لا تجوز في الضحايا العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والكبيرة لا تنقى»** صحيح النسائي للألباني برقم (٤٠٧٣ ـ ٤٠٧٤)، وصحيح ابن ماجه رقم (٢٥٤٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب إذا أعتق عبداً بين اثنين وأنه بين الشركاء برقم (٢٥٢٢) وراه مسلم، كتاب العتق برقم (١٥٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان برقم (٧١٥٨)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان برقم (١٧١٧) بلفظ: «لا يحكم أحد».

(٤) أي نفي الفارق بين الحكم المسكوت عنه والمنطوق به كما بيناه آنفاً.

(٥) ذهب الظاهرية إلى عدم إثبات القياس وعدم حجيته وهذا قول مخالف لعامة الفقهاء والمتكلمين حيث جاءت نصوص الشريعة بإثباته.
انظر أدلته والرد على منكريه في كتاب «روضة الناظر لابن قدامة» ٣/٨٠٦ ـ ٨٣٠.

(٦) قوله وهو في حكم النص أي إلغاء الفارق بين المسكوت عنه والمنطوق به.

(٧) قال ابن قدامة ﷺ في روضة الناظر ٣/٩٢٦.
ويجري القياس في الكفارات والحدود وهو قول الشافعية وأنكره الحنفية لأن الكفارات والحدود وضعت لتكفير المأثم والزجر والردع عن المعاصي والقدر الذي يحصل ذلك به من غير زيادة أمر استأثر الله بعلمه.
وكذلك الحكم بمقدار معلوم في (الصلاة) (والزكاة) (والمياه) لا يعلمه إلا الله ﷻ فلم يجز الإقدام عليه بالقياس ولأن الحد يدرأ بالشبهة والقياس لا يخلو من الشبهة. انتهى المراد والصحيح القول بالقياس في الكفارات بخلاف ما قاله الأحناف.

على النبي ﷺ يضرب صدره وينتف شعره ويقول: هلكت وأهلكت واقعت أهلي في نهار رمضان فقال له النبي ﷺ: «**أعتق رقبة**»[١]؛ فالنبي ﷺ نص على كفارة صوم رمضان في خصوص الجماع ولم يتكلم على الشرب والأكل فيه عمداً، فحكم مالك وأبو حنيفة بإلغاء الفارق وألحقا الأكل والشرب عمداً المسكوت عنهما بالجماع المنصوص عليه في وجوب الكفارة فقالا: بوجوبها في الأكل والشرب عمداً[٢].

وأما ما وعدنا به من كلام العلماء عن طريق المناظرة الشرعية[٣] فإنا

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ٢٩، مسلم ٢/ ٧٨١، أبو داود ٢/ ٧٨٣ ورواه أحمد بنحو هذا اللفظ في مسند أبي هريرة ٢/ ٥١٦ برقم (١٠٦٩٩).

(٢) قال في بدائع الصنائع بعد ذكره كلام الشافعي في عدم وجوب الكفارة على من أكل أو شرب عمداً (٢/ ٩٨ ـ ٩٩).

ولنا ما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أفطر في رمضان متعمداً فعليه ما على المظاهر**» وعلى المظاهر الكفارة بنص الكتاب فكذا على المفطر متعمداً، ولنا أيضاً الاستدلال بالمواقعة والقياس عليها أما الاستدلال بها فهو أن الكفارة في المواقعة، وجبت لكونها إفساداً لصوم رمضان من غير عذر ولا سفر على ما نطق به الحديث والأكل والشرب إفساد لصوم رمضان متعمداً بغير عذر ولا سفر فكان إيجاب الكفارة هناك إيجاباً ههنا دلالة إلى أن قال وعلى هذه الطريقة يمنع عدم جواز إيجاب الكفارة بالقياس لأن الدلائل المقتضية لكون القياس حجة لا يفصل بين الكفارة وغيرها.

والصحيح ولا شك عدم وجوب الكفارة على من أكل أو شرب متعمداً مع ثبوت الإثم العظيم عليه لانتهاكه حرمة هذا الشهر وما عليه إلا التوبة عن هذا الفعل ووجوب قضاء هذا اليوم. ولذا قال صاحب المغني ٤/ ٤٦٦.

ولنا أنه أفطر بغير جماع فلم توجب الكفارة كبلع الحصاة والتراب أو كالردة عند مالك، ولأنه لا نص في إيجاب الكفارة بهذا ولا إجماع ولا يصح قياسه على الجماع لأن الحاجة إلى الزجر عنه والحكم في التعدي به آكد، ولهذا يجب به الحدُّ إذا كان محرماً، ويختص بإفساد الحج دون سائر المحظورات ووجوب البدنة، ولأنه في الغالب يفسد صوم اثنين بخلاف غيره.

(٣) المناظرة الشرعية عرَّفها المؤلف ﷺ في أول رسالته بأنها الخالية من لجاج الجدل ونضيف إلى ذلك بأننا نقول بأن المناظرة الشرعية لا بد أن يكون مبناها على حسن القصد أي صلاح النية وذلك بأن لا يكون في نفس أحد المناظرين شيء من عرض الدنيا الزائل ولذا قال ﷺ: «**من تعلم علماً يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به** =

نقول أولاً: إن من ادعى بطلان الصلاة في الطائرة فهو الذي عليه بيان دليل البطلان ومدعي الصحة معه الأصل لأنها صلاة لم يختل منها ركن ولا شرط وأركان الصلاة وشروطها معروفة ولا يختل بالصلاة في الطائرة منها شيء[(١)]، ولا دليل على بطلانها فيها من كتاب ولا سُنة ولا إجماع ولا كلام عن أحد من أصحاب المذاهب[(٢)].

ونقول ثانياً: إنا إذا أردنا تحقيق هذه المسألة المنطبق على جزئياتها أفرغناها في قالب الدليل العظيم المعروف عند الأصوليين بالسبر؛ أي: الاختبار والتقسيم[(٣)]، وعند المنطقيين بالشرطي المنفصل وعند الجدليين بالترديد والتقسيم فنقوِّم أوصاف الراكب في الطائرة التي يتوهم أنها سبب

= **عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»** رواه أبو داود برقم (٣٦٦٤) وقال أيضاً ﷺ: **«من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»** رواه ابن ماجه وحسنه الألباني برقم (٢٠٧).
فلا بد من المناظرة أن تكون خالصة لوجه الله.
ثانياً: أن تكون لبيان الحق مقروناً بالدليل الشرعي من كتاب أو سنة أو إجماع ونحوه.
ثالثاً: أن تكون خالية من السب والقدح والشتم وغيرها من الألفاظ التي لا تنبغي.
لأنه الأصل أي الأصل صحة الصلاة في الطائرة فمن قال بعدم الصحة فعليه الدليل كما سيوضحه المؤلف رحمه الله.

(١) كما بينا ذلك سابقاً من أن قرائن المشاهدة دلت على أن الصلاة في الطائرة يقوم بها المصلي بجميع أركانها ولا يختل منها شيء.

(٢) هذا هو الصحيح فلا دليل من الأدلة المعتبرة على بطلان الصلاة في الطائرة بل لم يأت قول من الأئمة على عدم جواز الصلاة في الطائرة بخلاف ما جاء عن بعض المالكية القائلين بعدم الجواز كما ذكرنا ذلك سابقاً بناء على أمور سيذكرها المؤلف إن شاء الله، وسيقوم بالرد عليها.

(٣) السبر: هو نوع من مسالك العلة ومعناه كما ذكر المؤلف الاختبار وطريقة التعامل مع هذه القاعدة العظيمة هو حصر الأوصاف التي تكون في المحل وذلك من جميع الجهات، وهذا يعبر عنه بالتقسيم ثم يتم القيام بإبطال ما ليس صالحاً للتعليل بإحدى طرق الأبطال ثم يتعين الوصف الباقي وهو المعبر عنه بالسبر وهذا ما اتبعه الشيخ رحمه الله فقد بين الأمور التي من خلالها يتوهم بطلان الصلاة في الطائرة ثم قام ببيان بطلانها مما سيوضحه رحمه الله.

لبطلان صلاته فيها يحصرها التقسيم الصحيح[١] في هذه الأقسام الخمسة:

الأول: أنها غير متصلة بالأرض[٢]

الثاني: أنها غير ساكنة[٣].

الثالث: أنها ترفعه عن مسامتة القبلة فيكون غير مستقبل والقبلة شرط في الصلاة[٤].

الرابع: عدم القدرة على إكمال الأركان لحركتها واضطرابها[٥].

---

(١) هذا هو المطلوب أي أنه ينبغي إذا تردد عند طالب العلم حكم ما بين الصحة وعدمها فإنه يحيط بهذا الشيء إحاطة تامة ثم يقوم بالرد عليه من خلال معرفته بطرق الاستدلال فهذه قاعدة عظيمة النفع أي قاعدة «السبر والتقسيم» كما ذكر ذلك المؤلف ﷺ.

(٢) هذا التعليل فاسد الاعتبار لأن أرض المصلي هي موضع سجوده وركوعه وغير ذلك مما هو من تمام الصلاة أرأيت لو أن إنساناً صلى على سقف بيت ألم يكن قد صلى على الأرض وقد أجمع العلماء على صحة صلاة من صلى على السقف فلا حجة لمن جعل هذا شرطاً من شروط بطلان الصلاة في الطائرة.

(٣) أما كونها غير ساكنة فمراد أهل العلم بالسكون هو سكون المصلي لا المصلى فيه إذ لو كان سكون المصلى فيه شرطاً لما صحت الصلاة في السفينة مثلاً ولا الراحلة والسيارة وبإجماع أهل العلم على صحة الصلاة في السفينة وما ذكر مع أنها غير ساكنة في سيرها فتعين بطلان هذا الاستدلال كما سيذكره المؤلف.

(٤) معنى قوله: «ترفعه عن مسامتة القبلة» أي مقابلة سمتها أي ذات بنائها وهذا الشرط الذي يتوهم بعدم صحة الصلاة في الطائرة أي اشتراط مسامتته للقبلة.
صلاة من كان على مكان مرتفع مثلا أعلى من القبلة وهذا لم يقل به أحد ولو قال أحد بصحته لم تصح عندئذ صلاة من صلى في الدور الثاني والثالث من الحرم المكي أو صلى في الأدوار العليا من مسكنه وهذا لم يقل به عاقل فتبين فساد هذا التعليل. فعلى من كان بعيداً عن الكعبة أن يجتهد في جعل وجهه إلى جهة الكعبة ولا يلزمه الاجتهاد في مسامتتها كما ذكر ذلك المؤلف ﷺ.

(٥) ذكرنا فيما سبق أن قرائن المشاهدة دلت على خلاف ما يتوهم القائلون بعدم صحة الصلاة في الطائرة من أن المصلي لا يمكنه الإتيان بأركانها وذلك لحركتها واضطرابها، بل كل من صلى فيها يقول بخلاف ما يتوهم المتوهمون من عدم إكمال الأركان وغيره كما ذكرنا ذلك سابقاً فالحاصل أن هذا التوهم مردود فلا يلتفت إليه.

الخامس: عدم معرفة جهة القبلة[١].

ولا وصف غير هذه الأوصاف الخمسة إلا الأوصاف الطردية التي لا أثر لها في الأحكام فإذا حققت هذا التقسيم فاعلم أن السبر الصحيح يدل على أن هذه الأقسام ليس واحد منها يبطل الصلاة[٢].

أما كونها غير متصلة بالأرض فلا يبطل الصلاة لأن أرض المصلي هي موضع صلاته إذا كان يمكنه الركوع والسجود وسائر الأركان وقد أجمع جميع العلماء على صحة الصلاة فوق السقف مع أن موضع المصلي المماس

---

(١) لا شك أن استقبال القبلة شرط للصلاة ولكن هب أن رجلاً دخل وقت الصلاة عليه وهو في مكان بعيد عن موطنه فهذا لا يخلو أمره من ثلاثة أمور:

الأول: إما أن يكون عالماً باتجاه القبلة وذلك من معرفته بجهة الشرق والغرب فعندئذٍ يمكنه تحديد القبلة مثلاً.

ثانياً: إما أن يسأل عنها ولا شك أن أهل الخطوط الجوية عندهم خبرة بذلك وهو معروف لدى من ركب الطائرة.

الثالث: إما أن يكون غير عالم بجهة الشرق والغرب أي لا يعرف اتجاه القبلة وكذلك قبطان الطائرة لا يعرف فعليه أن يجتهد في تعيين القبلة ثم يصلي ولا حرج عليه. فلا يمكنه بأي حال أن يؤخر الصلاة عن وقتها لعدم علمه باتجاه القبلة.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ٨/ ١٢١ ما نصه:

إذا حان وقت الصلاة في الطائرة أو السفينة وجب على من فيها من المسلمين أن يصلي الصلاة الحاضرة على حسب حاله وقدرته فإن وجد ماء وجب عليه التطهر به وإن لم يجد ماء أو وجده وعجز عن استعماله يتيمم إن وجد تراباً أو نحوه، فإن لم يجد ماء ولا تراباً ولا ما يقوم مقام التراب سقط عنه ذلك وصلى على حسب حاله لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وعليه أن يتوجه للقبلة ويدور مع الطائرة أين دارت في صلاة الفرض حسب الطاقة، أما النافلة فيصلي على جهة سير الطائرة لأن النبي ﷺ كان في السفر يصلي النافلة على راحلته حيث كان وجهه، ومما جاء عنها أيضاً في فتوى رقم (١٣٧٥) أما كونه يصلي أين توجهت المذكورات أم لا بد من التوجه إلى القبلة دوماً واستمراراً أو ابتداء فقط فهذا يرجع إلى تمكنه فإذا كان يمكنه استقبال القبلة في جميع الصلاة وجب فعل ذلك لأنه شرط في صحة الصلاة الفريضة في السفر والحضر، وإذا كان لا يمكنه في جميعها فليتق الله ما استطاع.

(٢) بدء المؤلف رحمه الله في الرد على توهمات من قال بعدم صحة الصلاة في الطائرة.

لأعضائه منه غير متصل بالأرض[١]، وفي الدسوقي عند قول خليل ورفع قوم ما يسجد عليه ما نصه: وأما السجود غير المتصل بالأرض كسرير معلق فلا خلاف في عدم صحته كما مر أي والحال أنه غير واقف في ذلك السرير وإلا صحت كالصلاة في المحمل أ.هـ[٢] منه بلفظه. فترى هذا العالم المحقق صرح بأنه لو قام في سرير معلق بين السماء والأرض فصلى فيه أن صلاته صحيحة[٣] وأن المحذور هو ما لو صلى في الأرض وسجد على السرير المعلق لأنه يكون إيماء في الصلاة بلا عذر وهو مبطل لعدم السجود وهو ركن[٤]

وأما كونها غير ساكنة فلا يبطل لإجماع العلماء على صحة الصلاة في سفينة الماء[٥] وهي تضطرب فوق جبال الموج فلو كانت الحركة مبطلة لبطلت في السفينة.

---

(١) بل إذا صلى على دابته بركوع وسجود وقيام ونحوه فصلاته صحيحة ولا شك أن الطائرة دابة. ففي شرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب مالك ١/٤١٦ ما نصه: «ولا يصح فرض» إلخ: قال الشارح: محل البطلان إذا كان يصلي على الدابة بالإيماء أو ركوع وسجود وهو يقدر على القيام وأما لو صلى على الدابة قائماً بركوع وسجود مستقبلاً للقبلة أو عاجزاً عن القيام كانت صحيحة على المعتمد كما تقدم عن سند وكما يأتي في مسألة المريض.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٢٥٣.

(٣) والطائرة لا شك أنها تشبه ذلك تماماً لأنها محمل.

(٤) قال في الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب مالك ١/٤٣٤ قوله «سجود»: عرفه بعضهم بأنه مس الأرض أو ما اتصل بها من ثابت بالجبهة أ. هـ واحترز بقوله: أو ما اتصل بها من نحو السرير المعلق في جبل مثلاً. وبقوله: «من ثابت» عن الفراش المنفوش جداً ودخل في الثابت السرير من خشب مثلاً لا من شريط. نعم أجازه بعضهم للمريض. وظاهر قوله: أو ما اتصل بها وإن علا عن سطح ركبتيه فيشمل السجود على المفتاح والسبحة ولو اتصلت به والمحفظة ولكن الأكمل خلافه هذا هو الأظهر إلى أن قال: وحده الشافعي بارتفاع الأسافل وانحدار الأعالي قالوا: ولا بد من التحامل وهو أن يأتي رأسه على ما سجد عليه حتى لا يعد حاملاً لها فلا يكفي الإمساس بمجرد الملاصقة وليس معنى التحامل شد الجبهة على الأرض حتى يؤثر فيها كما يفعله الجهلة «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» الخشوع والخضوع.

(٥) للحديث المتقدم بل الناظر للطائرة يجدها أنها أسكن في حركتها من السفينة وذلك لكثرة تلاطم السفينة بالأمواج.

وأما كونها ترفعه عن مسامتة القبلة فلا يبطلها لإجماع العلماء أن من صلى فوق أبي قبيس[١] فصلاته صحيحة وهو مرتفع عن مسامتة الكعبة ارتفاعاً كثيراً[٢] بيناً مع أن جماهير العلماء على أن الغائب عن مكة يجعل وجهه إلى جهة الكعبة ولا يلزمه الاجتهاد في مسامتتها[٣] كما دل عليه قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٠٥] والمراد بالشطر الجهة ومنه قول الشاعر:

أقـــول لأم ذنـــبـــاع أقـــيـــمـــي   صدور العيس شطر بني تميم

أي: جهتهم. قال في المختصر: وإلا فالأظهر جهتها اجتهاداً[٤]. وإذا كانت الجهة كافية فمن في الطائرة مستقبل للجهة بلا شك.

وأما عدم القدرة على الإتيان بالأركان منتفٍ بل أهلها قادرون على جميع أركان الصلاة وقد صلينا فيها مراراً نسجد ونركع ونقوم ونجلس ونطمئن من غير تعسر شيء من ذلك[٥].

---

(١) جبل أبي قبيس.

(٢) قال في الشرح الصغير ١/ ٤٠٧.
من في حكمها من يمكنه المسامتة كما في جبل أبي قبيس فيستقبلها بجميع بدنه حتى لو خرج منه عضو لم تصح صلاته.

(٣) كما ذكرنا ذلك سابقاً قال في الشرح الصغير ١/ ٤٠٩ والحاصل أن من بعد عن مكة لم يقل أحد أن الله أوجب عليه مقابلة الكعبة لأن في ذلك تكليفاً بما لا يطاق وإنما في المسألة قولان الأول لابن رشد يجتهد في الجهة وهو الذي مشى عليه المصنف.
والثاني يجتهد في استقبال السمت والمراد أن يقدر المقابلة والمحاذاة وإن لم يكن في الواقع كذلك وهو مذهب الشافعي.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/ ٢٢٤.
وقوله في حاشية الدسوقي: وإلا فالأظهر جهتها إجتهاداً. أي يستقبل الجهة بالاجتهاد وهذا هو الأظهر عنده وعند ابن رشد فلا يشترط سمتها بخلاف اشتراط ابن القصار لـه فعنده يقدر للمصلي المقابلة والمحاذاة لها وهذا لا شك تكليف بما لا يطاق فالصحيح ما ذهب إليه الدسوقي وغيره من عدم اشتراط المسامتة.

(٥) وعلى ذلك توهم البعض من أنه لا يمكن للمصلي أن يقوم بتأدية أركان الصلاة على الوجه الذي جاءت به نصوص الشرع مدفوع بقرائن المشاهدة كما وضحنا ذلك سابقاً.

وأما معرفة القبلة فهي متيسرة لشدة علم أهلها بالخطوط الجوية[١] فظهر بالتقسيم الصحيح عدم بطلان الصلاة فيها[٢].

وقد تقرر في علم الأصول في مبحث السبر والتقسيم أن السبر والتقسيم إذا كانا قطعيين فالحكم قطعي وإذا كانا ظنيين فالحكم ظني[٣] كما أشار له صاحب مراقي السعود بقوله:

وهو قطعي إذا ما نميا ... للقطع والظن سواه وعيا[٤]

ولا يمكن أحد أن يزيد وصفاً غير الأوصاف التي بينا إلا وصفاً طردياً لا أثر له في الحكم وإبداء المعترض وصفاً زائداً على أوصاف المستدل بالسبر بتأثير ذلك الوصف الزائد كما هو مقرر في الأصول وأشار له صاحب مراقي السعود بقوله:

إن يبد وصف زائد معترض ... وفي له دون البيان الغرض[٥]

---

(١) تقدم الكلام على ذلك.

(٢) وعلى ذلك فمن أخر الصلاة في الطائرة عن وقتها فإنه يأثم بذلك لعدم صحة قول من يقول بعدم جواز الصلاة في الطائرة.

(٣) قال العلامة الشنقيطي في رسالته مذكرة أصول الفقه: (ص٢٥٩).

تنبيهان:

الأول: اعلم أن هذا الدليل الذي هو السبر والتقسيم ينقسم عند الأصوليين إلى قطعي وظني، فالقطعي هو ما كان فيه حصر الأوصاف وإبطال الباطل منها قطعيين، والظني منه ما هو إذا كانا ظنيين أو أحدهما ظنياً.

الثاني: اعلم أن المعترض إذا أبدى وصفاً زائداً على الأوصاف التي حصرها المستدل بأن السبر يبطل لبطلان أحد ركنيه وهو الحصر ومحل هذا ما لم يبين المستدل أن الوصف الزائد الذي أبداه المعترض طردي لا دخل له في التعليل فإنه يكون وجوده وعدمه سواء فيستقيم حصر المستدل بالسبر ولا يبطل دليله.

(٤) متن مراقي السعود ص١٢٩ وفتح الودود في شرح مراقي السعود ص٢٩٢.

(٥) متن مراقي السعود ص١٢٩ فتح الودود ص٢٩٣ قال في فتح الودود عند شرحه لهذا البيت.

والمعنى أن المعترض إذا أبدى وصفاً زائداً على العدد الذي ذكر المستدل أن أوصاف =

والشاهد منه في قوله: دون البيان؛ أي: أما مع البيان فلا يقدح الوصف الزائد في سبر المستدل هذا ما ظهر والعلم عند الله تعالى ا.هـ.



= محل الحكم منحصرة فيه وفي أي حصل بإبدائه لذلك الوصف الزائد الغرض أي غرض المعترض وهو ثبوت الاعتراض ولا يكلف ببيان صلاحية ما أبداه للتعليل. انتهى.

وبناء على ذلك إذا جاء المعترض أي القائل بعدم جواز الصلاة في الطائرة بتوهمات أخرى غير ما ذكر نظر إليها هل هي واضحة البيان في الاستدلال بها أم هي أوصاف طردية فإن كانت أوصافاً طردية لا علاقة لها بالحكم ولا يلتفت إليها وإن كانت أوصافاً واضحة الدلالة فلا بد من إثبات الردود عليها لإبطالها والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بعض المسائل المتعلقة
بركوب الطائرة في
الصلاة ـ الصوم ـ الحج

المسألة الأولى:

في كيفية الصلاة بالطائرة:

إذا ثبتت صحة الصلاة في الطائرة فما هي كيفية الصلاة فيها؟

أقول: مما لا شك فيه أنه إذا صلى الإنسان في الطائرة ونحوها فإن الواجب عليه أن يصلي قائماً ويركع ويسجد إن استطاع ذلك فإن ذلك لازم في حقه في الفريضة وإن لم يستطع صلى على حسب حاله وأتى بما يقدر عليه من ذلك. فإذا كان مثلاً يستطيع أن يجلس لكن لا يستطيع أن يسجد فعليه أن يجلس وأن يوميء بالسجود لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ وإن كان يمكنه القيام فإنه يصلي في مكانه قائماً بدون اعتماد على شيء وإلا يمسك بالكرسي الذي أمامه لكن يوميء بالركوع قدر ما يمكن.

والخلاصة في ذلك أنه إن كان يستطيع أن يصلي بقيام وبركوع تامين فهذا واجب في حقه.

وإن لم يمكنه ذلك أومأ بالركوع قائماً وأومأ بالسجود جالساً.

المسألة الثانية:

في حكم صلاة الجماعة في الطائرة:

هل تصلى الفريضة جماعة أم فرادى؟

الجواب: لا شك في وجوب صلاة الجماعة في الحضر والسفر للأدلة

من الكتاب والسُّنة الواردة في ذلك فالسفر ليس عذراً لترك الجماعة في الصلاة ولكن المسافر في الطائرة له أحوال.

الأولى: أن يكون بجانبه أي في الكرسي الذي بجانبه مسلم يريد الصلاة فهنا تجب في حقهم صلاة الجماعة بالصفة التي بيناها سابقاً.

الثانية: أن يكون بينه وبين من يريد الصلاة أماكن بعيدة فإن أمكنهم الاجتماع لزمتهم الجماعة وإلا فلا لكونهم من أهل الأعذار في تركها ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

المسألة الثالثة:

هل تجوز الصلاة بالطائرة جالساً مع القدرة على الوقوف خجلاً؟

الجواب: لا يجوز أن يصلي قاعداً في الطائرة ولا غيرها إذا كان يقدر على القيام لعموم قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه المخرج في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال له: «**صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**» زاد النسائي بإسناد صحيح «**فإن لم تستطع فمستلقياً**»[1].

المسألة الرابعة:

المسافر بالطائرة هل يجوز له أن يصلي في الوقت أم يجوز تأخيرها إلى ما بعد الوقت؟

الجواب: إذا كان المسافر بالطائرة تبدأ رحلته بعد دخول وقت الظهر مثلاً أو بعد المغرب فإنه يجمع بين الظهر والعصر أو المغرب والعشاء جمع تقديم قبل الركوب. وإن كانت الرحلة تبدأ قبل دخول وقت الصلاة الأولى؛ أي: قبل دخول صلاة الظهر أو المغرب فإنه ينوي جمع التأخير ويصليها إذا نزل ولو كان نزوله في آخر وقت الصلاة الثانية؛ أي: العصر أو العشاء وأما

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٨/١٢٦.

إن كانت الرحلة تستمر إلى ما بعد خروج وقت الصلاة الثانية فإن الواجب عليه عندئذ الصلاة في الطائرة في المكان المناسب على حسب حاله.

المسألة الخامسة:

إذا كان أمام المصلي امرأة فما الحكم؟

نقول: المرأة لها حالتان في هذه المسألة:

الأولى: أن تمر بين يدي المصلي فهل تبطل؟ محل خلاف بين أهل العلم، والصواب أنها لا تبطل الصلاة وإنما ينقص أجرها.

الثانية: أن تكون جالسة؛ أي: غير مارة بين يديه وإنما جالسة على الكرسي الذي أمامه فهنا لا بأس بذلك والصلاة صحيحة.

المسألة السادسة:

في مسافة القصر والجمع داخل المطارات للمسافر والعائد.

هذه المسألة لها حالتان:

الأولى: أن تكون المطارات داخل المدينة كمطار الرياض القديم ومطار المدينة النبوية فهنا يجب على قاصد السفر إذا كان من نفس البلد إتمام الصلاة لكونه لم يخرج من بلده.

الثانية: أن تكون المطارات خارج المدينة كمطار الملك خالد الدولي بالرياض ومطار القصيم مثلاً فهنا للمسافر القصر والجمع لأنه باشر السفر حتى ولو كان من نفس البلد.

المسألة السابعة:

في اقتداء المقيم بالمسافر والعكس:

إذا كان الإمام مسافراً والمأموم مقيماً فهنا يجب في حقه الإتمام.

أما إذا كان الإمام مقيماً والمسافر مؤتماً أتم المسافر.

لقوله ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به**» رواه البخاري ومسلم.

ولأن ابن عباس رضي الله عنهما حينما سُئل: ما بال المسافر يصلي ركعتين ومع الإمام أربعاً؟ فقال: تلك هي السُّنة. رواه أحمد وصححه الألباني.

أما إذا ائتم بمن يشك فيه هل هو مسافر أم مقيم فهنا إن قام الإمام بعلامة ظاهرة تدل على كونه مقيماً صلى أربعاً.

مثال ذلك: رأى الإمام كونه شرطياً مثلاً فالغالب أنه مقيم فهنا ينوي الصلاة أربعاً. وإن كان يبدو عليه علامة السفر كأن يكون معه حقيبة مثلاً فهنا ينويها اثنتين.

أما إن شك ولم يتبين له فإنه ينوي أربعاً لأن من شرط القصر أن ينويه بنية جازمة لا مع التردد.

المسألة الثامنة:

في حكم الصيام في السفر:

جاءت نصوص الكتاب والسُّنة في إباحة الفطر للمسافر ووجوب القضاء بقدر الأيام التي أفطرها. ولكن هل الأفضل الصيام أو الفطر في السفر وإذا غلب على ظنه أن سفره بالطائرة ليس فيه مشقة فما هو الأفضل في حقه.

نقول: «الأفضل للمسافر فعل الأسهل عليه من الصيام أو الفطر فإن تساويا فالصوم أفضل لأنه أسرع في إبراء ذمته وأنشط له إذا صام مع الناس ويدرك فضيلة الزمن وكذلك إذا غلب على ظنه أن سفره بالطائرة ليس فيه مشقة عليه فالأولى في حقه الصيام لما ذكرناه أما كون البعض يلزمون الناس بالصيام إذا سافروا بالطائرة لأن علة جواز الفطر منعدمة فهذا غير صحيح لأن العلة هنا هي السفر فما دام كونه مسافراً فيباح له الفطر»[1].

المسألة التاسعة:

راكب الطائرة متى يفطر؟

الصائم إذا كان في الطائرة واطلع بواسطة الساعة وبالتليفون على إفطار

(١) انظر كتاب المؤلف الصيام ص٨٤ ـ ٨٧.

البلد القريب منه فهل له الإفطار؟ علماً بأنه يرى الشمس بسبب ارتفاع الطائرة أم لا؟ ثم كيف الحكم إذا أفطر بالبلد ثم أقلعت به الطائرة فرأى الشمس؟

إذا كان الصائم في الطائرة واطلع بواسطة الساعة والتليفون على إفطار البلد القريبة منه وهو يرى الشمس بسبب ارتفاع الطائرة فليس له أن يفطر لأن الله تعالى قال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ وهذه الغاية لم تتحقق في حقه ما دام يرى الشمس.

أما إذا أفطر بالبلد بعد انتهاء السفر في حقه فأقلعت الطائرة ثم رأى الشمس فإنه يستمر مفطراً لأن حكمه حكم البلد التي أقلع منها وقد انتهى النهار وهو فيها[١].

ما هو وقت الإفطار في رمضان أثناء الطيران؟ إذا كان الشخص بالطائرة في نهار رمضان وهو صائم ويريد الاستمرار بصيامه إلى الليل فإنه لا يجوز أن يفطر إلا عند غروب الشمس بالنسبة للركاب[٢].

المسألة العاشرة:

في الإحرام بالطائرة:

من أراد الحج والعمرة بالطائرة فالمشروع في حقه الاغتسال والتطيب ولبس ملابس الإحرام في الطائرة إذا لم يكن في ذلك مشقة عليه أما إذا كان فيه مشقة فله أن يغتسل في بيته ويلبس الإزار والرداء إن شاء حتى إذا بقي على الميقات شيء قليل أحرم بما يريد من حج أو عمرة وليس في ذلك مشقة وإذا كان لا يعرف الميقات فالواجب عليه أن يسأل قائد الطائرة أو أحد مساعديه أو المضيفين المهم أنه يسأل، أما التساهل الذي نراه ونسمع عنه من بعض المسافرين من عدم عقد نية الإحرام وتأخيرها عن الميقات المحدد لهم فهذا كله لا يجوز فالذي ينبغي عليهم كما ذكرنا الاستعداد للإحرام من بلدهم ولبس

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٠/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) المرجع السابق ١٠/١٣٧.

ثياب الإحرام قبل صعود الطائرة أو بعده مباشرة ثم يأتي بالنية قبل الميقات لأن هذا هو الأحوط في حقهم هذا عند عدم المعرفة بالميقات أما إذا كان معروفاً لديهم أو ينبه إليه من قبل قائد الطائرة فإن المشروع في حقه نية الإحرام عند محاذاة الميقات كما ذكرنا ذلك.



التعليق على كتاب

المواعظ الحسنة الحسينية

في مستعمل شرب التتن وشجرته الخبيثة وآلته القبيحة

مؤلف الكتاب

السيد عماد الدين يحيى بن أحمد الصنعاني رحمه الله

دراسة وتعليق

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله الذي أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، والصلاة والسلام على نبينا محمد، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون - وبعد: فإنه لما كانت بلية شرب الدخان منذ ظهوره على الناس بلية عظيمة خطيرة كاد بها الشيطان كثيرًا من بني آدم فأوقعهم في حبائلها وصعب عليهم الخلاص منها - إلا من رحم الله - مع علمهم بقبح أثرها وعظيم خطرها وسماعهم النصائح المحذرة منها، كان لابد للعلماء من موقف صلب تجاه هذه الجريمة فنصحوا وكتبوا وحذروا. ومن هؤلاء ما قام به أخونا فضيلة الدكتور الشيخ: عبد الله بن محمد الطيار من تحقيقه لمخطوطة في هذا الموضوع اسمها: (المواعظ الحسنة الحسينية) وإخراجها مع زيادة معلومات وحقائق أضافها إليها تنبيه للناس عن عظيم خطر هذه المادة الخبيثة وتحذيرهم من الوقوع فيها وتحث الذين وقعوا فيها على الخلاص منها والتوبة إلى الله. ونعتبر ما قام به في هذا الصدد عملًا جيدًا موفقًا - إن شاء الله - يرجى له فيه الأجر من الله والدعوات الصالحة من إخوانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله الذي أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، والصلاة والسلام على نبينا محمد، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة. وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا وعزروه ونصروه واتبعو النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ـ وبعد:

فإنه لما كانت بلية شرب الدخان منذ ظهوره على الناس بلية عظيمة خطيرة كاد بها الشيطان كثيراً من بني آدم فأوقعهم في حبائلها وصعب عليهم الخلاص منها ـ إلا من رحم الله ـ مع علمهم بقبيح أثرها وعظيم خطرها وسماعهم الصيحات المحذرة منها، كان لا بد للعلماء من موقف صلب يقاوم هذه الجريمة فنصحوا وكتبوا وحذروا، ومن هؤلاء ما قام به أخونا فضيلة الدكتور الشيخ: عبد الله بن محمد الطيار من تحقيق لمخطوطة في هذا الموضوع اسمها: (المواعظ الحسنة الحسينية) وإخراجها مع زيادة معلومات وحقائق أضافها إليها تبين للناس عظم خطر هذه المادة الخبيثة وتحذرهم من الوقوع فيها وتحث الواقعين فيها على الخلاص منها والتوبة إلى الله، ولعيتبر ما قام به في هذا الصدد عملاً جيداً موفقاً ـ إن شاء الله ـ يرجى له فيه الأجر من الله والدعوات الصالحة من إخوانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:
صالح الفوزان

المقدِّمَة

الحمد لله الذي أمر الخلق باتباع دينه وتصديق رسوله وأمر بالإقتداء بأحكامه والأخذ بما سن وشرع من الأحكام في كتابه وعلى لسان رسوله وجعل العلماء ورثة الأنبياء ﷺ يقومون مقام الرسل في حفظ الشرع والشهادة بتبليغ الدين كما جعل الرسول الخاتم ﷺ شهيداً عليهم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

وبعد،

فمما دعاني لكتابة هذه الأسطر ثلاثة مواقف في أوقات مختلفة وأمكنة متباينة وكثيراً ما تفرض المواقف نفسها على الشخص حتى تمتلك كثيراً من مشاعره وأحاسيسه وهذه المواقف هي:

١ ـ كنت ذات يوم في أحد الأماكن العامة المزدحمة بالمراجعين وكان الوقت صيفاً، وفي نفس المكان مجموعة من المدخنين فأخذت رائحة الدخان تنبعث من هنا وهناك وأخذ الجو يتغير شيئاً فشيئاً حتى ضاق بنا المكان وتركت مع مجموعة من المراجعين مكاننا حفاظاً على صحتنا وحين سألت أحد المدخنين ألا تلاحظ أذيتك للناس قال: بلى، وأنا أعلم بضرره على صحتي، ولكنني مبتلي به ودار بيني وبينه نقاش طويل جعلني أفكر في الكتابة حول الموضوع.

٢ ـ كنت ذات مرة راكباً في حافلة ـ اضطراراً ـ من مدينة إلى مدينة وبعد مسافة قصيرة بدأت الرائحة تنبعث وكان الوقت شتاء والنوافذ محكمة وأحسست وكأنني أختنق فتحدثت مع السائق وبعض المدخنين ثم تكلمت بكلمة عامة على الجميع فاستجاب كل من في الحافلة إلا السائق حيث دار بيني وبينه نقاش طويل جعلني أفكر في الكتابة حول الموضوع لعل الله أن يجعل فيه فائدة عامة.

٣ ـ كنت ذات مرة راكباً في القطار من مدينة إلى مدينة وكانت السفرة ممتعة إذ كان معي مجموعةٍ من الأحباب وطلاب العلم وكان الجو مفعم بالمسائل العلمية والمطارحات الأدبية وفجأةً أشعل أحد المجاورين لنا الدخان فتأزم الجو وتحدث معه أحد الأحباب لكنه لم يستجب وتبعه ثان وثالث حتى خالطت الرائحة الثياب واللحم من شدة سريانها فأطرقت ملياً ثم طلبت من أحد العاملين في القطار أن يغير أمكنتنا أو أمكنة المدخنين أو أن يمنعهم فاستجاب مشكوراً لكن الموقف أملى علي أن أكتب حول الدخان فكانت هذه الصفحات.

وأخيراً أرجو من كل محب يطلع عليه ألا يحرمني من توجيه صادق أو إرشاد صائب أو ملاحظة هادفة فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

وصدق القائل:

محض النصيحة من محب فاضل   توجيهه للحق بالكلمات
إن كان مكتوباً فذاك مرادنا   أو هاتفاً ينبي عن الشطحات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله صحبه وسلم.

المحقق

مخطط البحث

جعلت البحث في مقدمة وبابين وخاتمة.

الباب الأول: التعريف بالمخطوطة والتعليق عليها ويشمل فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف والكتاب وتحته مبحثان.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب.

الفصل الثاني: التعليق على المخطوطة.

الباب الثاني: دراسة شاملة للدخان ويشمل سبعة فصول:

الفصل الأول: تعريفه وتاريخ ظهوره وتحته مبحثان:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: اكتشافه وتاريخ ظهوره.

الفصل الثاني: أسباب انتشار التدخين وتحته تسعة مباحث:

المبحث الأول: القرين.

المبحث الثاني: البيئة.

المبحث الثالث: الشعور بالنقص.

المبحث الرابع: التقليد الأعمى.

المبحث الخامس: الدعاية.

المبحث السادس: سهولة الحصول عليه.

المبحث السابع: التساهل في التربية.

المبحث الثامن: التقصير في مكافحته.

الفصل الثالث: أضراره وآثاره وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول: أضرار التدخين على الدين.

المبحث الثاني: أضرار التدخين على البدن.

المبحث الثالث: أضرار التدخين على العقل.

المبحث الرابع: أضرار التدخين على المال.

المبحث الخامس: أضرار التدخين على العرض.

المبحث السادس: أضرار أخرى.

الفصل الرابع: حكم الدخان وتحته مبحثان:

المبحث الأول: حكم الدخان.

المبحث الثاني: شبه مستحليه.

الفصل الخامس: فتاوى العلماء في تحريمه.

الفصل السادس: بعض القصائد فيه والقصص الواقعية للمدخنين وتحته مبحثان:

المبحث الأول: بعض القصائد في الدخان.

المبحث الثاني: بعض القصص الواقعية للمدخنين.

الفصل السابع: كيفية الإقلاع عنه.

الخاتمة:

*** فهرس الموضوعات**:

الفصل الأول

المبحث الأول

ترجمة المؤلف

هو يحيى بن أحمد بن علي الصنعاني عماد الدين بن مظفر، من فقهاء الزيدية باليمن، أحد العلماء المبرزين من الزيدية في علم الفقه الذي أخذه عن علماء عصره؛ كالفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، كما صرح بذلك صاحب الترجمة في أول مصنفه الذي سماه (البيان) فإنه قال: وجعلت فيه ما كان مطلقاً فهو من كتابي التذكرة والزهور، أو ما نقلته عن شيخي المشهور عالم الزمان يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، أو مما استحسنته من البحر الزخار....

وقد عكف الطلبة على كتابه المذكور في ديار الزيدية كصنعاء وذمار وصعده وغيرها، وصار لديهم من أعظم ما يعتمدونه في الفقه، ومن جملة مشايخه الإمام المهدي أحمد بن يحيى له مصنفات كثيرة منها:

البيان الشافي والدر الصافي المنتزع من البرهان الكافي، والجامع المفيد الداعي إلى طاعة الحميد المجيد، والكواكب على التذكرة.

توفي رَحِمَهُ اللهُ في هجرة حمده باليمن سنة (٨٧٥هـ).

وقد رثي بمراثٍ كثيرة منها ما هو مكتوب على ضريحه ومنها:

بموت عماد الدين ماتت مكارم ... فأكرم به ما عشت في الله مكرما

فمن ذا يقود الناس للرشد والهدى ... بحلم ورشد زانه وتعلما

إلى أن قال:

وكنت لعلم الفقه أبلغ ناقل ... وتصنيفك البرهان علماً محكما

كذاك البيان الشايع اليوم ذكره ... بشرق وغرب في البلاد قد انتمى

وفي الجامع المجموع في الدهر شاهد   بأنك قد صنفت في الدهر مغنما

إلى آخر القصيدة وهي طويلة[١].



(١) انظر في ترجمته:

أ ـ هداية العارفين للبغدادي ٢/ ٥٢٨.

ب ـ البدر الطالع ٢/ ٣٢٥.

جـ ـ الأعلام ٢/ ١٣٦.

د ـ معجم المؤلفين ١٣/ ١٨٤.

هـ ـ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٢٥.

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب

المواعظ الحسنة الحسينية في مستعمل شرب التتن وشجرته الخبيثة وآلته القبيحة، وألفها عماد الدين يحيى بن أحمد الصنعاني المتوفى سنة (٨٧٥).

عثرت على هذه المخطوطة في معهد المخطوطات العربية بالكويت، وتبين لي أنها صورت من مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة أل الجيند)، تحمل رقم(٢٢).

تاريخ التصوير ٢٣ محرم ١٤٠٣هـ.

عدد الصفحات (٨).

المقاس ١٥×٢٠ سم.

النسخة كتبت بقلم معتاد وتاريخ النسخ كما هو مثبت في المخطوطة سنة ١٠٥٥ هـ.

عدد الأسطر في الصفحة الواحدة في حدود ١٥سطراً.

عليها تعليق في الجوانب يظهر أنه من الناسخ لأنه يشير إلى اختلاف الوقت المؤلف عن وقت.

ثم ختمت المخطوطة بتعليق في حدود صفحة واحدة تبين لي أنه من الناسخ لأنه نقل عن بعض الأعلام من حكام اليمن الذين وجدوا بعد المؤلف بقرن كامل من الزمان، وعلى العموم فالمخطوطة قليلة الحجم عظيمة الفائدة لأنها أفادت معلومة تاريخية هامة وهي أن الدخان موجود قبل اكتشاف أمريكا، لكنه لم يشتهر وينتشر إلا بعد اكتشافها، ثم إن المؤلف في بيئة تقبل على الدخان والشيشة والقات، ومع ذلك قطع بتحريم الدخان لما عايش من أضراره بل إنه بالغ فجعله كالخمر أو أشد مما سنوضحه في أثناء هذا البحث المختصر إن شاء الله.

حاولت جاهداً المحافظة على النص إلا في حالة عدم وضوح العبارة فإني أقوم بتعديلها مع المحافظة على أصلها قدر المستطاع.

عزوت الآيات الواردة في المخطوطة.

علقت على كلام المؤلف وحرصت على توضيح العبارة وبيان مقصود المؤلف وما رأيت أن المؤلف بالغ فيه أوضحت ما أرى أنه الصواب في نظري وكل ذلك محفوف بالأدب مع المؤلف وتقدير جهده وعلمه.

حاولت جاهداً أن أشرح الكلمات الغامضة وقد اعتمدت على المراجع الأصيلة في كتب اللغة والمعاجم كاللسان والقاموس وغيرهما.

وعقدت مقارنات موجزة بين كلام المؤلف وواقعنا المعاصر مما يوضح عظم بلية من ابتلي بشرب هذا الداء الخبيث.

وأخيراً فقد اجتهدت في التعليق على نصوص المؤلف مما رأيت أنه يكمل ويجمل هذه الرسالة اللطيفة سائلاً المولى جل وعلا أن يثيبني ويتجاوز عني ويغفر لي الزلل في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.



الفصل الثاني

التعليق على المخطوطة

هذه الموعظة الحسنة الحسنة

انشأها السيد عمر البيشي [illegible] بن محمد بن العش

ويشتمل ضرب التتن وتحريمه الحسنة

والتنر القبيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حرم كل بدعة محرمة وملهية عن مواعظ شرعية

الذي خلق الانسان وعلمه البيان وميز الحلال من الحرام

وما يحصل به الثواب والاثام واشهد ان لا اله

الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله

شهادة من خافه وخشاه ونبذ كل معبود سوى الله

عباد الله اوصيكم واياي بتقوى الله وبما

في تركه رضا الله ما انكم عاكفون عليه عادة قبيحة

ويمحق به [illegible] تحرق صاحبها عند [illegible] وتغير [illegible]

مجلس عند سوق وسفينة ينبطر من له معقول الى ما

اعتمد عليه كل غمر جهول من تقبيل منقار الشيطان

وسئل الإمام عن حلوى المسلمين ويصنع على الحلوى دخانها
عشارة سوداء ورفت تلك الشجرة مثلا فإن النصارى
ما حتسبوها حتى ما حرم الله ورسوله على عباده
وقد قيل فيها شعرا لولا أنها الولية المصون
حضرت الحاضر الحاسم محمد رضي الله عليه وهو
حرم لها وولاء المولد الله عليه السلام

إذا أردت سيوم حل عامة ونسد ولا ما سمهم تنشان
بانفحهم ووسوس لنزاهته دون السيم الأصحاب والخوان
ما إن رأينا فتى سوى بها إلا الأدو علة أو دنية تيسان
يمكنه ذباب الله صيره عاشقا يعبد الأصنام الوثنان
وأن تحمده بالصحف لأزيد لقيسو ونحمه تعنان

تم كما وجد والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الحمد[٢] لله الذي حرم كل بدعة[٣]. مخترعه ومربيه عن مواعظ مستمعه، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وميز له الحلال من الحرام، وما يحصل به الثواب والآثام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة من خافه وخشاه، ونبذ كل معبود سواه.

عباد الله أوصيكم وإياي بتقوى[٤] الله وبما في تركه رضا الله، فإنكم

---

[١] أي: ابتدئ أو أفتتح أو أؤلف باسم الله تعالى مستعيناً به وفي إيثار وصفي الرحمن والرحيم المفيدين للمبالغة في الرحمة إشارة إلى سبقها وغلبتها فرحمة الله تسبق وتغلب غضبه وقدم لفظ الجلالة على وصفي الرحمن والرحيم لأنه اسم ذات وهما اسما صفة والذات مقدمة على الصفة، وقدم الرحمن على الرحيم لأنه خاص إذ لا يقال لغير الله تعالى بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام(١).

[٢] أتى بالحمد بعد البسملة تأسياً بالكتاب العزيز وعملاً بما جاء في سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم**»(٢).

[٣] البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح(٣).

عقال في مختار الصحاح: «البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال»(٤).

[٤] التقوى هي وصية الأنبياء لأممهم من أولهم إلى آخرهم وهي ما ينبغي أن يوصي به =

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير لأحمد شاكر ١/ ٦٥، والروض المربع للبهوتي ١/ ٥.

(٢) رواه أبو داود. انظر سنن أبي داود ٤/ ٦٦١ حديث رقم (٤٨٤٠) وقال عنه إنه مرسل، وقال النووي في الإذكار إنه حديث حسن ص٩٤، وقال الألباني في إرواء الغليل ١/ ٣٠ حديث ضعيف.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٠٦.

(٤) مختار الصحاح للرازي ص٤٤.

عاكفون[٥] على بدعة قبيحة ومخزية كريهة[٦].

تخزي صاحبها عند رئيس وفقيه[٧]، وترفع محله عند سوقي[٨]، وسفيه[٩] فينظر من له معقول إلى ما اعتمد عليه كل غمر[١٠] جهول من تقبيل منقار[١١] الشيطان في كل ساعة وأوان والانقياد له مدّ الأزمان الآفالة الأتتان هي منقار الشيطان، يلقيه في فم الإنسان فيورث في قلبه النسيان[١٢] ويلهيه عن

= كل مسلم من تحت يده في حال حياته وبعد موته، ومعنى التقوى في اللغة الصيانة والحذر والحماية والحفظ وفي الاصطلاح فعل المأمورات التي تستوجب رضى الله وتجنب المنهيات التي تستوجب عقابه(١).

[٥] مأخوذ من عكف وبابه دخل وجلس يقال: عكف على الشيء أقبل عليه مواظباً(٢).

[٦] الدخان وما في حكمه خليق بهذ الأوصاف كيف لا وهو من الخبائث التي لا توجد في مجالس الأخيار والصالحين وإنما تدار في مجالس الفسقه والأشرار.

[٧] الفقه في اللغة الفهم، وفي الاصطلاح معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية، والفقيه هو من يعرف الأحكام ويبين أمور الحلال والحرام.

[٨] السوقي: جمعه سوقة يستوي فيه الواحد، والجمع والمؤنث والمذكر قالت بنت النعمان بنت المنذر:

فينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقه نتصف

أي: نخدم الناس وعليه فالسوقة من لم يكن ذا سلطان، وقيل: هم أوساط الناس(٣).

[٩] السفيه قال ابن سيده: سفه علينا جهل فهو سفيه، والجمع سفهاء، وسفاه قال الله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الجهال والسفيه الجاهل، والأنثى سفيهة والجمع سفيهات وسفائه وسفّه وسفاة(٤).

[١٠] الغمر جمعه أغمار، قيل: من الغمر بكسر المعجمة، أي: الحقد؛ أي: حاقد، وقيل: بضم المعجمة وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرب الأمور(٥).

[١١] هذا وصف للآلة التي كانت تستعمل للتدخين قبل ابتكار الأساليب الماكرة الحديثة.

[١٢] ثبت طبياً أن الدخان وما يلحق به يورث النسيان وعدم القدرة على التركيز وبالتالي =

---

(١) التقوى لصلاح الدين مارديني ص١٦.

(٢) مختار الصحاح للرازي ص٤٤٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٠/ ١٧٠.

(٤) لسان العرب ١٣/ ٤٩٨.

(٥) المرجع السابق ٥/ ٣٢.

تلاوة[١٣] القرآن ويزين له الفسوق والعصيان، ويقرقر[١٤] بصوته في المباح فيخرس به الإنسان عن الاستماع، ويغفل قلبه عن حضور الجمعة[١٥] والاجتماع فما هذا الخذلان يا إنسان في انقيادك للشيطان ما زال ينصب لك الحبال[١٦] ويوسوس لك بكواذب الآمال حتى صيرك في شراكه وأدخلك من جملة خدمه وأملاكه[١٧] فجعلك له وصيفاً[١٨] وجعل فاك[١٩] لأذائه كنيفاً[٢٠] فتخدم بضاعته بالتنظيف ويفتح فاك لغائطه[٢١] كالكنيف.

= ضعف التحصيل وعدم استيعاب المعلومات وسيأتي تفصيل ذلك في القسم الدراسي بمشيئة الله تعالى.

[١٣] لا شك أن المجلس الذي يشرب فيه الدخان يقل فيه الذكر وتلاوة القرآن لأن أهل الخير ومجالس الصالحين بعيدة كل البعد منه بل تجد مجالس الفسقة والأشرار هي التي تكون عامرة به وهذا أمر مشاهد في واقع الناس.

[١٤] قرقر الشراب في حلقه صوت يقول كأنه يستغنى بسماع صوت الدخان عن سماع الذكر(١).

[١٥] هذا فيه شيء من المبالغة ولو قال عن التبكير للجمعة لكان أدق.

[١٦] الشيطان يسلك كل طريق لإضلال الناس وإبعادهم عن طريق الخير فكأنه ينصب الحبال ليصطاد بها ضحاياه.

[١٧] من يطيع الشيطان ويأتمر بأمره كأنه مملوك له يوجهه كيف يشاء.

[١٨] الوصيف: الخادم غلاماً كان أو جارية ويقال وصف الغلام إذا بلغ الخدمة فهو وصيف بين الوصافة والجمع وصفاء(٢).

[١٩] فاك أي فمك.

[٢٠] الكنيف قال في القاموس(٣): «الكنيف هو السترة والساتر والترس والمرحاض» وهو ما يقصده المؤلف هنا وهو المكان الذي يتخذ في الدار لقضاء الحاجة وقد نابت منابه الحمامات في الوقت الحاضر.

[٢١] الغائط كناية عن العذرة(٤).

وأصل الغائط المطمئن من الأرض الواسع وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى الغائط وقضى حاجته، فقيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط يكنى =

---

(١) لسان العرب ٥/ ٩٠.

(٢) لسان العرب ٩/ ٣٥٧.

(٣) القاموس المحيط ٣/ ١٩٩.

(٤) القاموس المحيط ٢/ ٣٩٠.

فقد صار فوك بيتاً[٢٢] خاصاً بالشيطان تتأذى فيه بلون كالدخان فانظر إلى فعل اللعين[٢٣] ما هذه الحبايل والتمكين تمكن من اعدائه فأسر وصال عليهم بالحبائل واستهر وأورث في قلوبهم نار سقر لا تبقي في حياتهم تركة ولا تذر، وفي الآخرة حشر ووبال وحميم وعذاب ونكال[٢٤] فيا مغروراً بالمباعات لم لا تحب المداعات[٢٥] وتهد إلى فعل ما وجب من الطاعات، وتترك هذه البضاعات التي خسر بائعها وأثم شارعها[٢٦]، فأين حزمك يا بهلول[٢٧] وأين بصرك في هدايتك يا جهول فارجع إلى ربك وأنب، وتب إليه توبة نصوحاً فإنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إني لما رأيت استحواذ الشيطان على كثير من المسلين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [ص: ٢٤]

= به عن العذرة(١).

[٢٢] في الأصل بيت خاص وهو خطأ واضح كما ترى والصواب ما أثبتناه.

[٢٣] من يلعنه كل أحد كالشيطان(٢).

[٢٤] هذا لا يخلو من المبالغة وهو أسلوب من أساليب الوعظ للزجر والتنفير من هذه المعصية القبيحة.

[٢٥] أي: الدعوة إلى الخير وهي لفظة غريبة.

[٢٦] بالحاشية تعليق هذا نصه:
وشارعها في أرض اليمن(٣)... لعنه(٤) الله، أهديت إليه وكان يهديها إلى عظماء دولته من الأمراء وغيرهم حتى فشت في الخواص وعمت الناس فمن سن بدعة كان عليه عمل من عمل بها إلى يوم القيامة ا.هـ.

[٢٧] البهلول الرجل الضحاك والسيد الجامع لكل خير(٥). وقال في مختار الصحاح البهلول من الرجال بالضم الضحاك(٦).

---

(١) مختار الصحاح ص٤٨٤.

(٢) القاموس المحيط ٤/٢٦٩.

(٣) سمى المؤلف الشخص الذي يتكلم عنه وقد آثرنا عدم الإفصاح عنه إذ لا مصلحة في الإشهار باسمه.

(٤) هذا فيه زيادة تجن غير مقبول سامح الله المؤلف وغفر له، فقد كان يذب عن الحق، ويندب للفضائل وينبذ الرذائل.

(٥) القاموس المحيط ١/٣٥٠.

(٦) مختار الصحاح ص٦٧.

واعتمادهم على استعمال تلك الشجرة الخبيثة المجتثة[٢٨] من فوق الأرض إن شاء[٢٩] الله، التي ملابسها[٣٠] أرخص وأخبث[٣١] منها، وأمعنت النظر في حالها وفي حال مستعملها بازدراع[٣٢] أو بيع أو شراء، أو شرب[٣٣] فأول ما نظرت في ازدراعها فوجدتها تنبت في الاماكن الدمنة[٣٤] الهنية[٣٥] الموبية[٣٦]، وفي المزابل[٣٧] ومجامع الاوساخ[٣٨]، وتكون شجرتها ردية الشكل، ذات زغب ولزوجة[٣٩] ردية، ولها ريح ضعيفة تحرق المنخر[٤٠] لريحتها المنتنة، ثم إن مزدرعها[٤١] لا يبرح في ذلة ومهانة ووجل من كل مطلع عليها في زراعته[٤٢] ثم نظرت حال بائعها ومشتريها فوجدتهما قد لبسا

---

[٢٨] هذا من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من باب التفاؤل لشدة كراهيته لها.

[٢٩] في الأصل إنشاء الله، والصواب ما أثبته.

[٣٠] ملابسها: أي مستعملها.

[٣١] انظر إلى هذا التنبيه من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كيف ربط بين المستعمل والمستعمل وأليس الثاني مساوئ الأول.

[٣٢] زراعتها والقيام عليها حتى تصل إلى مرحلة البيع.

[٣٣] عمم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كل من يعين على انتشار هذه الشجرة الخبيثة من زارع وبائع ومشتر وشارب ممن يتعاون على الإثم والعدوان.

[٣٤] الدمنه دمنت الماشية المكان تدميناً فهو مُنْدَمِنٌ(١).

[٣٥] اللينة الحقيرة.

[٣٦] المصابة بالوباء شبهها بمن أصيب بالمرض.

[٣٧] المزابل أماكن القمامة.

[٣٨] أماكن وضع الأوساخ وإشارة إلى نجاستها واشتمالها على مختلف الأوساخ.

[٣٩] الدخان يزرع في البلاد المعتدلة وتصل شجرته إلى حدود خمسة أمتار ولكنها في غالب ألأحيان لا تتجاوز المتر ونصف المتر وسيأتي مزيد وصف لشجرته عند تعريفه إن شاء الله.

[٤٠] الأنف وهذا ثابت طبياً وواقعاً ويعترف به كل من يستعمل الدخان.

[٤١] زراعتها.

[٤٢] هذا دونما شك في المجتمعات المحافظة التي تنتشر فيها الفضيلة وتخفي فيها الرذيلة وكفى بذلك دليلاً على كراهيتها. يقول المصطفى ﷺ «**الإثم ما حاك في نفسك** =

---

(١) القاموس المحيط ٤/ ٢٢٥.

ثوب المذلة والمهانة والخوف على أنفسهما من الافتضاح بها عند أهل الدين والمروءة إن حملها في طريق أو وصل بها الأسواق فهو خائف في طريقة من كل من يصدفه في الطريق [٤٣]، ويجلس بها في أخسر المجلس الخفية بين أوساخ ونحوها[٤٤]، كي يظن أنه قد خفي مكانه فيها ويقصده إليها لأخذها منه الخشاش[٤٥] من الناس إلى تلك الأماكن الخسيسة[٤٦]، ثم إن أهل الحوانيت[٤٧] الذين ولعوا بالبيع والشراء فيها وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فإنهم يحرصون على إخفائها في حوانيتهم، ويجعلونها تحت ما يظهرون البيع والشراء فيه من المعاطير[٤٨] ونحوها، وإذا قصد تسلل لإخراجها إلى القاصد

= **وكرهت أن يطلع عليه الناس»**[(١)].

[٤٣] هذا في زمن المؤلف وأما الآن فقد أصبح شربها في بعض المجتمعات الإسلامية مظهراً من مظاهر التمدن والرقي وهذا والعياذ بالله من انتكاس اللائق الفطر والارتكاس في أوحال الرذيلة، وإذا كان كل مكان يمكن أن يتساهل فيه ويصدق أن يشرب هذا الوباء فيه فمن غير اللائق أن يشرب أمام بيوت الله بل أمام الحرمين إن ذلك والله مظهر من مظاهر الرجعية، والتخلف فهل تتضافر الجهود لمنع التدخين أمام بيوت الله وخصوصاً أمام الحرمين الشريفين.

[٤٤] هذا قديماً أما الآن فالدخان وللأسف الشديد يعرض مع سائر الطيبات من مختلف المطعومات والمشروبات.

[٤٥] ما لا دماغ له من دواب الأرض ومن الطير. ومثله حشرات الأرض والعصافير ونحوها[(٢)].

[٤٦] المقصود الأماكن التي وصفها المؤلف بأنها مليئة بالأوساخ والمزابل والقاذورات وغيرها.
وهذا فيما مضى، أما الآن فهي تعرض في سائر المحلات التجارية جهاراً نهاراً والعياذ بالله.

[٤٧] جمع حانوت وهي المحلات التجارية التي تباع فيها المأكولات والمشروبات.

[٤٨] العطر بالكسر الطيب والعاطر محبه والعطار بائعه والعطارة بالكسر حرفته وامرأة عاطرة ومعطارة ومعطره ومتعطرة ومعطير ومعطار[(٣)]. =

(١) رواه مسلم صحيح مسلم ٨/ ٧.
(٢) القاموس المحيط ٢/ ٢٨٢.
(٣) القاموس المحيط ٢/ ٩٤، ٩٥.

لأخذها منه وهو مريب خائف يترقب. مع عدم ما يتخوف منه فأولى وأحرى مع التخويف له عليها، وما ذلك إلا لخباثتها ورخصتها وخسّتها[٤٩].

ألبست ملابسها الذل والرعب والإدانة على كل حال. وكستهم ثوب الوبال والهوان.

ثم إن آلتها التي تستعمل لشربها آلة شيطانية منها تركيب المباعة[٥٠] بتلك الآلة وعلى تلك الهيئة، وجعل الماء فيها للقرقرة المصدية للأسماع وتغيّر الماء فيها إلى حالة بول الحمير وأعلى منه درجة في اللون والشم ثم قطرانه الذي يجتمع في قطب المباعة وأسفل البوري فيه من الرداءة والنتن واللزوجة التي لا تكاد تتحلل إذا وقعت في يد أو ثوب أو نحوهما وإن أمعن الغسل[٥١].

ثم البوري الذي جمعه بوار، فإذا أثبتت الياء فيه صار مضافاً إلى[٥٢] المتكلم (أعاذنا الله من البوار في هذه الدار ودار القرار)، ثم وضع هذه الشجرة الخبيثة في البوري وجعل النار في أعلاها وكل طعام وشراب تصلحه النار من تحته إلا هذه الشجرة الخبيثة فالنار تفسدها من فوقها[٥٣]، ويستجره

= وقال في مختار الصحاح: .... ورجل معطير بالكسر كثير التعطر وامرأة معطيرة أيضاً ومعطار(١).

[٤٩] بالهامش تعليق هذا نصه: ... أما الآن فقد صارت هذه الشجرة الخبيثة بالعكس مما كان حال ملابسها عليه وحصل التفاخر في التظهر بها وعظم المتجر فيها(٢).
فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٥٠] هذه إحدى الطرق التي كان يستعمل بها الدخان في ذلك الوقت وهي قريبة من الشيشة التي تستعمل في هذا الوقت وفي كلٍّ شرٌّ.

[٥١] تجتمع الاوساخ وتترسب فإذا أصاب الثوب أو البدن منه شيء عزت إزالته عنه.

[٥٢] انظر إلى هذا التنبيه اللطيف من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حرصاً منه على التنفير منها وإبعاد الناس عنها.

[٥٣] انظر إلى هذه المقارنة الجيدة من المؤلف كيف أن الأطعمة الطيبة والأشربة الحلال تمسها النار من تحتها، وأما هذا الشراب الخبيث فالنار تمسه من فوق ـ وهذا في زمن المؤلف ـ وأما الآن فالنار تمس الدخان من طرف ويشرب من الطرف الآخر.

---

(١) مختار الصحاح ص٤٣٩.

(٢) هذا قبل زمن طويل فكيف بالحال اليوم.

الشارب له إلى فيه من القصبة التي هي منقار الشيطان فيجرّ منها دخاناً طلعه ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ﴾ ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢] فيسول له الشيطان أن، فيه نفعاً وهو لا يسمن ولا يغني من جوع[٥٤] ويذهب أوقاته، وهو عاكف عليه وقد صفّر أسنانه وأنتن من ريحهه فوه وكدر لونه وأرقّ جلْده وأضعف جلَده وأوها قوته، وأدق عظمه، وران صداه على قلبه وغير حواس لبه[٥٥]، وأمذر منيه فلا يرى مولوداً للمستعمل له إلا رديء النشأة منهوك البدن ضعيف القوى، حقير الجثة لما قد لحق النطفة من أمذار الدخان له[٥٦].

---

[٥٤] هذه الأوصاف من المؤلف لشدة التنفير منها لأنه رحمه الله عايش ضررها البالغ فكيف لو عرف حال الناس في هذه الاوقات وما تسببه هذه العادة القبيحة من الأمراض الكثيرة عافانا الله من كل بلاء.

[٥٥] سنشير في مبحث لاحق إلى الأضرار المترتبة على استعمال الدخان وهي مستقاة من الواقع ليس فيها مبالغة ولا تهويل.
يقول صاحب تبصرة الإخوان: «. . . فمن مضراته الكلية تخريب كريات الدم ومنها تأثيره على القلب بتشويش انتظام ضرباته ومنها معارضته القوية لشهية الطعام ومنها إنحطاط القوى العصبية عامة وهذا يحصل بالخدر والدوار الذي يحدث عقب استعمال التدخين لمن لم يأتلفه ولمن كان مؤتلفاً له وانقطع عنه مدة عشر ساعات تقريباً كما يحصل ذلك للصائم عند استعمال له عقب الصوم. . .»(١).

[٥٦] لقد اثبت الطب الحديث ما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى، يقول الدكتور فورت مدير مركز سان فرانسيسكو لحل المشكلات الاجتماعية والصحية: «إن الأغلبية الساحقة من الرجال الذين يشكون من العقم والضعف الجنسي تحسنت حالتهم بعد الإقلاع عن التدخين، ويقدم النصيحة ذاتها للسيدات المدخنات اللاتي يشكون من العقم أو البرود الجنسي»(٢).
ويقول الدكتور محمد علي البار: «. . . أثبتت الدراسات الطبية والتجارب المعملية أن للتدخين آثاراً خطيرة على الجنين والرضيع وأنه يصيبها بأمراض خطيرة تؤدي بحياتهما وإن عاشا صاحبتهما الأمراض في البدن والقلب وأجهزة التنفس(٣). . .» إلخ.

---

(١) تبصرة الأخوان ص٩، ١٠، مرجع سابق.
(٢) التدخين وأثره على الصحة لمحمد علي البار ص١٣٤.
(٣) انظر تبصرة الأخوان ص٦.

وأيضاً فإن فيه إتلافاً للمال حيث ينفق المستعمل له بعض ماله في هذه الشجرة الخبيثة[٥٧]. وتجد سيما مستعمليه في باطن الأصابع الثلاث من لقط[٥٨] النار بها وتذريمها[٥٩] في البوري. فقد صارت هذه الثلاث الأصابع حارقة[٦٠] منقعة[٦١] من النار، مشوهة[٦٢]. سيماهم في أصابعهم من أثر النار[٦٣]، ثم فراش أماكن شاربها تجده حارقاً[٦٤] منذّلاً[٦٥] من كثرة تساقط نار البوري عليه وشمّها من نتن هذه الشجرة كشمّ شاربيها[٦٦]، فرأيت أن هذه

---

[٥٧] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «.... وأما مضاره المالية فقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وأي إضاعة أبلغ من حرقه في هذا الدخان الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ولا نفع فيه بوجه من الوجوه حتى أن كثيراً من المنهمكين فيه يغرمون الأموال الكثيرة وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة، وهذا انحراف عظيم وضرر جسيم فصرف المال في الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه فكيف بصرفه بشيء محقق ضرره(١)....».

[٥٨] المقصود السبابة والإبهام والوسطى لأنها هي التي يلقط بها الجمر المتساقط ـ كما هو الحال في الشيشة الآن.

[٥٩] أي: تكسيرها فكأنه يضرب الجمر بهذه الأصابع لكي يوازنه في البوري ـ كما هو الحال في مدخنة الطيب مع الفارق الكبير بين الخبيث والطيب.

[٦٠] أي: محرقة وهذا أمر ملموس في الواقع.

[٦١] أي: تظهر آثار النار عليها فتصيبها بالبقع وهذا أمر مشاهد ومحسوس.

[٦٢] كثير من مستعملي الدخان والشيشة تلحظ آثار ذلك على أصابعهم إذ تجد فيها شيئاً من التشوية في الشكل أو اللون.

[٦٣] هذا وصف بديع فكأن المؤلف يقول: نستدل على هؤلاء زيادة على أسنانهم وشفاههم بأصابعهم للأثر الواضح فيها.

[٦٤] أي: محرقاً.

[٦٥] أي: ممزقاً وذلك أن سقوط النار عليه تجعله مخرقاً إذ أي جزء تسقط عليه النار تتلفه.

[٦٦] الرائحة الكريهة لشارب الدخان لا يختلف فيها اثنان بل إن الرائحة الكريهة لثيابه وفراشه وغرفته أمر لا شك فيه أحد.

وهذه الرائحة مما يؤذي الناس ويؤذي الكرام الكاتبين وأذية الناس لا تجوز بحال من الأحوال.

---

(١) حكم شرب الدخان ص١٢.

حالة لا تخلو من التحريم[٦٧]، مع ما قاله مولانا أمير المؤمنين المتوكل[٦٨] على الله حفظه الله حين سئل عنها فأجاب أنها من الخبائث التي تضمنها قول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والله سبحانه وتعالى حرم الخمر لتخمير[٦٩] العقل إن كثر وحرم قليلها لتخمير كثيرها ووصفها بالنفع وجعل إثمها أكثر من نفعها[٧٠].

ولا شك أنها أرفع حالاً من هذه الشجرة لكونها مشروبة حقيقة وحالها

[٦٧] قد ذكر جمع من أكابر العلماء وجهابذة الأطباء أن من العقل فضلاً عن الشرع وجوب اجتناب التدخين حفظاً للصحة التي هي من الله تعالى أعظم منه ومنحة ودفعاً لدواعي الضعف الذي هو من مقدمات الهلاك والدمار كما هو معلوم لذوي الاستبصار كيف وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥](١).

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: «.... لا ريب في خبث الدخان ونتنه وإسكاره أحياناً وتفتيره وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح وكلام الأطباء المعتبرين»(٢).

[٦٨] المطهر بن محمد بن سليمان بن يحيى بن حمزة أبو محمد الملقب بالمتوكل على الله من أئمة الزيدية باليمن، ولد في أول القرن التاسع ودعا إلى نفسه سنة ٨٤٠هـ، وأجابه جماعة من الزيدية وكان عالماً كبيراً ملك كحلان، وذمار وغيرهما. عارضه بعض معاصريه من الأمراء وما زالت الحال سجالاً بينهما يضعف تارة ويقوى أخرى حتى توفي في صفر سنة ٨٧٩هـ بذمار ودفن بها(٣).

[٦٩] تخمير العقل ستره وتغطيته لأن الخمر منقول من مصدر خمر الشيء، بمعنى ستره وغطاه وخمّرت الجارية ألبستها الخمار.

فشراب الخمر يستر العقل ويغطيه أو يخالطه، يقال: خامره الداء أي خالطه(٤).

[٧٠] يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

---

(١) تبصرة الأخوان ص٦.
(٢) فتوى في حكم شرب الدخان ص١/٢.
(٣) انظر الأعلام ٧/ ٢٥٤، والبدر الطالع ٢/ ٣١٢.
(٤) الخمر وسائر المسكرات لأحمد بن حجر ص٣٠.

أنزه من حال هذه الشجرة الخبيثة لولا ورود النهي بالتحريم لها[٧١] والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[٧٢].

نقل عن القاضي.... عبد العزيز[٧٣] عن شيخ الإسلام أحمد بن علي[٧٤] بن يوسف يروى عنه أنه وجد في كتاب القاموس المحيط[٧٥] بعلم الأنام أنه روى عن النبي ﷺ أنها ستخرج شجرة في آخر الزمان بأرض اليمن تسمى في لسان فارس تنباق وفي لسان الترك تتن؛ أي: دخان يستعملها الجهال شرباً وليس معهم دليل ولا اصطلاح عنها فذكر أنها تولد الغفلة عن ذكر الله تعالى وتقل الإيمان في قلوب المسلمين، ويقع على القلب من دخانها غشاوة سوداء وورق تلك الشجرة مثل آذان البغال فاجتنبوها فهي مما حرم الله ورسوله على عباده[٧٦].

---

[٧١] لا وجه للمقارنة بين الخمر والدخان فالخمر أشد ضرراً وأسوأ حالاً وأكثر خطراً ويترتب على شربها من المفاسد ما لا يخفى بخلاف الدخان، فالضرر خاص بشاربه لا يتعداه إلى غيره إلا قليلاً بالنسبة لمجالسه وأهل بيته. وأما الخمر فهي أم الخبائث قد يترتب على السكر القتل والزنى والقذف وسائر الجرائم. ولكن هذا من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لشدة التنفير منها إذ كانت في بداية ظهورها وانتشارها؛ أعني: شجرة الدخان.

[٧٢] بهذا انتهت المخطوطة لعماد الدين رَحِمَهُ اللَّهُ لكني وجدت تعليقاً طويلاً تبين لي أنه من الناسخ حيث إن التراجم التي أشار إليها متأخرة عن مؤلف المخطوطة بقرن من الزمان.

[٧٣] من هنا بدأ كلام الناسخ حيث وجد إشارة إلى أنها نسخت عام ١٠٥٥هـ وهذا التاريخ يتزامن مع التراجم التي ذكرها في هذا التعليق والله أعلم
(وعبد العزيز) لم أعثر له على ترجمة لأني لم أتبين من هو.

[٧٤] أحمد بن علي لم أعثر له على ترجمة لأني لم أتبين من هو.

[٧٥] لم أقف عليه.

[٧٦] لم أقف على هذا الحديث بعد طول بحث فقد راجعت ما بين يدي من مصادر ولم أطلع عليه ولكن مما أكاد أجزم به أن هذا الأثر لا تظهر عليه أنوار مشكاة النبوة ولكنني مع ذلك أتوقف حتى يتبين لي فيه شيء أو يتفضل على من يطلع على هذا البحث فيدلني على مكانه في كتب «الحديث فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

وقد قيل فيها شعراً[٧٧] لمولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين القاسم[٧٨] بن محمد رضوان الله عليه وهو محرم لها وولده المؤيد[٧٩] بالله عليه السلام.

إذا أردت بـقـوم حـل قـارعـه ... ومس ويلات فاسقهم تتنان
ينأى بهم ووسواس لشاربه ... ويورث السقم والأوصاب والخزيان
ما أن رأينا فتى سرى به أبداً ... إلا وفي عقله أو دينه فتقان
يكفيه ذماً بأن الله صيره ... عداد من يعبد الأصنام والوثنان[٨٠]



[٧٧] ذكر صاحب كتاب «حكام اليمن المؤلفون المجتهدون»، أن لأمير المؤمنين المنصور بالله أبياتاً في ذم التتن ضمن مجموعة برقم٩٦ بمكتبة الجامع[١].

[٧٨] هو القاسم بن محمد بن علي الرشيد الزيدي العلوي (الإمام المنصور بالله) محدث متكلم أصولي صاحب اليمن، ولد في صفر من عام٩٦٧هـ، وتوفي بشهارة في ربيع الأول من عام ١٠٢٩هـ، من تصانيفه الأساس المتكفل بكشف الالتباس في أصول الدين والاعتصام في الحديث، الإرشاد، ومرقاة الوصول إلى علم الأصول[٢].
وهذا مما يؤكد أن هذا التعليق من الناسخ وليس من كلام عماد الدين صاحب المخطوطة لأن عماد الدين توفي عام٨٧٥ فكيف يشير إلى من بعده والله أعلم.

[٧٩] محمد بن القاسم بن محمد بن علي من سلالة الهادي إلى الحق، إمام زيدي عظيم السلطان في اليمن، قام بعد وفاة أبيه سنة ١٠٢٩هـ، وانقادت له الديار اليمنية أعاليها وتهائمها وحضرموت، وأعمالها وكان عالماً متقناً صنف كتاب «تصفية النفوس» مخطوط، وفي أيامه خرج الترك من اليمن كافة، ولد سنة ٩٩٠هـ، وتوفي بشهارة سنة ١٠٥٤هـ[٣].

[٨٠] يلاحظ أن هذا الشعر غير مستقيم وزناً ولا معنى، وفيه ألفاظ نابية بل فيه مبالغة غير مقبولة، فكيف يقارن شرب الدخان بعبادة الأصنام والأوثان. ولكن الناس يتفاوتون في حكمهم على الأشياء قبولاً ورفضاً.

---

(١) انظر حكام اليمن المؤلفون المجتهدون، تأليف عبد الله محمد الحبشي.
(٢) انظر معجم المؤلفين ٨/ ١٢٠، والاعلام ٥/ ١٨٢، والبدر الطالع ٢/ ٤٧.
(٣) انظر الأعلام ٦/٧ والبدر الطالع ٢/ ٢٣٨.

الباب الثاني

دراسة شاملة للدخان

الفصل الأول

المبحث الأول

تعريف الدخان

التدخين مصدر فعله دخّن مضعفاً يدخن تدخيناً إذ صيغة التفضيل دائماً مصدر لفعل مضعّف العين كالتكليم من كلم والتسليم من سلم، والتعليم من علم، فالتدخين إذاً مصدر وهو فعل المرء المدخن إذا هو أشعل السيجارة أو الغليون وامتصها بشدقيه ليخرج بذلك دخاناً أبيض كثيفاً من فمه ومنخريه.

وله مع هذا أسماء أخرى مثل التتن يطلقه عليه غالباً أهل البلاد الذين يكرهون التدخين وينهون عنه، ومنها التبغ وهو الاسم الذي يعرف به الدخان في أغلب بلاد العالم وهو أصدق اسم أطلق عليه لأنه من كلمة «تباغوا» التي هي اسم لجزيرة في خليج المكسيك قد وجدت فيها هذه النبتة الخبيثة[١].

ومن أسمائه الطباق وسمته به العرب، وهو غير ما أشار إليه الزبيدي في تاج العروس إذ الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر طباقاً على وزن زنّار، وهما مختلفان تماماً وإن كان كل منهما نباتاً... فالطباق بالتشديد علاج بإذن الله، والطباق بالتخفيف سم زعاف والعياذ بالله.

ومن أسمائه تنباك وتنباق.

يقول الشاعر[٢]:

يا شارب التنباك ما أحراكا ... من ذا الذي في شربه أفتاكا

آثرته وتركت جهلاً غيره ... تباً لمن قد آثر التنباكا

يقول مفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله ملخصاً

---

(١) التدخين مادة وحكماً لأبي بكر الجزائري ص٨.

(٢) هو العدساني أحد الشعراء المشهورين في الكويت وستأتي قصيدته ضمن القصائد التي قيلت في شرب الدخان.

كلام الأطباء حول الدخان: (... قالوا هو نبات حشيشي مخدر مر الطعم، وبعد التحقيق والتجربة ظهر أن التبغ بنوعيه التوتون والتنباك من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على أشر النباتات السامة لبلادنا والبرش والبنج وهما مركبان من أملاح البوتاس والنوشادر ومنه مادة صمغية ومادة حريفة تسمى نيكوتين قالوا: وهي من أشد السموم فعلاً...)[1].

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدي (...التبغ (التتن) شجرة أمريكية الأصل وتزرع الآن في معظم بلاد العالم فتبلغ من ١ـ١/٦٠ ـ متراً وهي تنبت في البلاد المعتدلة ولكنها في البلاد الحارة تنمو وترتفع حتى تصل في الطول إلى ٥ أمتار وأوراقها المجففة تستعمل سعوطاً (نشوقاً) وتدخيناً ومضغاً...[2]).

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة (دخان ناتج غازي منظور لاحتراق غير كامل يتركب من دقائق الكربون ومواد قطرانية أخرى...[3]).

(وتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية...)[4].



(١) فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ص١١.
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢/ ٥٢٦.
(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧٨٥.
(٤) المرجع السابق ١/ ٤٨٩.

المبحث الثاني

اكتشافه وتاريخ ظهوره

يكاد الباحثون يتفقون على أن بداية معرفة الدخان كانت مصاحبة لاكتشاف أمريكا؛ أي: في حدود عام ٩١٢هـ ـ ١٤٩٢م. يقول الاستاذ محمد فريد وجدي: (هذه العادة لم تكن موجودة قبل اكتشاف أمريكا في القرن الخامس عشر وسبب سريانها في أوروبا هم النوبية الإسبانيون فإنهم رأوا متوحشي أمريكا يدخنون فقلدوهم، وجاءوا بهذه العادة إلى أوروبا فانتشرت فيها ولما شخص كريستوف كولومبس إلى أمريكا بعث في سنة ١٥١٥م إلى إسبانيا بذور هذه الشجرة لتزرع بصفة نبات طبي كان يعزى له بعض الفوائد في بعض الأمراض ـ ولم يتخيل إنسان أن تدخين هذا النبات السام الذي من مركباته ـ النيكوتين ـ المهلك سيكون في جيل من الأجيال من الشيوع والإنتشار، بحيث يكون نسبة باعة الخبز إلى باعة التبغ كنسبة ١ إلى ١٠ . . .)[١].

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة (. . . وانتشرت زراعته بالأمريكتين قبل وصول الأوروبيين بزمن طويل وكولومبس أول الأوروبيين الذين عرفوه، أدخل إلى أوروبا سنة ١٥٥٦م واستعمل نباتاً للزينة وللأغراض الطبية ولم تنتشر عادة التدخين في أوروبا حتى ١٥٨٦م. . .)[٢].

ونقل الدكتور المنصور عن بعض الباحثين قوله (. . . وذكر بعضهم أنه وجد في جهات من بلاد فارس نباتاً من طبيعته قبل اكتشاف أمريكا بـ ٣٠٠ سنة وبعدما اكتشف فيها ذاع استعماله في أوروبا وذلك أن قبطاناً إنجليزياً من بحارة البحر الأحمر يسمى (دراك) حمله من أمريكا إلى إنكلترا ثم امتد

---

(١) دائرة المعارف القرن العشرين ٢/ ٥٢٦.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٨٩.

استعماله إلى فرنسا، ومما يثبت أن منشأه أمريكا لا الشرق قول أحد مشاهير الأندلس (لمينان) أنه انتشر في أوروبا قبل معرفة بلاد الشرق له بما يزيد عن ١٠٠ سنة، وثبت أيضاً في التاريخ أنه بعدما اشتهر في المغرب أخذ يتسرب إلى المشرق شيئاً فشيئاً حتى فشا استعماله...)[١].

والذي يظهر أن الدخان كان معروفاً قبل اكتشاف أمريكا، ولكنه لم ينتشر ويشتهر إلا بعد اكتشافها والمخطوطة التي بين أيدينا دليل على ذلك إذ مؤلف المخطوطة توفي قبل اكتشاف أمريكا وهذا أمر واضح الدلالة على ما نقول.



(١) الدخان في نظر الإسلام للدكتور صالح المنصور ص٤.



الفصل الثاني

أسباب انتشاره

تمهيد

إذا تبينا ما قرره العلم وأثبته الطب من أن التدخين ما هو إلا انتحار بطيء وقتل للصحة وتضييع للنشاط والحيوية ومجلبة للأمراض الكثيرة وأشدها وأخطرها القلق النفسي وتوتر الأعصاب وضعف الغيرة، إذا كان كل هذا ثابتاً فكيف يقدم الشخص بمحض اختياره ورغبته على ما يرديه ويهين كرامته ويقلل منزلته في أعين الناس، وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إن كثيراً من الناس لا يفكر في الخطوة التي يقدم عليها بل يتناول أحياناً ما يضره بدافع الشهوة وإشباع الرغبة الوقتية متناسياً كل العواقب والمصائب التي تخلقها، ثم بعد لحظات من مفارقته لهذا الأمر أو ذاك يندم ولات ساعة مندم.

ولقد رأيت أن أهم أسباب تعاطيه وانتشاره هي ما يأتي.



المبحث الأول

القرين

فإذا كان الشخص يخالط أشخاصاً يدخنون فلن يفلت من شراكه لأنه يشمه معهم بل وفي غالب الأحيان يشجعونه عليه ويجرونه إليه، والنفس بطبيعتها نزاعة لحب الممنوع وصدق المصطفى ﷺ حيث يقول: «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك نافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»(١).

وصدق الشاعر(٢) إذ يقول:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولقد تفرست في حال كثير من الشباب الذين أعرفهم ونظرت في أسباب شربهم للدخان فوجدته القرين السيء فهل يعي الآباء والمربون ذلك؟



---

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٧/ ١٢٥، وصحيح مسلم ٨/ ٣٨.

(٢) قائله الشاعر عدي بن زيد العبادي وينسب إلى طرفة بن العبد انظر قول على قول للكرمي ١/ ٢٥٠.

المبحث الثاني

البيئة

البيئة المحيطة بالشخص فإذا كان الطفل في البيت يرى أباه يدخن أو يرى أخاه الأكبر أو يرى أحد أقاربه أو من يكثر جلوسه معه إذا كان يرى هؤلاء يدخنون وإذا خرج للشارع رأى كثيراً من الكبار والصغار يدخنون وإذا ذهب إلى المدرسة رأى المدرسين كذلك، وإذا ذهب لدائرة حكومية شاهد الدخان في كل مكتب إذا كانت هذه هي البيئة التي تحيط بالشاب فهل ترجو منه أن يسلم من الدخان إلا من سلم الله سبحانه، وقليل ما هم فلو أن المبتلي بشربه لم يجمع إلى سوء ما يفعل من شربه سوءاً آخر هو المجاهرة والمكابرة لكان ذلك أصلح له وللآخرين لئلا يكون قدوة سيئة يقتدي به الآخرون ولو سألته نفسه أترضى أن يدخن أحد مثلك لقال لا لشدة ما يعاني من ويلاته وبلائه.



المبحث الثالث

الشعور بالنقص

الشعور بعقدة النقص عند كثير من الشباب الذين يدخنون ذلك أنه يرى أن شخصيته لا تكتمل إلا بشربه وقد التقيت بمجموعة من الشباب في أحد السجون، وبعد نقاش طويل حول التدخين قال لي أحدهم: الواقع إننا ندخن مثل الكبار ليقال إننا رجال، فسبحان من بيده تصريف العقول والأرزاق.



المبحث الرابع

التقليد الأعمى

التقليد الأعمى في بداية الأمر دون نظر أي عواقب بل تجد الشاب يجلس مع زميل أو صديق فيتناول معه الدخان تقليداً له دون دوافع أو رغبة ثم في النهاية يصبح عادة يصعب التخلص منها[1].



(١) التدخين في ضوء العلم الحديث: إبراهيم محمد الضبيعي ص١٨، ١٩.

المبحث الخامس

الدعاية

الدعاية القوية له بكل صورها وأشكالها، ولقد نجح الأعداء في استخدام هذا السلاح المدمر واستطاعوا نشره حتى في صفوف الجيوش وأجهزة الأمن وأساتذة الجامعات، بل وفي صفوف النساء أحياناً فمتى فتحت مجلة سيارة وجدت على صفحتها الأولى عبارة الدخان رمز المتعة والحرية، الدخان ينسيك التعب والإجهاد. الدخان راحة وهدوء بال ثم ترى رسمة من أجمل أنواع الرسم لشاب يضع الدخان بيده، أليست مثل هذه المجلة رسولاً لكل لبيب [إلا من شاء الله] يقرؤها الصغير والكبير، الذكر والأنثى.



المبحث السادس

سهولة الحصول عليه

سهولة الحصول عليه ويسره وذلك لوفرة الناحية المادية ولعرضه في كل مكان، فتجد الباعة يبيعونه في كل مكان على الصغير والكبير، ثم إن قيمته رمزية يستطيعها الطفل الصغير، ومما يؤسف له أن شربه أصبح مجالاً، للتنافس بين الأطفال، وتلك والله نكسة ما بعدها نكسة، فهل تصحو الضمائر ويفيق العقلاء ويضعون حدوداً لهذا التساهل في عرضه وبيعه في كل مكان، بل ويضعون حداً لشربه في الأسواق والمكاتب والأماكن العامة والحافلات والمدارس والحدائق وغير ذلك.

إن الحزم هو طريق السلامة في مثل هذه الأمور وما أصدق ما قيل[١].

قسى ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس أحياناً على من يرحم



(١) قائل هذا البيت الشاعر أبو تمام ديوان أبي تمام ص٢٠٧.

المبحث السابع

التساهل في التربية

التساهل التام في التربية والتوجيه وعدم المتابعة للأولاد بل عدم مراقبتهم أثناء خروجهم من البيت أين يذهبون، ومع من يجلسون ومن يصاحبون وعلى أي شيء تكون مجالسهم. إن الأولاد أمانة وسنسأل عنهم يوم القيامة هل قمنا بالواجب أم لا، فلنعد للسؤال جواباً.



المبحث الثامن

التقصير في مكافحته

تقصير الجهات العامة والخاصة الرسمية وغير الرسمية إذ لم تقم بدورها كما ينبغي فلا يكفي أن نضع إعلانات بمنع التدخين بل لا يكفي أن نضع أسبوعاً لمكافحة التدخين بل لا بد من وضع الرقابة الصارمة على الموردين ومتابعة الموزعين والأخذ على يد الشركات التي تضع الإعلانات وتمتص دماء الناس وأموالهم بإحراق أكبادهم، ولا بد من دور ريادي للمصلحين والمعلمين وأولياء الأمور وذلك بالتوجيه والتوعية وبيان الأخطار والأضرار وبفضل الله ثم بفضل هذه الجهود نضع أقدامنا على الطريق الصحيح بمشيئة الله.



المبحث التاسع

أسباب أخرى

وعن أسباب انتشاره يقول الشيخ ابن جبرين: (... ولقد كنا في هذه البلاد قبل سنوات نعده أمراً منكراً وقل أن يشربه سوى سوقة الناس، وسقطهم ويشربونه بخفية وخوف، أما الآن فقد شربوه علناً وجهاراً وابتلي به الكثير من الفضلاء والمديرين والأطباء والمربين والموجهين...).

ومن أسباب انتشاره:

أولاً: وسوسة الشيطان...

ثانياً: دعاة الضلال....

ثالثاً: دعايات المدخنين...

رابعاً: إعلان الدخان بيعاً وتعاطياً...

خامساً: إنتشار المطاعم والمقاهي العامة...

سادساً: تقصير الآباء والمربين...[(١)].



(١) التدخين مادته وحكمه في الإسلام لابن جبرين ص٧٧ ـ ٨١.

الفصل الثالث

أضراره وآثاره

تمهيد

إذا أردنا أن نقف على ضرر التدخين فلا بد من بحث معنى الضرر والمحل الذي يصاب بالضرر، أما الضرر فإن لفظه يدل على عدة معان كلها تدور على كون الشيء خالياً من المنفعة أو مسبباً شدة وضيقاً أو سوء حال أو نقصاً في شيء آخر.

أما المحل الذي يصاب بالضرر فهو بالنسبة إلى المسلم دينه وبدنه وعقله وعرضه وماله، وهذه هي الكليات الخمس التي أطبقت الشرائع الآلهية على صيانتها للإنسان وحفظها عليه إذ هي قوام حياته وعليها مدار سعادته في الدنيا والآخرة.

ومن هنا وضعت الشريعة السلامية العقوبات الزاجرة لكل من يفسد على المسلم هذه الكليات أو يضره فيها بأدنى ضرر، فوضعت عقوبة القتل لمن جنى على إنسان بقتل أو فساد عقله أو دينه، ووضعت عقوبة القطع لمن يسرق مال غيره، وعقوبة الرجم حتى الموت لمن ينتهك أعراض الناس فيزني بنسائهم، وعقوبة الجلد لمن يقذف المحصنين فيخل بشرفهم ويمس بأعراضهم وهم أعفاء طاهرون، وعدَّت شريعة الإسلام كل ما أدخل ضرراً أو نقصاً على تلك الكليات منفردة أو مجتمعة جناية محرمة يستوجب فاعلها العقوبة عليها، وأن كل ضار بها أو بواحدة منها هو ممنوع الاستعمال فاسد الاعتبار قبيح الصورة لا يصح فعله ولا يجوز إقراره والسكوت عليه.

وبعد هذه المقدمة نتساءل هل في التدخين ضرر؟ وجواباً على ذلك نقول: نعم إن فيه أضراراً بالغة على الدين والبدن والعقل والمال والعرض من جهة عامة وفيه أضرار أخرى أصبحت في حكم المقطوع بها لأن الناس يلمسونها في واقعهم أفراداً ومجتمعات[1].

---

(١) التدخين لأبي بكر الجزائري ص٢٠/ ٢١.

المبحث الأول

أضرار التدخين على الدين

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[المائدة: ٩١].

ذكر تعالى من أسباب تحريم الخمر والميسر الصد عن الذكر وعن الصلاة وهذه العلة متحققة في الدخان، فإنَّ شاربه في العادة يهرب من حِلَقِ الذكر والقراءة ويألف اللهو والباطل عادة وهو غالباً من أكسل الناس عن الصلاة وأبعدهم عن حضور المساجد إلا ما شاء الله، ومن صلَّى منهم رؤيت عليه آثار التثاقل فهو لا يأتي الصلاة إلا متأخراً ولا يخشع فيها وينصرف مسرعاً قبل الذكر والراتبة وتثقل عليه النوافل الأخرى.

وهكذا سائر العبادات وبالأخص الصيام فأنه أثقل على المدخنين من غيره؛ لأنهم به يمسكون عن شهوتهم وسلوتهم ـ حسب زعمهم ـ وينالهم بتركة آلام وصعوبات نفسية لهذا يفطر كثير منهم، ولقد رأينا بأنفسنا أشخاصاً يفطرون بالدخان وعلى الدخان، ولقد سئلت في رمضان المنصرم ١٤١٠هـ عن حالة غريبة جداً حيث حضر عندي شاب تبدو عليه علامات الصلاح والتقى ولكنه مبتلي بشرب الدخان بسبب رفقة سيئة في بعض فترات حياته، وقد سألني قائلاً: ما الحكم على شخص دخل عليه رمضان وخرج وهو يومياً يدخن أكثر من سيجارة ولكنه لا يتناول أي نوع من المفطرات عدا الدخان؟

هذه صورة لجزء من الواقع فهل هناك ضرر أعظم من هذا الضرر على ركن من أركان الإسلام.

ومن أضراره على الدين أن المدخن يؤذي الحفظة من الملائكة الكرام

الكاتبين إذ هو بقوة الدخان الأبيض برائحته الكريهة على الملكين وهما يتأذيان من كل رائحة كريهة كما وردت بذلك النصوص الصحيحة.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (... ومن مضاره الدينية أنه يثقل على العبد العبادات والقيام بالمأمورات خصوصاً الصيام وما كره العبد للخير فإنه شر...)[1].



(١) حكم شرب الدخان ص٩.

المبحث الثاني

أضرار التدخين على البدن

إن الأجسام البشرية محترمة ومحرمة معاً فلا يحل إصابتها بأي أذى.

والتدخين مضر بالجسم فاتك به يعرضه للتلف والهلاك.

ولعل من خير من يحدثنا عن ضرره على الجسم الدكتور محمد علي البار الطبيب العالم الذي يجمع بين الطب والعلم في أبحاثه المتميزة يقول حفظه الله[1]: «إن في التبغ مواد سامة كثيرة أخطرها ما يلي:

١ ـ النيكوتين وهوأخطر السموم التي عرفها الإنسان حتى اليوم إذ يكفي في قتل إنسان في أوج شبابه أن يعطى منه مقدار «ملجرام» وهو جزء من مليون من الكيلوغرام في وريده مع العلم أن السيجارة الواحدة لا تخلو أبداً من مليجرام إلى ثلاثة منه بحسب كبرها وصغرها وتركيبها.

٢ـ غاز أول أكسيد الكربون وهو غاز سام يستنشقه المدخن فيسبب له نقصاً كبيراً في كمية الأوكسجين الموجودة في دمه مما ينتج عنه أن تدخين عشرين سيجارة في اليوم يفقد المرء خمس دمه ومعنى هذا أنه فقد خمس كافة جسمه، وأي ضرر أكبر من هذا الضرر؟

٣ ـ القار أي الزفت أو القطران ويوجد في كل سيجارة ما بين ١٥ ـ ٣٠ مليجراما من هذه المادة السامة والتي يتسبب عنها للمدخنين إلتهابات الشعبة الهوائية الحادة والمزمنة.

ثم يقرر الدكتور البار بعض المعلومات الثابتة طبياً فيقول:

---

(١) التدخين وأثره على الصحة ص٢١، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٤٦، ٦٤، ٦٩، ٧٠، علماً أن هذه المعلومات منثورة في تلك الصفحات.

١ ـ إن كل سيجارة تدخن تنقص من عمر المرء خمس دقائق ونصفاً وهو نفس الوقت الذي يقضيه المرء في تدخين السيجارة .

٢ ـ تقول الإحصائيات الرسمية التي نشرها تقرير الكلية الملكية ببريطانيا عن التدخين أن من بين كل ثلاثة مدخنين واحداً منهم على الأقل سيلقى حتفه قبل الأوان بسبب التدخين .

٣ ـ أن أمراض السرطان ـ الربو ـ العقم ـ ضعف النسل ـ تصلب الشرايين ـ تشويه الجنين ـ جلطات القلب ـ كل هذه الأمراض أثر من آثار التدخين وهي أضرار بالغة بالإنسان لا يصح معها أي شك في حرمة التدخين ووجوب تركه والابتعاد عنه وإلا فعلى الدين والعقل العوض والسلام.



المبحث الثالث

أضرار التدخين على العقل

العقل هو النعمة التي امتاز بها الآدمي عن غيره من سائر الحيوانات، وهو مناط التكليف إذ غير العاقل لا يكلف فعلاً ولا تركاً. ومن هنا كان كل ما يعرض العقل البشري للضعف أو التلف من سائر المؤثرات الداخلية أو الخارجية محرماً تحريماً شرعياً لا يحل استعماله ولا يجوز ارتكابه أبداً.

ولأجل ذلك حرم الإسلام الخمر والحشيشة وسائر المسكرات والمخدرات، على اختلافها وتباين أجناسها ووضع لها حداً زاجراً.

صيانة للعقل وحماية له من كل ما يؤثر عليه وإذا أمعنا النظر في الدخان وجدناه يؤثر في العقل ويضر به ولا أدل على ذلك من أن شارب الدخان إذا فقده يكاد يسقط صريعاً فضلاً عن قلة نشاطه وعطائه وضعف تفكيره وتحصيله ويتضح لك ذلك جلياً لو تحدثت مع أحد المولعين به، وقلت له لو منع عنك الدخان فترة طويلة، لرأيته يقول لك دون حياء أني أكاد أجن لو فقدته أو أن الموت أرحم من فقده، ولقد قابلت شباباً صغاراً في بعض السجون وسألتهم عن سبب سجنهم فقالوا: شرب الدخان وتبا لعادة تأسر صاحبها حتى تدفعه للسرقة.



المبحث الرابع

أضرار التدخين على المال

اهتم الإسلام بالمال اهتماماً بالغاً وقرن حرمته بحرمة النفس والعرض بل قدمه في معرض البذل والإنفاق في سبيل الله على النفس ورفع منزلة من يقتل دون ماله فجعل له الشهادة.

ونهى الإسلام عن إعطاء السفهاء أموالهم خشية ضياعها وحرم أكل مال اليتيم بغير وجه حق، ونهى عن التبذير والإسراف إلى غير ذلك من أوجه العناية بالمال.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على أضرار الدخان المالية لعلمنا أن الثمن الذي يشتري به الدخان قل أو كثر يعد إتلافاً للمال وإحراقاً له وإفساداً وتضييعاً فلا يحل بوجه من الوجوه لأنه مال ينفق في إدخال الضرر على الإنسان.

وهذا الضرر متحقق وثابت كما سبق، أن ما ينفقه متوسط الناس يومياً في شراء الدخان يبلغ خمسة ريالات، فبماذا تصرف هذه النقود أتصرف في مأكل مباح أو في مشرب طيب لا والله أنها تصرف في شراء موت محقق، ولو أن الأمر اقتصر على الشخص نفسه لهان الأمر بل بجده أحياناً فقيراً معدماً ينفق على أسرة كبيرة فيقطع من نفقة أسرته ويشتري هذا الوباء الخبيث، بل أحياناً تبيت أسرته طاوية من أجل إرضاء شهوته وهناك من عرفناه يستدين وتتراكم عليه الديون ليشتري الدخان ويتلذذ به على حساب نفسه وأسرته.

ترى أخي القارئ لو رأينا إنساناً يذهب كل يوم إلى البحر ويرمي فيه ريالاً ماذا نعد هذا الشخص أنعده كريماً سخياً عاقلاً لأنه يتلف كل يوم ريالاً أم نقول فلان مجنون يضيع أمواله هدراً بل وندعو للحجر عليه لئلا يضيع أمواله رحمة بنفسه وبأسرته.

إذا كان هذا حال من يرمي ريالاً في البحر أو بحرقه في النار فكيف بحال من يحرق هذا الريال ويكتوي بناره ويضر دينه وجسده وعقله وعرضه وماله أن هذا الشخص أشد جنوناً وأولى بالحجر من الشخص الأول، ولكن تغير أحوال الناس وفساد طبائعهم وانتكاس فطر الكثير منهم جعل شراء هذا الوباء سائغاً مقبولاً بل ومحبوباً للنفس.



المبحث الخامس

أضرار التدخين على العرض

حرص الإسلام على صيانة العرض والحفاظ عليه، ووضع لذلك الحدود الزاجرة وعدَّ المساس بعرض المسلم جريمة يعاقب عليها بأشد العقوبات وأنكاها.

والسؤال هل للتدخين أضرار على العرض، والجواب بكل بساطة نعم له آثار كبيرة ولعل القصة التي سقناها أكبر دليل واقعي على ضرر الدخان على العرض حيث أن المرأة العفيفة الشريفة أرخصت عرضها في سبيل الحصول على الدخان.

ثم أن المرء قبل أن يشتهر بين الناس بالتدخين لا يجرؤ حياء أن يدخن أمام أقاربه كأبويه وأخواته وأعمامه وأخواله ولا أمام أهل الفضل والصلاح كالعلماء والصالحين من الناس، وهذه ظاهرة معروفة لا تنكر وتفسيرها هو شعور المرء بقبح التدخين لأنه مثار الشهوة والهوة ولأنه من عمل غير الصالحين، وهذه شهادة الفطرة السليمة على أن التدخين ماس بالعرض مضر به وكفى بها شهادة...

ولو أن إماماً يخطب الناس على منبره يوم الجمعة، وجلس بين الخطبتين لتلك الاستراحة القليلة فأخرج سيجارة وأشعلها يدخن بها أثناء خطبته لخرج الناس كلهم من المسجد وهم يلعنونه وما صلى معه أحد وما ذلك إلا أن تعاطي الدخان يتنافي وكمال الإيمان، وأنه مظهر من مظاهر الهبوط النفسي وهو دليل على أضرار التدخين بالعرض والكرامة والمروءة[1].

---

(١) انظر التدخين لأبي بكر الجزائري ص٣٠.

المبحث السادس

أضرار أخرى

وللتدخين أضرار صحية، فهو يعد ألد أعداء الصحة ومن أضراره الصحية:

١ ـ السموم الموجودة في الدخان تفتك بالأغشيه الرقيقة الملتفة حول الأوتار الصوتية فيسبب ذلك البحة عند المدخن .

٢ ـ يسبب التدخين ضيقاً في التنفس بسبب خراب الأكياس الهوائية في الرئتين ويسبب آلاماً في الحلق.

٣ ـ يضعف حاسة الشم والذوق والنظر والقدرة على تمييز الألوان.

٤ ـ يزيد من عدد نبضات القلب فينتج عن ذلك السكتة القلبية.

٥ـ تكدس السموم في الكبد فيشعر المدخن بالتعب والإرهاق لأي مجهود لأن الكبد لا تستطيع حجز السموم بهذه الكثرة.

٦ ـ ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين الذي يؤدي إلى موت الفجأة.

٧ـ أثبت أحد الأطباء أن التدخين هو سبب مباشر لسرطان الرئة وذلك بأن أحضر عدداً من الفئران ووضع على جلدها محلول دخان السيجارة فظهر بعد خمسة عشر يوماً ورم سرطان وكذلك سرطان الرئة يندر بين غير المدخنين، وقد مات بهذا المرض في عام ١٩٦٣م في بريطانيا ٢٥ ألف شخص، وفي أمريكا ٤١ ألف شخص.

٨ ـ كثرة السعال عند المدخنين والتدخين يسبب كذلك توقف في نمو الجسم .

٩ ـ التدخين مفتر للأعصاب والمخ لأنه يحدث انتعاشاً وقتياً فيها فيظن المدخن أنه يشعر بالراحة عند التدخين.

١٠ ـ المدخن لا يستطيع القيام بأي نشاط رياضي وإن قام به فهو مهزوز.

وله أضرار نفسية منها:

١ ـ هبوط مستوى الذكاء.

٢ ـ حب التسلط عند المدخن.

٣ ـ المزاج العصبي والقلق والشرور.

٤ ـ ملامح شخصية المدخن غير متميزة بل متذبذب.

وللتدخين أضرار اجتماعية واقتصادية منها:

١ ـ وجد أن ما يصرفه ٦٠ مليون مدخن في أمريكا يساوي ٤ مليارات دولار في العام الواحد.

٢ ـ كثير من الحرائق الخطيرة التي أتلفت مصانع كبيرة ومحلات تجارية باهظة الثمن كان سببها الدخان.

٣ ـ رائحته تؤذي الذين لا يستعملونه ولو دخلت عمارة فيها مدخن واحد لأحسست بالرائحة الكريهة تجلل العمارة كلها ولقد سكنت في إحدى المدن في عمارة فيها شخص واحد يستعمل الشيشة وكادت الرائحة تخرجنا من العمارة لولا بعض التصرفات التي أفادتنا في هذا المجال. . . .

وقد لخص بعض أهل العلم[1] أضرار التدخين فقال:

١ ـ أن التدخين يفسد القلب ويضعف القوى.

٢ ـ يغير اللون بالصفرة وخصوصاً الأسنان.

٣ ـ يجلب البلغم والسعال والأمراض الصدرية.

٤ ـ يورث السل الرئوي ومرض القلب والموت بالسكتة القلبية.

٥ ـ يسبب فساد الذوق وعسر الهضم وقلة الشهية للطعام.

٦ ـ يفسد كريات الدم ويؤثر على القلب بتشويش انتظام ضرباته.

---

(١) من أضرار المسكرات والمخدرات للشيخ عبد الله الجار الله ص٢٢/ ٢٣.

٧ ـ أنه معدود من الخبائث عند ذوي الطبائع السليمة حتى من مستعمليه.

٨ ـ أن إنفاق المال فيه إسراف وتبذير في معصية الله.

٩ ـ أنه مفتر باسترخاء الأطراف وصيرورتها إلى وهن وانكسار.

١٠ ـ كون رائحته الكريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه وتؤذي الملائكة الكرام لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وتلمس ذلك واضحاً إذا دخلت أحد المكاتب المغلقة التي يدخن أصحابها.

١١ ـ أنه يشوي الوجوه ويسود الشفاه، ويوسخ الأسنان ونستطيع معرفة المدخن من غيره ولو لم يدخن أمامك.

١٢ ـ أنه من أكبر دسائس الشيطان التي يستدرج بها الإنسان إلى ما هو أعظم منه فإنه وسيلة وبريد للمسكرات والمخدرات أمهات الخبائث من الحشيشة والخمر والأفيون وسائر المخدرات المنتشرة في مختلف ديار المسلمين.



الفصل الرابع

المبحث الأول

حكم الدخان

لم يكن الدخان معروفاً في زمن التشريع الإسلامي فيذكره ويذكر حكمه وليس معقولاً أن يسمى شيء قبل ولادته ووجوده، فكيف يخص التدخين بحكم شرعي وهو لم يزل غيباً ويخطئ خطأً فاحشاً أولئك الذين يطالبون بدليل صريح على تحريم الدخان، إذ كيف يوجد الدليل والموجب غير موجود لكن حينما يظهر الشيء ويوجد وتظهر آثاره يحكم عليه بالحل والحرمة بحسب هذه الآثار من النفع والضر. ولهذا نستطيع أن نحكم على الدخان مثلاً بعدما فشا وانتشر، وظهرت آثاره في المجتمع فنقول:

«إن في القرآن والسنة كليات يدخل تحتها كل جزئي من جنسها وقواعد يبنى عليها كل مشابه لها في الحكم أو مشارك لها في الوصف، ويثبت هذه الحقيقة ويقررها مثل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ومن تلك الكليات العامة في الكتاب العزيز تحريم الله تعالى للإثم وأمره بتركه في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾[الأنعام: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذه الآيات صريحة الدلالة في تحريم كل إثم وفاحشة من القول

والعمل، وإذا أردت حكماً شرعياً لأمر ـ ما ـ فانظر هل هو نافع أم ضار، أم هو دائر بينهما والدخان الذي نتحدث عنه لا أظن عاقلاً يشك أنه ضار وأنه من قبيل الآثام لا من قبيل المحاور ومن الخبائث لها من الطيبات وقد استدل بعض أهل العلم على حرمة الدخان بالكتاب والسنة والقياس وأصول الشريعة وقواعدها.

فمن الكتاب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٢ ـ وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الآيتان صريحتان في النهي عن كل مضر ومؤذ يودي بصاحبه إلى الموت والدخان يشهد عقلاء الأطباء وأصحاب التجارب أنه طريق بطيء للانتحار وسنشير إلى ما يؤيد ذلك في أثناء البحث إن شاء الله.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ونحن نتساءل هنا هل الدخان طيب أو خبيث؟ هل هو ضار أم نافع؟ هل هو نعمة أم نقمة؟ هل يدفع للصحة أم للمرض؟ أليس بعض الذين يشربونه ممن ابتلوا به يختفي حال شربه ويحرص ألا يعلم عنه أحد؟

لقد عايشت بنفسي شخصاً تقياً ابتلي بهذا الوباء ويعلم الله أنني على كثرة ما جلست معه لم أشم معه رائحة حتى أنني لا أعلم متى تركه، بل إن معظم زملائه الذين يعملون معه في نفس المهنة لا يعرفون عنه أنه يدخن وهذا كاف وحده في الحكم على الدخان أنه من الخبائث والرذائل.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

السفيه هو الذي لا يحسن التصرف بما معه من المال، والعاقل يجزم أن المدخنين هم أكثر الناس سفهاً لأنهم فضلاً عن كونهم لم يحسنوا التصرف بأموالهم عمدوا إلى ما يضرهم ويؤذيهم ومثل هؤلاء أخلق الناس بأن يوصفوا بالسفه بكل معانيه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

والإسراف والتبذير هو إنفاق المال في غير وجه حق ولا شك أن شراء الدخان إنفاق للمال بغير وجه لأنه ثبت ضرره على العقل والجسم ومن يشتري ما يضره ويؤذيه مبذر ومسرف.

ومن السنة:

١ـ ما روته أم سلمة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[١].

وصرح النهي للتحريم وكون الدخان مفتراً ثابت، وقد جرب ذلك الناس وعرفوه.

٢ ـ ما ثبت في الصحيحين أن النبي الله ﷺ قال: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[٢].

وهل هناك إضاعة للمال أشد من إضاعته في شرب هذا الداء الخبيث الذي يضر بالعقل والبدن.

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**من تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[٣].

الحديث صريح في حرمة تناول أي نوع من السموم بقصد ضرر النفس

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٣.
وأبو داود في السنن ٤/ ٩٠.
مدار هذه الرواية علي شهر بن حوشب وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وتكلم فيه غير واحد والترمذي يصحح حديثه.
انظر مختصر سنن أبي داود ٥/ ٣٦٩.

(٢) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري ٣/ ١٥٧. وصحيح مسلم ٥/ ١٠.

(٣) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري ٧/ ١٨١. وصحيح مسلم ١/ ٧٢.

وقد ثبت لنا مما سبق أن تناول الدخان إلقاء بالنفس إلى التهلكة، ثم إن الدخان يحتوي على سموم كثيرة أكثرها وأوضحها سم النيكوتين والقطران، فالمدخن يتناول السم عامداً متعمداً إلا أنه يقتل نفسه قتلاً بطيئاً وغيره ممن يتناول سائر السموم يقتل نفسه قتلاً عاجلاً ولا فرق في النتيجة بين الأمرين.

٤ ـ قال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)] نهى ﷺ عن ضرر الإنسان نفسه وغيره. والمدخن ضار نفسه ضرراً عقلياً وضرراً جسمياً، وهذا ثابت بشهادة من جربوا هذا الوباء وبشهادة الأطباء الذين عايشوا المرضى وتابعوا حالاتهم.

٥ ـ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل به**»[(٢)].

والمدخن ماذا سيجيب أيكون جوابه أنه أمضى عمره وشبابه وأفنى ماله بالدخان، وهل هذا الجواب إلا وبال عليه يوم تشهد الأعضاء ويتكلم من الإنسان كل شيء.

٦ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بين وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**»[(٣)].

والدخان أقل أحواله أن يقال أنه من المشتبهات التي ينبغي اجتنابها والبعد عنها فهل يعقل الغافلون وينتبه اللاهون ويستفيق السائرون في طريق الهلاك.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣١٣.
وإبن ماجه. السنن ٢/ ٧٨٤، والبيهقي. السنن ٦/ ٦٩. والطبراني في الكبير ١١/ ٣٠٢، وقد صححه أهل العلم. انظر مجمع الزوائد ٤/ ١١٠، والسلسلة الصحيحة للألباني ١/ ٩٩.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي ٤/ ٦١٢، وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في صحيحه برقم(٩٤٦) ١/ ٦٦٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري ١/ ٢١، وصحيح مسلم ٥/ ٥٠.

٧ ـ وعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله: «**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا**»(١).

٨ ـ وعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله: «**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس**»(٢).

أرأيت أخي المسلم أذية أشد من أذية الدخان، برائحته الكريهة وما يسببه من الأمراض.

إن الشخص الذي لا يدخن إذا دخل مكتباً من المكاتب المغلقة التي جللها الدخان يكاد يختنق، ويعلم الله ما يتسبب له من الأمراض، فإذا كان المسلم مأموراً باعتزال المسجد إذا تناول المباحات فكيف به إذا تناول المحرمات التي هي أنفذ رائحة من الثوم والبصل.

ومن القياس:

الدخان يشترك مع سائر المسكرات والمخدرات بجامع الضرر في كل ثم إنه ثبت أن الدخان يسكر في بعض الأحيان وخصوصاً عندما يستعمله المدخن بعد طول غياب، والدخان خبيث قبيح يشترك مع سائر الخبائث في الحرمة ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

أصول الشريعة وقواعدها:

أوجب الله جل وعلا العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله يرجون رحمته ومغفرته، ويخافون عقابه وعذابه، وأباح لهم المعاملات والمكاسب التي لا ضرر فيها ولا إثم، وأمر بالأكل من الطيبات لما لها من الأثر الواضح على البدن في نشاطه وسلوكه وسيره إلى الله وحرم كل خبيث حسي أو معنوي، لما يترتب على أكله وتناوله من آثار تضر الفرد والمجتمع ولذا فأصول هذا الدين وقواعده تحكم على الدخان بالخبث وتلحقه بالخبائث لما

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١/ ٢٠٥، وصحيح مسلم ٢/ ٨٠.
(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم ٢/ ٨٠.

فيه من الضرر الواضح الذي لا يختلف فيه اثنان، والشريعة الإسلامية مليئة بالقواعد العامة التي يمكن أن يحكم على الدخان من خلالها.

ومن أهم هذه القواعد قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وقاعدة (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وكذلك مبدأ (سد الذرائع) فلو لم يكن في تحريم الدخان إلا سد ذريعة المسكرات لكفى ذلك مبرراً للحكم عليه.



المبحث الثاني

شبه مستحلِّيه

يتعلل بعض الناس الذين يشربون الدخان بعلل واهية ويحاولون أن يوجدوا مبرراً لشربهم وهذا من سوء جهلهم وفساد طويتهم، إذ صنيعهم هذا يجعل الإثم مضاعفاً.

فالمسلم إذا ابتلي بمعصية ينبغي ألا يبرر لنفسه حلها بل يجزم بحرمتها ويسأل الله السلامة منها، ولعل من أبرز الشبه التي يتعلق بها بعض المدخنين ما يأتي:

١ ـ عدم النص الصريح باسمه في التحريم. وجواب هذه الشهبة:

إن الأدلة العامة التي أشرنا إليها كافية في الحكم عليه وعدم النص عليه باسمه لعدم وجوده في ذلك الوقت وهناك أمور كثيرة لم ينص عليها وإنما يحكم عليها بالنصوص العامة والقواعد الكلية وقد سبق إيضاح جزء من ذلك فليراجع.

٢ ـ يتعلق بعض الناس بالعمومات مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

فيقول: إن الدخان داخل في هذه الآية فيكون مباحاً، وجواب ذلك ما يأتي:

المراد بالآية الاعتبار بما في الأرض والإنتفاع بما فيه نفع، والمعنى خلقه لأجلكم وتحقيقاً لمصالحكم وفي ذلك ما ليس بمأكول ولا مشروب، وفي التبغ مصالح ظاهرة حيث يستعمله بعض المزارعين لإبادة الحشرات التي تهلك النبات وتقضي عليه.

٣ ـ قول بعض الأصوليين الأصل في الأشياء الإباحة ولا يحرم إلا ما

ورد دليل خاص به يحرمه. قال بعض الناس والدخان داخل في هذا العموم فلا يحرم إلا بدليل خاص يحرمه ولا دليل.

والجواب أن يقال: إن بعض أهل العلم عكس القاعدة فجعل الأصل في الأشياء المنع إلا بالدليل والصحيح التفصيل فكل شيء نافع ولا ضرر فيه ولا خبث فهو مباح إلا بدليل، وكل ضار أو ضرره أكبر من نفعه فهو حرام إلا للمضطر.

ثم إن الدليل قام على حرمة الدخان كما سبق في أدلة تحريمه، فهل تبقى بعد ذلك تلك القاعدة مجالاً لاعتراض معترض أو متعلقاً لشهبة يورثها الهوى والبعد عن الحق.

٤ ـ فتوى من أفتى بحل الدخان من العلماء والجواب أن يقال:

أن هناك الكثيرين من أهل العلم المنصفين أفتوا بالتحريم وقولهم أصوب ورأيهم أسد لأن الدليل معهم، ثم إن هناك من أفتى بحل الخمر وتبرج النساء بل وإباحة الربا وأكل المال بالباطل فهل يؤخذ بمثل هذه الفتاوى الزائفة الضالة، إن المرجع والمحتكم في أي أمر اختلف الناس فيه وتنازعوا هو الميزان العدل، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩].

وبالرجوع إليهما نجد الدلالة فيهما على التحريم واضحة صريحة، وقد ذكرنا طرفاً منها في أدلة تحريمه.

٥ ـ إنكار ما فيه من الإسكار والتخدير والضرر والجواب أن يقال: إن هناك من نقل إسكاره وتخديره، وأما ضرره فلا أظن أن هناك عاقلاً ينكر ذلك.

وما دام ثبت عند البعض إسكاره وتخديره وضرره فالموازنة تقضي ان يقدم المثبت على النافي لأن معه زيادة علم، ثم أن نفي إسكاره وتخديره عن بعض الأفراد لا ينفي ذلك عن الجميع.

٦ ـ يحتج بعض الناس بما يحصل في الدخان من المنافع ـ في نظرهم ـ

كالتنبيه وإذهاب الكسل والتعب وحصول نشاط بعده والجواب أن يقال:

إن هذه المنافع خيالية أو مبالغ فيها وإن حصلت فهي دليل ثابت على ضرر الدخان لأنه بتناوله خدر نفسه فأذهب الإحساس وظن معه ذهاب التعب، والواقع أنه يزيد نفسه تعباً إلى تعب.

ثم ماذا تكون هذه المنافع المزعومة مقابل الأضرار الكثيرة الثابتة بالواقع والتجربة لكل من تعاطى التدخين أو عايش متعاطيه[(١)].

٧ ـ ومن الناس من يحاول إثبات عدم ضرر الدخان مناقضة للعلم المثبت بالتجربة ومنابذة للمشاهدات فيدعي أنه يدخن التبغ سنين ولم يحصل له طارئ يضره ويضرب لك الأمثال بغيره مكابر وربما كان معتقداً ما يقوله.

والجواب على ذلك ما يأتي:

أنه شوهد من الناس من لا يظهر عليهم فعله بسرعة ولكن مقدار النيكوتين الذي يدخل إلى أجسادهم يتجمع فيها شيئاً فشيئاً ثم يثور مرة واحدة منتهزاً فرصة وقوع جسدهم في مرض أضعفه فيفتك به فتكاً ذريعاً حتى يتعجب الطبيب من سرعة المرض وكثرة تضاعفه، فلما يعلم أن سبب ذلك فعل النيكوتين المدخر يذهب عنه العجب ويعتريه الأسف.



(١) انظر التدخين للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين ص٩٥.

الفصل الخامس

فتاوى العلماء في تحريمه

فتاوى العلماء في تحريمه

أذكر في هذا المبحث طرفاً من كلام أهل العلم في الدخان علماً أن معظمهم من فقهاء المذاهب المختلفة الذين عايشوه في بدء ظهوره إلى يومنا هذا وعبارتهم تختلف فيه فمنهم من يحرمه ومنهم من يكرهه ومنهم من يبيحه وسأوضح ذلك فيما يأتي:

١ ـ قال أبو السعود الحنفي أن الدخان مما ظهر أخيراً وأن صاحب الدر الشيخ الحصكفي الحنفي حكى عن شيخه الغزي الشافعي أنه حرام لأنه مفتر وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

٢ ـ وقد حرمه الشيخ حسن الشرذبغلاني الحنفي فقال فيه نظماً من بحر الطويل.

ويمنع من بيع الدخان وشربه　　　وشاربه في الصوم لا شك يفطر[(١)]

٣ ـ ومنهم العلامة الباجوري حيث قال في كتاب البيوع من حاشيته على شرح الغاية عند قول المصنف: ولا يصح بيع عين نجسة وما لا منفعة فيه، قيل: منه الدخان المعروف لأنه لا منفعة فيه بل يحرم استعماله لأن فيه ضرراً كبيراً...[(٢)].

٤ ـ ومنهم المحقق البجيرمي قال في فصل الأطعمة من حاشيته على الإقناع في شرح متن أبي شجاع عند قول الشارح: ويحرم ما يضر البدن أو العقل. ومنه تعلم حرمة الدخان المشهور أي لما صح فيه عن أهل الخبرة من

---

(١) تبصرة الأخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان، للعلامة محمد الطرابيشي ص٢١.

(٢) المرجع السابق ص٢٤.

أنه يضر بالبدن أضراراً. . .[١].

٥ ـ ومنهم الشهاب القليوبي قال في باب النجاسة من حاشيته على شرح الجلال المحلي لمنهاج الإمام النووي بعد بيان نجاسة كل مسكر مائع كالخمر ونحوه. إحترز بمائع عن البنج ونحوه من كل ما فيه تخدير وتغطية للعقل فهو طاهر وأن حرم تناوله لذلك أي للتخدير المذكور.

قال بعض مشايخنا: ومنه أي من نحو البنج الدخان المشهور وهو كذلك لأنه يمنع مجاري البدن ويهيئها لقبول الأمراض المضرة ولذلك ينشأ عنه الترهل والتنافيس ونحوهما.

ـ فالترهل: إسترخاء العضلات والأعصاب.

ـ والتنافيس: إتساع مسام الأغشية وقد أخبر من يوثق به أنه يحصل منه دوران الرأس أيضاً. . .[٢]

٦ ـ ومنهم العلامة الجمل قال في حاشيته على شرح المنهج عن شيخه العلامة اللاقاني:

«. . . ومن البنج الأفيون وجوزة الطيب وكثير العنبر والزعفران ونحو ذلك من كل ما فيه تخدير وتغطية، قال شيخنا اللاقاني: ومنه شرب الدخان المعروف الآن. قال شيخنا ـ الأجهوري ـ: وهو كذلك ولي به أسوة. . .»[٣].

٧ ـ قال في تهذيب الفروق «. . . أول ما ظهرت العشبة المعروفة بالتنباك والتتن والدخان ودخان طابة في أوائل القرن الحادي عشر كما في ابن حمدون إلى أن قال: . . . إن استعمال القدر المؤثر في العقل منه حرام إتفاقاً كما في شرح الإرشاد وغيره. وأما القدر غير المؤثر فأطبق المغاربة وأكثر المشارقة كالشيخ سالم السنهوري وتلميذه الشيخ اللاقاني وغيرهما على تحريمه. إلى إن قال: . . . وألّف مجموعة في تحريمه تآليف. . .»[٤].

---

(١) المرجع السابق ص٢٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٥.

(٤) تهذيب الفروق بهامش الفروق ١/٢١٦/٢٢٠.

=

وقد أطال النفس رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضوع، فمن شاء الإستزادة فليراجعه.

٨ ـ ومنهم الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله قال في جوابه على سؤال عن التنباك:

«...وبما ذكر من كلام رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم يتبين لك تحريم التتن الذي كثر في هذا الزمان استعماله وصح بالتواتر عندنا والمشاهدة إسكاره في بعض الأوقات خصوصاً إذا أكثر منه أو أقام يوماً أو يومين لا يشربه ثم شربه فإنه يسكر ويزيل العقل حتى أن صاحبه يحدث عند الناس ولا يشعر بذلك نعوذ بالله من الخزي وسوء البأس. فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلتفت إلى قول أحد من الناس إذا تبين له كلاماً وكلام رسوله في مثله من المسائل وذلك لأن الشهادة بأنه رسول الله تقضي طاعته فيما أمر والإنتهاء عما نهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر...»[(١)].

٩ ـ ومنهم الشيخ أحمد المنقور قال في الفواكه العديدة: «... والحاصل أن القول بتحريم الدخان ثبت عن كثير من السلف والمتعمدين في الحجاز واليمن ومصر والشام وديار الروم وألفوا في ذلك رسائل...»[(٢)].

وقد نقل ذلك عن مجموعة كبيرة من العلماء الأعلام الذين عرفوه وعايشوا مستعمليه.

١٠ ـ ومنهم الشيخ الإمام محمد رشيد رضا يقول في فتاويه: «... ما علمت أحداً من فقهاء المسلمين قال أن شرب هذا الدخان غير مفطر للصائم ولذلك استغربت هذا السؤال ولا شك في أن مادة هذا الدخان تدخل في الجوف وأنها تؤثر في شاربه تأثيراً ينافي الصيام وحكمته ولذلك اتفق جميع الناس على تسمية التدخين شرباً فشرب الدخان مبطل للصيام قطعاً...»[(٣)].

= وانظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٤٦.

(١) ٦/٤٥٢ من الدرر السنية.

(٢) الفواكه العديدة ٢/٧٩.

(٣) فتاوى رشيد رضا ٦/٢٣٠٠.

وقال في موضع آخر: «...وقد اختلفت فيه أقوال فقهاء المذاهب فكان أكثرهم يحرمه... ومنهم من يبيحه... ومنهم من يكرهه... وقد أفتى شيخ الأزهر أبو الفضل الجيزاوي ومفتي الديار المصرية بأن ثالث أقوال العلماء فيه وهو الكراهة هو الوسط الراجح...»[(١)].

١١ ـ ومنهم الشيخ عبد الله أبا بطين قال في جواب له عن التنباك:

«... الذي نرى فيه التحريم لعلتين:

أحدهما:

حصول الإسكار فيما إذا فقده شاربه مدة ثم شربه أو أكثر منه وإن لم يحصل إسكار حصل تخدير وتفتير.

والعلة الثانية:

أنه منتن مستخبث عند من لم يعتده واحتج العلماء بقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

«وأما من ألفه واعتاده فلا يرى خبثه كالجعل لا يستخبث العذرة...»[(٢)].

١٢ ـ ومنهم مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال في رسالته عن الدخان:

«... وبعد؛ فقد سئلت عن حكم التنباك الذي أولع بشربه كثير من الجهال والسفهاء مما يعلم كل أحد تحريمنا إياه نحن ومشايخنا. ومشايخ مشايخنا وكافة المحققين من أئمة الدعوة النجدية وسائر المحققين سواهم من العلماء في عامة الأمصار من لدن وجوده بعد الألف بعشرة أعوام أو نحوها حتى يومنا هذا إستناداً على الأصول الشرعية والقواعد المرعية...».

إلى أن قال: «... لا ريب فيخبث الدخان ونتنه وإسكاره أحياناً وتفتيره

---

(١) فتاوى رشيد رضا ٦/٢٤٠٣.

(٢) انظر فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص٧.

وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح وكلام الأطباء المعتبرين. . .»[١].

١٣ ـ ومنهم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ قال في رسالته عن الدخان: «. . . أما الدخان شربه والإتجار به والإعانة على ذلك فهو حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شرباً واستعمالاً وإتجاراً وعلى من كان يتعاطاه ان يتوب إلى الله توبة نصوحاً كما يجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب وذلك أنه داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم داخل في لفظها العام وفي معناها وذلك لمضاره الدينية والبدنية والمالية التي يكفي بعضها في الحكم بتحريمه فكيف إذا اجتمعت. . .»[٢].

١٤ ـ ومنهم الشيخ محمد العيني من فقهاء الحنفية ذكر في رسالته تحريم التدخين من أربعة وجوه:

أحدها: كونه مضراً بالصحة بأخبار الأطباء المعتبرين وكل ما كان كذلك يحرم استعماله إتفاقاً.

ثانياً: كونه من المخدرات المتفق عليها عنهم المنهي عن استعمالها شرعاً.

ثالثاً: كون رائحته الكريهة تؤذي الناس والملائكة وخصوصاً في أماكن الاجتماعات كالمساجد وغيرها.

رابعاً: كونه إسرافاً إذ لا نفع فيه بل ضرره محقق. . .)[٣].

وقد استطرد بذكر الأدلة من الكتاب والسنة على حرمته.

١٥ ـ ومنهم فضيلة الشيخ حمود التويجري يقول في كتابه الدلائل الواضحات: «. . . وقد عظمت الفتنة بشرب الدخان وبيعه وإبتياعه وصارت الفتنة به أعظم من الفتنة بجميع أنواع المسكرات والخبائث. . .

وقد تهاون في فتنة الدخان وانهمك في شربه كثير من المنتسبين إلى العلم في زماننا فضلاً عن العامة فالله المستعان.

---

(١) فتوى في حكم شرب الدخان ص١/ ٢.
(٢) حكم شرب الدخان ص١٦.
(٣) فتوى حكم شرب الدخان٤/ ٥.

وكثير من الناس يستحلونه إما جهلاً منهم بحكمه وإما اتباعاً لإهوائهم وما تشتهيه أنفسهم وكثير من الناس يعتقدون تحريمه وهم مع ذلك يستحلون بيعه وابتياعه وأكل ثمنه وهؤلاء فيهم شبه من اليهود...»[١].

١٦ ـ ومنهم الشيخ الطرابيشي قال في كتابه تبصرة الإخوان: (... فقد تحصل من مجموع هذه النصوص الفقهية والطبية الحكم على الدخان المشهور بأنه من جملة المخدرات التي يحرم إستعمالها وأنه مضر بالصحة إضراراً بينا وكل ما كان كذلك فهو حرام بالإتفاق وشبهة من خالف في إثبات الحرمة باستعماله عدم التحقق لتأثيراته المذكورة من التخدير والإضرار المذكورين حسبما ذكره أهل الخبرة فيه...»[٢].

١٧ ـ ومنهم الشيخ صالح قال في كتابه الاعلام: «... ثبت ضرر الدخان على متعاطيه بالتجربة وبشهادة المختصين من الأطباء وإقرار كثير ممن يتعاطونه بعظيم ضرره فمنهم من تخلص من وطأته وتركه ومنهم من بقي تحت وطأته على مضض وما كان كذلك فلا شك في تحريمه على الجميع لا في حق من قرر له طبيب مختص....»[٣].

١٨ ـ ومنهم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله قال في رسالته التدخين: «... وبهذه النظرة العامة يتضح لك أن استعمال الدخان شرباً أو مضغاً أو نشوقاً أو نحوه محرم وممنوع فلا يباح بحال من الأحوال ولكن لا بد من التفصيل بعد الإجمال...»[٤].

ثم استطرد حفظه الله في بيان آثاره على العبادات وعلى الفرد والمجتمع وساق الأدلة الكثيرة التي تقضي بحرمته.

---

(١) الدلائل الواضحات على تحريم المسكرات والمفترات للشيخ حمود التويجري ص١٧٦.
(٢) تبصرة الأخوان في بيان أضرار التبغ المشهور بالدخان ص٢٦.
(٣) الأعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص١٣.
(٤) التدخين مادته وحكمه في الإسلام ص١٥.

١٩ ـ وقد صدرت عدة فتاوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية وهذه إحداها:

«فتوى رقم ٢١٣٩ وتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٣٩٨هـ:

س: هل يجوز التدخين وشرب التبغ أو لا؟

ج: التدخين وشرب التبغ على أي كيفية حرام لأن ذلك من الخبائث وقد قال تعالى في صفة نبينا محمد ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ ولأنه مضر بالقلب والرئتين وبصحة الإنسان عموماً ومنشأ لأنواع من الأمراض الخبيثة كالسرطان وقرر الأطباء خطره على الصحة وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير مما يضر بالإنسان عموماً..»[1].

٢٠ ـ وجاء في توصيات المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات الذي عقد في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في الفترة من ٢٧ ـ ٣٠ ـ ١٤٠٢هـ.

ما نصه «... تأييد الفتاوى الصادرة من العديد من كبار فقهاء المسلمين بتحريم التدخين تجميع صوره وأشكاله نظراً لضرره على الصحة والمال ودعوة الحكومات الإسلامية إلى منع زراعته وتصنيعه واستيراده، وتداوله وحتى يتم تنفيذ هذه التوصية يجب:

أ ـ منع الدعاية للدخان في كافة وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ب ـ حظر التدخين في أماكن العمل ودور التعليم والمواصلات في الأماكن التي يرتادها الجمهور بصورة عامة.

---

(١) وانظر الفتوى رقم (١٤٠٧) وتاريخ ٩/ ١١/ ١٣٩٦ هـ.
والفتوى رقم (١٩١٤) وتاريخ ٨/ ٥/ ١٣٩٨ هـ.
والفتوى (٢١١١) وتاريخ ٧/ ١٠/ ١٣٩٦ هـ.
والفتوى رقم (٤٩٤٧) وتاريخ ١٦/ ٩/ ١٤٠٢ هـ.

ج ـ يراعى في اختيار المعلمين والموجهين والدعاة في المجتمع المسلم أن يكونوا ممن يتنزهون عن هذه العادة القبيحة.

٢١ ـ قال في مطالب أولى النهي: «. . . وأما أنا فلا أشك في كراهته لما فيه من النقص في المال ولكراهة رائحة فم شاربه كأكل البصل النيئ، والثوم والكراث ونحوها ولإخلاله بالمروءة بالنسبة لأهل الفضائل والكمالات وكان أحد لا يعدل بالسلامة شيئاً. . .»[(١)].

٢٢ ـ وممن قطع بتحريم[(٢)] الدخان من علمائنا المعاصرين فضيلة الشيخ عبد الله سليمان بن منيع عضو هيئة كبار العلماء حيث يقول: «. . . ولكن لو استعرضنا حال الدخان لوجدناه مفسدة محضة ومضرة بالغة خالصة، ولما وجدنا فيه من المصالح والمنافع شيئاً مطلقاً بل هو شر لا خير فيه وضرر بالغ لا مصلحة فيه يعترف بذلك عقلاء العالم وذوو الاختصاصات العلمية فيهم ومن هذا التصور لهذا الواقع الدنيء للدخان نستطيع أن نجزم بحرمة الدخان بلا تحفظ فهو خبيث وقد حرم الله على عباده الخبائث وهو إضاعة للمال وقد نهى ﷺ عن إضاعة المال وهو إلقاء بالنفس والأيدي إلى التهلكة حينما وصفه الخبيرون بحاله بأن الإدمان عليه إنتحار بطيء وقد قال تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

وهو أذيّة بالغة للمجتمع وقد نهى ﷺ من أكل الثوم أو البصل عن حضور المساجد، وفيهما من النفع ما فيهما، ومع ذلك غلب جانب المجتمع في رعاية مشاعره وأحاسيسه فكيف بشارب الدخان وقد ملأ جسمه بأسوأ رائحة ولا شك أن الشيشة من الدخان إن لم تكن أكثر منه فحشاً وسوءاً وضرراً والله أعلم».

وقد أورد مجموعة من الباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع نقولاً

---

(١) مطالب أولى النهي للرحيباني ٦/ ٢١٩.

(٢) قدمت لفضيلته سؤالاً في ١٤١١/١/٣٠ هـ وأجابني خطياً بجواب طويل مبني على الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية رأيت أن أجتزئ منه ما يناسب هنا.

وفتاوى لمجموعة كبيرة من العلماء وذكروا فيه مؤلفات كثيرة ومن شاء الإستزادة حول هذا الموضوع فليرجع إلى:

١ـ الدخينة في نظر طبيب ص١٢٢ وما بعدها[١].

٢ـ الخمر وسائر المسكرات والمخدرات والتدخين ص١٥٢ وما بعدها[٢].

٣ ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية في رسالته عن الدخان ص٣ وما بعدها[٣].



(١) للدكتور دانيال هكرسي ترجمة الزهرة.
(٢) لأحمد بن حجر آل بوطامي.
(٣) نقل عن مجموعة من أعلام المذاهب الأربعة وعن بعض الأطباء المعتبرين.

الفصل السادس

المبحث الأول

بعض القصائد فيه.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رادّاً من أباح الدخان:

وقلت بعد مديح القات منصرفاً   أما الدخان فمن جنس المباحات
أبحت داء وتبذيراً ومعصية   وسفلة وانغماساً في الدناءات
يشوي الوجوه وتسودُّ الشفاه به   وفي المساجد مؤذٍ للجماعات
مع ما ذكرنا من التحذير فيه ومن   تفتير ومحق للطبيعات

وقال العدساني أحد الشعراء المشهورين بالكويت ناصحاً لابن ابنه عن شرب الدخان:

يا شارب التنباك ما أحراكا   من ذا الذي في شربه أفتاكا
أتظن شرابه مستعذب   أم هل تظن أن فيه غذاكا
هل فيه نفع ظاهر لك يا فتى   كلا فما فيه سوى أذاكا
ومضرة تبدو وقبح روائح   مكروهة تؤذي به جلساكا
وفتور جسم وارتخاء مفاصل   مع ضيق أنفاس وضعف قواكا
أو حرق مال لم نجد عوضاً له   إلا دخاناً قد حشا أحشاكا
آثرته وتركت جهلاً غيره   تباً لمن قد آثر التنباكا
ورضيت فيه بأن تكون مبذراً   وأخو البذر لم يكن يحفاكا
يكفيك ذماً فيه أن جميع من قد   كان يشربه يود فكاكا[1]

وقال الشيخ حمد عبد الرحمن حمد الله في آثار الدخان ورذائله:

كم في الدخان معائب ومكاره   دلت رذائله على إنكاره
سأريك بعضاً من معايب شره   فاسمع كلامي تسلمن من عاره

(١) انظر التدخين مادته وحكمه في الإسلام لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ص٦١.

يؤذي الكرام الكاتبين بريحه ... وأمام وجهك شعلة من ناره
طعم خبيث ثم ريح منتن ... عند الفتى أعز من ديناره

إلى أن قال:

إن غاب عنك سويعة لم تستطع ... وتود بذل الروح في إحضاره
ويصاحب عقلك بالجنون وبالخبال ... لفقده وتفيق باستشعاره
كم من نقود يا فتى وملابس ... أتلفتها بشرائه وشرابه

إلى أن قال:

وترى الذي في شربه متولهاً ... يلتذ في المرحاض باستكثاره
إنْ خالط المأكول منه دريهم ... غليت خباثته على قنطاره

إلى آخرالقصيدة[(١)].

وقال الشيخ محمد البيروتي رَحِمَهُ الله:

إياك من بدع تلقيك في محن ... لا سيما ما فشا في الناس من تتن
تباً لشاربه كيف المقام على ... ما ريحه يشبه السرجين في العطن
يفتر الجسم لا نفع به أبداً ... بل يورث الضر والأسقام في البدن
ولا يغرك من في الناس يشربه ... الناس في غفلة عن واضح السنن
يقضي على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن[(٢)]

وقال الشاعر معروف الرصافي:

عوائد عمت الدنيا مصائبها ... وإنما أنا في تلك المصيبات
ولا استمر دخان التبغ منتشراً ... بين الورى وهو مطلوب كأقوات
إن الدخان لشان في البلاد إذا ... ما عدت الخمر أولى في البليات
ورب بيضاء قيد الأصبع احترقت ... في الكف وهي احتراق في الحشاشات
إن مر بين شفاه القوم أسودها ... ألقى اصفراراً على بيض الثنيات

---

(١) المرجع السابق ص٦٢.

(٢) المرجع السابق ص٦٢.

وليتها كان هذا خط شاربها ... بل قد تفت بفكيه المرارات[(١)]

.... وإلى آخر القصيدة.

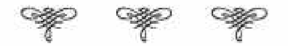
وقال الشيخ محمد المجذوب:

يا من يريد دمار صحته ويهوى ... الموت منتحراً بلا سكين
لا تيأسن فإن مثلك واجد ... كل الذي يرجوه في التدخين
وبفضل جهلك قد غدوت لصانعي ... تلك السموم السود خير معين
تحبوهم المال الذي لولاه ... لم يجدوا السبيل لكيد هذا الدين
وتخون حق الله في الجسد الذي ... لا يستبيح أذاه غير خئون
فاهنأ بما حققت للأعداء من ... نصر للشيطان من تمكين[(٢)]

وقال الشيخ عبد الله بن إبراهيم الوائلي المدني:

يا مولعاً بدخان النار يشربه ... ويدعي الحل بيِّن فيه برهانا
أورد عليه دليلاً كي تحلله ... لا سفسطات وتغليظاً وبهتانا
النار محرقة جسم الكفور غداً ... وأنت تشربها ظلماً وطغيانا
أخطأت أخطأت لا أخطأت واحدة ... فيما أدعيت وقد طاوعت شيطانا
فكيف طاب لك الدخان تشربه ... هل كان إلا ضلالاً ثم عدوانا

.... إلى آخر القصيدة[(٣)].



(١) ديوان معروف الرصافي ١/ ١١٠.
(٢) من أضرار المسكرات والمخدرات ص٧٩.
(٣) الدلائل الواضحات ص١٦٣.

المبحث الثاني

بعض القصص الواقعية للمدخنين

نترك في البداية الأستاذسيف الدين حسين شاهين يحدثنا عن تجربته مع التدخين فيقول:

عندما كنت في السنة الرابعة بكلية الحقوق ـ جامعة الإسكندرية ـ اقترب مني أحد زملائي في الدراسة وسألني إلى متى تسهر دارساً؟ ولا سيما أننا في فترة الامتحانات فأجبته أنني أستسلم لسلطان النوم في الحادية عشرة...

نظر إليّ مبتسماً مزهواً وقال أني أسهر حتى الثالثة أو الرابعة صباحاً ولما نظرت إليه متسائلاً عن سر هذه القدرة قال ما دامت السيجارة في يدي فأنا قادر على السهر.

ودون تفكير في العواقب ذهبت واشتريت عشر علب من السجائر دفعة واحدة لأني أريد أن أسهر وأن أذاكر لأحصل على تقدير مرتفع وبخاصة لأني في السنة النهائية.

بدأت أدخن بجنون حتى أنني في بعض الليالي كنت أدخن ما يبلغ الأربعين سيجارة وما قد يصل إلى الستين، وقد استمريت على ذلك قرابة عشرة أيام كنت خلالها أشعر أنني لا أستوعب المادة جيداً كما كنت قبل التدخين لذلك أخذت في تلخيص المادة ليلاً لأراجعها في الصباح قبل الإمتحان.

وقبل نهاية الإمتحان بيومين وبينما أنا جالس على المكتب أذاكر وأدخن، شعرت بهبوط شديد في جسمي وشلل في يدي اليمنى حتى أنني عدت لا أقوى على الحركة إلا بصعوبة فاستنجدت بالجيران وكانوا طلاباً مثلي فنقلوني إلى مستشفى خاص، ومن حسن حظي أن الطبيب المعالج كان أستاذاً

في كلية الطب فشرحت له حالتي وسألني منذ متى تدخن؟ فقلت له: منذ قرابة عشرة أيام فقط فأمر بإدخالي المستشفى ووضعني في غرفة العناية المركزة، وبعد أن قضيت ليلة كاملة في المستشفى ـ دون مذاكرة ـ استنفذت خلالها اسطوانتين كاملتين من الأوكسجين وثلاثة لترات من المحاليل الطبية وعدداً من الحقن شعرت أنني استعدت صحتي.

وعندما زارني الدكتور في الصباح قال لي أن سبب سوء حالتك هو الدخان لأن احتراق السيجارة يعطي أول أكسيد الكربون الذي يرتبط بالكريات الحمراء في الدم فيسبب نقص الأوكسحين الذي يصل عن طريق الدم إلى خلايا الجسم وينقل الغاز السام بدلاً منه.

ومن البديهي أن قلة وصول الأوكسجين إلى خلايا المخ لا يمكن أن يساعد على التركيز والاستيعاب، ولذلك فأنت مخطئ عندما اعتقدت أن الدخان يساعدك على السهر وعلى التركيز الذهني، وقد برهنت عملياً على خطأ هذه النظرية.

وأضاف أن التدخين يؤدي إلى إضطرابات عديدة منها توتر الأعصاب والاضطرابات المعوية والتعب السريع والإرهاق، وكل هذه العوامل لا تساعد على التركيز والاستيعاب[١].

نسوق هذه القصة الواقعية كما يذكرها من وقعت له ليكون أبناؤنا وشبابنا على علم بأضرار الدخان الكثيرة وليتأكد لهم عدم مصداقية تلك الدعايات المغرضة للترويج لدخان وبث سمومه في صفوف الناس عامة والناشئة خاصة.

وقد ذكر الأستاذ محمد فريد وجدي مجموعة من الحوادث التي سجلها التاريخ لأضرار التبغ نذكر منها واحدة فقط «... أن بعض أصدقاء الشاعر سانتولي اللاتيني المتوفى سنة ١٦٦٧م ألقى في كأس من النبيذ تبغاً ـ تتناً ـ فلما شربه الشاعر واستقر في جوفه أحدث له آلاماً لا توصف ثم فارق الحياة، صريع هذا السم الزعاف...»[٢].

(١) التدخين سيف الدين حسين شاهين ص٩/١٠.
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢/٥٢٧.

وذكر الدكتور المنصور قصة عجيبة تنبئ عن مضار الدخان وفساده للأخلاق والأعراض.

«. . . وقد أخبرني من أثق به من الرجال الذين يتجرون من الشام قديماً ـ من العقيلات ـ أن فلان أنزل في طريقه إلى نجد في بعض المنازل للراحة فبينما هو كذلك فإذا بإمرأة عربية من أشراف بيوتات العرب تأتي إليه وهي في حالة ذهول وارتباك فطلبت منه أن يسعفها ـ بدخان ـ فأبى عليها ثم عرضت عليه جملاً ببعض السجائر فأبى إلا إذا مكنته من نفسها فأبت عليه ذلك وقالت معاذ الله، ودفعت له جملين فأبى فما زالت تزيده من الجمال دون عرضها مقابل الدخان وهو يأبى أن يسلم لها دخاناً إلا إذا بذلت له عرضها، فلما يئست من كل محاولة استسلمت له مقابل الدخان، فلما رأى ذلك منها تعجب وتألم في نفس الوقت مما رأى كيف أن امرأة عربية عفيفة شريفة دعاها الدخان إلى بذل عرضها أعز شيء عندها لما رأى ذلك كله عزفت نفسه عن الدخان وعرف أنه قاتل للأخلاق مضيع للأعراض فسلم لها جميع ما معه من الدخان وتاب إلى الله توبة صادقة[1].

ويحكي الاستاذ مصطفى الحمامي عن نفسه مرة أنه قال: كنت أمشي يوماً مع أحد طلبة العلم، فعرج على بائع دخان اشترى منه سيجارتين أشعل إحداهما وأقسم عليّ يميناً غليظاً أن آخذها منه وأستعملها. قال: فتناولت السيجارة أجذب في دخانها وأنفخه من فمي من دون أن يتجاوز الفم للداخل. رأى هو ذلك فقال: إبتلع ما تجذبه فإن قسمي على هذا. لم أمانع، وفعلت ما قال نفساً واحداً والله ما زدت عليه وإذ دارت الأرض حولي دورة تشبه دورة المغزل فبادرت إلى الجلوس على الأرض وظننت بنفسي أني انتهيت، وظننت بصاحبي الظنون. وبكل تعب وصلت بيتي وأنا واكب وهو معي يحافظ عليّ وبعد ذلك مكثت إلى آخر اليوم التالي تقريباً حتى أحسست بخفة ما كنت أجده فحكيت هذا لكثير من الناس أستكشف ما كان يخبئ لي في السيجارة

(١) الدخان في نظر الإسلام ص٢٨.

فأخبروني أن الدخان يعمل هذا العمل في كل من لم يعتده. فقلت إذا كان نفس واحد فعل بي كل هذا فماذا تفعله الأنفاس التي لا تعد كل يوم يجذبها معتاد الدخان خصوصاً المكثر منه[1].



(١) فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص١٤، ١٥.

الفصل السابع

كيفية الإقلاع عنه

كيفية الإقلاع عنه

ذكرت فيه طريقة عملية يستطيع من خلالها من ابتلى بالتدخين أن يقلع عنه بكل يسر وسهولة متى استصحب النية الصالحة والعزيمة الصادقة، وأحاط ذلك بصدق الإلتجاء إلى الله والضراعة أن يعينه على التخلص من شباك هذا الوباء.

كيفية الإقلاع منه:

الوقاية دائماً خير من العلاج وكل عاقل يعمل ما استطاع على توقي الأمراض أياً كانت قبل وقوعها، ومن هذه الأمراض بل من أشدها فتكاً بالجسد الدخان فتنبغي الوقاية منه قبل الدخول في شركه.

من أهم طرق الوقاية منه ما يأتي:

١ ـ أن تستشعر دائماً أن هذا الدخان الذي أقدم عليه معظم الناس اليوم هو السم الزعاف بل الموت البطيء.

٢ ـ لا تسمح لأنفك أن يشم رائحته الكريهة.

٣ ـ الحرص على البعد عن مجالس من يشربه لأن كثرة الإمساس تقلل الإحساس والصحيح يعديه الأجرب.

٤ ـ أن تستشعر دائماً أن هؤلاء الذين يشربونه تعساء مستعمرون وأسراء لهذا السم الزعاف.

٥ ـ الحرص على انقاذ من تستطيع ممن وقع فيه بكل وسيلة متاحة وذلك بأن تشعر أنهم مرضى بحاجة إلى العلاج.

٦ ـ لا تنخدع بما ينشر عن الدخان من إعلانات زائفة خادعة فالهدف

من ورائها الربح المادي ولا تراعي في المسلمين إلاً ولا ذمة ولو بحثت عن الذين وراءها لوجدتهم من أعداء الأمة الحاقدين، أو من أذنابهم من المستغربين والله المستعان.

من وقع في شرك التدخين كيف يتخلص منه؟

العلاج يحتاج إلى مجهود كبير تتضافر فيه الجهود بين الجهات الرسمية وغير الرسمية، بين المبتلين به وغيرهم ولا شك أن ذلك يسير على من يسره الله عليه، ولعل اتباع الخطوات التالية يحسم الموقف ويجعلك تقلع عنه:

١ـ أن تعتصم بالله سبحانه وتعالى وتطلب منه التوفيق والسداد.

٢ ـ أن تقلع عنه وتعقد العزم على ألا تعود إليه مرة ثانية مهما ترتب على ذلك.

٣ ـ أن تجعل نصب عينيك آثاره السيئة فيك وفي غيرك وما سببه ويسببه من أمراض كثيرة وأزمات حادة.

٤ ـ أن تبتعد عنه دائماً ولا تشمه ولا تجلس في مجالسه لأن الشيطان يحرص على تزيينه والنفس ضعيفة، ولكن إذا ابتعدت عنه بالكلية نسيته وخرج من حياتك.

٥ ـ ممارسة بعض التمارين الرياضية لتعويض الجسم والتسلية.

٦ ـ الاستعاضه ببعض الطيبات كالأقراض التي تمصها والحلوى والشيكولاته وغيرها.

٧ ـ الإستحمام كثيراً.

٨ ـ استعمل السواك أو العلك في كثير من الأحيان لأنه يشغلك وينسيك الدخان.

٩ ـ قلل من شرب القهوة والشاي وأكثر من تناول الفاكهة والغذاء الجيد.

١٠ ـ تناول أنواع العصيرات كالليمون والبرتقال والتفاح والعنب لأنها تخفف من شدة الرغبة في التدخين.

١١ ـ أشارت الإحصائيات إلى أن ثلاثين مليون شخص قد أقلعوا عن التدخين في الولايات المتحدة الأمريكية بعضهم أقلع لأن التدخين أثر تأثيراً سيئاً في صحتهم، أما الآخرون فقد أقلعوا لأنهم تيقنوا أن التدخين سوف يسيء إساءة بالغة إلى صحتهم، وأياً كان السبب فإن من المهم أن نتذكر أن الإقلاع عن التدخين سوف يؤدي إلى تحسن مؤكد في الحالة الصحية ويقلل بشكل ملموس من مخاطر الإصابة بالأمراض في المستقبل يقول علماء النفس: إن نجاح المدخنين في التغلب على عادة التدخين يعتمد على قدرتهم على كبح جماح رغباتهم وعلى السيطرة على أهواء نفوسهم فكل الطرق والأساليب لا تنفع ولا تفيد إن لم يكن هناك إرادة قوية تربأ بالإنسان أن يخضع لساطان هذه العادة الذميمة[1].

وقد ذكر بعض الكاتبين وسائل متعددة للحد من ظاهرة التدخين نذكر منها ما يأتي:

١ ـ منع الدعاية للدخان بأي شكل من الأشكال وبمختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة .

٢ ـ منع التدخين في جميع المكاتب الحكومية والخاصة ومتابعة ذلك ومعاقبة من يخالف ذلك.

٣ ـ منع التدخين نهائياً في الطائرات ووسائل النقل العامة كالقطارات والحافلات وسيارات الأجرة.

٤ ـ منع التدخين في المدارس والجامعات والتشديد في ذلك ومتابعة الطلاب والأساتذة ومعاقبة المخالف بأقسى العقوبات.

٥ ـ منع التدخين منعاً باتاً في المستشفيات والقطاعات الصحية والعيادات والتحذير منه باستمرار في هذه المواقع.

٦ ـ منع التدخين في الأماكن العامة كالحدائق وصالات المحاضرات والأفراح والعرض وغير ذلك .

---

(١) التدخين أضراره ووسائل تجنبه. سيف الدين شاهين ص١٠٠.

٧ ـ منع بيعه علناً والتشديد في ذلك وتخصيص أماكن لبيعه كالصيدليات مثلاً ومتابعة من يخالف ذلك والأخذ على يديه.

٨ ـ منع بيعه للصغار مهما كانت الملابسات والتشديد في ذلك وكل من يخالف ذلك يعاقب بما يستحقه.

٩ ـ عمل بعض المقابلات مع المدخنين الذين أقلعوا عن التدخين وبيان آثار ذلك فيهم لتشجيع غيرهم وشرح أسباب تركهم له[١].



(١) التدخين في ضوء العلم الحديث ص٨٩.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة عبر الصفحات السابقة تتضح منها لنا النتائج التالية:

١ ـ أن الدخان قديم الظهور وأنه تدرج استعماله وتنوع حتى وصل إلى ما هي عليه الحال اليوم وهي من أخطر أنواع استعمالاته.

٢ ـ تبين أن أخطر أسباب انتشاره ضعف الوازع الديني وكثرة المشكلات الأسرية وغياب التربية الإسلامية ووجود قرناء السوء.

٣ ـ تبين أن للدخان آثاراً خطيرة على الضروريات الخمس التي تكفلت الشرائع السماوية بحفظها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

٤ ـ تبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك رجحان القول بتحريم الدخان لأن الشريعة الإسلامية جاءت في تغليب جانب المنافع إن كثرت ودرء المفاسد متى غلبت وحيث أن الدخان شر محض وليس فيه منفعة تذكر لذا فالشرع والعقل والفطر السليمة والأعراف المستقيمة كلها تقضي بالابتعاد عنه وتحريمه وقد إستدللنا لذلك من الكتاب والسنة والقياس وقواعد الشريعة العامة.

٥ ـ أفضل الوسائل لمكافحة التدخين تبدأ بالتربية الصالحة ووجود القدوة، الطيبة، وتسخير أجهزة الأعلام لمحاربة هذا الوباء، والبدء يمنعه في الأماكن العامة ومتابعة المخالفين وتأديبهم.

٦ ـ وأخيراً نقول لمن ابتلي بهذا الداء العضال عليك أن تجمع التوبة النصوح وصدق الإلتجاء إلى الله والضراعة إليه، بأن يعصمك من هذا الداء وأن ييسر لك الفرج العاجل لتلقي الله وأنت ممن يتبع الرسول فيحل الطيبات ويحرم الخبائث، وصدق الله العظيم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أسأل الله جل وعلا أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يهدينا لما اختلف فيه بإذنه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس إجمالي للكتب

الكتاب	الصفحة
كتاب فتح الودود بشرح منظومة ابن أبي داود	٥
شرح كتاب مختصر في أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة	٨٥
شرح كتاب نظم الدرر والجواهر في النواهي والأوامر	١٤٩
شرح رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٦٥
التعليق على كتاب انتصار الحق	٢٩٩
تحقيق كتَابُ التسهيل في الفقه	٣٢٩
التعليق على كتاب الإجابة الصادرة في صحة الصلاة في الطائرة	٤٥١
التعليق على كتاب المواعظ الحسنة الحسينية	٤٨١